موسوعة
خزائن العلوم الإسلامية
في ضوء القرآن والسنة

الفقير إلى مولاه
محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الجزء الخامس

الطبعة الأولى
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦

دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

موسوعة

خزائن العلوم الإسلامية

في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى عفو ربه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

الجزء الخامس

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع

المنصورة - مصر

كل الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولي

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

رقم الإيداع: ٣٠٨٥٢ / ٢٠٢١م

الترقيم الدولي: ٨-٢٧١-٩٩٧-٩٧٧-٩٧٨

جوال المؤلف

٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بريد إلكتروني: mb_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 - 0502357979

موسوعة

خزائن العلوم الإسلامية

في ضوء القرآن والسنة


بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

الجزء الخـــامس

ويشتمل على المباحث التالية:

٢٧- خزائن القرآن الكريم

٢٨- خزائن السنة النبوية

٢٩- خزائن الأعمال الصالحة

٣٠- خزائن الأحكام العامة

قال النبي ﷺ : "الذي يَقرَأُ القُرآنَ وهو ماهِرٌ به مع السَّفَرةِ الكِرامِ البَرَرةِ، والذي يَقرَؤُه وهو يَشتَدُّ عليه فله أجْرانِ"

متفق عليه

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٧-خزائن القرآن الكريم

القسم الأول :

ويشتمل على ما يلي :

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٢٧-خزائن القرآن الكريم

القسم الأول

١- الخزانة الأولى

- **حكمة إنزال القرآن الكريم :**

أنزل الله القرآن الكريم لحكم عظيمة كثيرة ومن تلك الحكم :

أولًا : من حكم إنزال القرآن أن يتدبر الناس آياته ليفهموا ما فيها من أنواع الهدى ، وأن يتذكر به أولوا الألباب، كما قال سبحانه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد: ١٩] .

ثانيًا : الإنذار والتبشير كما قال سبحانه : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾[مريم:٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ ﴾[الكهف:١-٤] .

ثالثًا : بيان النبي ﷺ لما فيه ليزول الخلاف ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل: ٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[النحل:٦٤] .

رابعًا : تثبيت قلوب المؤمنين وهدايتهم وبشارتهم بكل خير، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[النحل:١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[آل عمران:١٣٨] .

خامسًا : الحكم به بين الناس، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النساء:١٠٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾[المائدة:٤٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[المائدة:٤٩] .

سادسًا : إخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما قال سبحانه : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة:١٥-١٦] .

سابعًا : التذكرة لمن يخشى، كما قال سبحانه : ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾[طه:١-٣] .

ثامنًا : الذكرى وحصول التقوى ، كما قال سبحانه ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾[طه:١١٣] .

والقرآن العظيم نور يهدي به الله من اتبع رضوانه ، يهدي الله به من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة:١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾[التغابن:٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾[النساء:١٧٤] .

والقرآن العظيم إنما يلاءم البصائر النيرة والأرواح الكريمة كنور الشمس إنما ينتفع به أصحاب البصر والذي يذهب عنه للقرآن إلى ظلام الجهل فهؤلاء الخفاش لا ينتفع بنور الشمس لأنه لا يلائمه إلا الظلام فيطير ويفرح بالظلمات ونور الشمس يعميه .

وهكذا أصحاب الأرواح الخسيسة والقلوب البهيمية الخنزيرية هم خفافيش البصائر لا يلائمهم إلا الظلام والنتن كما أن الجعل لا يلائمهم إلا النتن وكما أن الخفاش لا يلائمه إلا الظلام : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[النور:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

عظمة القرآن :

الله عز وجل : هو العظيم ، وكتابه عظيم ورسوله كريم ، وثوابه عظيم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥٥] .

وقال سبحانه : عن القرآن : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الحجر:٨٧].

وقال سبحانه : عن ثوابه العظيم فإن الله عظيم وكتابه عظيم والعظيم لا يعطي إلا العظيم : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب:٣٥] .

والقرآن الكريم كلام الله عز وجل منزلٌ غير مخلوق وكلام الله صفة من صفاته ، وصفات الكامل كاملة ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

والاختلاف ثلاثة أنواع :

١ - اختلاف تناقض .

٢ - اختلاف تفاوت .

٣- اختلاف تلاوة .

فالأول : ممنوع لأنه من التناقض ولأن التناقض لا يوجد في أحكام الحكيم جل جلاله : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود:١] .

وقد وصف الله القرآن الكريم بصفات كثيرة ، وصف الله القرآن بالحكيم ؛ لأنه حاكم في الاعتقادات يميز حقها من باطلها ، وحاكم في الأفعال يميز صوابها من خطأها ، وحاكم في الأخلاق يميز حسنها من سيئها ، وحاكم في المعاملات يبين حلالها من حرامها ، وحاكم على أن محمدًا صادق في دعوى النبوة : ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الزمر:٣٣].

ومن أعظم ما بين الله في القرآن العظيم بيان أسماء الله وصفاته ، فقد بين الله في القرآن الكريم أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله الجميلة والمثل الأعلى ، والله سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الحميدة والمثل الأعلى المنزه عن المثيل وعن صفات النقص وعن صفات البشر :﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١] .

فهو الغني عن كل ما سواه وكل ما سواه محتاج إليه ولهذا استحق الحمد كله والتكبير كله : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾ ﴾[الإسراء: ١١١]

لهذا كان الله عز وجل : هو العظيم المستحق لأعظم أنواع الحمد ، والحمد يجب أن يكون مقرونًا بالإجلال والتكبير لعظيم نعمه وإحسانه ولجلاله وجماله .

• **وتكبير الله أنواع :**

الأول : تكبير الله في ذاته فهو الكبير وحده الغني عن كل ما سواه وحده : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾[الحج:٦٢] .

الثاني : تكبير الله في صفاته ، وذلك من ثلاثة أوجه .

فجميع صفات الله صفات جلال وجمال وكمال ، فهو منزه عن صفات النقص وصفات الخلق ، وكما لا نهاية لذاته فكذلك لا نهاية لصفاته ، وكما ينزه العبد ربه في ذاته عن الحدوث والتغير والزوال فكذلك ينزه في صفاته ، فصفاته سبحانه ذاتية أزلية منزهة عن التغير والحدوث .

الثالث : تكبير الله في أفعاله ، فنحمد الله ونكبره على أنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يجري في ملكه إلا ما يشاء : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

وقال سبحانه : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية:٣٦-٣٧] .

الرابع : تكبير الله في أحكامه ، بأن يعتقد المسلم بأن الله وحده هو الملك الحق الذي له الملك والخلق والأمر وله الحكم كله يأمر بما يشاء وينهى عما يشاء : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف:٥٤] .

وقال سبحانه : ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ٥٧﴾ [الأنعام:٥٧] .

وهو الملك الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء ويفعل ما يشاء : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران:٢٦] .

الخامس: تكبير الله في أسمائه ، وهو ألا يذكر إلا بأسمائه الحسنى ولا يوصف إلا بصفاته العلى، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤] .

السادس : إذا كبر العبد ربه وعظمه وقدسه ونزهه على معرفته وطاقته اعترف أن عقله وعلمه لا يفي بمعرفة جلال الله وعظمته ، ولسانه لا يفي بشكره وجوارحه لا تفي بحق عبادته فكبر الله على أن يكون تكبيره ، وافيًا بما يستحقه الرب من المجد والتعظيم والإجلال :﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرٗا ١١١﴾ [الإسراء: ١١٠-١١١] .

٢- الخزانة الثانية

- **عظمة القرآن :**

القرآن العظيم كله هدى وشفاء ورحمة للمؤمنين ، فهو شفاءٌ من الأمراض الروحية من الكفر والشرك والبدع والتكذيب للكتب والأنبياء ، وشفاء من الأخلاق السيئة بالتحذير منها والترغيب في الأخلاق الحسنة : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢] .

وقال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

والقرآن شفاءٌ من الأمراض البدنية لما فيه من بيان الحلال والطيبات وإباحة أكلها ، وما فيه من بيان الطيبات من الخبائث : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف:٣٢] .

وقراءة القرآن على المرضى تدفع بإذن الله أمراض الأجسام ، لما في القرآن من البركة ، ولاشتماله على ذكر جلال الله وتعلق القلوب به وما فيه من تحقير الشياطين والسحرة :﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٨] .

والقرآن كذلك رحمة للمؤمنين لما فيه من بيان الحق من الباطل وكشف الشبهات والترغيب في الحق والعمل به والأخلاق الحسنة وغيرها ، مما يكون سببًا لوصول الإنسان إلى جوار رب العالمين :﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

وكما أن القرآن شفاءٌ ورحمة للمؤمنين ، فكذلك هو سبب للخسار والضلال في حق الظالمين ؛ لأن سماع القرآن يزيدهم طغيانًا وكفرًا وتكذيبًا وحسدًا وعدوانًا وهذه الأخلاق الذميمة تزيدهم إصرارًا واستكبارًا عن الحق وتدعوهم إلى الأعمال الباطلة ، والأعمال الباطلة تجرهم إلى الأعمال الفاسدة فتفسد نفوسهم ويفسدون غيرهم فلا أشد من خسارتهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

والقرآن العظيم فيه تبيان كل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

وقد تحدى الله الإنس والجن بهذا القرآن العظيم على درجات فتحداهم أن يأتوا بمثله ، كما قال سبحانه : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨] .

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور منه ، كما قال سبحانه : ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾[هود:١٣] .

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة، كما قال سبحانه : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[البقرة:٢٣] .

ثم تحداهم أن يأتوا بحديث من مثله ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الطور:٣٤] .

والقرآن العظيم كتاب الله ، وكتاب الله كتاب عظيم وكريم وحكيم ومجيد بالغ في الكمال والصحة والحسن والنفع ما لم يبلغه كتاب سواه :﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء:٨٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧].

فالقرآن العظيم كتاب عظيم كامل في ذاته : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢]

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ [الكهف:١] .

وهو كتاب كريم مكمل لغيره مقيم له لأن القيّم هو القائم بمصالح غيره : ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾[الكهف:٢-٣] .

والقرآن العظيم سبب لهداية الخلق وإكمال أحوالهم بما يسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾ [البقرة: ٢] .

فهو الحق : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢]

يهديهم إلى الحق والأجر والثواب الحسن ، والقرآن العظيم مستقيم كله حق لا عوج فيه والعوج في المعاني كالعوج في الأشياء والله عز وجل : نفى العوج عن كتابه ، فقال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾[الكهف:١] .

وذلك من وجوه :

أحدها : نفي التناقض عن القرآن : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

الثاني : أن كل ما ذكر الله في القرآن من التوحيد والأحكام والأخبار والتكاليف فكله حق وصدق لا خلل فيه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت:٤١-٤٢] .

الثالث : أنه يخرج الإنسان من معرفة الخلق إلى معرفة الخالق ومن معرفة الصور إلى معرفة المصور سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويخرج الإنسان من معرفة الدنيا إلى معرفة الآخرة ومن عالم الشهادة إلي عالم الغيب وهو أعظم سبب لهداية الخلق : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾[البقرة:٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة:١٥-١٦] .

- **نعمة إنزال القرآن العظيم :**

الله عز وجل : هو العظيم وكتابه عظيم ، وأعظم سور القرآن هي فاتحة الكتاب ، وأعظم آيات القرآن هي : آية الكرسي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

والله عز وجل أنزل الكتاب على الرسول ﷺ وتلك نعمة عليه ونعمة علينا ، أما كونه نعمة عليه ﷺ؛ فلأن الله عز وجل أطلع نبيه ﷺ بواسطة هذا الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد والتنزيه وصفات الجلال والجمال والإكرام لله عز وجل وأحوال الملائكة والأنبياء والرسل .

وأحوال القضاء والقدر وأسرار تعلق أحوال العالم السفلي بالعالم العلوي، وتعلق أحوال عالم الآخرة بعالم الدنيا وكيفية نزول القضاء من عالم الغيب، وذلك من أعظم النعم عليه ﷺ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء:١١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

أما كون هذا الكتاب نعمةً علينا ، فلأن القرآن العظيم مشتمل على أحسن الأحكام والأوامر والأخبار والوعد والوعيد والثواب والعقاب ، فلما كان كذلك وجب على كل واحد أن ينتفع به بمقدار طاقته ، ووجب على الرسول ﷺ وأمته أن يحمدوا الله على ما خصهم به من هذا الكتاب الكريم ، وقد علمهم الله ذلك بقوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ [الكهف:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة :٢-٧]

وقال الله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[الأنعام:١] .

وقال الله تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء:١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[المائدة:٣] .

والقرآن الكريم كله عظيم في سوره وآياته وأخباره وأحكامه .

وقد أنزل الله في القرآن الكريم سورة العصر، وهي إحدى ثلاث سور قصيرة في القرآن وهي الكوثر والنصر والعصر .

وسورة العصر سورة عظيمة شاملة لمعاني الكمال الإنساني العلمي والعملي في النفس وفي الغير ومؤسسة للعلاقة مع الله بين الإنسان وأخيه ، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر:١-٣].

ولم يذكر الله تعالى في هذه السورة سبب الخسارة ، وذكر سبب الربح لأن طريق الربح واحد هو الإيمان بالله عز وجل .

لكن طرق الخسارة كثيرة متنوعة لا تنتهي، منها :

- ترك الأوامر
- وفعل النواهي .

وقد ذكر الله عز وجل في هذه السورة أنواع الكمال الإنساني العلمي والعملي ، الكمال اللازم والمتعدي .

فالكمال العلمي للإنسان، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[العصر:١-٣].

والكمال العلمي : ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[العصر:٣].

والكمال اللازم من الإنسان يتم بأمرين :

- آمنوا .. وعملوا الصالحات .

فهذا جهد على النفس .

- والكمال المتعدي ما يفيض من الإنسان إلى غيره

كما قال سبحانه : ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[العصر:٣].

. وهذا جهد على الغير .

- **والنجاة من الخسار لا تحصل إلا بهذه الأربعة :**
  - الكمال العلمي .. والعملي
  - والكمال اللازم .. والمتعدي .

والتواصي بالحق والصبر يشمل التواصي بهما والتواصي بالتواصي بهما فيوصي بعضنا بعضًا فتقول أوصيك أن توصي الناس بالحق والصبر .

والله هو الحق وعبادته هي الحق وهذا مقصود الله من خلقه : ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريات:٥٦] .

والصبر من الحق وهو رأس الفضائل فلا دين ولا دنيا إلا بالصبر والإيمان نصفه صبر ونصفه شكر فالإيمان والعمل الصالح يحتاجوا إلى صبر فالإنسان يستقيم لكن إذا لم يكن عنده صبر انقطع .

والتواصي بالحق يحتاج إلى صبر فمن لم يكن عنده صبر توقف ، والإنسان قد يصبر سنة أو أكثر فإذا لم يكن عنده صبر على الصبر انقطع ، والصبر يكون على فعل الطاعات والصبر عن المحرمات والصبر على الأقدار والصبر على التواصي بالحق ، ولا يمكن أن توجد صحبة بين اثنين إلا بصبرٍ وتسامح :﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾ [الروم:٦٠]

وقال سبحانه : ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾[النحل:١٢٧-١٢٨] .

٣- الخزانة الثالثة

- **فضائل السور :**

الله عز وجل : هو الحق وكتبه حق ورسله حق ووعده حق ووعيده حق ، والإيمان الحق هو الذي يزرع في قلب العبد هيبة الجبار جل جلاله لما يراه من كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وعظمة ملكه وسلطانه ، ويملأ قلب العبد بحب الرحمن الرحيم لما يراه من إنعامه وإحسانه إلى عباده .

ويتواطأ على ذلك القلب واللسان والجوارح ويظهر ذلك على اللسان قولًا وذكرًا وعلى الجوارح عملًا وأخلاقًا : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

فالله عظيم وكتابه عظيم وسور القرآن عظيمة وآيات القرآن عظيمة .

- **وكلمات الله نوعان :**

١- كلمات قدرية وهي :

الكلمات التي بها يخلق ويرزق ويرفع ويخسف ويعز ويذل ويحي ويميت : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[يس:٨٢] .

٢- كلمات شرعية وهي :

ما أنزل الله على رسله من الكتب والأوامر والنواهي كما قال سبحانه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام:١١٥].

صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام والكلمات الشرعية كلها صدق في الأخبار وعدل في الأحكام ، فهي خير محض : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾[الأنعام:١١٥].

أما الكلمات القدرية فهي خير في ذاتها لأن الذي فعلها حكيم عليم خبير ، والشرع معها يتعلق بالمخلوقات لا بها ، كما قال سبحانه : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[الفلق:١-٥] .

فالشر ليس إلى الله عز وجل ففعله ذاته كله خير ورحمة وحكمة وإحسان لا شر فيه أبدًا، وإنما الشر في المخلوقات التي خلقها سبحانه في غاية الحكمة

- **وما خلق الله سبحانه قسمان :**

١- مخلوقات لا شر فيها كالملائكة والأنبياء والرسل والجنة .

٢- ومخلوقات فيها شر وضرر كالهوام والسباع والجن والإنس والشياطين والنار والرياح وغيرها هذه المخلوقات التي فيها خير وشر نستعيذ بالله من شرها .

- **أما فقه سورة الإخلاص :**

فقد خاطب الله نبيه ﷺ بلفظ قل ثلاثمائة وعشرين مرة في القرآن الكريم ، وفي هذا إشارة إلى أن العقيدة والأخبار والأحكام تتلقى من عند الله عز وجل . ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾

[الشورى:٥٢-٥٣].

فالأنبياء والرسل وأتباعهم يعرفون الناس بربهم وشرعه بواسطة الوحي المنزل من ربهم : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل: ٤٤] .

والإنسان بفطرته يحتاج إلى كل شيء يحتاج إلى الوالد وإلى الولد وإلى الشبيه وإلى الطعام وإلى الشراب وإلى الهواء : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] .

فالله هو الغني عن جميع الخلق كلهم وهو الواحد الأحد القادر على كل أحد الغني عن كل أحد السميع لكل أحد البصير بكل أحد العليم بكل أحد الذي يحتاج إليه كل أحد وهو الغني عن كل أحد : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

فقه المعوذتين :

في سورة الفلق استعاذةٌ بالرب من الشر الخارجي ، وهو أربعة أنواع من الشرور ، ولم يذكر الله من أسمائه إلا اسم الرب، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[الفلق:١-٥] .

وفي سورة الناس استعاذة بثلاث أسماء لله عز وجل هي:

(الرب – الملك – الإله) .

من شر واحد هو الشيطان الذي هو الشر الداخلي، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾[الناس: ١ – ٦]

وفي هذا بيان أن الشيطان أخطر عدو فمن آمن بالله فلا يخاف ما سواه : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٥] .

فله رب بيده ملكوت كل شيء وله ملك يحميه من كل عدو وله إله يحبه ويسأله ما يريد وقد ذكر الله عز وجل في سورة الناس من أسمائه ثلاثة الرب والملك والإله وكرر سبحانه كلمة الناس ثلاث مرات احتفاءً بالناس بذكرهم في آخر سورة في المصحف ويكرر ذكرهم في نهاية كل آية من هذه السورة خمس مرات، كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [الناس: ١ – ٦].

ويشرفهم بإعلامهم أنه ربهم وملكهم وإلههم فليعبدوه وحده لا شريك له وليفروا إليه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

الله يشرف الناس بإعلامهم أنه ربهم وملكهم وإلههم ورب كل شيء وملك كل شيء وإله كل شيء فليطيعوه ويعبدوه ؛ لأنهم هم المتعبدون بالأمر والنهي والطاعة الاختيارية وكل ما سواهم من المخلوقات عدا الجن فإنها مسخرة بأمر ربها .

وكم أشاد الله عز وجل بالناس خلقًا وتكريمًا، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء:٧٠] .

ورفع شأنهم بأن خاطبهم ربهم خطابًا مباشرًا في نص قرآني يتلى إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[البقرة: ٢١]

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾[الانفطار:٦ -٨] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[الأعراف:٢٦] .

وغير ذلك من الآيات التي فيها تكريم وتشريف لهذا الإنسان .

- **نزول القرآن :**

القرآن نزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ ﴾[القدر:١] . هذا النزول الأول .

أما النزول الثاني : فهو نزول القرآن مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة حسب الحوادث ، من القرآن الذي نزل إلى السماء الدنيا : ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ ﴾[الإسراء:١٠٦]

أما الكتب السابقة فنزلت جملةً واحدة كالتوراة والإنجيل، كما نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وأول ما نزل من القرآن على رسولنا محمد ﷺ في ليلة القدر من شهر رمضان نزل به الروح الأمين جبريل ﷺ على محمد ﷺ وعمره أربعون سنة : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ ﴾ [القدر:١] .

وقال الله تعالى : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾[البقرة:١٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

والقرآن الكريم كلام الله تعالى الذي أنزله على خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ المبدوء بسورة الفاتحة ، والمختوم بسورة الناس ، وعدد سور القرآن الكريم مائة وأربعة عشر سورة ، وقد تكفل الله عز وجل :

بحفظ القرآن الكريم فسلم من التغيير والتبديل ومن الزيادة والنقصان : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت:٤١-٤٢] .

وما حاول أحد قديمًا وحديثًا الإساءة إلى القرآن إلا هتك الله تعالى ستره وفضح أمره تحقيقًا، لقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] .

وأول ما نزل من القرآن الآيات الخمس الأول من سورة العلق، كما قال سبحانه : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[العلق:١-٥] .

ثم فتر الوحي مدة ثم نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة المدثر، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾[المدثر:١-٥].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ " بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَجُئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي .

فَدَثَّرُونِي فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ » ، متفق عليه[1].

والوحي : هو الإعلام بخفاء والوحي من الله يكون إلى الملائكة كما قال سبحانه : ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال:١٢] .

ويكون الوحي للرسل، كما قال سبحانه : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى:٥٢] .

ويكون الوحي كذلك للناس ، كما قال سبحانه : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص:٧] .

ويكون الوحي للجماد، كما قال سبحانه : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة:١-٥] .

فالموحى هو الله ، والموحى إليه هو خلقه ، وقد يكون الوحي من غير الله كما يوحي الشياطين إلى أوليائهم، كما قال سبحانه : ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۝١٢١﴾ [الأنعام:١٢١] .

أحوال نزول القرآن :

وصف الله القرآن بالكريم في قوله سبحانه : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٣٨).

فهو كريم لحسنه وبهائه وجماله : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾[الزمر:٢٣] .

ولأنه كريم في ثوابه فالحرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

وهو كريم في آثاره على القلوب وصلاحها ، فهو ملينٌ للقلوب وسبب للخشوع والطمأنينة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[الرعد: ٢٨] .

وهو كريم في آثاره بدعوة الناس إلى شريعة الله التي يسعد بها الإنسان في الدنيا والآخرة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩ ﴾[الحديد: ٩]

أما أحوال نزول القرآن فينقسم نزول القرآن إلى قسمين :

الأول : ابتدائي وهو ما لم يتقدم نزوله سبب يقتضيه ، وهو غالب آيات القرآن الكريم .

الثاني : سببي وهو ما تقدم نزوله سب يقتضيه .

- **وهو على النحو التالي :**

أولاً : إما سؤال يجيب الله عنه، وقد سأل الصحابة في القرآن أربعة عشر سؤالًا.

منها قوله عز وجل : ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ﴾[البقرة:١٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ ﴾[البقرة:٢٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[طه:١٠٥] .

وغير ذلك من الأسئلة الواردة في القرآن والتي أجاب الله عنها إجابةً شافية كافية .

ثانيًا : أو حادثة وقعت تحتاج إلى بيان وتحذير مثل : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[التوبة:٦٥-٦٦] .

نزلت في رجل من المنافقين في غزوة تبوك .

ثالثًا : أو فعل واقع يحتاج إلى معرفة حكمه مثل : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة:١] .

- **والقرآن مكي ومدني :**

فالقرآن المكي ما نزل على النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة

والقرآن المدني ما نزل على النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة ، وقد نزل القرآن على النبي ﷺ مفرقًا في خلال ثلاث وعشرين سنة ، ثلاثة عشر سنة بمكة وعشر سنين بالمدينة : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾[الإسراء:١٠٦]

والفرق بين المكي والمدني :

أولًا : أن القرآن المكي يتميز عن المدني من حيث الأسلوب والموضوع ، فمن حيث الأسلوب الغالب في المكي : قوة الأسلوب وشدة الخطاب وقصر الآيات وقوة المحاجة ، لأن المخاطبين معارضون مستكبرون معاندون ، كما في سور المفصل كالطور والمدثر والقمر وغيرها من السور التي هي آخر القرآن .

ثانيًا : الغالب في المدني لين الأسلوب وسهولة الخطاب وطول الآيات وذكر الأحكام مرسلة بدون محاجة ؛ لأن غالب المخاطبين مقبلون منقادون ، كما في المائدة وآية الدين في البقرة .

ثالثًا : من حيث الموضوع الغالب في القرآن المكي تقرير التوحيد والإيمان والأخلاق وأحوال اليوم الآخر لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك .

رابعًا : الغالب في المدني تفصيل العبادات والمعاملات والأحكام لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم الإيمان وهم بحاجة لتفصيل الأحكام ليعملون بها ، وفي القسم المدني أفاض القرآن في ذكر أحكام الجهاد وأحكام المنافقين لاقتضاء الحال ذلك بخلاف المكي حيث لم يشرع الجهاد ولم يظهر النفاق في مكة .

- **أما ترتيب القرآن ، فترتيب القرآن ثلاثة أنواع :**

الأول : ترتيب الكلمات بحيث تكون كل كلمة في موضعها في الآية ، وهذا ثابتٌ بالنص والإجماع .

الثاني : ترتيب الآيات بحيث تكون كل آية في موضعها من السورة ، وهو ثابت كذلك بالنص والإجماع .

الثالث : ترتيب السور بحيث تكون كل سورة في موضعها في المصحف ، وهذا ثابتٌ بالاجتهاد فلا يكون واجبًا لكن الصحابة اتفقوا في زمن عثمان على ترتيب سور المصحف فيكون مما سنّه الخلفاء الراشدون الذين لهم سنةٌ يجب إتباعها كما قال الرسول ﷺ« فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ »[1].

- **كتابة القرآن وجمعه :**

لكتابة القرآن وجمعه ثلاث مراحل :

الأولى : في عهد النبي ﷺ وكان الاعتماد في هذه المرحلة على الحفظ أكثر من الكتابة لقوة الذاكرة وقلة الكتّاب ، ولذلك لم يجمع في مصحف واحد بل من سمع آية حفظها أو كتبها في ما يتيسر له من عسب النخل ورقاع الجلود ، وكان القراء عددًا كبيرًا .

فعن أنس أن النبي ﷺ: « أَتَاهُ رِعْلٌ وَذَكْوَانُ وَعُصَيَّةُ وَبَنُو لحِيْانَ ، فَزَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا ، وَاسْتَمَدُّوهُ عَلَى قَوْمِهِمْ ، فَأَمَدَّهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِسَبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نُسَمِّيهِمُ الْقُرَّاءَ ، يحْطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ ، فَانْطَلَقُوا بِهِمْ حَتَّى بَلَغُوا بِئْرَ مَعُونَةَ غَدَرُوا بِهِمْ وَقَتَلُوهُمْ ، فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِي لحِيْانَ » ، متفق عليه[2].

المرحلة الثانية : في عهد أبي بكر الصديق ﷺ في السنة الثانية عشر من الهجرة لما قتل في وقعة اليمامة عدد كبير من القراء ، فأمر أبو بكر ﷺ بجمع القرآن لئلا يضيع بمشورة من عمر ﷺ ، فقام بجمعه زيد بن ثابت من

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٨٧١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٠٦٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦٧٧).

العسب واللخاف وصدور الرجال ، وكانت الصحف عند أبي بكر ﷺ حتى مات ثم عن عمر ﷺ حتى توفاه الله عز وجل ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها .

الثالثة : في عهد عثمان ﷺ في السنة الخامسة والعشرين ، وسببه اختلاف الناس في القراءة بحسب اختلاف الصحف التي مع الصحابة ، فخاف عثمان الفتنة فأمر أن تجمع الصحف في مصحف واحد لئلا يختلف الناس في كتاب الله عز وجل فأرسل عثمانﷺ إلى حفصة رضي الله عنها فأرسلت إليه الصحف فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في مصحف واحد وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوه وأمر بكل نسخة مما سواها أن تحرق وذلك بمشورة الصحابة .

عن أنس بن مالك ﷺ أن حذيفة بن اليمان حدثه أنه« قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلاَفَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللهَّ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ

بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَق » . أخرجه البخاري[1].

والفرق بين جمع أبي بكر الصديق ﷺ وجمع عثمان ﷺ أن الغرض من جمعه في عهد أبي بكر تقييد القرآن كله مجموعًا في مصحف واحد حتى لا يضيع منه شيء دون حمل الناس على مصحف واحد وأما في عهد عثمان رضي الله عنه فجمعه في مصحف واحد وحمل الناس عليه لظهور الأثر المخيف في اختلاف القراءات وهو الباقي بين أيدينا حتى الآن : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] .

والقرآن العظيم متعبد بتلاوته ومتعبد بفهمه وتدبره ومتعبد بجهده والعمل به والتعبد لله بجهد الدعوة أعظم العبادات فالتعبد بتلاوة القرآن أجوره محدودة تنتهي بمجرد القراءة وقراءة الحرف من بعشر حسنات والحسنة بعشر أمثالها فالتعبد بتلاوته أجوره محدودة وأهم منها التعبد بفهمه وتدبره لأنه يزيد الإيمان والعمل لمن قرأه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

وأهم منه التعبد بجهده والعمل به ، كما قال سبحانه : ﴿ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال عز وجل : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٤٩٨٧).

وقال عز وجل : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

وقال عز وجل : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾[الحج:٧٨] .

ومن رزقه الله هذه الجهود كلها فقد نال خيرًا كثيرًا وطابقت حياته حياة نبيه ﷺ على قدر علمه وفقهه : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

٤ - الخزانة الرابعة

- **تلاوة القرآن :**

القرآن مكتوب في ثلاثة مواضع في اللوح المحفوظ ، وفي الصحف التي بأيدي الملائكة ، وفي المصاحف التي بأيدي الناس : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] .

والقرآن الكريم مشتمل على ثلاثة أصول هي :

١ - التوحيد .

٢ - الإيمان .

٣- الأحكام والقصص .

- **وقصص القرآن تتميز بأمور :**

أولًا : تتميز قصص القرآن بأنها أحسن القصص ، كما قال سبحانه : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف:٣] .

ثانيًا : أنها أصدق القصص ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾[النساء:٨٧] .

ثالثًا : أنها أنفع القصص؛ لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف:١١١] .

- **وقصص القرآن ثلاثة أقسام :**

الأول : قسم على الأنبياء والرسل ، وما جرى لهم مع المؤمنين بهم والكفار
الثاني : قسم عن أفراد وطوائف ، جرى لهم ما فيه عبرة ، كقصة مريم ولقمان والذي مر على قرية خاوية على عروشها ، وذو القرنين وقارون وأصحاب الكهف وأصحاب الفيل والأخدود وغيرهم .
الثالث : قسم عن حوادث وأقوام في عهد النبي ﷺ كقصة بدر وأحد والأحزاب وقريظة والنضير وغيرها .

- **وقد قسم الله عز وجل الناس في سورة البقرة إلى ثلاثة أقسام :**

١ - المؤمنون الخلص .
٢-ثم الكافرون الخلص .
٣-ثم المؤمنون بألسنتهم دون قلوبهم وهم المنافقون .
فبدأ سبحانه بذكر الطيب ثم الخبيث ثم الأخبث .

١ - فالطيب هم المتقون المؤمنون ولهم ست صفات، كما قال سبحانه : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة:١-٥] .

٢-والخبيث هم الكفار ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾﴾ [البقرة:٦-٧] .

٣- والأخبث هم المنافقون فقلوبهم مختومٌ عليها لا يصدر منها خير ولا يصل إليها خير ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة:٨-١٠] .

إلى آخر الآيات .

والذين يتلون كتاب الله حق تلاوته هم الذين يؤمنون به وهو شامل لكل ما أتاهم الله الكتاب فيشمل القرآن والتوراة والإنجيل والزبور ، وغيرها من كتب الله .

- **والتلاوة نوعان :**

الأول : تلاوة حق وهي أن يكون الإنسان تاليًا للفظه ، ومعناه عاملًا بأحكامه مصدقًا لأخباره .

الثانية : تلاوة ناقصة وضد ذلك ، فمن استكبر أو جحد فإنه لم يتله حق تلاوته ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة:١٢١] .

- **والتلاوة تشمل ثلاثة أمور الأول :**

الأولى : التلاوة اللفظية وهي قراءة الكتاب باللفظ الذي جاء به وتجويده .

الثانية : التلاوة المعنوية بأن يفسره على ما أراد الله عز وجل.

الثالثة : تلاوة حكمية وهي تصديق أخباره وامتثال أوامره واجتناب نواهي : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة:١٢١] .

- **عظمة القرآن :**

القرآن العظيم شفاء من جميع الأمراض البدنية والروحية ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

فهو شفاء من الأمراض الروحية ؛ لأن الأمراض الروحية نوعان :

١-الاعتقادات الباطلة .

٢-الأخلاق السيئة .

الاعتقادات الباطلة أشدها فسادًا الاعتقادات الفاسدة في الربوبية والألوهية والنبوة والمعاد والقضاء والقدر وغير ذلك مما لا يعلم إلا بالوحي ، والقرآن مشتمل على بيان المذهب الحق وإبطال ما سواه . ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[الإسراء:٨١] .

وأما الأخلاق السيئة من الظلم والكذب والفجور فالقرآن كشف ما فيها من المفاسد وأرشد إلى الأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠] .

فثبت بذلك أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحية ، وأما كون القرآن شفاءً من الأمراض البدنية فسماعه تدفع كثيرًا من الأمراض الجسمية بما فيه من ذكر جلال الرب وكبرياءه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين .

وأما كون القرآن رحمة للمؤمنين ، فالنفوس البشرية مريضة بسبب العقائد الباطلة والأخلاق الفاسدة ، والقرآن يخلصها من شبهات الضالين وشهوات

المبتلين وهذا هو الشفاء ويرغبها في اكتساب العلوم العالية والأخلاق الفاضلة التي يصل بها الإنسان إلى جوار رب العالمين والملائكة المقربين وهذا هو الرحمة :﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[الأنعام: ١٥٥ – ١٥٧]

ولما كانت إزالة المرض مقدمة على السعي في موجبات الصحة بدأ في الآية بذكر الشفاء قبل الرحمة فقال : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

فالقرآن شفاءٌ ورحمة للمؤمنين وسبب للخسارة والضلال في حق الظالمين وهم المشركون لأن سماع القرآن يزيدهم غيظًا وغضبًا وحسدًا وذلك يدعوهم إلى الأعمال الباطلة والاستكثار منها والدعوة إليها .

وبهذا يكون القرآن سببًا لتزايد هؤلاء المشركين في درجات الخزي والضلال وذلك لشدة تعلقهم بحب الدنيا وشهواتها ، كما قال سبحانه .

- **فصاحة القرآن :**

القرآن الكريم كتاب الدعوة وكتاب الهداية وكتاب الشريعة وكتاب الفضائل وكتاب التوحيد وكتاب الإيمان وكتاب العلم : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

وفي الترغيب يقول عز وجل : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة: ١٧] .

قال عز وجل : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[الزخرف:٧١] .

وقال في الترهيب : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك:١٦-١٧] .

وقال عز وجل : ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [إبراهيم:١٥] .

وقال في الزجر عن الكفر والمعاصي : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[العنكبوت:٤٠] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء: ١٤].

وقال في الوعظ فيما لا مزيد عليه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

قال عز وجل : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة: ٦٨] .

وقال في التوحيد : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص:١-٤] .

وقال في الأخلاق : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦ ﴾ [فصلت:٣٣-٣٦] .

وقال عز وجل : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

و قال عز وجل : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل:٩٠] .

فالقرآن فيه تبيان كل شيء من أمور التوحيد والإيمان ، وأمور الدنيا والآخرة ، وسمي القرآن قرآنًا لأنه يقرأ ليكون محفوظ في الصدور.

وسمي كتابًا لأنه يكتب في الصدور والسطور .

وسمي فرقانًا لأنه حكم يفرق بين الحق والباطل .

وسمي عزيزًا لأنه أحسن الكلام فلا شيء مثله .

وسمي حكيمًا لأنه يحكم بالحق والعدل .

وسمي كريمًا لأنه كثير الخيرات والبركات .

وسمي حكما لأنه محكم الأخبار والأحكام .

وسمي عظيمًا لأنه أعظم الكتب السماوية وأفضلها وأحسنها

- **وقد تحدي الله العرب بالقرآن من وجوه :**

أحدها : كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[القصص:٤٩] . فلم يستطيعوا .

ثانيًا : ثم تحدي الإنس والجن معًا أن يأتوا بمثله فقال سبحانه : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء:٨٨] .

ثالثًا : ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾[هود:١٣] . ولم يستطيعوا .

رابعًا : ثم تحداهم أن يأتون بسورة من مثله كما قال سبحانه : ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[البقرة:٢٣] . فلم يستطيعوا .

خامسًا : عندما تحداهم أن يأتوا بحديث مثله ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الطور:٣٤] . فلم يستطيعوا .

فالله عز وجل هو الحق وكتابه هو الحق ودينه هو الحق .

- **وقد بين الله في سورة الفاتحة الناس ثلاث طوائف :**

الأولى : المؤمنون الخلص المنعم عليهم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لأجل العمل به وعملوا بموجب تلك المعرفة ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[الفاتحة : ٢-٧] .

والثانية : الذين أخلوا بالأعمال الصالحة وهم الفسقة الذين خرجوا من الأعمال الصالحة إلى الأعمال الفاسدة فغضب الله عليهم ، وفي مقدمتهم اليهود ومن سار على طريقهم، فقال سبحانه : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة : ٧] .

الثالثة : الذين أخلوا بالاعتقادات الصحيحة وهم أهل الكفر والبدع وفي مقدمتهم النصارى ومن تابعهم وإليهم إشارة بقوله سبحانه : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة : ٧] .

وأهم المهمات لكل عبد أن يستنير قلبه بمعرفة عزة الربوبية ، ثم بمعرفة واجب وذلة العبودية ؛ لأن الله خلق الخلق لعبادته ورعاية هذا العهد ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

٥- الخزانة الخامسة

- **القرآن محكم ومتشابه :**

فالقرآن العظيم محكم ومتشابه فقد دل القرآن أنه كله محكم ودل على أنه كله متشابه ، ودل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه ، فالقرآن كله محكم الألفاظ والمعاني والفصاحة والأحكام والأخبار : ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾[هود:١] .

وقال الله تعالى : ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ [فصلت:٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾[يونس:١] .

فالقرآن الكريم أفضل الكلام وأحسنه فلا يمكن لأحد الإتيان بمثله أو بسورة من مثله : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾[الإسراء:٨٨] .

ثانيًا : والقرآن كله متشابه يشبه بعضه بعضًا في الحسن والكمال والأحكام والأخبار يصدق بعضه بعضًا ويفسر بعضه بعضا ، كما قال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣﴾[الزمر:٢٣] .

وقال عز وجل : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾[النساء:٨٢].

ثالثًا : والقرآن بعضه محكم وبعضه متشابه ، فالحكيم هو الذي يمنع عما لا ينبغي ، والمتشابه أن يكون أحد الشيئين مشابهًا للأخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ، فكل ما يهتدي الإنسان إلى معرفته فهو محكم وكل مالا يهتدي إليه الإنسان فهو مشكل ومتشابه .

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧] .

وكل ما أمكن تحصيل العلم به كالتوحيد والإيمان وطاعة الله ورسوله ونحو ذلك فهو من المحكم ، وكل ما لا سبيل إلى معرفته فهو من المتشابه كأعداد الصلوات ومعرفة الروح والعلم بوقت قيام الساعة والألفاظ المحتملة لأكثر من وجه كلفظ القرء والعلم بمقادير الثواب والعقاب ، ونحو ذلك فأهل الزيغ يتمسكون بالمتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ويحتجون لباطلهم بهذا المتشابه وكل ما فيه لبس واشتباه ، وذلك لما في قلوبهم من الزيغ عن الحق وطلب تقرير الباطل وأما أهل الحق فهم الراسخون في العلم الذين يعملون بمحكم القرآن ويؤمنون بمتشابهة ويردون المتشابه إلى المحكم والكل من عند الله.

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧] .

وتفسير القرآن على أربعة أوجه :

- تفسير لا يعلمه إلا الله
- وتفسير لا يسع أحدًا جهله
- وتفسير تعرفه العرب بألسنتها
- وتفسير يعلمه العلماء

وأهل الزيغ هم الذين يتبعون متشابه القرآن لتقرير مذهبهم الباطل وصرف الناس عن الحق بنقضه وتشكيك الناس به وقصدهم من ذلك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويل القرآن فالفتنة أنهم يثيرون المتشابهات في الدين ليسير الناس بعضهم مخالف لبعض وذلك يفضي إلى الهرج والمرج والقتل والتناحر وذلك أعظم فتنة .

والتمسك بالمتشابه والإعراض عن المحكم يزرع الباطل مكان الحق والبدعة مكان السنة فيصير الإنسان مفتونًا بذلك الباطل والفتنة في الدين هي الضلال عن الهدى ولا فتنة أعظم من الفتنة في الدين : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وأما غرضهم الثاني : فهو تأويل القرآن حسب هوائهم مما ليس في القرآن والسنة دليل عليه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران:٧] .

أما الراسخون في العلم فهم الذين يعملون بمحكم القرآن ويؤمنون بمتشابهة ويردون المتشابه إلى المحكم ويقولون :﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران:٧- ٨]

- **السبع المثاني :**

القرآن العظيم نور أضاء الله به كل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٥]

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾[التغابن:٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة:١٥-١٦] .

وكل من لا يعلم أن القرآن نور وأنه حق فإن ذلك إنما جاءه من قبل عماه لأن لأنه خفاش أعمى والأعمى لا يرى الشمس لعماه، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد: ١٩] .

والكفار جاهدون لإطفاء هذا النور العظيم بأفواههم بتكذيبهم وقولهم إنه شعر أو سحر أو كهانة أو أساطير الأولين : ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[التوبة:٣٢] .

لأنه نور عظيم لا يطفئه نفخ مخلوق ضعيف، كما قال سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ

ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[التوبة:٣٢-٣٣] .

فهم جاهدون لإطفاء نور القرآن والله متم نوره : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾[الفرقان:٥] .

ولا يعرض عن النور إلى الظلام وعن الحق إلى الباطل إلا من أعمى الله بصره وبصيرته ومن أعمى الله بصيرته فلا حيلة له : ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[النور:٤٠] .

والسبع المثاني والقرآن العظيم هي فاتحة الكتاب ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[الحجر:٨٧].

وليس المقصود بها السبع الطوال لأن السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة وآية الحجر التي نصت عليها مكية وهو قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[الحجر:٨٧].

والنبي ﷺ نص على ذلك عن أَبي سَعِيدٍ رَافِعِ بن المُعَلَى ﷺ قال: « قُلتُ: يَا رَسُولَ الله، إنّكَ قُلتَ: أَلا أُعَلِمُكَ أعظَمَ سُورَةٍ في القُرْآن قَالَ: الحَمدُ لله رَبِّ العَالمِينَ، هِيَ السّبعُ المَثَاني وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَذِي أُوتِيتُه» . أخرجه البخاري[1].

والقرآن العظيم أعظم النبأ فالنبأ هو الخبر الذي له خطب وشأن فالنبأ أخص من مطلق الخبر فكل نبأ خبر وليس كل خبر نبأ وأعظم النبأ هو القرآن العظيم الذي نبأ به محمد صلى الله عليه وسلم هذه الأمة بما أنزل عليه من ربه عز وجل : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾[ص:٦٧-٦٨] .

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٤٤٧٤).

والقرآن العظيم بين الله فيه أخبار الأمم الماضية والأخبار الحاضرة والأخبار المستقبلية : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

والله عز وجل عالم الغيب والشهادة : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر: ٢٢] .

وعلم الغيب مختص بالله وحده ، يطلع من شاء من خلقه على ما شاء من وحيه : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[النمل:٦٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود:١٢٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم:٦٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام:٥٩] .

- **أنواع الوحي وحي الله إلى خلقه أنواع :**

الأول : وحي الرسالة، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ﴾[النساء:١٦٣] .

الثاني : وحي إلهام بأن يلقي الله الأمر في روع الإنسان، كما قال سبحانه عن أم موسى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى

ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص:٧] .

الثالث : وحي الغريزة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [النحل:٦٨] .

الرابع : وحي أمر كما قال سبحانه : ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾ [الزلزلة:١-٥] .

وقد امتن الله عز وجل على هذه الأمة بأن أرسل إليها أفضل رسول وأنزل عليها أحسن كتاب: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

وقال الله عز وجل: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨].

والقرآن العظيم كله محكمٌ في غاية الإحكام والإتقان في ألفاظه ومعانيه أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل، كما قال سبحانه : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود:١] .

والقرآن كله متشابه يشبه بعضه بعضا في الحسن والصدق والإعجاز ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر:٢٣] .

ومعنى كونه بعضه محكمًا وبعضه متشابهًا ، أن المحكم منه ما هو واضح المعنى لكل الناس، كقوله سبحانه : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾[النساء:٣٦] .

وقوله سبحانه : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ﴾[البقرة:٢٧٥] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢ ﴾ [الإسراء:٣٢] .

والمتشابه ما خفي ددعلمه على غير الراسخين في العلم أو هو ما استأثر الله بعلمه كالحروف المقطعة في أوائل السور (الم – الر– الم ص – كهيعص) ونحوها .

فمحكم القرآن هو النص الواضح الصريح الذي لا تختلف فيه الأفهام والمتشابه هو النص المحتمل الذي تختلف فيه الأفهام ، فالمتشابه يرد إلى المحكم والمحكم يرد في الأوامر التكليفية كقطع يد السارق ووجوب الصلاة والزكاة وتحريم الربا والزنا ، ونحو ذلك مما هو مطلوب من الخلق الفعل والترك الذي يترتب عليه الثواب أو العقاب .

والمتشابه ما اشتبه على الإنسان فلم يعرفه والعقل كالبصر يرى أشياء ولا يرى أشياء ، وكالسمع يسمع أشياء ولا يسمع أشياء ، وكذلك العقل يدرك أشياء وهي المحكم ولا يدرك أشياء وهي المتشابه ؛ ليعلم عجزه وضعفه عن إدراك كل شيء وليلزم الإنسان الأدب مع ربه ويحرك عقله فيما يفهم ويرد كل متشابه إلى المحكم مثل الحروف المقطعة في أوائل السور ، ومثل استواء الله على العرش ونزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا ، فالمحكم نعمل به والمتشابه نؤمن به ونرده إلى المحكم :﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ

ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧] .

والقرآن العظيم يضل الله به كثيرًا ويهدي به كثيرًا : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٦-٢٧] .

فالقرآن العظيم سمعه أبو بكر الصديق فصار صديق هذه الأمة، وسمعه عمر بن الخطاب فصار فاروق هذه الأمة، وسمعه أبو عبيدة بن الجراح فصار أمين هذه الأمة، وسمعه أبو جهل المخزومي فصار فرعون هذه الأمة، وسمعه أبو لهب الهاشمي فصار ضد هذه الأمة وعدو هذه الأمة، وسمعه مسيلمة فصار كذاب هذه الأمة وسمعه بن أبي فصار سيد منافقي هذه الأمة ، والمعول عل أطعنا لا على سمعنا ، فالكفار قالوا سمعنا وعصينا والمؤمنون قالوا سمعنا وأطعنا: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النور:٤٦] .

فهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٦] .

٦- الخزانة السادسة

- **معجزات القرآن الكريم :**

القرآن الكريم هو المعجزة العظمى الباقية على مر الدهور إلى قيام الساعة .

عن أبي هريرة رضي الله عنها ن رسول الله ﷺ قال : « مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلا أُعْطِيَ من الآياتِ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَة » . متفق عليه[1].

والقرآن العظيم كتاب عظيم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الحجر:٨٧].

والقرآن العظيم معجز من وجوه :

الأول : الإعجاز البياني والبلاغي.

فقد تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو عشر سور مثله أو سورة من مثله أو حديث من مثله ، فلم يستطيعوا في الماضي ولن يستطيعوا في المستقبل، كما قال سبحانه : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨] .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[البقرة:٢٣-٢٤] .

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٤٩٨١).

الثاني : الإخبار بالغيوب.

فقد أخبر الله في القرآن الكريم عن غيوب كثيرة في الماضي والحاضر والمستقبل وكلها وقعت وستقع ولا يعلم ذلك إلا علام الغيوب وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة:٦-٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:٥٩] .

الثالث : الإعجاز التشريعي.

فقد جاء القرآن العظيم بأعظم الأحكام التي يسعد بها الناس في الدنيا والآخرة مما يجلب المصالح ويدرأ المفاسد والترغيب في مكارم الأخلاق ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإسراء:٩-١٠] .

الرابع : الإعجاز العلمي.

فقد اكتشف العلم الحديث كثيرًا من الآيات في الأنفس والأفاق مما يدل على أن القرآن كلام الله حقًا ، كما قال سبحانه : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت:٥٣] .

والقرآن العظيم كتاب التوحيد والإيمان وكتاب الدعوة إلى الله وكتاب الهداية إلى الحق وكتاب العلم والأحكام وكتاب الأجر والثواب ، وأكثر الخلق يقرؤونه لتحصيل الأجر ويغفلون عن أعظم مقاصده .

والقرآن الكريم متعبد بتلاوته ومتعبد بتدبره ومتعبد بالعمل به ، فيجب على كل مسلم الإيمان به والعمل بأحكامه والتأدب بآدابه ولا يقبل الله العمل بغيره بعد نزوله تكفل الله بحفظه فسلم من التحريف والتبديل ومن الزيادة والنقصان : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

- **ودلالة آيات القرآن الكريم آيات القرآن فيها تبيان لكل شيء وهي :**

إما خبر .. أو طلب .

- **والخبر قسمان :**

١- إما خبر عن الخالق سبحانه : وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله وهو الله عز وجل .

٢- وإما خبر عن المخلوق السماوات والأرض والعرش والكرسي والإنسان والحيوان والجماد والنبات والجنة والنار وأخبار الأنبياء والرسل وأتباعهم وأعدائهم وجزاء كل فريق ونحو ذلك من أخبار القرآن . وهذه الأخبار تزيد الإيمان في القلب وتدفع المسلم لحب الله عز وجل وتعظيمه والعمل بشرعه .

- **والطلب قسمان :**

١-إما أمر بعبادة الله وحده وطاعة الله ورسوله وفعل ما أمر الله به كالصلاة والصيام ونحوهما .

٢-وإما نهي عن الشرك بالله وتحرير مما حرم الله، كالربا والزنا والفواحش وغير ذلك مما نهى الله عنه فأعظم الأخبار معرفة الله عز وجل وأعظم الأوامر العلم بلا إله إلا الله وأعظم المناهي النهي عن الكفر والشرك وأعظم الأدعية: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾[الفاتحة : ٦] .

فلله الحمد والشكر وله المنة والفضل حيث أرسل إلينا أفضل رسله وأنزل علينا أحسن كتبه وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ۝٢٣ ﴾[الزمر:٢٣] .

فضائل القرآن الكريم :

فضل القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾[الإسراء:٩-١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[الأنعام:١٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزمر:٢٣] .

فضل تعلم القرآن وتعليمه

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وعن عثمان ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

فضل قارئ القرآن العامل به :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف:١٧٠] .

وقال عز وجل : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

وعن أبي موسى ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؛ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ لَيْسَ لهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » . متفق عليه[1].

- **فضل الماهر بالقرآن :**

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ « المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » . متفق عليه[2].

- **وجوب تعاهد القرآن :**

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا » . متفق عليه[3].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٢٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٧) ، ومسلم برقم: (٧٩٨)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٣٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩١).

- **فضل الاستماع على تلاوة القرآن :**

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهَّ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهَّ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُّ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه » . أخرجه مسلم(١).

- **فضل سماع القرآن :**

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٧ -١٨].

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ ابن مسعود قَالَ : قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: « اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتُ آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي . فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا قَال : أَمْسِكْ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ » . متفق عليه(٢).

- **فضل من يقوم بالقرآن :**

عَنِ ابن عمر رضي الله عنه ما النبي ﷺ: « قال لا حَسَدَ إِلا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ أَتَاهُ اللهُّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَرَجُلٍ أَتَاهُ اللهُّ مَالا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَار » . متفق عليه(٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٩٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٥٨٣) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٠٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٢٨) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨١٥).

- **فضل تحسين الصوت بالقرآن :**

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « سَمِعْتُهُ ، يَقُولُ : مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ » . متفق عليه[1].

- **فضل سورة الفاتحة :**

عن أَبي سَعِيدٍ بن المُعَلَى ﷺ قال قُلتُ : « يَا رَسُولَ الله ، إنّكَ قُلتَ : لأُعَلِمَنّكَ أعظَمَ سُورَةٍ في القُرْآنِ ؟ قَالَ : « الحَمدُ لله رَبِّ العَالمِينَ ، هِيَ السّبعُ المَثَاني وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَذِي أُوتِيتُهُ » . أخرجه البخاري[2].

- **فضل سورة الإخلاص :**

عن أَبِي سَعِيدٍ ﷺ « أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». أخرجه البخاري[3].

- **فضل المعوذات :**

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةُ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » . أخرجه مسلم[4].

- **فضل سورة البقرة :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ » . أخرجه مسلم[5].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٤٨٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩٢).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٤٧٠٣).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٥٠١٣).

(٤) أخرجه مسلم رقم: (٨١٤).

(٥) أخرجه مسلم رقم: (٧٨٠).

- **فضل الوصية بالقرآن :**

« حَدَّثَنَا طَلْحَةُ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ أَبِي أَوْفَى : آوْصَى النَّبِيُّ ﷺ ؟ فَقَالَ: لاَ، فَقُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الوَصِيَّةُ أُمِرُوا بِهَا وَلَمْ يُوصِ؟ قَالَ : « أَوْصَى بِكِتَابِ اللهَّ » . متفق عليه[1] .

- **فضل قراءة القرآن :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر:٢٩-٣٢] .

عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ« اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ ، قَالَ مُعَاوِيَةُ : بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٤٠)، ومسلم برقم: (٥٠٢٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٠٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَيحُبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يجِدَ فِيهِ ثَلاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ ؟ ! قُلْنَا : نَعَمْ ! قَالَ : فَثَلاثُ آيَاتٍ ، يَقْرَؤُهُنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ » أخرجه أحمد(١) .

عن عبد الله بن عمرو ﷺ ما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ : اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح(٢) .

- **فضل من تعلم القرآن وعلمه :**

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ به فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ » . متفق عليه(٣) .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٩١٥٢).

(٢) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (١٤٦٤)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٩٤١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢٨٢).

وعن معاوية ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . متفق عليه[1].

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري[2].

- **عقوبة من كتم العلم :**

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة: ١٥٩-١٦٠] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسند صحيح[3].

- **عقوبة من طلب العلم لغير الله :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٢١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

(٣) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٣٦٥٨)، وأخرجه الترمذي برقم: (٢٦٤٩).

قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ » . أخرجه مسلم[1].

- **أما وقت قراءة القرآن :**

فقراءة القرآن الكريم مستحبة في كل وقت ، وهي عبادة من العبادات ، وعلى كل حال فهي مستحبة في كل وقت وعلى كل حال إلا إذا كان الإنسان على حاجة من بول أو غاية أو جماع فلا يقرأ القرآن لأن القرآن معظم ومحترم، كما قال النبي ﷺ: « اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ » أخرجه مسلم[2].

والقرآن الكريم تعبدنا الله بتلاوته وبتدبره وبالعمل به : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

والمقصود من قراءة القرآن العمل به : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩] .

وقراءة القرآن سبب عظيم لحصول الأجر العظيم من الله .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٩٠٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٠٤).

عن بنَ مَسْعُودٍ ﷺ قال : قالَ رَسُولُ الله ﷺ:« مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بعَشْ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » . أخرجه الترمذي بسند صحيح[1].

- **وتنقسم سور القرآن إلى أربعة أقسام :**

القسم الأول : السبع الطوال : وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعم والأعراف ويونس .

القسم الثاني: المين : وهي السور التي عدد آياتها مائة أية أو أزيد أو أنقص .

القسم الثالث: المفصل: وأوله الحجرات سمي بذلك لكثرة الفصل بين آياته .

القسم الرابع : المثاني : وهو ما عدا ذلك .

- **أما عن شرف حامل القرآن فقارئ القرآن على قسمين :**

١ – إما أن يكون ماهرًا به فهذا مع السفرة الكرام البررة

٢– وإما أن يتعتع به وهو عليه شاق فهو ممن يكتب له أجران أجر على قراءته وأجر على مشقته الماهر بالقرآن أفضل لجودة حفظه وإتقانه .

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَام الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » . متفق عليه[2].

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي رقم: (٢٩١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٧)، ومسلم برقم: (٧٩٨) ، واللفظ له.

٧- الخزانة السابعة

- **افتتاح سور القرآن الكريم :**

افتتح الله بعض سور القرآن الكريم بحروف معجم، وهي أربعة عشر حرفًا نصف حروف المعجم الثمانية والعشرين، وجاءت هذه الفواتح مختلفة الأعداد .

فوردت بعض السور على حرف مثل سورة ﴿صٓ﴾ ﴿قٓ﴾ ﴿نٓ﴾ .

ووردت على حرفين مثل سور ﴿طه﴾ ﴿طسٓ﴾ ﴿يسٓ﴾ ﴿حمٓ ١﴾.

ووردت على ثلاثة أحرف مثل سور ﴿الٓمٓ﴾ ﴿الٓرٰ﴾ ﴿طسٓمٓ ١﴾ .

ووردت على أربعة أحرف مثل سور ﴿الٓمٓصٓ﴾ ﴿الٓمٓرٰ﴾.

والحروف المقطعة في أوائل السور المراد بها إظهار إعجاز القرآن وأنه مركب من تلك الحروف وهو يقول للعرب أنتم تعرفون هذه الحروف ولا تقدرون على تأليف كلام منها مثل القرآن .

وجميع سور القرآن المبدوءة بالحروف المقطعة يكون بعد تلك الحروف مباشرةً التنويه بشأن القرآن .

ففي البقرة : ﴿الٓمٓ ١﴾ [البقرة: ١] .

ثم قال : ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة: ٢] .

في آل عمران : ﴿الٓمٓ ١﴾ [آل عمران:١] .

ثم قال : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ [آل عمران:٢] .

وفي الأعراف : ﴿الٓمٓصٓ ١﴾ [الأعراف:١] .

ثم قال بعدها : ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾ [الأعراف:٢] .

وفي يونس : ﴿الٓرۚ﴾[يونس:١] .

ثم قال : ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾[يونس:١] .

وفي سورة يوسف : ﴿الٓرۚ﴾[يوسف:١] .

ثم قال : ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١﴾[يوسف:١] .

وفي سورة ص قال : ﴿﴾[ص:١] .

ثم قال : ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾[ص:١] .

وفي سورة ق قال : ﴿قٓۚ﴾[ق:١] .

ثم قال : ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١﴾[ق:١] .

وفي سورة طه قال : ﴿طه ١﴾[طه:١] .

ثم قال : ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢﴾[طه:٢] .

وفي سورة يس قال : ﴿يسٓ ١﴾[يس:١] .

ثم قال : ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾[يس:٢] .

وغير ذلك مما ورد في القرآن ، ولم **يخلوا** من هذا النسق إلا سورتان هم سورة مريم والقلم ففي مريم قال عز وجل : ﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾[مريم:١] .

ثم قال : ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢﴾[مريم:٢] .

وقال في سورة القلم: ﴿نٓۚ﴾ [القلم:١] .

ثم قال : ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ [القلم:١] .

وقد وصف الله عز وجل القرآن الكريم بعدة صفات :

الأولى : كونه قرآنًا يتلى في المحاريب والمجالس والمدارس إلى يوم القيامة فهو محفوظٌ يتلى في كل مكان وفي كل زمان : ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾[الحجر:٩] .

وسمي القرآن قرآنًا لأنه يجمع السور ويضمها ويجمع الأخبار والأحكام ، ولأن آياته تصدق بعضها بعضًا ، ولأن سوره وآياته يقترن بعضها ببعض ، ولأن القارئ يقرئه وقتًا بعد وقت : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

الثانية : كون القرآن عربيًا عجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء:٨٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[يوسف:٢] .

الثالثة : كونه قيمًا غير ذي عوج فلا اختلاف فيه ولا تناقض : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت:٤١-٤٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الزمر:٢٧-٢٨] .

فمن تذكر وتدبر القرآن فهم معانيه ثم أناب إلى ربه واتقاه .

الرابعة : كونه عظيمًا بين الله فيه الأخبار العظيمة والأحكام العظيمة والحياة العظيمة والثواب العظيم والعذاب العظيم : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الحجر:٨٧].

الخامسة : كون القرآن تبيانًا لكل شيء من الأخبار والأحكام والأخلاق والآداب والحق والباطل والفضائل والرذائل والوعد والوعيد والثواب والعقاب ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

السادسة : كونه كريمًا فالقرآن كريم بحسنه وبهائه كريم في ثوابه فالحرف منه بحسنة والحسنة بعشر أمثالها ، وهو كريم في أثاره على القلوب والجوارح يلين القلوب ويسبب الخشوع والطمأنينة حب الله وحسن عبادته وهو كريم في أثاره بدعوة الناس إلى أحسن شريعة .

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩] .

- **الأسئلة في القرآن** :

أنزل الله عز وجل القرآن الكريم تبيانًا لكل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

بين الله في القرآن أحكام التوحيد والإيمان وأحكام العبادات والمعاملات وأحكام الحلال والحرام وفصل فيه الوعد والوعيد والثواب والعقاب .

وأصحاب النبي ﷺ كانوا أعقل الناس فما كان قومٌ أقل سؤالًا من أصحاب محمد ﷺ

ففي القرآن أنهم سألوا النبي ﷺ أربعة عشر سؤالًا فقط منها ثمانية في سورة البقرة وهي :

الأول : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[البقرة:١٨٦] .

الثاني : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٨٩] .

الثالث : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٥] .

الرابع : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ ﴾ [البقرة: ٢١٧] .

الخامس : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ [البقرة: ٢١٩] .

السادس : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٩] .

السابع : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ ﴾ [البقر:٢٢٠] .

الثامن : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٢٢] .

فهذه الأسئلة الثمانية جاءت في سورة البقرة .

التاسع : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ ﴾ [المائدة: ٤] .

العاشر : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ ﴾ [الأعراف:١٨٧] .

الحادي عشر : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[الأنفال:١] .

الثاني عشر : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء:٨٥] .

الثالث عشر : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾[الكهف:٨٣] .

الرابع عشر : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[طه:١٠٥] .

ولهذه الأسئلة ترتيبٌ عجيبٌ في شرح المبدأ والمعاد وغير ذلك مما بينه الله عز وجل للناس ، وكذا ورد في القرآن الكريم افتتاح سورتين من سور القرآن بجملة يا أيها الناس ، في النصف الأول من القرآن في السورة الرابعة وهي سورة النساء ، كما قال الله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النساء:١]

والثانية في النصف الثاني في السورة الرابعة منه وهي سورة الحج، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾[الحج:١] .

فسبحان العظيم الذي له في كتابه العظيم أسرار خفية وحكم مطوية لا يعرفها أكثر الخلق ولا يعرفها إلا الخواص من عبيده : ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[النحل:٤٣] .

وأحوال المسلمين مع كتاب ربهم

إن المسلمين مع كتاب الله ﷻ: ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الذي أعرض عن كتاب الله لا يقرؤه ولا يتدبره ، كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠] .

الثاني : قسم يقرأ كتاب الله للتلاوة فقط بلا تدبر وفهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ البقرة: [البقرة: ٧٨] .

الثالث : قسم يقرأ القرآن يحسن تلاوته ويتدبر معانيه ويصدق أحكامه ويصدق أخباره ويطبق أحكامه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر:١٧ -١٨].

فهؤلاء هم ورثة الرسل وخيار هذه الأمة وسادة الناس في الدنيا والآخرة : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٠] .

فهؤلاء هم أولوا الأبصار والبصائر والألباب : ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد: ١٩] .

وهؤلاء خير الأقسام الذين يتلون كتاب ربهم ويصدقون أخباره ويطبقون أحكامه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا

رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وقد دعا الله القسم الأول والثاني للقراءة والتدبر لكتاب الله ، فقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:٨٢].

وقال عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

٨- الخزانة الثامنة

- **أنواع قراءة القرآن :**

الله عز وجل امتن على آدم بنعم كثيرة ، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] .

فالله عز وجل خلق الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم فطرة وامتن على الرسول ﷺ بقوله : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[النساء:١١٣] .

فالله خلق الإنسان وأمره أن يتعلم عن طريق القراءة ، فقال سبحانه في أول آيات نزلت على نبينا محمد ﷺ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾[العلق:١-٥] .

وقراءة الإنسان أربعة أنواع :

القراءة الأولى : قراءة البحث والإيمان

اقرأ أيها الإنسان الآيات القرآنية والآيات الكونية من أجل أن تؤمن بالله وتعلم ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا والأفعال الحميدة والمثل الأعلى ، وأول ما تبدأ به نفسك منذ كنت علقة إلى أن أصبحت إنسانًا كاملًا سويًا : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾[العلق:١-٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات:٢١] .

وقال الله عز وجل :﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦ -٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[البقرة: ٢١ - ٢٢]

فهذه القراءة تملأ القلب بالإيمان وتحرك اللسان بالتعظيم والتكبير لله والحمد والشكر له وحسن التعبد بالجوارح : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

فهذه القراءة الأولى .

الثانية : قراءة الشكر والعرفان

اقرأ أيها الإنسان لتعرف ربك الكريم ، الرزاق المنعم بكل نعمة لتعرف نعمه الكبرى عليك وعلى غيرك ، وهي نعمة الخلق والإيجاد ونعمة القوت والإمداد ونعمة الهداية والرشاد ، وإذا عرفت الكريم الرحمن الرحيم الرزاق وجب عليك أن تحبه وأن تشكره :﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق:٣-٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٤]

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧] .

فهذه القراءة الثانية تعرفك بربك الكريم الغني الذي كل نعمة منه في الدنيا والآخرة والذي شملت وعمت نعمه ورحمته كل مخلوق : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[غافر:٧] .

فمن قرأ هذه القراءة عرف ربه الكريم وعرف عظيم نعمه وإحسانه إليه ، في خلقه وفي تدبيره وفي نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾[التين:٤-٦] .

القراءة الثالثة : قراءة الوحي والإذعان

فكل شيءٍ عجز العقل عن إدراكه من أمور الغيب علمنا الله به فعلمنا عن ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وكما قدرته وعظمة ملكه وسلطانه وأخبرنا عن الجنة وما فيها من النعيم وعن النار وما فيها من العذاب : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام:٥٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ ذَٰلِكَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾[السجدة:٦-٧] .

فعلى الإنسان أن يذعن للوحي ويسلم لما جاء فيه ويصدق به ، فعلم الإنسان محدود موهوب ، وعلم الله ذاتي مطلق فهو سبحانه العليم الذي علم الإنسان ما لم يعلم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾[الرحمن:١-٤] .

وقال الله عز وجل :﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾[الإسراء:٨٥] .

وقال الله عز وجل :﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾[طه: ١١٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء:٦٥] .

فهذه القراءة تزيد الإنسان علمًا لأنه يضيف إلى عالم الشهادة من عالم الغيب ما أعلمه الله به في كتابه وسنة رسوله ﷺ من أمور الغيب التي لا يعلمها ، فهذه القراءات الثلاث قراءة البحث والإيمان وقراءة الشكر والعرفان وقراءة الوحي والإذعان ، كلها محمودة وكلها مأمور بها وكلها تزيد الإيمان وكلها تحرك اللسان بالذكر والدعاء والحمد والشكر وتحرك الجوارح بأنواع العبادة والطاعة :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

القراءة الرابعة : قراءة العدوان والطغيان

وهي كل قراءة تسبب الفساد والخسران ، كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾[العلق:٦-٧] .

وهذه قراءة مذمومة منهي عنها فكل قراءة فيما يفسد البشرية ويدمر الحياة والأحياء ويشيع الفساد والعري ويبيح أكل أموال الناس بالباطل كل ذلك من العدوان والطغيان بالعلم الذي يهلك الحرث والنسل وهذه طريقة الكفار الذين ينشرون محاسن الدنيا وشهواتها ويحاربون الحق ويأكل القوي منهم الضعيف ويستعبد الكبير منهم الصغير :﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم:٤١] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم:٦-٧] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [يونس:٧-٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة:٥٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٦-١٩٧] .

- **صفات تدبر القرآن الكريم**

لا بد لقارئ القرآن الكريم ليزيد إيمانه ، وينتفع بقراءته من صفات يتلقى كلام ربه ، وهذه الصفات هي :

الأولى : أن يتيقن على كتاب الله الكريم أنه حقٌ لا شك فيه

فيتلقى أخباره بالتصديق الكامل ، ويقبل على العمل بها بقلبه ، ولسانه ، وجوارحه :﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة:٢] .

الثانية : أن يتيقن أنه كتاب عظيمٌ باقٍ محفوظ إلى يوم القيامة فلا يزاد فيه حرف ، ولا ينقص منه حرف ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] .

وقال عز وجل : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت:٤١-٤٢] .

الثالثة : أن يتيقن المسلم قبل قراءة القرآن أنه بدون القرآن لا قيمة ، وأنه متعرض بتركه للشقاء في الدنيا والآخرة : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنبياء:١٠] .

وقال عز وجل : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[البقرة: ٣٨-٣٩] .

رابعًا : أن يتيقن العبد أنه مع القرآن حي ، وبدونه ميت ، وأنه بالقرآن مبصر ، وبدونه أعمى ، وأنه بالقرآن مهتدي ، وبدونه ضال ، فمن أراد أن يستفيد وينتفع بالقرآن العظيم ؛ فليكن عنده هذا اليقين على كتاب ربه قبل قراءة آياته وسوره :﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

فالقرآن العظيم هو الروح ، وبدونه الإنسان ميت : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[الشورى:٥٢] .

وقال الله تعالى :﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

والقرآن الكريم هو النور ، والإنسان بدونه أعمى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾[النساء:١٧٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد: ١٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة:١٥-١٦] .

والقرآن الحكيم هو الهدى ، والإنسان بدونه ضال : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يونس: ١٠٨] .

ولهذا وصف الله المعرضين عن القرآن بالذم والنقص والجهل ، فقال سبحانه : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المدثر: ٤٩-٥١] .

فشبه المعرض عن القرآن بالحمير الهائجة الخائفة المذعورة ممن يخيفها ، وأنكر عليهم عدم الإيمان به : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾[الانشقاق:٢٠-٢١] .

الخامسة : أن يتيقن قارئ القرآن أنه هو المخاطب بالقرآن ، فيصدق أخباره ، ويطبق أحكامه ، ويمتثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ، ويتخلق بأخلاقه ، ويعبد ربه بموجب ذلك إلى أن يلقى ربه : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١- ١٦٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال الله عز وجل :﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود: ١١٢] .

السادسة : أن يتيقن قارئ القرآن أن خطاب القرآن كله موجه إلى القلب ، فالقلب هو الأصل ، والجوارح كلها فرع عليه : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

وقال النبي ﷺ: « أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩٩).

فالقلوب أوعية إذا امتلأت بنور الإيمان واليقين ؛ أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح ، وإذا امتلأت بظلمة الباطل والكفر ؛ أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

فالقلب هو المخاطب بالقرآن ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[البقرة: ٩٧] .

٩- الخزانة التاسعة

وأصل الدين : هو الأمور الباطنة من الإيمان ، ومن العلوم والأعمال ، والأعمال الظاهرة تبع له ، ولا تنفع بدونه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧] .

وقال الله عز وجل :﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

القلب هو المخاطب بالقرآن ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

فأصل الإيمان والتوحيد في القلب والأعمال الظاهرة تبعٌ له ولا تنفع بدونه ، ولهذا نرى كثرة تكرار لفظ القلب في القرآن الكريم ، وأسند الله إليه في آيات كثيرة ما لم يسند إلى غيره من الجوارح ، أكثر من أربعين وصفًا أسندها القرآن إلى القلب ، المقصود حياة القلب ، وحياة القلب بالقرآن فقط وموت القلب بالأعراض عن القرآن ، ومن مات قلبه ماتت جوارحه فخسر دنياه وآخرته ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

وقال الله تعالى :﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[الأنعام:١٢٢] .

وأهم الصفات التي يحبها الله ، ويحب امتلاء القلوب بها وأسندها الله في القرآن إلى القلب هي :

أولًا : الهداية : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١] .

ثانيًا : التقوى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج:٣٢] .

ثالثًا : الخشوع : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد:١٦] .

رابعًا : الألفة : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٣] .

خامسًا : الرأفة والرحمة : ﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد: ٢٧] .

سادسًا : الوجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢] .

سابعًا : الإخبات : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج:٥٤] .

ثامنًا : الطمأنينة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

تاسعًا : الانشراح : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾ [الزمر:٢٢] .

عاشرًا : الربط ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾[الأنفال:١١] .

الحادي عشر : السكينة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤] .

الثاني عشر : تزيين الإيمان : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾[الحجرات:٧] .

الثالث عشر : الإنابة : ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[ق:٣٣]

الرابع عشر : الكسب : ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٢٥] .

الخامس عشر : الذكرى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

السادس عشر : العقل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[الحج:٤٦]

السابع عشر : السلامة ، كما قال سبحانه : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الشعراء: ٨٩] .

فهذه أهم الصفات التي يحبها الله ويحب امتلاء قلوب عباده بها

أما الصفات التي يتصف بها القلب الجاحد القاسي ، والتي يكرهها الله ويحذر عباده منها ، فمنها :

أولًا : العمى ، كما قال سبحانه : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الحج:٤٦]

ثانيًا : الختم ، كما قال سبحانه : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة: ٧]

ثالثًا : الران ، كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين : ١٤] .

رابعًا : الغفلة : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨]

خامسًا : التقلب : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٠] .

سادسًا : الزيغ : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥] .

سابعًا : الرعب : ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾ [آل عمران:١٥١] .

ثامنًا : المرض ، كما قال سبحانه : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٠] .

تاسعًا : الاشمئزاز ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر: ٤٥]

عاشرًا : ضعف الإيمان : ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ [الحجرات: ١٤] .

الحادي عشر : القفل ، كما قال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

الثاني عشر : الكبر : ﴿ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ ﴾ [غافر:٥٦] .

الثالث عشر : الكفر : ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل:١٠٦] .

الرابع عشر : الغل : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر:٤٧] .

الخامس عشر : اللهو : ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٣] .

السادس عشر : القسوة ، كما قال الله سبحانه : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] .

السابع عشر : النفاق : ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٧] .

الثامن عشر : الغيظ ، كما قال سبحانه : ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ١٥] .

التاسع عشر : الريب : ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٥] .

العشرون : الطبع ، كما قال سبحانه : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥] .

الحادي والعشرون : الوسوسة ، كما قال سبحانه : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ١ – ٦]

الثاني والعشرون : الحسرة ، كما قال سبحانه : ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٦] .

الثالث والعشرون : عدم الفقه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٩] .

فهذه أربعون صفة للقلوب منها ما هو ممدوحٌ محمود ، ومنها ما هو مذموم .

نسأل الله عز وجل أن يملأ قلوبنا بما يحب من تلك الصفات العظيمة ، وأن يطهرها من الأخلاق والصفات الذميمة .

- **مفاتيح تدبر القرآن الكريم** :

من قرأ القرآن وتدبره علم أن سعادته في الدنيا والآخرة بتصديق أخباره وتطبيق أحكامه ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء:٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف:١٧٠] .

- **والقرآن له ظاهر وباطن** :

فظاهره : يراه كل الناس من مسلم وكافر ، وهو صور الحروف والكلمات والآيات والسور : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ البقرة: [البقرة: ٧٨] .

أما باطن القرآن : فلا يراه إلا من امن به وأمن بالذي أنزله وامن بأنه حق أنزله الحق لهداية الناس وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، فأمسك به

وتدبر معانيه واستفاد من كنوزه ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

والقرآن العظيم مثل البحر العظيم ، له ظاهرٌ سطح البحر وله باطن مملوء بالأرزاق والخيرات والبركات العظيمة ، فمن سبح على ظهر البحر ممن المحيط إلى المحيط يبغي التجارة ، فلن يجدها ولو أمضى العمر كله حتى يغوص في باطن البحر ، ويستخرج منه اللؤلؤ والمرجان وأنواع الأسماك وأنواع الخيرات ، فهذه سنة الله في بحر مخلوق ، فكم من النعم والخير والبركات في كلام الخالق إذا تدبرناه وعقلناه ! :﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنبياء:١٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧].

وفهم القرآن وتدبره والعمل بما به هبة من الكريم الوهاب يكرم بها من صدق الله في طلبها ، وسلك الأسباب الموصلة إليها بجد واجتهاد ابتغاء مرضات الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[البقرة: ٦٣] .

فإن أردت أن تدخل في رحمة الله ، وتسلك الصراط المستقيم فجاهد نفسك وتحمل المشاق واصبر على ما أصابك في سبيل تدبر القرآن الكريم ؛ لتنال ما يسعدك في الدنيا والآخرة ، فالقرآن حبل الله المتين طرفه بيد الله وطرفه الأخر بيدك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٥]

إن المكارم لا تنال إلا بالمكاره ، والجنة حفت بالمكاره ، والنار حفت بالشهوات ، فلابد من المجاهدة والجهد لتحصيل تلك البركات والخيرات من كتاب ربنا العظيم :﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣]

ولا ريب أن إصلاح النفوس وتزكية القلوب والسلامة من الأضرار والفتن ، لا يكون أبدًا إلا بالعلم الإلهي ، ووسيلة ذلك القراءة للوحي من الكتاب والسنة ، ولهذا لما أراد الله هداية عباده وإخراجهم من الظلمات إلى النور أنزل عليهم كتابًا يقرأ ، فأول سورة نزلت منه تأمر بالقراءة ، التي هي مفتاح العلم والصلاح والإصلاح إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق:١-٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾** ﴾[الشمس: ٧-١٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩] .

ولكي نهتدي لابد أن نجلس في مجالس الهداية والذكر والإيمان ، ولكلي نستقيم على أمر الله لابد أن ننقطع عن مجالس الغفلة : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ ﴾ [الكهف:٢٨]

وقال الله عز وجل :﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨ ﴾ [الأنعام:٦٨] .

١٠- الخزانة العاشرة

• **وبتدبر القرآن الكريم نعلم أن آدم ﷺ إنما وقع في المعصية لأمرين :**

الأول : النسيان .

والثاني : ضعف العزيمة .

وعلاج النسيان بالإكثار من ذكر الله الذي يزيد الإيمان ، ويرغب الإنسان في الطاعة ، ويعزه عن المعصية ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾[طه:١١٥] .

فعلاج ضعف العزيمة يكون بلزوم بيئة الإيمان والعبادة والدعوة التي بها يقوى إيمان العبد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

ومدارسة القرآن تزيد من إيمان العبد وترفع مقامة عند ربه ، ولهذا كان جبريل ﷺ ينزل ليدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان كل ليله .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أجود الناس وَكَانَ أجود مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أجود بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ ».أخرجه البخاري[1] .

• **فقه تدبر القرآن** :

إذا تدبرنا القرآن العظيم علمنا يقينًا أنه كتابُ عظيم وكتابُ كريم وكتابُ حكيم ، فهو مفتاح العلوم العلمية والعملية الدينية والدنيوية ، وهو سبيل

(١) أخرجه البخاري رقم: (١٩٠٢).

السعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنبياء:١٠] .

قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزمر:٢٣] .

وقال سبحانه : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الحشر: ٢١] .

- **وكل إنسان يتأثر إذا تمت له ثلاثة أمور :**

المؤثر .. والمتأثر .. والموصل .

فالمؤثر هو القرآن الكريم ، فأثره ثابتٌ لا شك فيه ، والموصل هو القراءة والتدبر ، والمتأثر هو قلب القارئ المتلقي ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩] .

وتدبر القرآن وفهمه أسبابُ أمرنا الله بها ، والنتائج بيد الله يعطيها من يشاء ويمنعها من يشاء وهو الحكيم العليم : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[آل عمران:٧٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة:٤] .

ومفاتيح تدبر القرآن كثيرة وأحسنها وأقواها أثرًا في صلاة الليل ، كما قال سبحانه : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء: ٧٨- ٧٩] .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥- ١٧] .

والقرآن العظيم نعمة لا يعلوها نعمة ، كل نعمة يتبعها نعيم وتنعم لمن عرفها حقًا ، فما أعظم السعادة واللذة بتلاوة القرآن وسماعه : ﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الطور: ٢٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾ ﴾[القلم: ٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[المائدة:٣] .

والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ، إن شاء فتحها وإن شاء أقفلها ، وهو العليم الحكيم : ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[فاطر:٢] .

وفتح القلب له أسباب أعظمها :

١ -دوام التضرع إلى الله .

٢ -ومعرفة عظمة القرآن .

٣- ومعرفة الأهداف من قراءة القرآن .

- **والمقاصد الأساسية الكبرى لتدبر القرآن خمسة :**

الأول : العلم بالله ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، وأفعاله الكبرى ، ومثله الأعلى ، والعلم بدينه وشرعه ، والعلم بثوابه وعقابه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧٢] .

الثاني : العمل لتصديق أخبار القرآن ، وتطبيق أحكامه في كل حال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] .

الثالث : حسن عبادة الله ، ومناجاته ، والإكثار من ذكره ، وحمده ، واستغفاره ، والانكسار بين يديه ، ولزوم طاعته ، والافتقار إليه في كل حال : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦١- ١٦٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

رابعًا : طلب السعادة والشفاء من الأمراض البدنية والقلبية ، ومعرفة سبل الهداية والنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾[المؤمنون:١-٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:١-٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ ﴾[فصلت:٤٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

خامسًا : الحصول على عظيم الثواب بقراءة القرآن ، وتدبره ، والعمل به ، وإبلاغه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩] .

فالله عز وجل عظيم كريم ، والعظيم لا يعطى إلا العظيم ، والله يعطي على الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة إلى أضعاف مضاعفة ، حتى يقول جل جلاله : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر:١٠] .

﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[البقرة:٢٦١] .

قال عز وجل : ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب:٣٥] .

المقصود من تدبر القرآن الكريم العمل به اعتقادًا وأقوالًا وأعمالًا وأخلاقًا .

مفاتيح تدبر القرآن الكريم يجمعها عشرة أصول من استكملها حصل له الفهم والفقه والعلم والعمل ، فزاد إيمانه وحسنت أقواله وصلحت أعماله وزانت أخلاقه وعظم ثواب : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر:٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النساء:٨٢].

- **وهذه هي مفاتيح تدبر القرآن الكريم ، رزقنا الله وإياكم إياها ، وحسن التعبد لله بها :**

الأول : حضور القلب

فالقلب هو آلة فهم القرآن ، والعمل به وحب القرآن هو المفتاح الأول للتدبر ، والقلب بيد الله ، فالقلب إذا أحب الله أحب كتابه وأفتقر إلى ربه وسأله أن يفتح قلبه للقرآن ليطلع على أسراره وخزائنه وكنوزه وبركاته: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢].

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

الثاني : استحضار أهداف قراءة القرآن

فالقرآن بحر العلوم جمع الله فيه كل ما يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة .

الثالث : ترتيل القرآن والترسل في القراءة وعدم العجلة

لأن المقصود التدبر والفهم لا الكم والكثرة :﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل: ٤].

وقال الله عز وجل :﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾[طه: ١١٤] .

الرابع : الجهر بقراءة القرآن

ليكون التأثير هو التوصيل من جهتين الصوت باللسان والسمع بالأذن :﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٤] .

الخامس : التكرار للآيات وترديدها ، لأن القلب يتأثر كلما سمع ، وكلما تكرر تقرر .

السادس : أن تكون القراءة حفظًا ، ليحصل التركيز والتدبر وخشوع القلب .

السابع : أن يكرر ما يقرأه من القرآن كل أسبوع ، ولو لجزء منه لئلا ينساه .

الثامن : أن تكون القراءة في صلاة ، فمن أحب أن يكلم الله فليدخل في الصلاة ، ومن أحب أن يكلمه الله فليقرأ القرآن .

التاسع : أن تكون القراءة والصلاة في الليل خاصة في جوف الليل ، لأنه وقت الصفاء والتركيز: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء:٧٩] .

العاشر : ربط الآيات بما يجري في الحياة من تقلبات وأحداث ، فالقرآن أخبر بما كان ، وما يكون ، وما سيكون.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ ﴿٥٣﴾ ﴾[القمر: ٤٩ - ٥٣]

ومن فتح الله له هذه الأبواب العظيمة فقد أدخله الله جنة المعرفة في الدنيا ، ومن أدخله الله جنة المعرفة في الدنيا أدخله جنة الآخرة يوم القيامة : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ ﴾ا [الانفطار:١٣-١٤] .

وقال الله عز وجل :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾[الملك:١٢] .

وتدبر القرآن هو التفكر والتأمل في آيات القرآن من أجل فهمه وأدراك معانيه للوصول إلى معرفة مقاصده وأحكامه من أجل العمل به والتعبد به قلبًا وقالبًا ، وإنما جمع القرآن من سمع له وأطاع :﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٤] .

وتدبر القرآن أعظم عبادة والعمل به عبادة أعظم ، وتدبره أيسر شيء ، القرآن العظيم كتاب هدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، وكتاب تربية وتعليم ، وكتاب هداية وبصائر ، يسر الله فهمه وتدبره لكل الناس ، والناس درجات من الفهم والتدبر والعلم والعمل :﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[القمر: ١٧]

وقال الله عز وجل :﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[الزمر:٢٣] .

والله عز وجل أخبر في القرآن أن الشيطان للإنسان عدوٌ مبين ، فقال سبحانه : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[النور: ٢١] .

ومن أعظم مكائد الشيطان ومصائده ، تخويفه وتنفيره عباد الله من تدبر القرآن لعمله إن الهدى والاستقامة واقعٌ عند التدبر ، فيكف أكثر الناس عن تدبر القرآن تورعًا ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[آل عمران:١٧٥] .

ولقد أطاعه أكثر الخلق ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[سبأ:٢٠] .

فالقرآن كله ميسر للفهم والتدبر والعمل ، ومعظمه بينٌ واضح ظاهر المعنى ، وإغلاق العقول عن فهمه وتدبره بحجة عدم معرفة تفسيره والاكتفاء بقراءة ألفاظه ، كل ذلك من أعظم مكائد الشيطان على العبد

ليصرفه عن الاهتداء به ، والتصديق لأخباره والتطبيق لأحكامه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد:٢٤] .

والخطاب عامٌ لعموم المسلمين رجالًا ونساءً علماء وعامة : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[آل عمران:١٣٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة:١٥-١٦] .

والقرآن كله تعريفُ بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده ، وترغيبُ ، وترهيب ، وتبشير ، وإنذار ، وبيان للحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، وهو كذلك إخبار عن الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين .

فالقرآن العظيم إذا تدبرناه وجدنا أنه ستة آلاف ومائتين وثلاثين آية ، وآيات الأحكام منها خمسمائة آية تقريبًا يعلمها أكثر الناس .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " التفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ : وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها ، وتفسير لاَ يُعذر أحدٌ بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لاَ يعلمه إلا الله تعالى ذكره" .

ومعظم القرآن من القسمين الأولين ولهذا كرر الله في القرآن في سورة القمر : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[القمر: ١٧]

- **علامات وثمرات تدبر القرآن :**

ذكر الله عز وجل صفات من تدبر القرآن في كتابه العظيم ، وأنها تثمر للعبد ثمرات عظيمة نافعة ، ومن ذلك :

أولًا : اجتماع القلب والفكر أثناء قراءة القرآن وسماعه ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

وقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[القصص: ٥٣-٥٥] .

ثانيًا : البكاء من خشية الله ، كما قال سبحانه : ﴿ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء:١٠٧-١٠٩]

ثالثًا : زيادة البكاء والخشوع والوجل ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[المائدة:٨٣] .

رابعًا : زيادة الإيمان : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة:١٢٤- ١٢٥] .

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾[الأنفال: ٢] .

خامسًا : حصول القشعريرة خوفًا من الله وحبًا لله ، ثم غلبة الرجاء والسكينة التي على القلب : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر:٢٣] .

سادسًا : السجود تعظيمًا لله ، ولكلامه ، كما قال سبحانه : ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ٥٨﴾[مريم: ٥٨] .

سابعًا : الفرح والاستبشار بقراءة القرآن أو سماعه : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة:١٢٤] .

فمن شعر بواحدة من هذه الصفات العظيمة ، أو كلها فقد وصل إلى حالة التدبر ، ومن أوتي من العلم مالا يبكيه ، لخليق ألا يكون قد أوتي علمًا : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨] .

والله سبحانه شرف رمضان ، بنزول القرآن فيه ، فقال سبحانه : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[البقرة:١٨٥] .

وشرف ليلة القدر بنزول القرآن فيها ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾[القدر:١-٣] .

وأقسم الله بعظمة القرآن ، قال : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[الواقعة: ٧٥-٧٩] .

ومن قرأ القرآن وحفظه وتدبره ، وفهمه وعمل بموجبه ، ودعا إلى ما فيه ، فقد أدرجت النبوة جنبيه وإن لم يكن نبيًا : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

والنبي ﷺ، كان خلقه القرآن ، وكان أحسن الناس خلقًا ، وخلقا ، وكان خلقه القرآن ، يتأدب بآدابه ، ويتخلق بأخلاقه ، ويعمل بمحكمه ، ويؤمن بمتشابهة ، ويصدق أخباره ، ويمتثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ، إنك لعلى خلق عظيم .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٧-خزائن القرآن الكريم

القسم الثاني :

ويشتمل على ما يلي :

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٢٧-خزائن القرآن الكريم

القسم الثاني

١- الخزانة الأولى

مفاتيح تدبر القرآن الكريم :

مفاتيح تدبر القرآن كثيرة يجمعها عشرة مفاتيح :

المفتاح الأول : حب القرآن الكريم

فاللسان آلة الكلام ، والرجل آلة المشي ، والقلب آلة الفهم والعقل والإدراك ، فمن عرف الله آمن به وأحبه وكبره وحمده وشكره وأحب كتابه العظيم وامتثل أمره العظيم ونال ثوابه العظيم ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[الحج:٤٦]

وقال الله عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

والقلوب بيد الله وحده يقلبها كيف يشاء يفتح قلب العبد إذا شاء ، ويغلقه إذا شاء وهو الحكيم العليم الخبير بمن يستحق هذا وهذا ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته :﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

فالقلوب كلها بيد الله والفتح من الله وحده والتدبر وسيلة مأمورٍ بها ، وما يحصل من الفهم والتدبر فهو نعمة من الله وحده تستوجب من العبد الشكر لا الفخر للذي فتح لك معان القرآن :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤] .

وبيد الله وحده العطاء والمنع ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف:١٤٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٣] .

والقلوب محل الإيمان والكفر ومحل الحب والكره ، والقلب إذا أحب شيء تعلق به واشتاق إليه وشغف به وانقطعت عما سواه : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[الحديد:١٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته وسهل عليه فهم معانيه وزادت رغبته في امتثال أوامره واجتناب نواهيه :﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[الأنعام:١٥٥] .

- **وحب القلب للقرآن له علامات منها :**

الفرح بلقائه وقراءته وسماعه والجلوس معه للقراءة التدبر أوقاتًا طويلة دون ملل : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف:١٧٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[السجدة:١٥- ١٦] .

ثانيًا : الشوق إليه : متى بعد العهد به وتمني لقاءه وزالت الموانع التي حالت دونه والبكاء عند سماعه : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٩]

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[السجدة:١٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾[مريم: ٥٨] .

ثالثًا : الفرح والتصديق بكل أخباره والمسارعة إلى تطبيق أحكامه أمرًا ونهيًا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[آل عمران: ١١٣]

رابعًا : البحث عن حلول المشاكل من خلاله وكثرة مشاوراته والثقة بتوجيهاته : ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزخرف:٤٣] .

هذه أهم أمارات وعلامات حب القرآن فمن وجدها فليحمد الله ، ومن فقدها فليسأل ربه أن يرزقه وإياها ويفعل الأسباب التي أمر الشرع بها ويتوب من ذنوبه :﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾[الحديد:١٦] .

وحب القرآن علامة حب الله ورسوله ودينه ، فما هي وسائل حب القرآن وكيف نحصل عليها ؟ .

- **ذلك يحصل بأمور** :

الأول : العلم بأن القرآن الكريم كلام رب العالمين وأرحم الراحمين ، كلام الملك الحق المبين الذي فيه سعادة الخلق أجمعين في الدنيا والآخرة : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٤] .

فمن أحب الله أحب كتابه وأحب رسله وأحب دينه وقضى أوقاته في مناجاة ربه بتلاوة كتابه وتدبر آياته : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة:١٢١] .

الثاني : القرآن روح ونور ، كما قال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى:٥٢] .

فنسأل الله عز وجل أن يرزقنا حب القرآن والإكثار من تلاوته وحسن تدبره والعمل بأحكامه ، ومن رزقه الله حب القرآن فقد رزقه الإيمان وفتح له أبواب الهداية إلى الصراط المستقيم ، وفتح له أبواب كتابه ورحمته .

فنستعيذ بالله أولًا من الشيطان الرجيم عند تلاوة القرآن لأن الشيطان من أعظم مقاصده أن يقطع طريق الوصول إلى القرآن الذي هو صراط الله المستقيم ، لعلمه بأنه من أعظم أسباب الهداية والثبات :﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة:٢] .

لهذا أمرنا عز وجل أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في كل مرة نقرأ فيها القرآن بقوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [النحل:٩٨-٩٩] .

ثم نستعين بالله ليمدنا بالعون والبركة عند تلاوة كتابه فنقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم نبدأ بسورة الفاتحة التي تضمنت حمد الله والثناء الله وتمجيده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

ومن أعظمها نعمة الهداية التي أنزل بها كتابه العظيم : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة : ٢-٧] .

ونكثر من الدعاء بحب القرآن :

عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، وَابْنُ عَبْدِكَ ، ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُّ عز وجل هَمَّهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ؟ قَالَ : « أَجَلْ ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ » .

أخرجه أحمد وابن حبان بسند صحيح [(١)] .

فما أعظم هذا الدعاء وما أحوجنا إليه في كل وقت ، ومن علامات قبول هذا الدعاء انشراح الصد ر لقراءة القرآن وكثرة القيام به في الليل والنهار ، وكثرة الحمد على هذه النعمة العظيمة .

الثالث : القراءة عن قضاء القرآن قراءةً وتدبرًا وعملا والإكثار من تلاوته بقلب حاضر ، وذلك طريق ميسر لحب القرآن وتعظيمه والمفتاح الرئيسي لتدبر القرآن وفهمه ، وعدم حب القرآن وتعظيمه سببه الجهل بقيمته فمن لا يعرف قيمة القرآن زهد فيه وهجره وبخل عليه بالوقت واشتغل بما هو

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٤٣١٨)، وابن حبان برقم: (٩٧٢).

دونه ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧].

وقال الله عز وجل :﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠] .

المفتاح الثاني : استحضار أهداف قراءة القرآن الكريم

فبعض المسلمين يقرأ القرآن بقصد تحصيل الأجر والثواب لكنه غافل عن التدبر والنيات الأخرى ، وبعض المسلمين يقرأ القرآن ويكرره بقصد تثبيت الحفظ وتجويده ، لكنه غافل عن المعاني العظيمة التي تحملها الآيات التي يحفظ من أخبار وأحكام وقصص ، لهذا تجد حافظًا للقرآن غير عامل به وغير متخلقٍ به ، والحقيقة أن كل عمل صالح كلما تعددت فيه النيات وكثرت كلما كان العمل أعظم أجرا وأكثر ثوابًا وأكثر تأثيرًا على من قام به ، وقراءة القرآن العظيم بالتدبر يجتمع فيها للمسلم نيات ومقاصد عظيمة لا تفوت إلا على محروم .

ويجمعها خمس مقاصد كلها عظيمة نافعة ، وكل واحدة منها كافية لدفع المسلم والمسلمة للمسارعة إلى قراءة القرآن وتدبره وصحبته ومدارسته والاعتبار بما ورد فيه :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

وهذه الأهداف المقصودة من قراءة القرآن هي حصول الثواب وحصول العلم وحصول العمل وحصول الشفاء ، ولذة المناجاة والدعاء.

فمن قرأ كتاب ربه الكريم مستحضرًا هذه المقاصد العظيمة والنيات الكبيرة كان انتفاعه بالقرآن الكريم أعظم وأجره أكبر ، فالنيات تجارة العلماء يربحون بها على الله أكثر من غيرهم :﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال النبي ﷺ« إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ». متفق عليه(١) .

فمن قرأ القرآن يريد العلم رزقه الله العلم بأنواعه ، العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والعلم بآياته ومخلوقاته والعلم بأحكامه وأوامره ، والعلم بوعده ووعيده وثوابه وعقابه ، فالقرآن فيه علم الأولين والآخرين ، وعلم ما كان وما يكون وما سيكون ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

قال تعالى:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩] .

المقصود الأعظم من إنزال القرآن والأمر بقراءة وترتب الثواب عليه هو العلم وما أنزل الله من آية إلا وهو يحب أن يعلم بها الخلق ويعمل بموجبها تصديقًا للأخبار وتطبيقًا للأحكام : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد: ١٩] .

وقراء القرآن ثلاثة أصناف :

الأول : صنف اتخذوه بضاعة وتجارة يأكلون به المال .

الثاني : صنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده ، واستكبروا به على غيرهم واستدروا به الولاة ، وقد كثر هذا الصنف من القراء نسأل الله لهم الهداية .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١).

الثالث : صنف قرأ القرآن بألسنتهم وقلوبهم وسمعوا ربهم يتكلم به ويصف عظمة جلاله وجماله وعظمة ملكه وسلطانه وعظمة إنعامه وإحسانه وجمال أخباره وأحكامه وجزيل صوابه وعظيم عقابه ، فهؤلاء خير الناس أنار الله قلوبهم بالإيمان والقرآن ، فكلامهم نور وأعمالهم نور ومجالسهم نور يسقي الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

والعلم الذي يريده العبد من القرآن هو العلم الذي يحقق السعادة للعبد في الدنيا والآخرة .

- **وهو ثلاثة أقسام** :

١- العلم بالله بأسمائه وصفاته وأفعاله .

٢- العلم بأركان الإيمان .

٣- والعلم بأركان الإسلام وأوله العلم المقتضي للاستغفار .

والعلم بالله هو العلم بلا إله إلا الله : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

العلم الذي يورث الاستغفار والخشية : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨] .

فالعلماء حقا هم العلماء الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾[المائدة:٩٨] .

فالعالم الحق هو من يخشى الله تعالى ، وإن كان لا يعرف كتابة اسمه ، الذين رضي الله عنه م ورضوا عنه من الصحابة أكثرهم لا يعرف الكتابة ، لكنه يخشى الله ويتقيه ويطيع الله ورسوله : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

يجب علينا أن نقرأ القرآن باستمرار قراءة تدبرٍ وتفكرٍ ، قراءة من يستعد للاختبار فيه ، والمسلمون منهم الجاد في قراءة القرآن ومنهم المهمل والمقصر ، فمن أراد الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة ؛ فليمسك بكتاب ربه ليتعلم منه ويعمل بموجبه ويتخلق بأخلاقه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف:١٧٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾[الزخرف:٤٣] .

ومن فعل ذلك نفعه توحيده وكان معه ربه ، وحفظه من كل شر : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾[التوبة:٤٠] .

وقال موسى : ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾[الشعراء:٦٢] .

وقال يوسف معاذ الله : ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[يوسف: ٢٣] .

وكل حدثٍ أو مشكلة في الحياة ففي القرآن حلًا لها وجوابًا عليها ، ومن قرأ القرآن بتدبر أوصله الله إليها ، فقراءة الألفاظ وسيلة لقراءة المعاني التي هي المقصودة : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة:١- ٢] .

ومن أراد السعادة البدنية والقلبية فليطلبها بالقرآن الكريم قراءةً وتدبرًا وعلمًا وعملًا وأدبًا وخلقًا : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

والقرآن الكريم كتابٌ عظيمٌ جامع ، فهو كتاب الدعوة إلى الله ، والنبي ﷺ كان يكتفي بتلاوة القرآن على الكفار فيحدث ذلك أثرًا في نفوسهم ، ويشدهم إلى المزيد من سماعه لما فيه بيان الحق ويسر العمل به وحسن ثوابه ، وصرف الناس إلى ربهم الذي خلقهم ورزقهم وهداهم بإعلان العبودية له وحده لا شريك له ، وهو بهذا مستجيب لأمر ربه الذي أمره بقوله : ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾[ق: ٤٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾[الإسراء:١٠٦]

وقال الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[التوبة: ٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[النمل: ٩٢] .

فعلينا دعاة وعلماء ومُصلحين ومُربين وعُبادًا نهتم بهذا الأمر ونقتدي بالنبي ﷺ في كل ذلك : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

إن انشغال أكثر المسلمين اليوم بمؤلفات البشر وطلبهم للشفا والعافية بها يشبه الاكتفاء بأطعمة ترضي الذوق والمزاج في حين أنها تهدم الجسد وتفسده ، فعلينا أن نستفيد من القرآن الذي كله هدىً وشفاء ورحمه : ﴿ إِنَّ

هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[الإسراء:٩] .

والقرآن العظيم يحيي الله به القلوب، كما يحيي الأرض بالماء : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحديد:١٦-١٧] .

فحياة القلوب تكون بذكر الله وتلاوة كتابه ، كالأرض الميتة تكون حياتها بالماء : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[الحج:٥] .

والقرآن ربيع المؤمن يثمر له أنواع الخيرات والبركات ، كما أن الماء ربيع الأرض ينبت فيها أنواع النباتات ، ولهذا نرى من زكاة القلوب ورقتها ولينها وأنسها في رمضان حين يتوالى عليها سماع القرآن وقراءته ويكثر القيام به في لياليه : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء:٧٩] .

وتزكية الإنسان وإصلاح قلبه تكون بأمرين :

الأول : التعلم والتعليم : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

الثاني : العمل والسلوك ، ومن أراد تغيير فكره وعمله وحياته وأخلاقه للأحسن فعليه بقراءة القرآن : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران:١٦٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

استحضار أهداف قراءة القرآن الكريم :

قراءة القرآن بقصد العمل به ، ينبغي لحملة القرآن الكريم العمل بموجبه بتصديق أخباره وتطبيق أحكامه ، فالعالم حقًا من عمل بما علم ووافق علمه عمله وطابق علانيته سريرته ، فأولى الناس بالقرآن من اتبعه وإن لم يكن قرأه .

فقارئ القرآن يجب أن يكون أول من يعمل به فيسأل نفسه عند القراءة ، متى أكون من المتقين ، متى أكون من المحسنين ، متى أكون من الصادقين ، من الخاشعين ، من الصابرين ، متى أنهى نفسي عن الهوى ، متى أزهد في الدنيا ، متى أكون مستقيمًا ، متى أكون داعيًا إلى الله ، متى أكون معلمًا لشرع الله ، ومن الناس من يقول قرأت القرآن كله فما أسقطُ منه حرفًا ، وقد والله أسقطه كله ، ما يرى القرآن له في خُلقٍ ولا قولٍ ولا عمل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الصف: ٢] .

والرسول ﷺ كان خُلقه القرآن يتأدب بآدابه ويحل حلاله ويحرم حرامه ويصدق أخباره ويمتثل أوامره ويجتنب نواهيه ويغضب لغضبه ويرضى لرضاه ، ولنا فيه أسوة في نيته وأقواله وأعماله وأخلاقه :﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وإنما جمع القرآن حفظًا وتدبرًا من سمع له وأطاعه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٤] .

فالقرآن كله تربية وإصلاح وتعليم وتوجيه وإرشاد ، فنقرأ القرآن بنية هذه الأمور العظيمة ، بنية العلم والعمل ، بنية البحث عن العلوم والأعمال والصفات التي تزكو بها النفوس : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الواقعة:٧٧-٧٨] .

فالقرآن الحكيم فيه تبيان كل شيء ، وإسعاد البشرية في كل شيء ، وحل جميع المشاكل على مستوى الأفراد والشعوب والأمم ، ومن اهتدى بغير القرآن فلن يهتدي؛ لأن القرآن كتاب الهداية وحده ، وتطبيقه في السنة النبوية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

وقال الله عز وجل :﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧-١٣٨] .

ومن قرأ القرآن لطلب الأجر والثواب ، وبحث عن أسباب السعادة في غيره وعطل القرآن عن العمل بما فيه من أخبارٍ وأحكامٍ وأخلاق ، فقد عطل القرآن عن أعظم مقاصده وهو العمل به وضل ضلالًا بعيدًا وخسر خسرانا مبينًا ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة:٥٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

أما قراءة القرآن بقصد طلب الاستشفاء به ، فالقرآن كله هدىً وشفا ورحمة وموعظة : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

والقرآن العظيم شفاءُ للقلوب والأبدان من جميع الأمراض والأسقام والعلل والأدواء .

- **والشفاء بالقرآن أربعة أنواع :**

الأول : شفاء القلوب من أمراض الشبهات ، وأمراض الشك والريب والنفاق : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[يونس: ٥٧] .

الثاني : شفاء القلوب من أمراض الشهوات الحيوانية التي تمنع من الاستجابة لامتثال الأوامر الإلهية : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

والقرآن يبين للناس أن الدنيا دار تكميل الإيمان والأعمال الصالحة ، مع الأخذ من الطيبات بقدر الحاجة وتكميل الشهوات يوم القيامة في الجنة: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ

ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾

[آل عمران:١٤-١٦] .

الثالث : شفاء الصدور من الهم والحزن والضيق والقلق والخوف والرعب والوساوس : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ ﴾ [الفتح: ٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٥-١٦] .

وقال الله عز وجل :﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت:٤٤] .

الرابع : شفاء الأبدان من الأسقام والعلل : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

وكل إنسان يسعى لشفاء قلبه وبدنه ، ولا يوجد ذلك إلا في القرآن الكريم ، الذي بين الله الهدي من الضلالة والحق من الباطل ، وبين فيه الحلال من الحرام والطيبات من الخبائث ، والشفاء في هذا وهذا فقط .

وإذا استحضر قارئ القرآن هذا الأمر حصل له الشفاءان العلمي القلبي والمادي البدني بإذن الله ﷻ، فهو الشافي الذي بيده الشفا وعنده خزائن الشفاء : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[الشعراء : ٨٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

- **والاستشفاء بالقرآن يكون بأمرين :**

الأول : قراءة القرآن آناء الليل والنهار خاصة القيام به في جوف الليل الأخر وقت نزول الإله إلى السماء الدنيا ، ولأن النفوس بعد القيام من النوم تكون صافية حاضرة فيحصل لها فهمٌ عميقٌ للقرآن وحسن التدبر لآياته وفقه لأخباره وأحكامه ؛ ليمتلئ القلب بنور الإيمان ويطمئن بذكر الله ويرى ربه ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فيسلم قلبه وجوارحه وأوقاته لربه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾

[المزمل: ١-٦] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء:٧٩] .

والمقصود من قراءة القرآن وسماعه توصيل القرآن إلى القلوب لتهتدي به وتستشفي به من جميع الأمراض البدنية والقلبية : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة:٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر:٩] .

الثاني : الرقية بالقرآن ، فالقرآن العظيم شفاءٌ من كل داء بدني أو نفسي لما فيه من ذكر الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وتمجيد الملائكة الكرام المقربين وتحقير المردة والشياطين ، والريق الناتج من تلاوة آيات القرآن الكريم له أثر عظيم في القوة والنشاط والطمأنينة والراحة والعافية:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢] .

فالمسلم يرقي نفسه ، أو يرقيه غيره بالسور والآيات القرآنية والأدعية والأذكار القرآنية فيحصل الشفاء بيد الله ، فمن قرأ القرآن أو سمعه بنية حصول الشفا والعافية وتقين على ذلك وتوكل على من بيده خزائن كل شيء ، شفاه الله من علله وأسقامه البدنية والقلبية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[يونس: ٥٧] .

اللهم رب الناس أذهب الباس أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك ، شفاءً لا يغادر سقمًا : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[الشعراء : ٨٠] .

والاستشفاء بالقرآن ميسر لكل أحد آمن بالله ، وصدق بما في كتابه العظيم ولزم تدبره وتلاوة فأرقي نفسه بنفسه بكتاب ربه ، وهذا يغنيه إذا نزل به

مرض أو ضيق عن أن يجوب الآفاق ويطوف في البلاد ليبحث عن القراء والمعالجين ، والأمر أيسر من ذلك ولله الحمد : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[القمر: ١٧]

فالله سبحانه حين يبتلي عباده بالمصائب والأمراض فإنما يريد منهم أن يتضرعوا إليه ويتذللوا بين يديه ، ولا يذلوا نفسهم لأحد سواه ، فما ابتلى سبحانه إلا ليعافي وما منع إلا ليعطي ، وما قبض إلا ليبسط .

وقد شرع لنا الدعاء والتوبة والاستغفار ليزول عنا البلاء ويحصل الشفاء ، والقيام الطويل بالقرآن هو من أهم صور التذلل لله سبحانه والتضرع بين يديه ، كما يحصل في قرآن الفجر وصلاة الكسوف ، القيام بالقرآن قراءة وتدبرًا من أقوى أسباب العافية والشفاء :﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[المؤمنون:٧٦] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[النمل:٦٢] .

استحضار أهداف قراءة القرآن الكريم :

قراءة القرآن بقصد مناجاة الله السميع البصير ، فالله عز وجل يحب كلامه ويحب من ناجاه ويحب من وقف بين يديه تاليًا لكتابه : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء:٧٩] .

وقال تعالى: وقال تعالى: وقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[الفرقان: ٦٤] .

ومن أراد الانتفاع بالقرآن فليجمع قلبه عند تلاوته أو سماعه ويلقي سمعه ليفهم خطاب ربه ، ويحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف:٢٠٤] .

وتذكر يا قارئ القرآن أنه يجتمع لك في المناجاة بالقرآن خمس معانٍ عظيمة وهي :

١- أن الله يحبك حين تقرأ القرآن

٢- وأنه يسمعك إذا قرأته

٣- وأنه يراك حين تقرأ

٤- وأنه يمدحك ويثني عليك في الملأ الأعلى

٥- وأنه سيعطيك ما تسأل

كما قال النبي ﷺ « مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَجْهَرُ بِالقُرْآنِ »متفقٌ عَلَيْهِ(١).

ومعنى أذن أي استمع ، فعلينا حين نقوم بالقرآن نتلوه بين يدي الله في الصلاة وخارجها أن نستحضر هذه المعاني العظيمة ، ونستحضر عظمة من تكلم به ، وعظمة من أنزله ويسر لنا تلاوته ، ومن رزقه الله هذا الفهم شعر بلذة قراءة القرآن ، ولم يشبع من قراءته وتكراره وحلاوة ألفاظه ومعانيه ، خاصةً إذا أيقن أن الله يراه ويستمع لقراءته ويمدحه ويثني عليه بحسن ترتيله وخشوع قلبه ويباهي به ملائكته المقربين؛ لأنه قائم يناجي ربه بكلامه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[السجدة:١٥- ١٦] .

وبهذه المناجاة يرى العبد أن ربه يخاطبه مباشرة ، وأنه يستمع له فإذا مر بآية فيها تسبيح سبح ربه ، وإذا مر بآية فيها سؤال سأل ، وإذا مر بآية فيها وعيد

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٤) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩٢).

استعاذ بالله، وإذا مر بآية فيها أمر أجاب ، وإذا مر بآية فيها نهي اجتنب، وهكذا تكون المناجاة بالقرآن بقراءة حية يعي فيها القارئ لمن يقرأ ، وماذا يقرأ ، ولماذا يقرأ ، ومن يخاطب بقراءته، وماذا يحتاج منه وما يجب له نحوه من التعظيم والتكبير والحمد والشكر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[الفاتحة : ٢-٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾[الكهف:١] .

وأما قراءة القرآن بقصد الحصول على الثواب العظيم ، فالقرآن متعبد بتلاوته، ومتعبد بتدبره ، ومتعبد بالعمل به فقراءة الحرف الواحد بحسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، وترتب الأجور العظيم على قراءة القرآن للترغيب في قراءته وتدبره ، ثم العمل به وإبلاغه للناس :﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾[ص:٢٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٢﴾[إبراهيم:٥٢] .

قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ القُرَظِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهَّ بْنَ مَسْعُودٍ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهَّ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » . رواه الترمذي بسند صحيح(١) .

قال ﷺ: « المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيُتَعْتِعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » . متفق عليه(٢) .

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٩١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٣٧) ، ومسلم برقم: (٧٩٨)، واللفظ له.

وقال ﷺ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري[١].

وقال ﷺ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ». أخرجه مسلم[٢]

وقال ﷺ: « إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ » . أخرجه الترمذي بسند صحيح[٣].

وقال النبي ﷺ : « مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ » . متفق عليه[٤].

وقال ﷺ: « وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » . أخرجه مسلم[٥].

فهنيئًا لمن تلا كتاب ربه بالنفع عظيم والعلم الكبير والأجر الكريم : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة:٤] .

وقال تعالى:﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[البقرة:٢٦٩] .

وإذا امتلأ القلب بحب القرآن والعلم بما فيه ، والعمل به وحسن مناجاة الله به ، وطلب الثواب بتدبره وقراءته بكى القلب حبًا لله وتعظيمًا له وحمدًا لله وأكثر اللسان من ذكره وحمده وشكره والتوبة إليه واستغفاره ، وإذا خلا

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٠٤).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٩١٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٤٢٧)، ومسلم برقم: (٧٩٧)، واللفظ له.

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٩٩).

القلب من المعاصي بكت العين إجلالًا وتعظيمًا وحبًا للملك الكريم الوهاب : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٩] وقال الله عز وجل: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية:٣٦-٣٧] .

المفتاح الثالث: أن يقرأ المسلم القرآن حفظًا من قلبه ، فالقلب العامر بحفظ القرآن لا يقربه شيطان، كما قال سبحانه : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٩] .

فالقلوب أوعية الإيمان والقرآن ، وكما أن البيت الخرب مأوى الشياطين ، فكذلك القلب الفارغ من القرآن مأوى الشياطين : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾[الإسراء: ٤٥-٤٦] .

وعن ابن عباس قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ ، كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ » . أخرجه الترمذي بسندٍ صحيح[1] .

والمؤمن الحافظ لكتاب الله عز وجل أو الحافظ لبعضه جنته وبستانه في صدره ، أنى ذهب فهي معه يأخذ منه ما شاء متى شاء ، ويزداد بها ثباتًا ويقينًا : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٢-١٩٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الرعد: ٢٨] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٩١٣).

ومثل حافظ القرآن وغير الحافظ كاثنين في سفر ، أحداهما زاده التمر ، والثاني زاده الدقيق ، فالأول يأكل متى يشاء وهو على راحلته ، والثاني لابد له من النزول والعجن وإيقاد النار والخبز : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران:٧٣ -٧٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

فحفظ القرآن الكريم أحد مفاتيح التدبر ؛ لسهولة استحضاره بشكل سريع ومباشر ، وتدبر معانيه في كل وقت، والعلاقة بين الحفظ والتدبر لآيات القرآن أن حفظ القرآن وتكرار قراءته وترديده وهو محفوظ أفضل من تكرار قراءة نظرًا ؛ لأن التفكر في المحفوظ مستمر .

أما غير المحفوظ فيقف التفكر فيه عند إغلاق المصحف ، وحفظ القرآن الكريم وسيلة لا غاية ، وسيلة لحفظ المعاني والانتفاع بها، والمقصود الأعظم من حفظ القرآن تدبر معانيه وحفظ ما تضمنه من العلوم والأخبار والأحكام ، وأعظمها العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم العلم بدينه وشرعه والعلم باليوم الآخر ، ثم التعبد لله بمقتضى ذلك : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وحفظ القرآن وتكرار قراءته أعظم وسيلة للثبات أمام الأزمات : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان:٣٢] .

٢- الخزانة الثانية

- **مفاتيح تدبر القرآن :**

المفتاح الرابع : الجهر بالقرآن والتغني بالقراءة .

الجهر بالقراءة وتزيين الصوت بالقراءة أعون على الفهم والتدبر والانتباه وحضور القلب ، والتغني وتزيين الصوت بالقراءة هو السنة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » ، وَزَادَ غَيْرُهُ : « يجْهَرُ بِهِ » . رواه وأخرجه البخاري[١] .

عن أَبِي هُرَيْرَةَ أنه سمع النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ : « مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ ، يجَهر بِالْقُرْآنِ » . متفق عليه[٢] .

وعن أم هاني رضي الله عنها قالت : « كُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي » . أخرجه النسائي وابن ماجه بسند حسن[٣] .

- **والجهر بالقراءة درجات :**

أدناها أن يسمع المرء نفسه وأعلاها أن يسمع من قرب منه وكلما كان الصوت مشدودًا حيًا كان أعمل على التدبر والفهم وطرد الوساوس والأفكار التي تصرف القلب عن التدبر :﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٥٢٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩٢).

(٣) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (١٠١٣)، وأخرجه ابن ماجة. رقم: (١٣٤٩).

وقال الله عز وجل: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾[الإسراء: ١١٠] .

- **والجهر بالقرآن له فوائد وثمراته :**

١- منها أنه يساعد على حضور القلب وتدبر المعاني وفهم الخطاب .

٢- ومنها استماع الملائكة الموكلة بسماع الذكر وهروب الشياطين ، وفرارهم من القارئ والمكان الذي يقرأ فيه القرآن .

٣-ومنها أن الجهر بقراءة القرآن فيه تطهير للبيت و تعطيرٌ له بالذكر وحصول الخير والبركة فيه ؛ لأن الملائكة فيه والشياطين خرجت منه ، والنور يملأ أرجائه .

أما كيفية التغني بقراءة القرآن فيكون بتشغيل جميع الجوارح الصوتية من اللسان والشفتين والحلق بالقراءة ، وكلما كانت القراءة بتغن وحسن صوت كانت أقوى تأثيرًا ، وأقوى توصيلاً لمعاني إلى القلب ، وأعظم أثرًا في خشوع القلب ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[المائدة:٨٣] .

والتغني المطلوب شرعًا هو المرتبط بخشوع القلب وتدبر المعاني وفهم الآيات وحسن الصوت بالقرآن ، أجمل صوت سمعه البشر وحسن الصوت له ارتباط قوي بخشوع القلب ، فقوة التغني بالقراءة تؤدي إلى خشوع القلب ، وخشوع القلب يؤدي إلى قوة التغني بقراءة القرآن ، أما التغني المذموم فهو المنفك عن التدبر والتأمل والخشوع : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٩]

وقال عز وجل : ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨] .

المفتاح الخامس : ترتيل القرآن الكريم .

ترتيل القرآن الكريم هو قراءة بترسل وتمهل مع تجويد اللفظ وحسن الصوت ، كما قال سبحانه : ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ٤].

وقراءة القرآن على تمهل وتأني عون على فهم القرآن وتدبره .

عَنْ حَفْصَةَ ، أَنَّهَا قَالَتْ : « مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ صَلَّى فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا ، حَتَّى كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِعَامٍ ، فَكَانَ يُصَلِّي فِي سُبْحَتِهِ قَاعِدًا ، وَكَانَ يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا » . أخرجه مسلم(١) .

عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : « صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ ، فَقُلْتُ : يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ، ثُمَّ مَضَى ، فَقُلْتُ : يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ ، فَمَضَى ، فَقُلْتُ : يَرْكَعُ بِهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ ، فَقَرَأَهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ ، فَقَرَأَهَا ، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا ، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ، ثُمَّ رَكَعَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ » ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ، ثُمَّ سَجَدَ ، فَقَالَ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى » ، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ . قَالَ : وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ ، فَقَالَ : « سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ » . أخرجه مسلم(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٣٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٧٢).

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سألت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت : « كان يقطع قراءته آية آية : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة: ١ – ٧]»

أخرجه أحمد وأبو داود بسندٍ صحيح[1].

فترتيل القرآن والترسل في قراءته وحسن الصوت به والتغني به ، زين القرآن وعونٍ على فهم آياته وأحكامه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ [المزمل: ١-٤].

ومن رتل القرآن وتدبره ، كمل انتفاعه بالقرآن وحقق المقاصد المطلوبة من قراءة القرآن ، واتبع هدي النبي ﷺ وأصحابه في القراءة والترتيل والتدبر ، ورابط الترتيل أن يتمكن القارئ من التدبر والتفكر والتأمل حين القراءة ، وهذا يتطلب التمهل والترسل ، بل يتطلب أحيانا التوقف ، وذلك يتفاوت من قارئ إلى آخر : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩ ﴾ [ص:٢٩] .

المفتاح السادس : التوقف والتكرار .

التوقف حين قراءة القرآن أو تكرار الآية يزيد في فهم معنى الآيات ، وعمق فهمها والتوقف والتكرار للآيات يحصل تعظيمًا لمن تكلم به سبحانه وإعجابًا بقوة معاني القرآن وحسن ألفاظه وحسن أحكامه وأخباره والتكرار لآيات القرآن إنما هو نتيجة وثمرة للفهم والتدبر ووسيلة للفهم التدبر إذا لم توجد .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبي داود برقم: (٤٠٠١)، وأخرجه أحمد برقم: (١٩٤٦٤).

عن أبي زر رضي الله عنه : « قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ يُرَدِّدُهَا »﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[المائدة: ١١٨] . » .

أخرجه ابن ماجه وحسنه الألباني في سنن النسائي[1] .

وفي كل تكرار وفي كل تدبر فهم جديد وعلم جديد وتعبد جديد : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٠٩]

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥- ١٧] .

وقال الله عز وجل :﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾[مريم: ٥٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

المفتاح السابع : القيام بالقرآن الكريم في الصلاة

فتلاوة القرآن في الصلاة وتدبره ينتج عنه حياة القلب وقوته وعافيته وطمأنينته وسكونه .

---

(١) حسن/ أخرجه ابن ماجة برقم: (١٣٥٠)، وأخرجه النسائي برقم: (٢/ ١٧٧).

فالإكثار من تلاوة القرآن في الصلاة من أهم مفاتيح تدبر القرآن وأعظمها شأنًا خاصة في الليل فالتهجد والقيام بالقرآن في الصلاة ليلًا طريق للوصول إلى المقامات العالية في الدنيا والآخر :﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[الإسراء:٧٩] .

والقيام بالقرآن هو السبيل لتحمل الأحمال الثقيلة التي تواجه الإنسان في الحياة سواء كانت دينية أو دنيوية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ٦ ﴾ [المزمل: ١-٦] .

ولهذا من آمن بالله آمن بكتابه ورجع إليه في حل مشاكله ، ولما كان العلماء أعرف الناس بذلك قاموا به بين يدي ربهم ركعًا سجدًا فرفع درجاتهم وأعلى مكانه :﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾ [الزمر:٩] .

وأكثر الناس علمًا أكملهم إيمانًا وأصدقهم عبادة : ﴿ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ ﴾[آل عمران: ١١٣]

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾[السجدة:١٥- ١٧] .

- **والمنافسة والمسابقة مشروعة في أمرين :**

١-القيام بالقرآن تلاوة وتصديقًا وتطبيقًا .

٢-وإنفاق المال في سبيل الله وهذان هما الطريق الأفضل لكل الفضائل ومنهما تتفرع الخيرات والبركات والسعادات في الدنيا والآخرة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِّ. ﷺ « لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُّ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ » . متفق عليه[١] .

فمن تعلم القرآن وعلمه وعمل به كمثل جراب محشوة مسكًا يفوح ريحه من كل مكان ومن تعلم القرآن ولم يقم به ولم يعمل به بل ركض عنه ، كمثل من اشترى طيبًا وتركه مقفلًا في قارورته فلم ينتفع به ولم نفع غيره به .

الطريق إلى حفظ القرآن وتثبيت آياته في القلب وتذكر معانيه والتأثر بما فيه من المواعظ والأخبار والقيام بالقرآن ، وعدم القيام به سبب لنسيانه والحرمان من نوره وبركات . ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة:١٥-١٦] .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ » . أخرجه مسلم[٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨١٥).

(٢) أخرجه مسلم رقم: (٧٨٩).

وحفظ معاني القرآن ورسوخها في القلب وكونها حاضرة في الذهن في كل وقت هذا المقصود من إنزال القرآن والقيام بالقرآن : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

فكل من قام بالقرآن يتلوه ويكرره في صلاته آناء الليل وآناء النهار ويتدبر معاني آياته تجده أنور الناس وجهًا وأحسنهم أدبًا وتجد إجاباته إذا سُئِل حاضرة وسريعة وقوية لأنه يجيب من كلام ربه الذي حفظه من كثرة تلاوته وتدبره .

وتجده كذلك وقافًا عند حدود الله مسارعًا إلى امتثال أوامر الله : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[السجدة:١٥] .

ومن تربى على هذا المفتاح من صغره صار هذا المفتاح بيده في كل أوقاته وسهل عليه الانتفاع بكتاب ربه وصار أسعد الناس : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[البقرة: ٣٨-٣٩] .

فكثرة الصلاة وتكرار القرآن فيها وتدبر معاني الآيات تحصل بها الحياة للقلب والبدن ومواجهة الصعاب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة:١٥٣] .

فالقرآن مع الصلاة هما سبيل النجاة وفيهما المفزع إلى الله لدفع الضر وجلب النفع وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[العنكبوت:٤٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾[فاطر:٢٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف:١٧٠] .

والقيام بالقرآن وتدبره أساس السعادات وأساس الأمن والهداية والطمأنينة : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[المعارج: ١٩-٢٣] .

فهنيئًا لمن وفقه الله بحفظ كتابه والقيام به وتدبر معانيه وتصديق أخباره وتطبيق أحكامه والتأدب بآدابه فهذا هو المقصود من إنزاله والقيام به : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

ولكن قد يوجد من يقوم بالتهجد ليلًا ويقوم في النهار بالغش والكذب والخداع والنفاق ويجزع ويتسخط ويحسد ويأكل الربا ويأكل حقوق الناس ويمشي بالغيبة والنميمة ويأكل الربا ويغشى المحرمات فهذا قيامه قيام ليل أجوف فهو يركع ويسجد بقالبه لا بقلبه وقيامه مجرد حركات لا يعقل منها شيئًا وقصده تكثير الركعات والتسليمات وليس القيام بالقرآن الذي هو أصل العلم والإيمان: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وبعض حفاظ القرآن جعلوا صلاتهم بالليل وسيلة لمراجعة حفظه دون أن يحضر معه قلبه ودون أن يعي من يقف بين يديه في صلاته ودون أن يعي عظيم قدر الصلاة وتطبيق أحكامها قلبًا وقالبًا ظاهرًا وباطنًا وكذلك من همه ختم القرآن كما في رمضان فليس هذا ولا ذاك من القائمين بالقرآن كما أمر الله به وكما فعله رسوله ﷺ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون:١-٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: ٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٩]

وإذا قام العبد يتلوا كتاب ربه في صلاته فإنه يناجي ربه ويزداد قربًا منه فليعبد ربه كأنه يراه وليتأدب بين يديه ويسلم له قلبه وجوارحه : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾[البقرة:٢٣٨].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ » . أخرجه البخاري(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ ، فَلا يَبْزُقَنَّ أَمَامَهُ ، فَإِنَّهُ مُسْتَقْبِلٌ رَبَّهُ » . أخرجه مسلم(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٠٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥٥١).

والمسلم في صلاته يتوجه بقلبه إلى ربه ويتوجه ببدنه إلى معظم بأمر الله وهو الكعبة : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾[البقرة:١٤٤] .

وقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: « والإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » . متفق عليه(١) .

والمقصود من الصلاة القيام بين يدي الله تمجيدًا وتكبيرًا له وحمدًا وشكرًا له وسؤاله واستغفاره وتقديم التحيات المباركات للذي خلقنا وهدانا وأطعمنا وسقانا وبعض المسلمين يقوموا إلى الصلوات المفروضة ويصليها على أنها واجب يؤديه وبعضهم يستكثر من النوافل طمعًا في زيادة الثواب والأجر أو تكفير السيئات ومحو الذنوب أو رفعة الدرجات .

وهذه بعض مقاصد الصلاة وروح الصلاة شيء آخر وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي ما زالت جارية حديثة السن في عهد الرسول ﷺ كانت تنظر إلى الصلاة بهذا الفهم ولهذا تعجبت من كثرة وطول صلاة النبي ﷺ فكانت تظن أن من غفرت ذنوبه لا يحتاج إلى كثرة الاجتهاد في الصلاة فبماذا أجابها زوجها العالم بربه وما يجب له من التحميد والتكبير والحمد والشكر والثناء على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ؟ .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « كَانَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللهَّ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا » . متفق عليه(٢) .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٣٠)، ومسلم برقم: (٢٨٢٠)، واللفظ له.

ولهذا شرع الله لنا أنواع الصلوات المفروضة والسنن المؤكدة والمستحبة لما فيها من عظيم المنافع : ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[البقرة:٢٣٨].

المفتاح الثامن : أن تكون قراءة القرآن الكريم في الليل

فأفضل الأوقات للتفكر والتدبر للقرآن هو الليل خاصة وقت السحر ، كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴿٦﴾﴾ [المزمل: ١-٦] .

وسبب بركة هذا الوقت أن الإنسان إذا قام للتهجد في الليل يكون بدنه مستريحًا وذهنه صافيًا مستعدًا لفهم المعاني ، وفقه الأسرار : ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[الزمر:٩] .

ووقت السحر مبارك ؛ لأنه وقت نزول الإله إلى السماء الدنيا حبًا لعباده ليعطيهم ما سألوه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » . متفق عليه[1].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٢١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٥٨).

فلا يثبت القرآن في الصدر ولا يسهل حفظه ولا يتيسر فهمه إلا القيام به في الليل ، فأي أمر تريد تثبيته في الذاكرة وحفظه فليكن في هذا الوقت : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ٦ ﴾ [المزمل: ٦] .

وقيام الليل سنة الأنبياء والمرسلين ، ودأب الأتقياء والصالحين ، وبه يجتمع لهم خير الدنيا والآخرة : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [الإسراء:٧٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ ﴾ [آل عمران: ١١٣]

إن قراءة القرآن في صلاة الليل في التهجد يحصل معها الصفاء والهدوء حسن الفهم وقوة التدبر ، حيث لا أصوات تشغل الأذن ولا صور تشغل العين فيحصل للقارئ والمصلي صفاء التركيز الذي يؤدي إلى وصول معاني القرآن في القلب .

ولهذا كانت مدارسة جبريل للنبي ﷺ للقرآن في كل ليلة من رمضان ؛ لأن الليل فيه السكون والهدوء ، أما النهار فهو مظنة الشواغل والملهيات والحاجات والأصوات فلا يصفوا الذهن لتدبر القرآن وفهم معانيه التي هي المقصودة من القيام به .

ولهذا كانت صلاة الليل والوتر من السنن المؤكدة ، لما في ذلك الوقت من الهدوء والنزول الإلهي ، وفتح أبواب السماء والبعد عن الرياء وفراغ الذهن من الشواغل ، وكان النبي ﷺ يقوم الليل بثلاثة عشر ركعة أو إحدى عشرة ركعة ، وهي الأكثر من فعله ﷺ.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ » . أخرجه مسلم[1] .

لهذا ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن ينتفع بهذا المفتاح العظيم ، وأن يقوم بتلاوة وتدبر كتاب ربه في هذا الوقت ، وما حرم أحد من القيام في هذا الوقت إلا بذنب أحدثه ، فليتب العبد إلى ربه ويكثر الاستغفار في كل وقت : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠] .

والإسراء بالنبي ﷺ كان ليلًا : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء:١] .

والقراءة للقرآن في الليل أنفع للقلب ، كما أن السقي للبنات في النهار أنفع للنمو والثمرة .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٤٧).

٣- الخزانة الثالثة

- **مفاتيح تدبر القرآن :**

المفتاح التاسع : التحزيب للقرآن الكريم .

قراءة القرآن غذاء ودواءٌ للقلوب كالغذاء والعلاج للأبدان ، فلابد أن تكون بقدر معين لا نزيد عليه ولا ننقص منه حتى يحدث الأثر في القلب من تعظيم الله ومحبته وحمده وشكره وامتثال أمره واجتناب نهيه ، والله سبحانه أنزل القرآن لنعمل به ووسيلة العمل به العلم به وذلك يحصل بتكرار قراءته وتدبر معانيه :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

وكلما تقاربت أوقات القراءة وكثرت تكرار القراءة ، كان ذلك أقوى لحفظ القرآن في القلب وفهم معانيه وأسراره ، فما تكرر تقرر ، ولهذا عظمت أجور قارئ القرآن وشرعت أنواع الصلوات من أجل ذلك ، والمدة التي أقرها النبي ﷺ لأمته بقراءة القرآن لمن رغب في الخير والعلم هي سبعة أيام إلى شهر ، ونهى عن قراءته في أقل من ثلاث .

لهذا ورد عن أصحاب النبي ﷺ أقوالٌ وأفعالٌ تؤكد على أهمية تحزيب القرآن ، وأن يكون له أوقات معلومة ليسهل حفظه وتدبره وفهم معانيه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ ﴾[المزمل: ٢٠] .

ولا يمكن للمسلم من إتباع ما جاء في كتاب الله إلا بالمداومة على قراءته بوقت معين بقدر معين : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[الأنعام:١٥٥] .

وحياة القرن الأول أفضل حياة بسبب ملازمة تلاوة كتاب الله وتدبر معانيه والعمل بأحكامه ، وما يوجد في حياتنا اليوم من نقص الإيمان والأعمال واضطراب الأحوال إنما هو بسبب هجر القرآن تدبرًا وعملًا وتخلقًا ، وقال الرسول : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠] .

إن أول مرحلة وأول خطوة في ميدان طلب العلم هي القيام بقراءة القرآن حفظًا وتدبرًا وتلاوةً في كل سبعة أيام وأي استعجال في هذا الأمر حصدٌ للنتائج قبل نضجها وإتيانٌ للبيوت من ظهورها : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل: ٤].

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

فحافظ أخي المسلم على قراءة حزبك من القرآن ، فإنه من أعظم العبادات إن تدبرت آياته وفهمت معانيه:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: ٢]

ومن اشتغل بفروع العلم الشرعي بجل أوقاته وقصر في القيام بالقرآن وتدبره ، فقد هجر أعظم مصادر الإيمان والعلم والفقه : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[المؤمنون: ٦٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[الأنعام:١٥٥] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ » . أخرجه مسلم[1].

عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قال يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَبْطَأْتَ عَلَيْنَا اللَّيْلَةَ قَالَ إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبِي مِنْ الْقُرْآنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَخْرُجَ حَتَّى أُتِمَّهُ ، قَالَ أَوْسٌ بن حذيفة فَسَأَلْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ قَالُوا ثَلَاثٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعٌ وَتِسْعٌ وَإِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ » . أخرجه أحمد ورواه ابن داود بسند صحيح[2].

والختم في سبع هو فعل أكثر السلف وهو أوسط الأمور وأحسنها وهو فعل أكثر الصحابة ، والتحزيب قراءة القرآن كل أسبوع من أجل أن يتقارب وقت القراءة التي هي سببٌ لقوة الحفظ وفهم معانيه هي الأحسن كلما تقاربت أوقات القراءة كل ما قوي الحفظ والضبط .

وكان أكثر السلف يختمون كل سبعة أيام وأحيانًا كل ثلاثة أيام لعلمهم أن أكثر من هذه المدة يؤدي إلى نسيان الألفاظ والمعاني ، ومن ثم ينقص الإيمان والعمل الصالح ويذهب الأنس بالله وتحصل وحشة لفراق القرآن وحفظ الألفاظ ، قد يكفيه شهر أو أقل لكن فهم المعاني لابد له من التقارب ليحصل الفهم والتأثر ، والناس يختلفون في التحزيب حسب قوة الإيمان والأبدان والأفهام لكن فعل الصحابة والسلف أحسن منفعة، كما قال

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٤٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٦١٦٥)، وأخرجه أبي داود برقم: (١٣٩٣).

السلف « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » . متفق عليه [1]

والأولى والأحسن هو السنة في تحزيب القرآن وتقسيمه على السور بأن تقرأ السورة في الليلة الواحدة كاملة وهذا هو السنة وعليه عمل الصحابة والتابعين أن يكون التقسيم موافقًا أو متوافقًا مع نهايات السور .

وعلينا أن ننوي القيام بالقرآن كاملًا في كل أسبوع حفظًا ، وفي ليل مع الجهر والترتيل والترسل والتدبر ليكتب الله لنا أجر النية ، ثم نبدأ الحفظ والتدبر بالتدريج والأسهل والأيسر أن نبدأ بجزء عم ونقسمه إلى سبعة أقسام كل ليلة نقرأ بجزء ، أو تكون البداية بالمفصل نحزبه سبعة أحزاب لكل يوم من أيام الأسبوع حزب كما سبق ، ثم نزيد على هذا المقدار بالتدريج بنفس الطريقة والمقدار بحيث نختم المقدار الجديد كل أسبوع حتى يثبت ويرسخ في الذهن .

- **وكم نعطي من الوقت لقراءة القرآن وتدبره كل يوم ؟ .**

نعطيه ما يستحقه من الوقت كما ورد في القرآن : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦﴾ [المزمل: ١-٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ [المزمل: ١-٢].

أي كثيرًا .

وما هو حد الكثير ؟

قال الله عز وجل: ﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ٣-٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٢٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٣٣).

والليل غالبًا اثنتا عشر عشرة ساعة نصفه ست ساعات وثلثه أربع ساعات .
وأما خطوات تحزيب وتدبر القرآن فتكون بتحديد مقدار الوقت اليومي وتحديد ما يمكن قراءته مع التدبر من السور أو الأوجه حفظًا أو قراءة في الصلاة أو غيرها مع القراءة والترتيل وتحديد الختمة كل أسبوع أو أسبوعين أو شهر حسب الرغبة والقدرة وفسحة الوقت ، وبذلك يهون على الإنسان ما كان صعب ويتيسر ما كان عسيرًا ويمتلئ القلب بالقرآن وتدبر معانيه وفقه أحكامه :﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[القمر: ١٧]
وقال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة: ٢]

المفتاح العاشر : الربط والذكر

والربط والذكر معناه أن يربط القاري أثناء قراءته وتدبره بين اللفظ والمعني ، وبين ما يجد في كتاب ربه ، وبين ما يعيش في حياته من مختلف الأحوال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[الأعراف:٢٠١] .
والربط أو التذكر أو التداعي الهاماتُ وفتوحاتُ يفتحها الله تعالى على من يشاء من عباده ، ويحصل عفوًا وأحيانًا يكون قصدًا ، بأن يربط القاري المعنى باللفظ ثم التكرار حتى يرسخ في الذهن ، ويثبت اللفظ مع المعنى في القلب : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[ق:٣٧] .

والربط ينقسم إلى قسمين :

الأول : ربط المعنى باللفظ ، بأن يحفظ الآية ومعناها .

الثاني : ربط العلم بالعمل ، بأن يفهم معنى الآيات ويطبق ما فهمه منها على واقع حياته ، بحيث يبقى القرآن حيًا في القلب تؤخذ منه الأحكام والتوجيهات والآداب في كل صغيرة وكبيرة :﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١- ١٦٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [البقرة:١-٢] .

- **والتكرار الذي يتحقق به الربط ، ويحصل به النفع ، نوعان :**

١- التكرار اليومي .

٢- والتكرار الأسبوعي .

وفي كل تكرار يحصل فهمٌ جديد وعلمٌ جديد وإيمانٌ جديد وتطبيقٌ جديد وعملٌ جديد ، والناس يختلفون في الحفظ وفهم المعاني وحسن التدبر ، كالأرض تختلف في الإنبات إذا نزل عليها ماء السماء :﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج:٥] .

هذه هي أهم مفاتيح تدبر القرآن لمن أراد أن ينتفع بهدي القرآن الكريم ، ويسعد بنور القرآن ، ويخشع لربه عند تلاوة كتابه أو سماعه .

وهذه المفاتيح هي حب القرآن الكريم واستحضار الأهداف من قراءة القرآن ، وقراءة القرآن حفظًا من قلبه ، والجهر بالقرآن والتغني بالقراءة ،

وترتيل القرآن الكريم والتوقف والتكرار أثناء القراءة ، والقيام بالقرآن في الصلاة ، وأن تكون القراءة في صلاة الليل ، وأن يحزب القرآن ويقسمه ليسهل حفظه وفهمه وتدبره ، والربط بين ألفاظ القرآن ومعانيه ، وبين العلم والعمل به في كل حال .

فمن فتح القرآن العظيم بهذه المفاتيح العشرة ، فتح الله له أبواب الفهم والعلم والتدبر ، ووجد طعم الإيمان وحلاوة القرآن ، وحسن التعبد لربه بقلبه وقالبه :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

ومن استعمل هذه المفاتيح العشرة كان كمن استعمل منظار التقريب وتكبير الصور والأشياء ، فرأى الحق حقًا ثم اتبعه ، ورأى الباطل باطلًا ثم اجتنبه ، ووصل من المخلوق إلى الخالق ، وتجاوز الصور إلى المصور ، وتجاوز الدنيا إلى الآخرة .

ومن أراد أن يتدبر القرآن ويتأثر به وينتفع به ، فعليه أن يهيئ الأسباب التي تعينه على فهمه وتدبره ، ولا يقتصر فقط على حسن نطق الألفاظ وما يحصل له من أجور القراءة من حسنات .

٤ - الخزانة الرابعة

إن من حافظ على قراءة القرآن وواظب على ذلك كما تم بيانه ، فإنه بإذن الله سوف يحيي قلبه وتقوى ذاكرته ويزيد إيمانه وعلمه وعمله وتحسن أخلاقه ويرى نور القرآن في قلبه وعلى لسانه وجوارحه ، ويصبح من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون :﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس:٦٢-٦٣] .

وأعظم هدية يقدمها والد إلى ولده ، مدرسُ إلى طلابه ، وأعظم إحسانٍ من إنسانٍ إلى أخيه ، أن يربيه على مفاتيح تدبر القرآن خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن ، وانتشر فيه الفساد والقلق والملل والانحراف والشهوات :﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[الأنعام: ١٥٣]

وقال الله عز وجل :﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر/ ١-٣].

وبإذن الله سوف تنبت الأرض ، وتورق الأشجار ، وتنضج الثمار : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[الأعلى:١٤-١٥] .

والقرآن العظيم هدى ورحمة ، وذكرى وموعظة ، وبيانُ وشفاءُ للقلوب والأبدان : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء:٨٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ ﴾[فصلت:٤٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[آل عمران:١٣٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

وأولادنا وبناتنا أماناتٌ في أيدينا ، فعلينا أن نرغبهم بقراءة القرآن ، وتدبره وحفظه بأن نكون قدوة لهم في حسن تدبره والإكثار من تلاوته :﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف:١٧٠] .

وإذا وصلت إلى تدبر القرآن الكريم ، وتدبر السنة النبوية فهذا نورٌ على نور ، يجمع بين العلم والعمل ، ويصلح به الظاهر والباطن ، ويكون به جمال الأقوال والأعمال والأخلاق :﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾[التغابن:٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

- **لماذا نتدبر القرآن ؟ .**

القرآن العظيم كتاب كريم فيه تبيان كل شيء ، وبه أخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الشرك إلى التوحيد ومن الجهل إلى العلم ومن الضلالة إلى الهداية : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٥-١٦] .

لهذا يجب على كل مسلم ومسلمة تدبر القرآن لما فيه من المصالح العظيمة والمنافع الجمة والأجور العظيمة .

فأولًا : نتدبر القرآن الكريم لنعرف الرب المعبود بأسمائه الحسنى وصفاته العلا وأفعاله الجميلة ، ونعرف عظمة خزائنه ونعرف عظمة ملكه وسلطانه ونعرف عظمة أمره وشرعه ونعرف عظمة وعده ووعيده وعظمة ثوابه وعقابه ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

وبذلك نعبد الله حق عبادته إذا عرفناه بأسمائه وصفاته .

ثانيًا : نتدبر القرآن لنعرف أصل هذا الإنسان ، ونعرف الكرامات التي أكرمه الله بها ، ونعرف الخصائص التي خصه الله بها ، ونعرف الدين الحق الذي يجب أن يعمل به ليسعد في دنياه وأخراه ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء:٧٠] .

نتدبر القرآن لنعرف ماذا يريد الله من هذا الإنسان ؟ وماذا يعطيه ربه إذا آمن به ؟ وماذا يريد هو من ربه ؟ وما هي الأعمال والصفات التي يرضى الله بها عنه ؟ وما هي الأعمال والصفات التي يسخط الله بها عليه ؟ ..:﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر/ ١-٣].

وقال الله عز وجل :﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾[التين:٤-٦] .

وقال الله عز وجل :﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٣-١٤] .

ثالثًا : ونتدبر القرآن لنعرف الحق من الباطل ونعرف التوحيد من الشرك ، ونعرف الخير من الشر ، ونعرف الفضائل من الرذائل ، ونعرف أولياء الله من

أولياء الشيطان :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد: ١٩] .

رابعًا : نتدبر القرآن الكريم لنعرف ما هي الواجبات الكبرى التي يجب على كل مسلم ومسلمة القيام بها لنصرة الدين وأركانه وإبلاغ دينه وتعليم شرعه والإحسان إلى خلقه ، ونعرف فضائل هذه الأعمال ليسهل علينا القيام بها ، ونعرف الأجور العظيمة لمن قام بها ، ونعرف الخسائر والعقوبات لمن تركها :﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢]

وقال الله عز وجل :﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥] .

فتوعد الله لمن كتم هذا العلم العظيم بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[البقرة: ١٥٩- ١٦٠] .

خامسًا : نتدبر القرآن العظيم ليزيد إيماننا ويقوى توحيدنا وتحسن أقوالنا وأعمالنا وأخلاقنا ، وذلك بالنظر والتفكر والتدبر للآيات الكونية والآيات الشرعية :﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦ -٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

ونتدبر القرآن لنعرف حياة الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله .

سادسًا : ونتدبر القرآن لنعرف حياة الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله هداية إلى عباده إلى الصراط المستقيم ، ونعرف طريقة حياتهم وصدق إيمانهم وجميل صفاتهم وإحسانهم إلى الخلق وكمال تقواهم وصبرهم في جميع الأحوال على من كذبهم وسبهم واستهزأ بهم من أقوامهم .

وكيف جعل الله العاقبة لهم وذلك لنقتدي بهم في الإيمان والتوحيد وأقوالهم الحسنة وأعمالهم الصالحة وأخلاقهم الكريمة والدعوة إلى الله وتعليم شرع الله والإحسان إلى الخلق :﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف:١١١] .

وقال:﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾[مريم:٤١] .

وقال:﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم:٥٤] .

وقال:﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾[مريم:٥١] .

وقال:﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾[مريم:٥٦] .

وقال:﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾[ص:٤٥-٤٧] .

سابعًا : نتدبر القرآن لنعرف عدو الإنسان الذي لا يغفل عنه أبدا وهو الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والدنيا التي تشغل العبد عن الدين والهوى الذي يصد عن الهدى ، وإذا عرفنا العدو اتقيناه وحاربناه :﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[فاطر:٦].

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾[يس:٦٠:٦١].

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾[فاطر:٥].

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[القصص:٥٠] .

ثامنًا : نتدبر القرآن الحكيم لنعرف قيمة الدنيا التي نحن فيها ، ونعرف قيمة الآخرة التي سوف نصير إليها ، ونعرف ماذا يجب علينا أن نعمله في هذه الحياة الدنيا ؟ وماذا يجب علينا أن نتركه ؟ وماذا أعد الله في الدنيا والآخرة من النعيم والأمن والسعادة لمن آمن به ؟ وماذا أعد الله في الدنيا والآخرة من العذاب والضنك لمن كفر به وعصاه ؟

ليكون ذلك محركًا للقلوب بأنواع العبادات والطاعات وزاجرًا عن المعاصي والسيئات :﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد: ٢٠-٢١] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾[فاطر:٥].

فهذه المعارف الكبرى من أعظم أمارات تدبر القرآن والقرآن كله يقرر هذه المسائل العظيمة الكبرى .

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم فقه هذه المعارف العظيمة والعمل بموجبها ومن تحصل على ذلك بفضل الله فقد دخل جنة المعرفة في الدنيا الموصلة إلى جنة الآخرة يوم القيامة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

٥- الخزانة الخامسة

- **مقاصد الإسلام الكبرى :**

من مقاصد الإسلام الكبرى هداية الناس إلى الحق فقد أنزل الله القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩] .

وقال عز وجل : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[البقرة:١٨٥] .

ومن آمن بذلك وجب عليه أن يهتدي بالقرآن ويحكم أوامره في حياته ويتأدب بآدابه ويصدق أخباره ويمتثل لأوامره : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص:٢٩] .

فمن آمن بالقرآن وصدق بأخباره وعمل بأحكامه ، حصلت الهداية له والبركة في عمره وأعماله ، وفي جميع أحواله : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[الزمر:١٧ -١٨].

ومن مقاصد القرآن تقرير التوحيد ونفي ضده وهو الشرك ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦] .

والقرآن كله دعوة للتوحيد ونهي عن الشرك ، فلابد لكل عبد من إخلاص العمل لله ، ولابد له من أدائه على ما جاء به رسول الله ﷺ فلابد من هذين التوحيدين .

توحيد القصد : وهو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك .

وتوحيد الإتباع : للرسول ﷺ.

إذا تحقق التوحيدان صحت الأعمال ، وإذا اختل أحدهما فإنه يختل من عمل العبد بقدر ما اختل من توحيده : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فأصل الدين كله عبادة الله وحده لا شريك له الرب العظيم المتفرد بالخلق والأمر المتفرد بالأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الحميدة والمثل الأعلى ، المتفرد بالنعم الظاهرة والباطنة ، المتفرد بصفات العظمة والمجد وصفات الجلال والجمال ، المتفرد بالحكم والأمر القدري والشرعي والجزائي .

فمن له هذا الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد هو أحق من أخلصت له الأعمال الظاهرة والباطنة : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣] .

فكل خير عاجل أو آجل فإنه من ثمرات التوحيد ، وكل شر عاجل أو آجل فأنه من ثمرات ضده : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢].

ومن مقاصد الإسلام الكبرى تقرير نبوة محمد ﷺ فقد قرر الله عز وجل نبوة محمد ﷺ بطرق كثيرة متنوعة يعرف بها كمال صدقه ﷺ: ﴿ لَقَدْ

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

فأخبر سبحانه أن رسوله صدق المرسلين ودعا إلى ما دعوا إليه وأن جميع المحاسن التي في الأنبياء جمعها الله في محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين وما نزهوا عنه من النواقص والعيوب فمحمد ﷺ أولاهم به .

وبين الله أن كتابه وشريعته اجتمع فيها الكمال والحسن الذي في الكتب السابقة وفاق عليها وهيمن عليها بمحاسن لم توجد في غيره وبين الله أن رسوله ﷺ نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا جالس أحدًا من علماء الكتب السابقة وأنه جاء بكتاب عظيم لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدروا كما قال سبحانه : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء:٨٨] .

وقص الله عز وجل : في القرآن قصص الأنبياء قبله ، وذكر أخبار خمسة وعشرين نبيًا ورسولًا كآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وغيرهم مما هو مذكور في القرآن ، وتارة يقرر نبوة النبي ﷺ بنصره على أعدائه وغلبته في الأرض وذلك من آيات نبوته بما هو عليه من الأخلاق الجميلة التي قامت التي فاقت نعوت جميع الخلق : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

وتارة يقررها بما هو موجود في كتب الأولين من اسمه وصفاته وتارة يقررها بما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة ، وتارة يقررها بحفظه رسوله ﷺ وعصمته من الخلق مع تكالب الأعداء عليه ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[المائدة:٦٧] .

وتارةً يقرر رسالته ﷺ بذكر أعظم ما جاء به ، وهو القرآن العظيم الذي تحدى به الخلق أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة واحدة فعجزوا ، وهذا أكبر الأدلة على صحة رسالته : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الحجر:٨٧].

وتارة يقرر نبوته بما يظهر على يديه من المعجزات التي تدل على أنه رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وتارة يقرر رسالته ﷺ بعظيم شفقته على الخلق ورأفته ورحمته بالمؤمنين ، وأنه لم يوجد ولن يولد أحد أعظم رحمةً ورأفةً وبرًا وإحسانًا إلى الخلق منه ، فصلوات الله وسلامه عليه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وقال تعالى:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

- **ومن أعظم المقاصد للقرآن الكريم :**

تقدير المعاد ، فالله سبحانه وَتَعَالَى-ذكر في القرآن الأصول العظيمة وهي :

١- أمر التوحيد .

٢- وأمر الرسالة .

٣- وأمر المعاد .

وفصل ذلك أيما تفصيل وبينه أعظ بيان وقد ذكر الله عز وجل أمر المعاد بطرق متنوعة فبين أن الذي خلق الكون قادر على إعادته : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[يس:٨١-٨٢] .

وبين أن الذي خلق الإنسان قادر على إعادته إذا مات ، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقسم على وقوع المعاد في ثلاثة مواضع ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يونس:٥٣] .

وقوله : ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ:٣] .

وقوله عز وجل : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [التغابن: ٧-٩] .

ومنها إحياؤه جل جلاله الأرض بعد موتها فالذي أحياها سيحيي الموتى : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج:٥-٧]

وقرر ذلك بكمال علمه وحكمته وأنه لا يليق به أن يخلق الأرض سدًى مهملين يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون ولا يعاقبون : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٥]

وكذلك قرر البعث بمجازاة المحسنين ومعاقبة المسيئين من الأمم السابقة وكيف أنجا الله الأنبياء وأهلك المكذبين لهم فهذا جزاء معجل ونموذج من جزاء الآخرة :﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا

كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾
[العنكبوت:٤٠] .

وكما أظهر الله قدرته في إحياء الأموات في الدنيا ، كما أحيا الله الألوف من بني إسرائيل : ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾[البقرة:٢٥٩] .
فالله بين أحوال البعث وكررها في القرآن لقوة وكثرة المنازع والمكابر والمعاند والمنكر ، فكل ما قوي الإنكار وكثر المعاند كرر الله إثبات المعاد رادعًا له .

وكذا أكثر الله من ذكر اليوم الآخر لأهمية اليوم الآخر لأن من آمن باليوم الآخر آمن وعمل بالطاعات واجتنب المعاصي والسيئات ، ومن لم يؤمن به فلم يعمل ؛ فلهذين السببين أكثر الله من ذكر البعث في القرآن ليقبل الناس على عبادة الله وحده لا شريك له واجتناب عبادة من سوا :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ ﴾
[النساء:٨٧] .

ومن مقاصد القرآن الكبرى ترغيب المؤمنين في كل عمل صالح وتحذيرهم من كل عمل سيء ، فطريقة القرآن في أمر المؤمنين وخطابهم بالأحكام الشرعية أحسن طريقة فقد أمر الله المؤمنين بالدعوة إلى سبيله بالتي هي أحسن وأكثر ما يدعو الله المؤمنين إلى الخير وينهاهم عن الشر بالوصف الذي منّ به عليهم وهو الإيمان فيقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٠] .
وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

وذلك ليحثهم على القيام بلوازم الإيمان ومكملاته وما يقتضيه الإيمان من وجوب امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه والتخلق بكل خلق حسن .

فالأول : دعوة لهم ليكمله إيمانهم بشرائع الظاهرة والباطنة .

والثاني : دعوة الله إلى شكر النعمة الإيمان بالانقياد التام لأمر الله ونهيه .

وتارة يدعو المؤمنين إلى الخير وينهاهم عن الشر بذكر آثار الخير وعواقبه الحميدة العاجلة والآجلة ، وبذكر آثار الشر وعواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ١٠٨ ﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ ﴾[الانفطار:١٣-١٤] .

وتارةً يدعوهم إلى الإيمان والعمل الصالح بذكر نعمه المتنوعة ، وأن النعمة تقتضي منهم شكر من أنعم بها وشكرها هو طاعة من أنعم بها :﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلًا ٧٠ ﴾[الإسراء:٧٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾[البقرة:١٧٢] .

وتارة يدعوهم إلى ذلك بالترغيب والترهيب وبذكر ما أعد الله للمؤمنين من الثواب ، وما أعد للكافرين والعصاة من العقاب ، وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ

خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢] .

قال عز وجل : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة: ٦٨] .

وتارةً يدعوهم إلى ذلك بذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله ، وما له من الحق العظيم على عباده الذين خلقهم ورزقهم وهداهم ، وأن حقه أن يقوموا بعبادته وحده لا شريك له فالعبادة بأنواعها كلها مقصودها تعظيم الله وتكبيره وحبه وتوحيده وطاعته وعبادته وحده لا شريك له :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢١ - ٢٢]

وتارةً يحثهم على ذلك ويرغبهم في الاقتداء بمن سبقهم من الأنبياء والرسل ، ويحذرهم من التشبه بالكفار وأهل الغفلة والفسق لئلا يلحقهم من اللوم والعذاب ما لحق أولئك، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحشر:١٨-٢٠] .

ومن أعظم مقاصد القرآن أنه يقرر دعوة الكفار إلى الإسلام على اختلافهم بطرقٍ متنوعة ، فيدعوهم إلى الإسلام بذكر محاسن الدين ، وذكر محاسن النبي ﷺ، كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنبياء:١٠] .

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

ويدعوهم تارةً إلى الإسلام بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلا وأفعاله الحميدة وذكر آلاءه ونعمه الظاهرة والباطنة ، ويبين لهم إن الملك الحق الخالق لكل شيء هو الذي يجب على العباد طاعته وعبادته وحده لا شريك له بامتثال أوامره واجتناب نواهيه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ -٢٤] .

وتارة يدعوهم بما يخوفهم به من عقوبات الدنيا وعقوبات الآخرة ، ويذكر أخذه الأمم الكافرة بالعذاب المهلك : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[هود:١٠٢] .

وتارةً يدعوهم إلى الإسلام ببيان ما في الأديان والمذاهب الباطلة من أنواع الشرور والعواقب الخبيثة ويحذرهم من طاعة رؤساء الشر والفساد ودعاة النار ، ويبين ما في الأديان والمذاهب والمناهج الباطلة من القبح والسوء ليبين الحق من الباطل : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة:٥٠] .

ويدعوهم بالتي هي أحسن فإذا أصروا على العناد والمكابرة الظاهرة توعدهم بالعقوبات الصوارم ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال:٣٦].

وبين الله عز وجل في القرآن أن الكفار لم يعرضوا عن الدين جهلًا وضلالًا وإنما ذلك جحودُ وعنادُ ومكابرة : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأنعام: ٣٣] .

ويبين القرآن الأسباب التي منعت الكفار من إتباع الهدى وأنها دياثاتُ وشهواتُ وأغراضُ نفسية : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[آل عمران:١٤] .

وبين أن الكفار لما آثروا الباطل على الحق طبع الله على قلوبهم وختم عليها وسد عليهم طرق الهدى عقوبة لهم على أعراضهم عن الدين ، وتوليهم الشيطان وتخليهم عن ولاية الرحمن ، فولاهم ما تولوا وطبع على قلوبهم فلا يدخل فيها خير ولا يخرج منها خير : ﴿ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾[النساء: ١٥٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[البقرة:٦-٧] .

وقال الله عز وجل :﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأعراف:١٠١] .

ومن مقاصد القرآن العظيم إن الله عز وجل بين في القرآن أنواع الدلالات التي هي من أنفع أنواع العلم ، وإن الدلالات ثلاث :

١- دلالة مطابقة .

٢-دلالة تضمن .

٣-دلالة التزام .

فدلالة المطابقة : هي دلالة اللفظ على جميع معناها .

ودلالة التضمن : دلالة اللفظ على جزء من معناه .

ودلالة الالتزام : دلالة اللفظ على لازم معناه .

ومثال ذلك : إذا قلت هذه دار ، أو قلت هذا جبل ، أو هذا بحر ، ونحو ذلك .

فدلالة هذه الكلمة على ما في الدار من الغرف والأبواب والحمامات دلالة مطابقة ، ودلالتها على كل غرفة بمفردها دلالة تضمن ، ودلالتها على أن لهذه الدار بانيًا دلالة التزام .

وهذه القاعدة العظيمة من انفع أبواب العلم ، والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع إن يفهم المسلم ما دل عليه اللفظ من المعاني ، ثم يفهم ما يترتب عليها وما يتفرع منها وما يجنى عليها وما يشترط لها وما يتوقف عليها ، فأن القرآن حق ولازم الحقِ حق ، وما يتوقف على الحقِ حق ، وما يتفرع على الحقِ حق ، ومن عرف هذا انفتحت له أبواب العلوم كلها :﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » أخرجه البخاري[1].

فمثلًا في أسماء الله الحسنى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة: ١٦٣] .

فاسم الله الرحمن الرحيم يدل بلفظه على وصف الله بالرحمة المطلقة ، وسعة رحمته لجميع خلقه ، وأن الرحمة صفةٌ ذاتية لا تنفك عنه وهذا الوصف يدل بلزومه على كمال حياة الله وقدرته وعلمه وإحاطته ونفوذ مشيئته وكمال حكمته ، ثم استدللت بسعة رحمته على أن شرعه نورُ رحمةُ وهدى ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥] .

وقال تعالى:﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

ولهذا يعلل الله كثيرًا من الأحكام الشرعية برحمته وإحسانه : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران:١٣٢] .

والأمر بالصلاة والزكاة والصوم مثلًا أمرُ بها ، وأمرُ بما لا يتم الواجب إلا به ، وكذا الأمر بالجهاد من لازمه الأمر بكل ما لا يتم الجهاد إلا به ، وكذا الأمر بإعداد ما نستطيع من قوة فإنها تتناول كل قوة عقلية وبدنية وسياسية ومالية وأسلحة ، وكل أمر ينفع الناس القرآن يأمر به ولا يمنعه بل يدل عليه لمن أحسن الاستدلال به .

وهذا من آيات القرآن وأكبر براهينه ووسائل الأمر المشروع مشروعة ، فالأقلامُ والأوراقُ للكتابة ، والمسجل والكهرباء والهاتف وغيرها وسائل لغيرها .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣١١٦).

فالوسائل لها أحكام المقاصد ، أما البدعة فهي مقصودة لذاتها كمن تعبد لله بصلاة أو صوم على خلاف أمر الشرع ، والقرآن لا يمكن أن يعارض بعضه بعضًا : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

٦- الخزانة السادسة

ومن مقاصد القرآن

أنه يحاج أهل الأديان الباطلة بأحسن أساليب الإقناع ، كمحاجة الرسل مع أممهم ، وكيف دعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ؛ لأنه المتفرد بالخلق والرزق والملك الذي وهب للخلق أصناف النعم ، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ [النحل:٧٨] .

وأنه سبحانه المتفرد بدفع النقم ، وأن أحدًا من الخلق ليس يقدر على نفعٍ ولا دفعٍ ولا ضرٍ ، وأنه بمجرد معرفة العبد بذلك ينقاد للدين والإيمان وعبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه ، وأنه الطريق الوحيد لشكر النعم : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾ [آل عمران: ٦٤] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ ﴾ [يونس:٣١-٣٢].

فالله عز وجل يبين عظمته وجلاله وجلالته ، الله عز وجل يبين عظمته وكبريائه وأنه الخالق لكل شيء فليعبدوه وحده لا شريك له : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان:١٠-١١] .

وقال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٢] .

وقال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر:٦٢ -٦٣] .

فمن هذا شأنه وهذا خلقه وهذا شرعه ، هو الذي يجب أن يعبده الخلق حده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

وهذا الأصل كبير وكثير في القرآن ؛ لأن الله يقول للناس انه لا يليق بكم أن تجعلوا لمخلوق العبد الفقير العاجز المحتاج من كل وجه بعض حقوق الرب الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا والأفعال الحميدة ، الخالق الغني القادر من كل وجه ، ويتحداهم أن يأتوا بكتابٍ أو شريعة أهدى وأحسن من هذه الشريعة ، أو يعادلوا القرآن فيأتوا بمثله إن كانوا صادقين :﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل:١٧] .

وقال الله عز وجل :﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

﴿ ٧١ ﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿ ٧٢ ﴾ [الأنعام:٧١-٧٢] .

ويأمر الله عز وجل : نبيه بمباهلة أهل الكتاب ممن ظهرت مكابرته وعناده ، فينكثون عنها لعلمهم أنهم لو باهلوه لهلكوا : ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿ ٦٠ ﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿ ٦١ ﴾ [آل عمران: ٦٠-٦١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ ١٢٣ ﴾ [هود:١٢٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿ ٦٥ ﴾ [مريم:٦٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿ ٩ ﴾ [الحديد: ٩]

ومن مقاصد القرآن أن حذف المتعلق يفيد تعميم المعنى المناسب له ، فكل فعلٍ متى قيد بشيء تقيد به ، أما إذا أطلق فأنه يفيد عموم المعاني النافعة ، ومن ذلك ورد في القرآن في عدة آيات : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، وهكذا مما ورد مطلقًا .

فيدل ذلك على أن المراد لعلكم تعقلون عن الله كل ما أرشدكم إليه ، وكل ما علمكم إياه ، وكل ما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة .

لعلكم تذكرون جميع مصالحكم الدينية والدنيوية ، لعلكم تتقون ما يجب اتقاءه من الذنوب والمعاصي ، فقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ

عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣] .

يفيد كل ما قيل في حكمة الصيام ، لعلكم تتقون كل ما حرم الله ، لعلكم تتقون ما حُرم على الصائمين من المفطرات ، لعلكم تتصفون بصفة التقوى ، لعلكم تتقون كل شيء من الكفر والفسوق والعصيان ، لعلكم تتقون غضب الله وسخطه إذا عصيتموه ، لعلكم تتقون عذاب جهنم وذلك بفعل الأوامر واجتناب النواهي .

وكذلك ما أطلقه الله كلفظ المؤمنين، الذين آمنوا ، يدخل في جميع ما يجب الإيمان به من أركان الإيمان به وشعبه ، وكذلك لفظ الإحسان ، وأحسنوا والمحسنين :﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ [الرحمن:٦٠] .

يدخل في ذلك كله الإحسان في عبادة الخالق ، بأن يعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فانه يراك ، ويدخل فيه الإحسان للخلق بجميع وجوه الإحسان بالدعوة والتعليم والمال والجاه والأقوال والأعمال .

وكذلك لفظ التكاثر والخُسر والدلال والهدى وغيرها ، وكذلك لفظ الصدق والإخلاص والصبر ، أطلقت كل هذه الألفاظ لتعم كل الأنواع المتصلة بها ، وكذلك الحكم المعلق بوصف يدل عليه ذلك الوصف ، ويدل على أنه يعم بعموم هذا الوصف ، وأنه يقوى بقوة ذلك الوصف ويضعف كلما ضعف ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ [الحجر: ٤٥] . وغيرها من الآيات .

- **ومن مقاصد القرآن :**

إنشاء اليقين على عظمة الله ، وعظمة كتابه ، وعظمة دينه وشرعه ، وعظمة وعده ووعيده .

فالقرآن العظيم كتابٌ كريم وكتابٌ مجيد وكتابٌ عزيز وكتابٌ حكيم وكتابٌ عظيم ، يجب علينا أن نتلقاه بحسنِ القراءة والاستماع والتدبر والتفكر وكمال اليقين ، وكتاب رب العالمين ليس كمثله شيء من الكتب ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[المائدة:١٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾[الأعراف: ٢٠٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠] .

فلا تعد مستمعًا حتى تطبق ما سمعت : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ ﴾ [التحريم:٤].

والله عز وجل : خلق الدنيا ونورها بالقرآن ، فمن لم يكن من أهل القرآن فهو في الظلمات : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[الأنعام:١] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾[الكهف:١] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩] .

فعلى المسلم أن يجعل له قراءة تعبد لتحصيل الجر والثواب ، فيقرأ كل يوم ثلاثة أجزاء مثلًا فكل حرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها ، ويجعل له قراءة

تفكر وتدبر ، ولو يقرأ كل يوم آية واحدة ينتفع بها ويذكر الناس بها ، ويعمل بها وتحمله على طاعة الأوامر واجتناب المناهي .

فإن كنت خائفًا فأفزع إلى قوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤] .

وإن كنت أيها المسلم مهمومًا فافزع إلى قوله سبحانه : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨] .

وإن كنت راغبًا في الولد فأفزع إلى قوله سبحانه : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠] .

إن كنت تخاف مكر أحدًا فأفزع إلى قوله سبحانه : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر:٤٤-٤٦] .

وإن كنت تخاف من البلاء فأفزع إلى قول سبحانه : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤] .

فالقرآن العظيم ينشئ اليقين على ذات الله وعلى أسمائه وصفاته وأفعاله وعلى كتابه وعلى أوامره ، ومن تدبر القرآن وجد هذه البركات وانتفع بها ، فهو هدي وشفاء وسعادة: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

ومن أراد طلب الدنيا ليعف نفسه فليفزع إلى قول سبحانه : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾[الكهف: ٣٩-٤٠] .

فلا تكون أيها المسلم مستمعًا للقرآن إلا إذا طبقت ما سمعت من أحكام ، ورب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه ، وكلما تذللت لله رفعك الله ، وكلما تواضعت لله رفعك الله ، ففي درس بدر افتقار إلى الله ونصر من الله ، فإيمان كامل يثمر نصرُ كامل : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[آل عمران:١٢٣] .

وفي درس حنين أدب الله المؤمنين ، كما قال سبحانه : لهم حين أعجبوا بالكثرة والقوة : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[التوبة:٢٥- ٢٧] .

فدرس بدرٍ أليم جدًا ودرس حنين خطير جدًا ، فالمؤمن الصادق في قلبه تعظيم الله وتعظيم كتابه ، وفي قلبه حب الله وحب كتابه ، وفي قلبه خوف من الله ، ففي الآيات الكونية يرى المؤمن عظمة الله : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف:٥٤] .

وبرؤية النعم يحصل في القلب حب الله : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤]

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣] .

وبرؤية العقوبات والمصائب يخاف العبد من الله : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾[الأعراف: ٥٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[الأعراف:٢٠٥] .

فالمؤمن الحق هو من يحب ربه ويحب من يحبه ويحبب الناس إلى ربه بذكره وذكر نعمه ، ويحب العمل الذي يقربه إلى ربه ، فلتكون محبوبًا عند الله ذكر الناس بآلاء الله ليعظموه وذكرهم بنعمه ليحبوه ويشكروه ، وذكرهم ببلاء الله ليخافوه ويهابوه ، : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾[التغابن:١٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران:١٧٥] .

وكل عبادة وكل طاعة وكل عملًا صالح هو ذكر لله ، ومن ذكر الله ذكره : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٥] .

فذكر الله أكبر ما في الصلاة وذكر الله لك أعظم من ذكرك له ، فإن ذكرته في نفسك ذكرك في نفسه وإن ذكرته في ملأ ذكرك في ملأٍ خير منه ، يذكرك سبحانه فيهبك كل خيرٍ وسداد في القول والعمل ، والمؤمن بحاجة عظيمة إلى إكثار الذكر وتكراره في الغدو والآصال قبل الذهاب إلى العمل وعند العودة من العمل : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٥] .

وإذا ذكرت الله فأعلم أن الملائكة لا يغفلون عن الذكر أبدًا ، فكن ذاكرًا ولا غافلاً : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨]

القرآن العظيم كتابُ عظيم لا اختلاف فيه ولا تضاد ، وهو في غاية البلاغة والفصاحة ، فقد أخبر الله في القرآن الكريم أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وفي بعضها يذكر الأسباب الموجبة للهداية أو الضلال من جهة العبد ، فإذا أخبر الله أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء أو يعز من يشاء ويذل من يشاء أو يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ونحو ذلك .

فهذا يدل على كمال توحيده ، وأنه الملك المتفرد بخلق الأشياء وتدبير الأمور ، وأن خزائن جميع الأشياء بيده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لأنه العليم الخبير ، يهدي ويضل ويعطي ويمنع ويبسط ويقبض ، فيقتضي ذلك من العباد أن يسألوه وحده طلب ما يحبون ودفع ما يكرهون ، وأن يتوكلوا عليه وحده لا شريك له ، ولا يسألوا أحدًا سواه:﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾[الحجر:٢١] .

وقال الله عز وجل :﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران:٢٦] .

وأحيانا يذكر أسباب ذلك ليعرف عباده بالأسباب والطرق التي يحبها فيسلكون النافع ويدعون الضار ، كقوله سبحانه :﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[الليل:٤-١٠] .

وقوله :﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[المائدة: ١٦] .

وقوله سبحانه :﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[البقرة:٢٦] .

الله يهدي من كان قصده الخير واتبع رضوان الله ويضل من فسق عن طاعة الله ، وهكذا يذكر أحيانًا أنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، كما قال سبحانه :﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ

تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٤] .

وأحيانًا يذكر الأسباب التي تنال بها المغفرة والرحمة ، ويستحق بها العذاب ، كقوله سبحانه : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه:٨٢] .

وكقوله : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

وقول الله عز وجل: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣ - ١٣٤] .

وكذا أخبر سبحانه : أنه يرزق من يشاء ، وأحيانًا يذكر أسباب الرزق ، وأنه بسبب لزوم طاعة الله ورسوله ، والسعي الجميل مع لزوم التقوى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق:٢-٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦] .

وانتظار الفرج والرزق كقوله سبحانه : ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الطلاق:٧] .

وكثرة الذكر والاستغفار : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح:١٠ -١٢] .

٧- الخزانة السابعة

- **من مقاصد القرآن الكبرى :**

بيان عظمة الله بذكر أسمائه وصفاته وأفعاله وعظمة ملكه وسلطانه ، وختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم ، وذلك يدل على أن الخلق والأمر والشرع كله صادر عن أسماء الله الحسنى وصفاته العلا وأفعاله الحميدة ومرتبط بها ، وهذا بابٌ عظيم من معرفة الله ومعرفة أحكامه القدرية والشرعية والجزائية وأنها موجب أسماء الله وصفاته .

فنجد مثلًا آيات الرحمة مختومة بأسماء الرحمة ، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة والقوة والقدرة والحكمة والعلم والقهر ، وآيات الخلق والتدبير مختومة بأسماء العلم والقدرة والقوة ، كقوله سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[البقرة:٢٩] .

وقوله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢] .

وذلك يدل على إحاطة علم الله بالسموات والأرض وما فيهما من العوالم العظيمة ، وأنه قادر على ذلك كله وأنه حكيم من حيث وضعها لعباده وأحكم صنعها وصنع ما فيهما من المخلوقات وأحسن خلقها على أكمل صورة ونظام : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل: ٨٨]

وأن خلقه المخلوقات العظيمة من أكبر الأدلة على علمه الواسع ، فكيف يخلقها وهو لا يعلم ؟

قال الله عز وجل: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك: ١٤] .

وكذا الملائكة لما راجعوا الله في جعل آدم خليفة في الأرض ، فاظهر الله علم آدم لهم فقالوا : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾[البقرة: ٣٢].

فاعترفوا لله بسعة علمه وكمال حكمته وأنهم مخطئون ، وكذا ختم الله بعض الآيات بالتواب الرحيم بعد ذكر رحمته ومغفرته وهدايته وتوفيقه وحلمه ، ليدل على أنه لما كان هو التواب الرحيم أقبل بقلوب عباده التائبين إليه ووفقهم للأعمال الصالحة التي يتوب عليهم ويرحمهم بها ، كما غفر لهم ورحمهم فتاب عليهم بتوفيقهم للتوبة والأسباب ، ثم تاب عليهم ثانية حين قبل متابهم وأجاب سؤالهم ، وكذا لما ذكر الله النسخ في قوله : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[البقرة: ١٠٦] .

فختمه للآية باسمه القدير ليدل على كمال قدرته وعلمه وحكمته وتصرفه الكامل في ملكه وعباده ، وأنه يحكم بين عباده وفي ملكه بأحكام القدرية والشرعية والجزائية ، فلا حجر عليه في شيء من ذلك : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

وكذا قوله سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾[البقرة: ١١٥] .

ليدل على أنه واسع الفضل واسع الملك ، فجميع العالم العلوي والسفلي داخل في ملكه وعلمه محيط بجميع ملكه الواسع ومحيط بجميع المكان والزمان والكل ملكه ، يصرف عباده إلى أي جهة شاء لعظمة قدرته وسعة ملكه وكمال حكمته .

وأحيانًا يذكر الله عز وجل أسمائه الحسنى ولا يصرح بذكر أحكامها وجزائها ، لينبه عباده أنهم إذا عرفوا الله بذلك الاسم العظيم عرفوا ما يترتب عليه من الأحكام ، كقوله سبحانه : ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾[البقرة: ٢٠٩] .

لم يقل عقوبتكم كذا بل صرح باسمه العزيز الحكيم ، ليدل على أن من عرف عزه الله وقهره وقوته وغلبته ، وعرف حكمته في وضع الأشياء موضعها ، أوجب له ذلك الخوف من البقاء على الذنوب والزلات لأن من حكمته إثابة من يستحق الثواب وعقوبة من يستحق العقاب المصر على ذنبه مع علمه ، وأنه لا يخرج أحدُ عن حكمه وجزاءه لكمال عزته وقهره .

وكذا قوله عز وجل : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾: [المائدة:٣٨].

، أي عز وحكم فقطع يد السارق .

وكذا حتى نهاية المواريث بقوله : ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾[النساء: ١١] .

ليدل على أنه العليم الحليم الذي يعلم ما لا يعلمه العباد ، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها ، ولو ترك الأمر للناس لدخل في القسمة الهوى والجهل والظلم والفوضى .

ولهذا فكل من قدح في شيء من أحكام الله الشرعية ، فهو قاده في علم الله وفي حكمته ، ولهذا يذكر الله العلم والحكمة بعد ذكر الأحكام ، وكذا يذكرهما الله عز وجل في آيات الوعد والوعيد ليبين للعباد أن الشرع والثواب والعقاب مربوطُ بحكمة الله وعلمه ، وكذا قوله سبحانه : ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾[الحج: ٥٩] .

ختمها بالعلم والحلم يقتضي علمه بنياتهم الجميلة وأعمالهم الصالحة فيجازيهم على ذلك بالفضل العظيم ، ويعفو ويحلم سيئاتهم فكأنهم ما فعلوها .

وختم الثانية بالعفو الغفور: ﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[الحج: ٦٠].

فيدل على انه أباح العقوبة بالمثل وندب إلى مقام الفرد وهو العفو .

وختم الآية الثالثة بالسميع البصير :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾[الحج: ٦١] .

فيدل على سعة سمعه لجميع الأصوات وبصره بجميع حركات المخلوقات على اختلاف الأوقات .

وختم الآية الرابعة بالعلي الكبير ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج:٦٢] .

ليدل على أن علوه المطلق وكبرياءه وعظمته ومجده تضمحل معها المخلوقات كلها ويبطل معها كل ما عُبد من دون الله ، وأنه لا يستحق العبادة وحده إلا العلي الكبير سبحانه .

وختم الآية الخامسة باللطيف الخبير ، كما قال سبحانه : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحج: ٦٣] .

ليدل على سعة علمه وخبرته بالظواهر والبواطن ، وبما تحتوي عليه الأرض من أنواع البذور وأصناف النبات ، وأنه سبحانه : لطيف بعباده حيث اخرج لهم أصناف الرزق والنبات والثمار بما أنزله من المساء من الماء . وختم الآية السادسة بالغني الحميد ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾[الحج:٦٤].

ليدل على أن خلقه للسموات والأرض وما بينهم من المخلوقات ليس لحاجة منه لها ولا ليتكمل بها فأنه الغني المطلق الحميد الكامل ، وليعلم خلقه على أنه الغني عن ما سواه وهم جميعًا فقراء إليه من كل وجه ، وأنه الحميد في أقداره وشرعه وجزائه ، المحمود على جميع أسمائه وصفاته وأفعاله ، فله الحمد المطلق :﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧] .

وختم الآية السابعة بالرؤوف الرحيم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۚ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾[الحج:٦٥] .

ليدل على أن من رأفته ورحمته تسخير المخلوقات لبني آدم ، وحفظ السماوات والأرض وإبقاءها لألا تزول فتختل مصالحهم ، وسخر لهم البحار والأنهار لتجري في مصالحهم ومنافعهم ، فرحمهم حيث خلق لهم السكن وأودع فيه كل ما يحتاجونه .

وفي سورة الشعراء ختم الله قصة كل نبي من الأنبياء بقوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٩] .

ليدل على أن نجاة كل نبي وإتباعه برحمة الله ولطفه ، وإهلاك المكذبين له ، وذلك من آثار عزته ، وأنجى كل رسول وأتباعه بكمال قوته وعزته ورحمته ، وأهلك المكذبين لهم بكمال عزته وحكمته وقوته .

وفي سورة المائدة قال عيسى : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[المائدة: ١١٨] .

ليدل على كمال عزته وحكمته ، لأن المقام ليس مقام استعطاف واسترحام ، وإنما هو مقام غضبٍ وانتقام ممن اتخذوا إلهًا مع الله ، ومن اللطف مقامات الرجاء أن يذكر الله أسباب الرحمة وأسباب العقوبة ثم يختمها بما يدل على الرحمة .

في قوله سبحانه : ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٣] .

ليدل على أن رحمته سبقت غضبه ، وصار لها الظهور على الغضب ، ولهذا يخرج الرحمن من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، فهؤلاء يخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بكمال رحمته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة:١٤٣] .

القرآن كله محكمُ باعتبار وكله متشابهُ باعتبار ، وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار ثالث ، وقد وصف الله القرآن الكريم بكل واحدة من هذه الأوصاف ، فوصفه بأنه محكم بآيات كثيرة ، كما قال سبحانه : ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾[هود:١] .

وقوله سبحانه : ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾[يس:١-٢] .

فالقرآن في غاية الإحكام والإتقان ، فأخباره كلها حق وصدقٌ لا تناقض فيها ولا اختلاف ، وأوامره كلها خيرُ وبركة وعدل وصلاح ، ونواهيه زاجرة عن الشرور والأضرار والأعمال السيئة والخلاق الرديئة ، فهذا إحكامه وإتقانه فأخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل :﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝١١٥﴾[الأنعام:١١٥].

صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام .

ثانيًا : وصفه الله بأنه متشابه في قوله سبحانه : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾[الزمر:٢٣] .

فالقرآن كله متشابهُ في الحسن والصدق والحق ، وألفاظه أحسن الألفاظ ومعانيه أحسن المعاني التي تزكي العقول وتطهر القلوب وتزين الجوارح بأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق .

ثالثًا : وصف الله القرآن بأن بعضه محكم وبعضه متشابه ، في قوله سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ [آل عمران:٧] .

فبعض القرآن محكم وبعضه متشابه ، والراسخون بالعلم يردون المتشابه إلى المحكم فيصير كله محكمًا ، ويقولون كلُ من عند ربنا وما كان من عند الله فلا تناقض فيه ، فما اشتبه في موضع فسره الوضع الأخر المحكم .

فحصل العلم وزال الإشكال ولذلك أمثلة ، مثل يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، تعز من تشاء وتذل من تشاء ، فهدايته وإضلاله وعزته وإذلاله ليس جزافًا من غير سبب كما يظنه البعض ، فإذا رددنا المتشابه إلى المحكم الذي

يدل على عن الهداية لها أسباب من العبد يتصل بها ، كما في قوله سبحانه : ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[المائدة: ١٦] .

وإن إضلاله لعبده لها أسباب من العبد وهو توليه الشيطان ، كما قال سبحانه : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠ ﴾[الأعراف: ٣٠] .

وقوله عز وجل : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾ [الصف:٥] .

فالآيات والنصوص الشرعية كلها حق ويجب على المسلم تصديقها والإيمان بها كلها ، فهي متكاملة لا متعارضة ، وما أجمل في موضع فسرته آياتٌ أخرى في موضع أخر ، والقرآن كله محكم أقواله كلها صدق وأحكامه كلها عدل ، ليس فيها كذب ولا ظلم كلها يسر ليس فيها مشقة ، وهو كتابُ متشابه يشبه بعضه بعضًا في الحسن والكمال والجودة في الأسلوب فجمع بين الأمرين الحكام والتشابه ، والخير في الأخبار يكون بمخالفة الصدق والخير في الأحكام يكون بمخالفة العدل ، وكتاب الله كله صدق وعدل : ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥ ﴾[الأنعام: ١١٥].

والحكمة في وجود المحكم والمتشابه في القرآن الابتلاء والاختبار ، ليحي من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ، فمن دعا ميتًا أو صنمًا وطلب منه شفاء مريض أو تحصيل رزق ثم حصل له ما طلب .

القرآن الكريم يجرى في إرشاداته مع الزمان والأحوال في أحكامه الراجعة إلى العرف والعادة ، فالله مثلًا أمر عباده بالمعروف ، وهو المعروف حسنه شرعًا وعقلًا وعرفًا ، ونهاهم عن المنكر وهو المعروف قبحه شرعًا وعقلًا ، وأمرهم كذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووصفهم بذلك، فقال

سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران:١١٠] .

فما كان من المعروف لا يتغير بالأحوال والأوقات كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من الشرائع الراتبة بكل وقت ، والواجب منه على الأخريين كالواجب على الأولين من هذه الأمة ، وكذا ما كان منهم قد لا يتغير بتغير الأوقات والأحوال كالشرك والكفر والقتل والزنا وشرب الخمر ، وغيرها مما نهى الله عنه ، فذلك ثابت في كل مكان وزمان لا يتغير ولا يختل حكمه أبدًا .

أما ما يختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال ، فالله عز وجل يرد الناس إلى العرف والعادة والمصلحة المتعينة في ذلك الوقت ، فمثلًا أمر الله بالإحسان إلى الوالدين والأقارب وسائر الخلق بالأقوال والأعمال ، ولم يعين شيئًا خاصًا من الإحسان والبر ليعم كل ما تجدد من الأحوال والأوصاف :﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣] .

وكذلك ضده من العقوق والإساءة ينظر فيه إلى العرف ، وكذلك صلة الأرحام أمر الله بها أمرًا مطلقًا يرجع فيه إلى ما سماه الناس صلة ؛ لأن المقصود بالصلة زوال ما في القلوب من التباغض وائتلافها ، وكذلك المعاشرة بالمعروف ، وكذا : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾[البقرة:٢٢٨] .

يرجع فيه إلى العرف في كل بلد وحال ، وكذا : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف:٣١] .

أمر الله عبادة بالأكل والشرب واللباس ولم يعين شيئًا من الطعام أو الشراب أو اللباس ، لأن ذلك يختلف بحسب الحال والزمان والمكان ، وكذا : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

فأمر بالأعداد للقوة والسلاح مطلقًا ولم يحدد نوعًا ليشمل كل قوة وسلاح حسب المكان والزمان والحال .

وهكذا لفظ التجارة ليشمل كل تجارة أجازها الشرع وصاحبها الرضا ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة:٩-١٠] .

ومن مقاصد القرآن الكريم أنه بين كل شيء ، فالقرآن العظيم تبيانًا لكل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

فإن القرآن اشتمل على أعظم القصص وأعظم العلوم وأحسن الشرائع وأوصل المعاني إلى القلوب بأيسر شيء وأحسنه ، ومن ذلك ضرب الأمثال لتوضيح المعاني النافذة بالأمور الحسية ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي عين .

وهذا من عناية الله بعبادة وإيصال العلوم النافعة لهم بأيسر شيء ، فقد مثل الله العلم والوحي في القلوب كالغيث النازل من السماء وشبه قلوب الناس بالأراضي والأودية ، وأن عمل العلم والوحي في القلوب كعمل الغيث والمطر في الأراضي .

فمنها أراضي طيبة تقبل الماء وتنبت الكلأ والعشب الكثير كمثل القلوب التي تفهم عن الله ورسوله وحيه وكلامه وتعقله وتعمل به وتتعلمه وتعلمه بحسب حالها كالأراضي بحسب حالها ، ومنها أرض تمسك المال وتحفظه ولا تنبت الكلأ فينتفع الناس بالماء الذي تمسكه فيشربون ويسقون مواشيهم وأراضيهم ، كالقلوب التي تحفظ الوحي من القرآن والسنة وتلقيه إلى الأمة ، ولكن ليس عندها الدراية والمعرفة مثلما عند ما قبلها ، فهؤلاء على خير ولكنهم دون أولئك .

ومنها أراضي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ كمثل القلوب التي لا تنتفع بالوحي لا حفظًا ولا علمًا ولا عملًا ولا تعليمًا ، وكذلك شبة الله كلمة التوحيد بالشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بأذن ربها .

فشجرة التوحيد في القلب ثابتة تؤتي أكلها كل وقت من النيات الطيبة والأقوال الحسنة والأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة ، وهي صاعدة كالشجرة إلى السماء لإخلاص صاحبها وعلمه ويقينه على ربه .

ومثّل الله من اتخذ مع الله إلهًا آخر يتعزز به من المشركين ويزعم أنه ينفعه ويدافع عنه ويدفع عنه ما يضره ، شبهه في ضعفه ووهنه بالعنكبوت التي بيتها من أضعف البيوت فازداد باتخاذه ضعفًا على ضعف .

كذلك المشرك ما زاده باتخاذ وليا ونصيرًا من دون إلا ضعف ؛ لأنه قلب قطع عن الله القوي وتعلق بالمخلوق الضعيف ، فأزداد وهنًا على وهن ، فانه اتكل عليه وظن حصول النفع منه فخاب ظنه وأنقطع عمله : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ﴾ [العنكبوت: ٤١] .

إما المؤمن فانه قوي بتوحيده وإيمانه ، قويًا باتصاله بالقوي القادر سبحانه : الذي بيده كل شيء : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

ومثّل الله أعمال الكافر بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماءً فإذا وصله إليه لم يجده شيئًا بل وجده الله عنده فوفاه حسابه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ ﴾[النور:٣٩] .

ومثّل الله كذلك أعمال الكافر بالرماد الذي جاءته الرياح فذرته فلم تبقِ منه شيئًا : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾ [إبراهيم: ١٨] .

وهذا مناسب لحال الكافر وبطلان عمله ، فإن كفره ومعاصيه بمنزلة النار المحرقة ، وعمله بمنزلة الرماد والسراب الذي لا ينفع أو لا حقيقة له .

ومن مقاصد القرآن أن الله عز وجل أرشد عباده في القرآن إلى ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، وبين أن إرشاده ينقسم إلى قسمين :

الأول : أخبار فيها موعظة وعبرة وأوامر ونواهي فيها حكمة ورحمة وأكثر إرشادات القرآن إلى هذا النوع : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[الحج:٧٧] .

الثاني : إرشاد العقول إلى استخراج الأشياء النافعة من أصولٍ معروفة من جماد ونبات وحيوان وغيرها ؛ لإعمال الفكر للاستفادة منها و الاعتبار بها ، كالنظر والتدبر في خلق السموات والأرض التي خلقها الله لتدل على عظمته وسخرها لنا وكإنزال الحديد وأن فيه بأسا شديد ومنافع للناس : ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦ -٨] .

وقال الله عز وجل :﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾﴾[الحديد:٢٥] .

- **وهذا التفكر يفيد علمين جليلين :**

أحدهما : أننا نستدل بهذه المخلوقات العظيمة على عظمة خالقها وعلى نعمة التي لا تعد ولا تحصى ، وعلى صدق ما أخبر به من الميعاد والجنة والنار وصدق الرسل ، وهذا أجل العلمين وأعلاهما .

الثاني : أننا نتفكر فيها ونستخرج منها المنافع فإذا علم الإنسان أن في الحديد منافع اجتهد ليستخرج منه تلك المنافع ، كما هو حاصل في زمننا هذا من أنواع الصناعات المختلفة من هذا المعدن العظيم .

وكذلك سخر لنا الأرض لنزرعها ونستخرج معادنها وبركاتها ، وجعلها طوع علومنا وأعمالنا لنستخرج منها الصناعات النافعة في أمور الدين والدنيا : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٩] .

فما لا يتم المطلوب إلا به فهو مطلوب شرعًا ، وهذا يدل على أن تعلم الصناعات والمخترعات الحادثة النافعة مطلوب شرعًا كما أنه لازم عقلاً ، وأنها من الجهاد في سبيل الله ، ومن علوم القرآن فإن القرآن نبه العباد إلى أن الحديد فيه بأسٌ شديد ومنافع للناس ، وأنه سخر لهم ما في الأرض فعليهم أن يسعوا لتحصيل تلك المنافع من أقرب الطرق ، كما لا تخفى عظمة المنافع التي حصلت من صناعة الحديد والذهب والفضة والغاز والبترول وغيرها من المنافع التي هي مخزونة في الأرض .

٨- الخزانة الثامنة

ومن مقاصد القرآن أنه أرشد إلى التوسط والاعتدال في الأمور وذم الغلو والتقصير وأمرنا بالعدل والقسط في كل الأمور ولزوم الحد فيها بلا غلو ولا تقصير ، ومدح أهل العدل وذم أهل الظلم والعدوان : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة:١٤٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

ففي مجال عبادة الله أمر الحق سبحانه بالتمسك بما عليه النبي صلى الله عليه وسلم في آيات كثيرة ونهى عن مجاوزة ذلك وتعدي الحدود في آيات كثيرة ، وذم المقصرين في آيات كثيرة ، فالعبادة التي أمر الله بها ما جمعت الإخلاص لله والمتابعة للرسول ﷺ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

ومتى فقد الأمران أو أحدهما فهي من الأعمال اللاغية : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال النبي ﷺ « مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » .متفق عليه (١).

وفي حق الأنبياء والرسل أمر بالاعتدال في حقهم ، فأمر بالإيمان بهم وإتباعهم ومحبتهم ومعرفة أقدارهم ونهى عن الغلو فيهم ، وهو أن يرفعوا فوق منزلتهم التي أنزلهم الله ، ويجعل لهم من حقوق الله التي لا يشاركه فيها أحد : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة:٧٧] .

كما نهي عن التقصير في حقهم في الإيمان بهم وعدم إتباعهم وعن توقيرهم ، وذم الغالين فيهم كالنصارى الذين غلوا في عيسى ، فقالوا إنه إله أو ابن الله ، كما ذم الجافين للأنبياء كاليهود الذين قالوا في عيسى ما قالوا ، وذم من فرق بينهم فآمن ببعض وكفر ببعض :﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة:٢٨٥] .

وكذلك العلماء والأولياء تجب محبتهم ومعرفة أقدارهم ، ولا يجوز الغلو فيهم وإعطائهم شيئًا من حق الله ، أو حق رسوله الخاص ، ولا يحل جفاءهم وعداوتهم وإيذائهم فمن عاد لله وليًا فقد بارز الله بالمحاربة وكذا أمر بالاعتدال في الإنفاق وأمر بأحسن الأخلاق ونهى عن مساوئ الأخلاق: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[الفرقان: ٦٧] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٧١٨)، واللفظ له.

وقال الله عز وجل :﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الإسراء:٢٩] .

وأمر القرآن بأداء الحقوق وذم من قصر في ذلك كبر الوالدين وحقوق الأقارب والأصحاب والأقارب والجيران ، كما ذم من غلا فيهم وفي غيرهم ، والعدل والوسط أن تكون أعمالك موافقة للشرع في الكمية والكيفية ، والغلو أن تزيد والتفريط أن تنقص والجفاء أن تترك :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠] .

ومن مقاصد القرآن : أنه أمر بحفظ حدود الله ونهى عن تعديها أو قربانها ، وحدود الله هي ما حد لعباده الشرائع الظاهرة والباطنة التي أمرهم بفعلها ، والمحرمات التي أمرهم بتركها ، والحفظ لها يكون بأداء الحقوق اللازمة وترك المحرمات الظاهرة والباطنة ، وحيث قال سبحانه : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا** ﴾[البقرة: ٢٢٩] .

كان المراد بهذه الحدود ما أحله الله لعباده وما فصله من الشرائع لأنه أمر بملازمتها ونهى عن مجاوزتها ، كما أمر بملازمة ما أحله من الطعام والشراب واللباس والنكاح ونهى عن تعدي ذلك إلى ما حرم منها ، وكما أمر بملازمة ما شرعه من الأحكام في الوضوء والصلاة والنكاح والطلاق وغيرها ، ونهى عن تعدي ذلك إلى ما لا يجوز شرعًا .

وكما أمر الله بالمحافظة على ما فسره في أحكام المواريث ولزوم حده ونهى عن تعدي ذلك بتوريث من لا يرث وحرمان من يرث ، وتبديل ما فرضه بغيره :﴿ **تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا** ﴾[البقرة: ٢٢٩] .

وحيث قال سبحانه : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] .

كان المراد بذلك المحرمات ، نهى عن فعلها ونهى عن مقدماتها وأسبابها الموصلة إليها كما نهاهم عن المحرمات على الصائمين فقال : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] .

ونهى عن الزنا وجميع الأسباب الموصلة إليه ؛ لأن الراعي حامي الحمى يوشك أن يقع فيه : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء:٣٢] .

وما أسكر كثيره فقليله حرام فحدود الله هو ما حده الله لعباده من المباحات والمأمورات والمنهيات ، فالمأمورات والمحللات أمر بلزومها ونهى عن تعديها إلى غيرها ، فالاعتداء في الواجبات أن يزيد فيها أو يقصر ، والاعتداء في المحللات أن يتجاوزها إلى المحرمات فمثلًا أمر الله بالأكل والشرب ولكن نهانا عن الإسراف والتبذير الذي يضر الإنسان ، فقال سبحانه : ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف:٣١] .

وقال عز وجل : ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧] .

فالأكل والشرب من الحلال مباح والإسراف والتبذير محرمًا وكذا أمرنا بلزوم حدوده في جميع الأحكام وأنهى عن تعديها بزيادة أو نقص ، كما قال النبي ﷺ « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمرُنا هذا فهو رَدٌّ » . أخرجه مسلم[1] .

ومن مقاصد القرآن أنه بين أن الإيمان بالله أصل كل خير في الدنيا والآخرة ، وبفقده يفقد الإنسان كل خير في الدنيا والآخرة : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ

(١) أخرجه مسلم رقم: (١٧١٨).

لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

ولهذا كرر الله من ذكره أمرًا به ونهيًا عن ضده وترغيبًا فيه وبيانًا بأوصاف أهله وما لهم من جزيل الثواب ، فإذا كان المقام مقام خطابًا للمؤمنين بالأمر والنهي أو مقام إثبات الأحكام الدنيوية بوصف الإيمان فإنه يتناول كل مؤمن سواءً كان متمًا لواجبات الإيمان وأحكامه وأوصافه ، أو كان ناقصًا في شيئًا منها ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم:٨].

أما إذا كان المقام مقام مدح وثناء وبيان الجزاء الكامل للمؤمن ، فالمراد بذلك المؤمن حقا الجامع لخصال وصفات الإيمان وأركانه ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢ – ٤] .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

فالخطاب في القرآن بلفظ الإيمان ينقسم إلى قسمين :

١- خطاب يراد به الإيمان الكامل .

٢- خطاب يراد به مطلق الإيمان .

الأمر والنهي والأحكام المتعلقة بالإيمان تشمل كل مؤمن ، وإن كان فاسقًا ، المؤمن الكامل وغير الكامل كلهم يأمر بالصلاة والزكاة ويأمر بالخير ويأمر بالإحسان وينهى عن الظلم والفساد والمحرمات ، وأما إذا كان السياق سياق مدحٍ وثناء المراد منه الإيمان الكامل وأهل الإيمان الكامل فيدخل فيه فاسق فالإيمان الكامل له ثوابٌ كامل :﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥] .

فهؤلاء المؤمنون جمع الله لهم بين الإيمان الكامل واليقين الكامل والإنابة التامة التي أثرها الانقياد لله بفعل المأمورات وترك المنهيات ، والوقوف عند حدود الله والإخلاص لله ، وهذه أوصاف المؤمن المطلق الذي سلم من العقاب واستحق الثواب ونال كل خير رتب على الإيمان فإن الله رتب على الإيمان في كتابه من الفوائد والثمرات ما لا يقل عن مائة فائدة وكرامة ، كل واحدة منها خير من الدنيا وما فيها ، رتب على الإيمان نيل رضاه الذي هو أكبر من كل شيء ، رتب عليه دخول الجنة والنجاة والسلامة من عذاب القبر ، السلامة من شدائد يوم القيامة ، والبشرى بكل خير في الدنيا والآخرة ، والثبات في الدنيا على الإيمان والطاعات ، والثبات عند الموت في القبر على الإيمان والتوحيد .

وإجابة الملكين بالقبر بالجواب النافع السديد وطمأنينة القلوب وراحة النفوس وصلاح الأحوال وصلاح الذرية ، وجعلهم قرة عين للمؤمن والحياة الطيبة في الدنيا والرزق والحسنة وتيسير المؤمن لليسرى وتجنيبه للعسرى .

والصبر عند المحن والمصائب ، ووضع الله عنهم الأثقال ودفع عنهم جميع الشرور ، وحقق لهم النصر على الأعداء ورفع المؤاخذة على الناسي والجاهل والمخطئ ، وأن الله لم يضع عليهم الأصار بل أزالها ولم يحملهم ما لا طاقة لهم به ، ومغفرة الذنوب والتوفيق للتوبة والقرب من الله والقرب من رحمته ونيل ثوابه ومغفرة الذنوب ورفعة الدرجات وحب الله للمؤمنين وغير ذلك من الخيرات والثمرات في الدنيا والآخرة كلها مرتبة على الإيمان كما أن الشرور كلها على فقد الإيمان :﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[الأنعام:٨٢].

أنه اشتمل على أجناس العلوم النافعة ، كما قال سبحانه : ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[النحل:٨٩] .

فعلى المسلم أن يستفيد من تلك العلوم ويفيد غيره ويعمل بما علم ويعلم غيره : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله عز وجل :﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾[الأنعام:١٥٥] .

فأجل علوم القرآن على الإطلاق ، علم التوحيد ، وما لله من الأسماء الحسنى والصفات العلا والأفعال الحميدة والمثل الأعلى ، ليعرف القلب الإله الحق الذي ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وإحسانه ، فيعبد الله بموجب هذه المعرفة للدين الحق الذي أرسل به رسوله ﷺ. ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

ويؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره ، ويعبد الله بموجب هذا الإيمان .

هذا وهذا هو أصل العلم ، وأصل التعبد ، وأصل الفلاح ، وفي القرآن صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وما جرى لهم وعليهم ، على من وافقهم وخالفهم ، وما هم عليه من الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة وكمال الإيمان والتقوى ، فيقتضي بهم خاصة سيدهم محمد عليه الصلاة والسلام في أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنعام:٩٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

فليس القصد من ذكر قصصهم إن تكون سمرًا ، وإنما القصد أن تكون عبرة : ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف:١١١] .

ومن علوم القرآن ، علم أهل الخير والسعادة وأهل الشر والشقاوة ، ليقتضي المؤمن بالأخيار ويجتنب الأشرار ، وبين القرآن صفات الأخيار التي وصلوا بها إلى رضوان الله والجنة ، وصفات الأشرار التي وصلوا بها إلى دار الجحيم ، وأن حب المؤمنين من الإيمان وبغض الكافرين من الإيمان .

ومن علوم القرآن ، علم الثواب والعقاب في الدنيا والبرزخ والآخرة على جميع أعمال الخير والشر ، وذلك إظهارًا لعدل الله وإحسانه وسعة فضلة ، والإيمان باليوم الأخر ، الذي هو من أهم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ﴾[النساء:٨٧] .

ومن علوم القرآن ، الأمر والنهي وذلك بالعلم بحدود ما أنزل الله على رسوله ، فكل مسلم مكلف بمعرفة الأمر والنهي والعمل به والدعوة إليه ، فينظر في كل أمر ما هو حده ويحاسب نفسه ، هل هو قائمُ بذلك كله أو بعضه أو تارك له ؟ .

فإن كان قائم به فليحمد الله ويسأله الثبات والزيادة من الخير ، وإن كان مقصرًا فيه فليعلم إنه مطالبُ به فليستعن بالله على فعله ويجاهد نفسه على ذلك :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾[الحشر: ٧] .

وكذلك في النهي يعرف حده ثم ينظر إلى نفسه ، فإن كان قد ترك ذلك المنهي عنه ، فليحمد الله على ذلك ويسأله الثبات على فعل الطاعات واجتناب المنهيات ، وليجعل الداعي له على ترك المنهيات طاعة الله ، وابتغاء وجه ، ليكن تركه عبادة كما كان فعله عبادة :﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ١١٤ ﴾[النساء:١١٤] .

وإن كان غير تارك للمنهي عنه ، فليتب إلى الله توبة جازمة ، فمن قرأ القرآن وتدبره ، آمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، هذا على صراط مستقيم . ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾[المائدة:١٥-١٦] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾[الأنعام: ١٥٣]

٩- الخزانة التاسعة

ومن مقاصد القرآن ، إن الله عز وجل بين في القرآن الأمراض وأنها تنقسم إلى قسمين :

١- مرض الأبدان .

٢- ومرض القلوب .

- **وإن مرض القلوب قسمان :**

مرض شبه .. مرض شهوة .

فمرض الشبه : بسبب نقص العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والعلم بدينه وشرعه ، والعلم بعظمة ملكه وسلطانه ، والعلم بعظيم نعمه وإحسانه ، فمرض الشبة بسبب نقص هذا العلم العظيم .

ومرض الشهوة : بسبب نقص الإرادة ، فإذا اعتل القلب بالجهل صار مرضه مرض شبه كالمنافقين : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[البقرة: ١٠] .

وإذا اعتلت إرادة الإنسان فأحبت المعاصي ، وفعلت ما لا يرضي الله ورسوله ، فذلك مرضُ شهوة ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الأحزاب:٣٢] .

وصحة القلب وسلامته بأمرين :

١- بكمال العلم .

٢- وكمال الإرادة .

فإذا اجتمع في القلب كمال العلم بالله ، وكمال الإرادة بما يحبه الله ويرضاه ، فهذا هو القلب السليم ينجو به صاحبه : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الشعراء:٨٨-٨٩] .

فالقلب السليم هو الذي عرف الحق واتبعه ، وعرف الباطل وتركه .

آيات القرآن تزيل الجهل وترغب الإنسان في الطاعات وترهبه من المعاصي : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرعد: ١٩] .

فالقرآن الكريم بين أن كل من في قلبه شكٌ وشبهات فمرضه مرض جهل علاجه بالعلم الإلهي ، وكل من أراد شيئًا من المحرمات فمرضه مرض شهوة علاجه زيادة الإيمان ، وزيادة الإيمان تكون بالعلم بالله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعده ، ووعيده ، ودينه ، وشرعه .

فعلاج هذا المرض وهو مرض الشهوة زيادة الإيمان المانع من المعاصي : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

فآيات القرآن تزيد المؤمنين إيمانًا ، وتزيد المنافقين والكفار رجسًا : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[التوبة:١٢٤- ١٢٥] .

فالمؤمنون كلما سمعوا آية صدقوا فزاد إيمانهم ، وأما الذين في قلوبهم مرض فكلما سمعوا أية استكبروا عنها وشكوا فيها وكذبوا بها ، فازدادوا رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ، فالمنافقون قلوبهم مريضة بالكفر

والشك فعاقبهم الله بأن زاد مرضهم بسبب كفرهم :﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[البقرة: ١٠] .

أن الله بين في القرآن أن أعمال الأبدان وأقوال اللسان صحتها وفسادها وأجرها ووزرها بحسب ما في القلب من إرادة وجه الله أو غيره ، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[المائدة:٢٧] .

قال النبي ﷺ« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه (١) .

فالأمر بالصدقة أو المعروف أو الإصلاح بين الناس كله خير ، لكن ثواب الآخرة لا يحصل إلا بالنية الخالصة لله عز وجل ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء:١١٤] .

فمن فعل ذلك ابتغاء وجه الله نال به أجرًا عظيمًا ، ومن فعله رياءً وسمعة فإنه وإن ترتب على فعله الخير في الدنيا فإنه لا ينال عليه أجرًا يوم القيامة : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٨- ١٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٦٥] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

وفي مقابله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ ﴾[النساء:٣٨] .

وكذا قوله سبحانه : ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥ ﴾[الأحزاب: ٥] .

ومن مقاصد القرآن الكبرى أن الله عز وجل بين في القرآن كيفية إدارة أحوال السياسة الداخلية والخارجية للأمة ، وذلك ببيان كل ما يحقق المصالح ويدفع المفاسد ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ ﴾[ص:٢٦] .

وقال عز وجل : ﴿ فَٱحۡكُم فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾[المائدة:٤٨] .

والله أخبر عن المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم فقال : ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الشورى: ٣٨] .

وقال للنبي ﷺ: ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

فجميع أمور المؤمنين واستجلاب مصالحهم واستدفاع مضارهم ، كل ذلك متعلق بالشورى التي يصلون بها إلى الرأي السديد في مصالح دينهم ودنياهم ، وذلك بإعمال أفكارهم مجتمعة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة:٢]

فإذا تعينت المصلحة في طريق سلكوه ، وإذا تعينت المفسدة في طريق تركوه ، وإذا كان بذلك الأمر مصلحة ومفسدة نظروا أيها أقوى وأحسن عاقبة فاختاروا الأحسن ، وإذا رأوا أمرًا بين الأمور هو المصلحة ، ولكن ليست عندهم أسبابه نظروا بأي شيء تدرك تلك الأسباب بلا حصول مضرة عليهم ، وإذا رأوا مصالحهم تتوقف على الاسترداد بالصناعات والاختراعات الحديثة وما يحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم سعوا لذلك بحسب قدرتهم ليستغنوا عن غيرهم بما أباح الله لهم ، كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[البقرة:٢٩] .

وإذا رأوا أن السعي في جمع الكلمة وتوحيد الأمة هو الطريق الأقوم لسعادتهم وأمنهم جدوا واجتهدوا لتحقيق ذلك ، وإذا رأوا المصلحة في المقاومة والمهاجمة أو في المسالمة والمدافعة بحسب الإمكان سلكوا من ذلك ما يحقق المصلحة ويدفع المفسدة : ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾[الأنفال: ٦١] .

وقال الله عز وجل :﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

فمصالح المسلمين الداخلية والخارجية في كل زمان ومكان لا تحصل إلا بالشورى التي أرشد إليها القرآن ، ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾[الأنفال: ٦٠] .

وهذا نص في وجوب إعداد القوة العقلية والمعنوية والمادية كلٌ حسب أسباب زمانه ، ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن

قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] .

فأرشد الله المؤمنين أن يعتزوا بأنفسهم لا بقوادهم ، وأن يعتقد كل واحد منهم أن نفس ذلك القائد ، وأن يتعلقوا برب الناس لا بالناس حتى لا تتأثر حياتهم بفقد رئيسهم ، فيعدون أناسًا للأمور الدينية والدنيوية إذا فقد أحدهم قام بعمله غيره لتكون كلمة الله هي العليا ، وتنتظم أمور دينهم ودنياهم ، وكذا قوله سبحانه : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] .

أي اتقوا غضب الله وعقابه بفعل ما أمر به من خير وصلاح بحسب الاستطاعة ، واجتناب كل نهى الله عنه من مفسده ومضر مطلقة ، كما قال النبي ﷺ « وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ » أخرجه البخاري[1] .

وكذا قوله سبحانه : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨] .

والأمانات كثيرة مختلفة فمن أجلها ولاية الكبيرة والصغيرة والدينية والدنيوية والعامة والخاصة ، وقد أمرنا الله عز وجل أن نؤدي الأمانات إلى أهلها بأن يجعل فيها الأكفاء الأتقياء لأن صلاح الأمور بصلاح الرؤساء المتوليين لها وصلاح المدبرين لها ، وفساد الأمور بضد ذلك ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء:٥٨] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٨).

فيجب أن تؤدى الأمانات إلى أهلها الذين يمكن أن يقوموا بها ، يؤدوا الأمانة فيها فلا يوضع الطبيب مكان المهندس ، ولا قائد السيارة مكان قائد الطائرة ، ولا الحداد مكان النجار وهكذا ، فلا يوضع مدرس الحساب ليدرس الفقه لأن هذا كله من الخيانة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ ﴾[الأنفال:٢٧]

ويجب تولية الأمثل فالأمثل فصلاح الرعية بصلاح ولاتها ، وفسادها بفسادهم ، ثم على الولاة الحكم بالعدل بين الناس كلهم ، ومن لازم العدل معرفة العدل في كل أمر من الأمور ، ومن ذلك طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله ورسوله ، فطاعة ولاة الأمور تابعة لطاعة الله ورسوله ، فإذا أمروا بطاعة الله أطعناهم وإذا أمروا بمعصية الله لم نطيعهم ، وإذا أمروا بأمر ليس فيه طاعة ولا معصية مما فيه تنظيم الحياة في مصلحة الأمة فيجب طاعتهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء:٥٩].

وجميع ما شرعه الله عز وجل من القصاص والحدود على الجرائم ، وجميع العقوبات والنكال والتخويف لأهل الشر والفساد ، وما فيه صيانة لدماء الخلق وأموالهم وأعراضهم كل ذلك من الشرائع الحسنة المتعلقة بالسياسية الشرعية ، وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله والنصح للأمة في كل حال وتعليم شرع الله كل ذلك من السياسية الشرعية التي تصلح بها الأمة ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وكذا الحكم بالحق والعدل واجتناب الباطل والظلم ، فكل إنسان له حرية فيما يملك وللآخرين حرية فيما يملكون فمن اعتدى على حق غيره فهو ظالم ، والحرية الكاملة جاء بها القرآن والسنة ، والحرية الظالمة هي التي تعتدي على حقوق الناس وتمنعهم من التكلم بالخير والتحذير من الشر ، وإطلاق هذه الحرية هو من إطلاق عنان الجهل والفساد والعداون الذي يحصل به فسادٌ للأمة وانحلال أمورها :﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة:٤٩-٥٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

والإسلام فتح الباب للأولى ، وأغلقه عن الثانية تحصيل للمنافع ودفعًا للمضار : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران:٨٥] .

- **من أعظم مقاصد القرآن :**

أن الله عز وجل ميز في كتابه بين حقه الخاص وحق رسوله الخاص ، والحق المشترك بين الله ورسوله ، وحقوق الناس ، فالحقوق التي بينها الله في القرآن أقسام :

الأول : حق الله وحده لا شريك له ، وهو عبادته وحده لا شريك له في جميع أنواع العبادات ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات:٥٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦] .

الثاني : حق الرسول ﷺ الخاص به وهو تعزيره وتوقيره والاقتداء به وإتباعه ، كما قال سبحانه : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

وقال عز وجل : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

الثالث : حق مشترك بين الله ورسوله ، وهو الإيمان بالله ورسوله وطاعة الله ورسوله ، ومحبة الله ورسوله مع التفاوت في ذلك ، فأما حقه سبحانه وهو العبادة وقد ذكره الله في آيات كثيرة ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾[النساء:٣٦] .

وأما حق رسوله كفاه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

وأما الحق المشترك : ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[الفتح: ٩] .

وقال الله عز وجل :﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[الفتح: ٩] . حق مشترك .

وقال الله عز وجل :﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[الفتح: ٩] . خاص بالرسول ﷺ.

وقال الله عز وجل :﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[الفتح: ٩] . حق الله وحده لا شريك له .

وقال الله عز وجل :﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[الحديد:٧] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٢] .. حق مشترك .

وقال الله عز وجل :﴿ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾[التوبة ٥٩] . حق مشترك .

وقال الله عز وجل :﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾[التوبة ٥٩] .. حق خاص بالله وحده .

رابعًا : أما حقوق الخلق ، فكما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾[النساء:٣٦] . حق الله .

وقال الله عز وجل :﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ ﴾[النساء:٣٦] . حق للخلق ، كالقريب والبعيد والمحتاج .

وجميع ما أمر الله به وحث عليه من القيام بحقوق رسوله وحقوق الوالدين والأقارب والجيران وغيرهم ، كله حق لله تعالى يقوم به العبد امتثالًا لأمر الله وتعبدًا له .

والإيمان بالله ورسوله لا يستويان وإن اتفقا في الأصل فإنهما مختلفان فالإيمان بالله ، إيمانُ بالله لذاته لأنه الرب ، والإيمان بالرسول إيمانٌ به لأن الله أرسله وأمرنا بالإيمان به ، وتعظيم الرسول من تعظيم الذي أرسله ، ولهذا من أطاعه فقد أطاع الله ، كما قال سبحانه : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾[النساء: ٨٠] .

١٠- الخزانة العاشرة

ومن مقاصد القرآن

أن الله أمر في القرآن بالمسارعة إلى أداء أمور الخير التي يخشى فواتها ، ويأمر بالتثبت وعدم العجلة في الأمور التي تخشى عواقبها ، ففي المبادرة لأعمال الخير يقول سبحانه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣- ١٣٤] .

وقال عز وجل : ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ﴾[المائدة:٤٨] .

وقال عز وجل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١ ﴾ [المؤمنون: ٦١] .

فالسابقون في الدنيا إلى الخيرات والطاعات هم السابقون في الآخرة إلى الجنات والكرامات وفي التثبت في الأمور التي يخشى عواقبها ، يقول سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾[الحجرات:٦] .

وقال الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤ ﴾[النساء:٩٤] .

وقد عاب الله عز وجل على المتسرعين في إذاعة الأخبار قبل التثبت بصحتها بقوله : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾[النساء:٨٣] .

ومن هذا الباب الأمر بالمشاورة في الأمور وأخذ الحذر وألا يقول الإنسان ما لا يعلم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء:٣٦] .

- **فالأمور ثلاثة :**

الأول : أمر علمت مضرته فلا يجوز لك الإقدام عليه كالشر والمعاصي والخبائث .

الثاني : وأمر علمت منفعته فالمسارعة إليه أكمل كسائر أنواع العبادات والواجبات والمستحبات .

الثالث : وأمر ترددت فيه وهذا يحتاج إلى تثبت قبل الإقدام فيدخل من ذلك ما أشكل عليك بذاته هل هو نافع أو ضار ؟ وما أشكل عليك بمقارنته مع غيره هل هو أنفع من غيره أو غيره أنفع منه ؟ .

فقد يكون الشيء منفعة في ذاته لكن يتردد الإنسان بين كون غيره أنفع منه وكون غيره أنفع منه فحين إذًا يجب التثبت والتشاور ومن مقاصد القرآن التي تحصل الاستقامة للعبد يذكره الله عز وجل في القرآن إذا مالت نفسه إلى ما لا ينبغي من الشهوات والمحرمات ما يفوته من الخير وما يحصل له من الضرر ؛ لأن الأمر والنهي لا يكفي أكثر الخلق فيكفهم عما لا ينبغي حتى يقرن ذلك بذكر ما يفوت من المحبوبات التي تزيد أضعافًا عن

المحبوب الذي يكرهه الله وتحبه النفس ، وما يحصل من المكروه المترتب عليه ، كما ذكر الله فتنة الأموال والأولاد التي تفتن العبد عن الاستقامة كما ، قال سبحانه : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[الأنفال: ٢٨]

وقال الله عز وجل: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾[الإسراء: ١٨- ١٩] .

وكذا رغب الباري في كتابه الكريم الصلاح والإصلاح في كل حال ، فأمر بالصلاح والإصلاح في آيات كثيرة وأثنى على الصالحين والمصلحين في آيات أخر ، والصلاح أن تكون الأمور مستقيمة معتدلة مقصودًا بها غايتها الحميدة : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

فأعمال الخير تصلح القلوب والأبدان ، وتصلح الإيمان والأخلاق وتصلح الدين والدنيا ، وضدها فساد هذه الأشياء ، والصلاح هو الاستقامة على أوامر الله كما أمر بامتثال لأوامر أو اجتناب نواهيه : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود: ١١٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[فصلت:٣٠-٣١] .

والإصلاح هو إصلاح الأمور الفاسدة في الدين والدنيا ، بالسعي في إزالة الفساد والشر والضرر العام والخاص ، ومن أعظم أنواع الإصلاح السعي في إصلاح أحوال البشرية بالدعوة إلى الله ليخرج من الكفر إلى الإيمان ومن الشرك إلى التوحيد ، من الجهل إلى العلم ، ومن الشقاء إلى السعادة ، كما قال شعيب لقومه : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[هود:٨٨] .

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفقي إلا بالله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ، وكذا السعي في إصلاح أحوال المسلمين وجمع كلمتهم على الحق ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٣] .

فكل ساعي في مصلحة دينيه أو دنيوية فهو مصلح والله يهديه ويرشده ويسدده ، وكل ساعٍ بضد ذلك فهو مفسد والله لا يصلح عمل المفسدين ، وقد أثنى الله على الصالحين بقولهم : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[النساء:٦٩-٧٠] .

وأثنى على المصلحين في آيات كثيرة لأن آثار الصلح والصلاح والإصلاح فيها خير وبركة ورحمة : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

فأثنى سبحانه : على المصلحين بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف:١٧٠] ..

فالصلاح في الأمة بدون إصلاح لا يمنع ارتفاع الهلاك عنهم بل لينجو من العذاب لابد ليكونوا صالحين مصلحين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

كمال الإنسان أن يكون صالحًا بنفسه مصلحًا لغيره ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

وقال الله عز وجل :﴿ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[العصر:٣]. إصلاح النفس .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:٣]. إصلاح الغير .

ما أمر الله به جل جلاله في كتابه إما أن يوجه إلى من لم يدخل فيه فهذا أمر له بالدخول فيه ليدخل فيه ويتصف به ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[البقرة: ٢١]

وإما أن يوجه إلى من دخل فيه فهذا أمره الله به ليصحح ما وجد منه ويكمل ما نقص منه ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء:١٣٦] .

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

فالهداية أنواع والمؤمن يطلب من ربه أن يكمل له ما نقص من الهداية في باب معرفة الله وباب الأعمال الصالحة وباب أركان الإيمان ، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة : ٢-٧] .

ومن لطف الله بعباده المؤمنين أنه إذا منعهم شيئًا تعلقت به نفوسهم وإراداتهم فتح لهم أبوابًا أنفع لهم منه وأسهل وأولى ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٣٢ ﴾[النساء:٣٢] .

فنهاهم ربهم سبحانه عن التمني الذي ليس بنافع وفتح لهم أبواب الفضل والإحسان وأمرهم أن يسألوه من فضله الذي أعطى غيرهم منه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠ ﴾[غافر:٦٠] .

ومن مقاصد القرآن أن الله سبحانه بين في القرآن أن الأجر والثواب في العبادات علي قدر المشقة ، وأن تسهيله لطريق العبادات من منه وفضله وإحسانه ورحمته ، وأنها لا تنقص الأجر شيئًا فالجهاد عبادة عظيمة فيها منافع كثيرة ، وفيها كذلك مشقات كثيرة تكرهها النفوس بما فيها التعرض للموت والأخطار وتلف النفوس والأموال ، لكن هذه المشقات بالنسبة لما تفضي إليه من العزة والكرامات ليست بشيء بل هي خير محض وإحسان صرف من الله إلى عباده ، حيث قيض لهم عبادات توصلهم إلى أعلى

الدرجات ومنها الجهاد في سبيل الله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[البقرة:٢١٦] .

وكلما عظمت المشقة في فعل الطاعات وترك المحرمات والصبر على البليات كان له أجل وأعظم الثواب : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:١٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧] .

وقال النبي ﷺ لعائشة لما تعبت في الحج : « إِنْ أَجْرُك عَلَى قَدْرِ نَصَبِك » . متفق عليه[1] .

فالله عز وجل رءوف بالعبد لطيف بهم يقلب لهم الأحوال التي تصلحهم فعلى العبد إن سهل الله له طريق العبادة وهونها عليه أن يحمد الله ويشكره على هذه النعمة وإن شقت على النفوس صبر واحتسب الأجر في عنائه ورجا عظيم الثواب عليها :﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[يوسف:٩٠] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٧٨٧)، ومسلم برقم: (١٢١١)، واللفظ له.

فتسهيل الطاعات من أثار رحمة أرحم الراحمين ، وبيان المنة على العباد بتسهيل الطاعات عليهم فلا يسوق العبد الطريق العسير مع وجود الطريق اليسير ؛ لأنه إن ترك السهل الميسر إلى الصعب الشديد فقد ترك نعمة أنعم الله بها عليه تعينه على طاعة ربه ، فإن حصلت له مشقة لم يقصدها فهذا من الله لا من العبد ، فاصبر فليصبر فليحتسب : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر:١٠] .

والله يحب الصابرين هذه هي شريعة الله السمحة الميسرة : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[البقرة:١٨٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[النساء: ٢٨] .

- **ومن مقاصد القرآن التي بينها الله في كتابه :**

أن الله عز وجل يكتب للعبد المؤمن عمله من خمسة أبواب :

الأول : يكتب الله للعبد العمل الذي باشره ، كما قال سبحانه : ﴿﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

وقال عز وجل : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٧] .

الثاني : يكتب ويكمل له ما شرع فيه ولم يكمله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[النساء:١٠٠] .

وقال عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

الثالث : يكتب الله له أجر ما نشأ من عمل ، ولم يكن على باله ، كما قال عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾[يس:١٢] .

وقال النبي ﷺ: « إذا مَات الإنسَانُ انقطعَ عمَلُه إلا مِن ثلاثْ : صدَقة جاريَة ، أوْ عِلم ينتفِعُ به ، أوْ ولدٌ صالِحٌ يدعوُ له » . أخرجه مسلم(١) .

وقال النبي ﷺ: « مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا » . أخرجه مسلم(٢) .

الرابع : يكتب له ما تركه لعذر وكان يعمله كما قال النبي ﷺ « إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ له ما كان يعمل صحيحا مقيمًا » . أخرجه البخاري(٣) .

الخامس : أن ما تمناه العبد من الخير وكان من عاداته أن يعمله لكن لم يقدر عليه لعذر فالله يكتب له أجره كما قال النبي ﷺ« إِنَّ بِالمَدِينَةِ أَقْوَامًا ، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلا كَانُوا مَعَكُمْ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهَّ وَهُمْ بِالمَدِينَةِ مُقِيمُونَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ » . أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(٤) .

أما ما يتمناه العبد ولم يقدر عليه وليس من عاداته فهذا يكتب له أجر النية لا أجر العمل ، كما قال النبي ﷺ حين قسم الناس إلى أقسام « عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُّ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦٣٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠١٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٢٩٦٦).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٤٤٣٢).

مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ » . أخرجه أحمد بسند صحيح[1] .

وكما قال الفقراء النبي ﷺ سبق أهل الدثور بالأجور والدرجات العلا ، ثم ذكروا أنهم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، وينفقون ولا ننفق فأخبرهم أن يسبحوا ويحمدوا ويكبروا ثلاث وثلاثين دبر كل صلاة وأنهم بذلك يدركون ما سبقهم ، فلما سمع الأغنياء بذلك عملوا مثله فجاءوا الفقراء فقالوا يا رسول الله سمع إخواننا الأغنياء بما صنعنا وعملوا مثله فقال لهم : « ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ »[2] .

ولم يقل لهم لكم أجركم بنيتكم .

- **ومن مقاصد القرآن العظيمة :**

أن الله جل جلاله بين أن هذا القرآن العظيم يهدي للتي هي أقوم وأكمل وأصلح في كل شيء ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩] .

فالقرآن العظيم أعظم كتاب وأقوم تشريع وأحكم تنزيل فيه تبيان كل شيء كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٨٠٣١).

(٢) أخرجه مسلم رقم: (٥٩٥).

فالقرآن أقوم في كل أمر، في العقائد والأخبار والأحكام والأعمال والأخلاق والآداب والسياسات والمصالح الدينية والدنيوية : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣] .

فالقرآن يدل عليها ويهدي إليها ويرشد إليها ويأمر بها ويرغب فيها ويحث عليها .

فأما العقائد فإن القرآن بين العقائد النافعة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره وفي هذه العقائد صلاح القلوب وغذائها لأنها تملأ القلوب توحيدًا وإيمانًا وتعظيمًا لله وحبًا له وتوكلًا عليه وإنابةً إليه ومن أجل هذا خلق الله الخلق ليعبدوا الله وحده لا شريك له :﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٠٢] .

وأما الأخبار فأخبار القرآن كلها حق وصدق فيما أخبر الله به عن نفسه وعن رسله وعن مخلوقاته : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾[الأنعام:١١٥].

وأما الأحكام فكلها عدل وإحسان ورحمة فما أمر الله ورسوله إلا بكل خير وما نهى الله ورسوله إلا عن كل شر ، فأمر بالحلال ونهى عن الحرام ، وأمر بأكل الطيبات ونهى عن أكل الخبائث :﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾[هود:١] .

وأما الأخلاق فالقرآن يدعوا إلى الأعمال الصالحة وينهى عن الأعمال الفاسدة ، ويدعوا إلى مكارم الأخلاق من الإيمان والصدق والبر والإحسان والرحمة والعفو وغيرهم من مكارم الأخلاق ، وينهى عن ضدها من الكفر

والشرك والفجور والكذب والظلم :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[النحل:٩٠] .

وأما الأعمال الدينية التي يدعوا إليها فهي أحسن الأعمال ، منها القيام بحقوق الله وحقوق العباد على أكمل الحالات وأجلها وأوصلها إلى المقاصد الحسنة ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء:٢٣] .

وأما السياسات فالقرآن يهدي ويرشد إلى سلوك الطرق النافعة في تحصيل المصالح ودفع المفاسد ، ويأمر بالتشاور فيما لم تتضح مصلحته وذلك في كل مجال في سياسة العبد مع نفسه وأهله وأولاده وجيرانه وأصحابه والناس كافة : ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾[الشورى: ٣٨]

بهذا كله فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في كل شيء وكل ما سواه من القوانين المعارضة للقرآن تدعوا للذي هو أسوء وأظلم :﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾[آل عمران:٨٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠ ﴾[المائدة:٥٠] .

فالقوانين الوضعية كلها لا خير فيها ، وإن قدر فيها خير فالقرآن خير منها وأقوم وأنفع وأحسن : ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣ ﴾[الفرقان:٣٣] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [النساء:٦٦ -٦٨] .

فكل شيء أقوم وأحسن فالقرآن يهدي إليه وكل شيء أعوج وأسوء فالقرآن لا يهدي إليه بل يهدي إلى ضده :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾ [الكهف:١-٢] .

وقال الله عز وجل :﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٥٥] .

وقال الله عز وجل :﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر:٢٣] .

ومن مقاصد القرآن الكبرى أن الله بين في القرآن أن قيمة الإنسان بصفاته لا بذاته ، وأن العبرة بحسن حاله هي إيمانه وعمله الصالح فقط : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات:١٣] .

وأنه لا قيمة لما عند الإنسان من الأموال والأولاد ولا بما وصل إليه من المناصب والرئاسات فهذه نعم يعطها الله من يحب ومن لا يحب ولكن العبرة فقط بالإيمان والأعمال الصالحة فأبو لهب ذو النسب والحسب سيصلى نارًا ذات لهب ، وبلال بتوحيده وإيمانه سمع النبي صلى الله عليه وسلم دفن نعليه في الجن: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا

مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ:٣٧] .

فمن أتى الله بالإيمان والتقوى ربح وأسعده الله في الدنيا والآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فكمال الإنسان بالإيمان والعمل الصالح ، فمن أتى بالإيمان والعمل الصالح دخل الجنة من كان وحيث كان غنيًا أو فقيرا عربيًا أو أعجميًا حرًا أو عبدًا . ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾[البقرة: ١١١] .

ثم ذكر الله البرهان الذي من جاء به دخل الجنة : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة:١١٢] .

فميزان الأمور كلها هو الإيمان والعمل الصالح وكمال الإنسان بذلك فقط وما يعطاه الإنسان من المال والولد والجاه فهو نعمة يبتلى الله بها العباد ، فمن استعملها في طاعة الله فاز ، ومن استعملها في معصية الله خسر دنياه وأخرته : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ:٣٧] .

وقال تعالى :﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[التوبة:٥٥] .

ومقاصد الإسلام الكبرى عظيمة وكثيرة جدًا ، وهذه هي أهم مقاصد القرآن الكريم الكبرى التي يريد الله منا أن نتعلمها ونعمل بموجبها وندعو إليها

لنفوز بأعظم الكرامات في الدنيا والآخرة ونسعد برضوان الله ورؤيته ودخول الجنة يوم القيامة .

والترغيب في قراءة القرآن وسيلة لفهم تلك المقاصد العظمى ، وتدبر القرآن العظيم وسيلة لمعرفة تلك الأصول الكبرى والعمل بها ، وهي أصول عظيمة نافعة جامعة .

اللهم أعنا على ذكرك وعلى شكرك وعلى حسن عبادتك و اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا وعملا صالحًا يقربنا إليك إنك أنت العزيز الكريم .

هذا ما تيسر من ذكر المقاصد الكبرى والقرآن العظيم مملوء بتلك المقاصد فليطلع عليها العبد ويتدبرها في كتاب ربه الكريم : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩] .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٨-خزائن السيرة النبوية

القسم الأول :

ويشتمل على ما يلي :

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٢٨-خزائن السيرة النبوية

القسم الأول :

١- الخزانة الأولى

- **فضل بعثة النبي ﷺ.**

الله ﷻ هو الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، وهو سبحانه الخالق ، القادر ، القاهر الذي وسم جميع المخلوقات بآثار الحدث بعد العدم ، وبما أجرى على الكل من العجز ، والحاجة ، والنقص ، والزيادة ؛ لتكون له الحجة البالغة ، والربوبية الناطقة ، والألوهية الواحدة ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

ثم أكد الله ذلك ، وأكمله برسل بعثهم بالحق إلى خلقه ، فجعلهم سفراء بينه ، وبين عبيده ، وأمناء على وحيه ، واختصهم بفضله ، واصطفاهم برسالته ، وأمرهم بإبلاغ وحيه ، وكلفهم بالدعوة إلى توحيده والعمل بشرعه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦] .

هو سبحانه الخالق الذي له الخلق ، و الأمر وحده ، خلق جميع الخلائق ، وفضل بعضهم على بعض ، فاصطفى من الملائكة رسل ، واصطفى من

البشر أنبياء ، ورسل ، وفضل بعضهم على بعض ، وجعلهم على مراتب مختلفة ، ودرجات متفاوتة .

فاصطفى الله عز وجل من الأنبياء ، والرسل أولي العزم ، وهم نوح ، و إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم أفضل الصلاة والسلام ، واصطفى الله سبحانه من أولى العزم الخليلين إبراهيم ، ومحمد عليهما أفضل الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

واصطفى من الخليلين محمد ﷺ، وجعله أكمل الخلق ، وسيد البشر ، وخاتم الأنبياء ، وأفضل الرسل ، وأكثرهم تابعة ، وأعلاهم قدرًا ، وأحسنهم شريعة ، وخص هو ربه بأعلى الدرجات ، وأحسن الكرامات ، وأعظم الأخلاق ، و أرسله بأكمل الشرائع : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

وجعل له سبحانه من الأصحاب ، والأتباع النصيب الأوفر ، وبعثه بالدعوة التامة ، والرسالة العامة ، وحفظه من كل جبار عنيد ، وعصمه من كل شيطان مريد حتى أظهر الله به الدين ، وأوضح به السبيل وأشاد به معالم الحق ، وهدم به معاقل الشرك ، و أزهق به الباطل ، وحطم به الأصنام ، و الأوثان وأظهر به أمة التوحيد ، والإيمان . ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

وجعل سبحانه دين محمد ﷺ أحسن الأديان ، وكتابه أحسن الكتب ، وأمته خير الأمم ، ثم أوجب الله علينا الإيمان به ﷺ وتصديقه ، ومحبته ، وطاعته ، وتوقيعه وإتباعه ، وحسن الاقتداء به ، والقيام بأداء حقوقه ، ونصرة دينه ، وأتباعه ، والدفاع عنه وعن دينه وسنته فالحمد لله رب العالمين

الذي أكرمنا بتصديق رسوله ﷺ وشرفنا بإتباعه ، وجعلنا من أمته خير أمة أخرجت للناس : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران:١١٠] .

والحمد لله رب العالمين الذي أرسل رسولا بالهدى ، ودين الحق كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[التوبة:٣٣] .

أرسله سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[سبأ:٢٨] .

وقال تعالى:﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[الأحزاب:٤٦] .

وبعثه رحمةً للعالمين بلسانٍ عربي مبين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

والحمد لله رب العالمين الذي أختار محمدا ﷺ ؛ ليكون رسولا أمينًا ، معلمًا ، مبينًا ، واختار له دينًا قويمًا ، وهداه صراطًا مستقيمًا ، وارتضاه لجميع البشرية إمامًا ، وجعل شرعه للنبوءة ختامًا .﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٠] .

ملأ الله قلبه ﷺ إيمانا ، ورحمة ، وعلمًا ، وحكمة ، و أرسله الله رحمة للعالمين ، فبلغ الرسالة و أدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاد حتى أتاه اليقين ، فصلوات الله ، وسلامه عليه ، وعلى إله ، و أصحابه ، وأتباعه إلى يوم الدين .

بلغ ﷺ البلاغ المبين ، وعلم أصحابه أركان الإسلام ، والإيمان ، وبين لهم شرائع الإسلام ، وفضائله ، وفرائضه ، ونوافله ، وعباداته ، ومعاملاته ،

وحلاله ، وحرامه ، وأخلاقه ، وآدابه وكان ﷺ بالمؤمنين رءوف رحيم ، وعلى تعليم ما ينفعهم حريصًا أمينًا يرشدهم إلى أحسن الأعمال ، ويهديهم إلى أحسن الأخلاق ، ويدلهم على ما فيه فلاحهم ، ونورهم ، ونجاتهم في الدنيا والآخرة ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

دل ﷺ أمته على كل خير ، وحذرها من كل شر لم يترك خيرًا قط إلا أمرهم به ، ولم يترك شرًا قط إلا حذرهم منه ، حتى لم يكن شيئًا من أعمال البر في زمانه متروك ، ولم يكن شيئًا من سبل السلام ، والخير في زمانه إلا مسلوكًا ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٥-١٦] .

فلما تم ما أراده الله برسوله من هداية أهل الإسلام ، وبلغ الرسول ﷺ جميع ما أرسله الله به من الأحكام ، وقرب رحيله من دنيا الأعمال أنزل الله شواهد التبليغ ، والتمام ، والكمال فقال : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[المائدة:٣] .

فرحل ﷺ إلى جوار ربه ، وترك الأمة على البيضاء ليها كنهارها لا يزغ عنها إلا هالك وترك ﷺ لأمته الأخبار الصادقة ، والأحكام العادلة ، والآداب الحسنة ، و الأخلاق الكريمة ، والسيرة العطرة ، والسنة المطهرة ، وأمرهم ﷺ بتعلم هذا الدين الحق ، والعمل بأحكامه ، والتخلق بأخلاقه ، وإبلاغه لجميع البشرية إلى يوم القيامة ؛ ليعبد الناس ربهم وحده لا شريك له ،

ويسعدوا في الدنيا ، والآخرة ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

هو ﷺ رسول رب العالمين الصادق ، الأمين ، الهادئ إلى الصراط المستقيم المفسر بسيرته ، وسنته للقرآن الكريم ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾ [الجمعة: ٢]

بلغ ﷺ القرآن لأمته ، وفسره لهم بحياته العلمية ، والعملية ، والأخلاقية ، وتفجرت من لسانه بحار العلوم الإلهية ، وجرت منه أنهار الأحكام الشرعية ، وتجمل ظاهره ، وباطنه بأحسن الأخلاق الإسلامية : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم:٤] .

وقد ربى الرسول ﷺ أمته على حمل هذه الأمانة العظيمة ، وأمرهم بأدائها للبشرية كما نزلت من أول يوم بعثه الله فيه ، ولقد كانت السيرة النبوية أول ، وأكبر ، وأحسن جامعة تخرج منها أمثل النماذج البشرية ، وأطهر النفوس الذكية ، وهم أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، الذين أمنوا بالله ورسوله ، وجاهدوا في الله حق جهاده حتى رضي الله عنهم ، ورضوا عنه ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾[التوبة:١٠٠] .

فكان من الصحابة رضي الله عنهم الخلفاء الراشدون ، والمهاجرون ، والأنصار ، وكان من هؤلاء الأخيار المؤمن النقي ، التقى ، والعابد الخاشع ، والساجد الباكي ، والقائد المحنك ، والسياسي الداهية ، والحاكم العادل ، والمجاهد الباسل ، والعبقري الملهم ، والمحدث

الحافظ ، والفقيه البارع ، والعالم العامل ، والغنى الشاكر ، والفقير الصابر ، والورع الزاهد ، والحكيم ، والحليم ، والعفو ، والكريم ، والتاجر ، والزارع الأمين ، وكان منهم الأب التقى ، والزوج الوفي ، والولد البار ، والأم الرحيمة ، والزوجة الأمينة ، والعامل الصادق ، والأخ الرحيم ، والجار المحسن .

فهذا الجيل الفريد من البشر ، وهذا السوق العامل من الفضائل كلهم من ثمرات الإيمان بالله ، ورسوله ، وكلهم تخرجوا من جامعة الإيمان ، والتقوى ، واصحبوا رعاة للأمم بعد أن كانوا رعاة للغنم فساد الأمن ، والسلام في كل بلاد فتحوها ، ولهذا كانوا الأمة الوسط ، وخير القرون ، ونواة خير أمة أخرجت للناس ، كما قال عز وجل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

السيرة النبوية هي الينبوع الصافي لطالب العلم ، والفقه ، والدليل الهادي لمريد الهداية ، والصلاح ، والمنهج السديد لمريد الدعوة والإصلاح ، والخزانة الواسعة لكل شعب الدين ، والخير ، والحياة .

وكذا السيرة النبوية هي البحر الزاخر ، و الشراج المنير ، والغيث العميم ، والشجرة المباركة المثمرة بأطيب الثمار من الأخبار الصادقة ، والأحكام العادلة ، والأقوال الحسنة ، والأعمال الصالحة ، والأخلاق الكريمة ، والسنن النبوية الفاضلة .

وكذا السيرة النبوية خير معلم ، ومدرس ، وخير مربى ، ومؤدب ، وفيها كل ما ينشده كل مسلم من دروس التوحيد ، والإيمان ، ومناهج الدعوة ،

والتعليم ، وأنواع العبادات ، والمعاملات ، ومعالي الأخلاق ، والآداب ، ووصول الإمامة ، والقيادة ، ومناهج العدل ، والرحمة ، وأنواع الجهاد ، والكفاح وألوان الكرم ، والعطاء ، وأنواع الصبر ، والتضحيات في سبيل الله عز وجل .

وكذا السيرة النبوية هي المصدر الوحيد الأعلى للأسوة الحسنة التي يتطلع إليها كل مسلم ، ومنبعه الشريعة العظيمة التي يدين الله بها كل مسلم .

والمسلم الذي لا يعيش الرسول ﷺ في قلبه ، ولا يتبعه في فكره ، وعلمه ، وعمله بجوارحه ، ولا يقتضى به في سيرته ، وسنته ، ولا يتخلق بأخلاقه ، وآدابه هو مسلم انتماء لا مسلم التزام لأنه أخذ الصورة ، وترك الحقيقة: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن تطلع شمس الرسالة من جزيرة العرب التي كانت أشد البلاد ظلامي ، وأشدها حاجة إلى هذا النور الساطع الذي يبدد الظلام ، والظلمات ، ويملأ الدنيا كلها هداية ، ونور ، ورحمة ، وعدل ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾ [الجمعة: ٢]

وأخرج الله هذه الأمة ببعثة النبي ﷺ من الظلمات إلى النور ، ومن الكفر إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن العداوة إلى المحبة ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن الخوف إلى الأمن ومن الهوى إلى الهدى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ

مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

وكما اختار الله عز وجل رسوله محمد ﷺ للعرب فقد اختار سبحانه العرب ؛ ليكونوا هم أول من يتلقى هذه الدعوة ، ثم يبلغوها إلى أنحاء العالم إلى يوم القيامة ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وفى اختيار الله للعرب ليكونوا أول من يتلقى الوحي حكمٌ بالغة ، فقد كانوا أسلم الناس فطرة ، وأصحاب إرادة قوية ، إذا عسر عليهم الحق تركوه ، وإذا التوى عليهم فهمه حاربوه ، وإذا انكشف الغطاء عن عيونهم آمنوا به ، وأحبوه ، واحتضنوه ، واستماتوا في سبيله .

وهذا ما حصل ، فقد كانوا شر البرية ، ولما آمنوا بالحق صاروا خير البرية ، وكانوا شر القرون ، ولما آمنوا صاروا خير القرون ، وكانت ألواح قلوبهم صافية لم تكتب فيها عقائد ، وكتابات عميقة يصعب محوها ، وإزالتها شأن الفرس والروم ، وأهل الهند الذين كانوا يفتخرون بعلومهم ، وآدابهم الراقية ، والزاهية التي لم يكن من السهل حلها ، وإبطالها .

أما العرب ، فلم تكن على ألواح قلوبهم إلا كتابات بسيطة خططها يد الجهل والبداوى ، فانغمست في وديان الشهوات و الغفلات ، وعميت عن الحق ، فكان من السهل اليسير محو تلك العادات ، وغسلها ، ورسم صور ربانية مكانها ، فأسرعوا في قبول الإسلام ، فتغيرت حياتهم ، وغيروا العالم ، وفتحوا قلوب البشرية بالإيمان ، والتقوى ، والأخلاق الحسنة ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ

وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

ولما أكرم الله العرب بهذا الدين ، فقبلوه كانوا خير أمة أخرجت للناس في العبادة، والدعوة، والأخلاق، والآداب، وحسن المعاملات، والمعاشرات .

وكانوا أرحم الناس بالناس ، فدعوا الناس إلى الله ، وعلموهم شرع الله ، وأحسنوا إليهم في كل حال ، وكانت قوى العرب العلمية ، والعملية ، وطاقتهم الفكرية ، ومواهبهم الفطرية مزخورة فيهم لم تستهلك فكانت أمة بِكرة ، فلما أسلمت صارت حياتها دافقة بالحياة ، والنشاط ، والعزائم ، والحماس ، والرحمة ، والإحسان ، والصدق ، والإخلاص ، والعدل ، والأمانة ، والعلم ، والتعليم ، والدعوة ، والجهاد ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح:٢٩] .

وكانت الفترة التي بعث الله بها رسوله محمد ﷺ من أشد الفترات التي مرت بها جزيرة العرب ظلمًا ، وجهلًا ، وفسادًا ، وفرقة ، وأبعد من كل أمل في الإصلاح ، وأشد يأس في الاجتماع ، وأصعب مرحله واجهها نبي من الأنبياء ، ثم طلعت شمس الرسالة ، وأيد الله رسوله ﷺ بالحق ، وأظهر دينه على الدين كله :﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف : ٩]

وأظهر الله عز وجل على يد الرسول ﷺ محاسن الأقوال ، والأعمال ، وأعظم الأخلاق ، والآداب ، وأحسن السنن ، والأحكام ، وتغيرت حياة أهل الجاهلية بجهده وجهاده ﷺ فعزت بعد ذلة ، واجتمعت بعد فرقة ، وتراحمت بعد قسوة .

وانتقلت من أمة كانت ترعى الغنم إلى أمة ترعى الأمم ، وانصرفت من عباد الأصنام ، والأوثان إلى عبادة ربهم الرحمن ، وتزينت قلوبهم بالتوحيد ، والإيمان ، وتجملت أجسادهم بالسنن ، والآداب ، واجتمعت نفوسهم على الحق ، والهدى ، وشاعت بينهم الرحمة ، والأخوة بدل الوحشة ، والقسوة : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات:١٧] .

وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

• فقه الإيمان بالله ورسوله .

الإيمان له ستة أركان وهي :

« أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهَّ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » . متفقٌ عليه[1] .

والإيمان هو التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح .

والتصديق وحده لا يكفى ، فلابد معه من الإقرار ، والانقياد ، فقد صدق أبو طالب عم النبي ﷺ بنبوة ابن أخيه محمد ﷺ، ولكنه لم يقر له ، ولم يتبعه ، فمات مشركًا وكذلك اليهود الذين كانوا بعهد النبي ﷺ كانوا يعرفون أنه نبي ، ويشهدون أنه نبي ومع ذلك حكم الله عليهم بالكفر ؛ لأنهم لم يتبعوه ، وكذا الكفار: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام:٣٣] .

وكذا بعض الكفار اليوم يؤمنون بنبوة محمد ﷺ ويسمونه النبي ، وهم باقون على كفرهم ؛ لأنهم لم يتبعوه لهذا لابد من التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] .

فلا نجاة لأحد يوم القيامة إلا بثلاثة أمور :

١- عبادة الله وحده لا شريك له .

٢- إتباع الرسول ﷺ وحده .

٣- والكفر بكل ما يري دون الله عز وجل .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٧٧)، ومسلم برقم: (٨)، واللفظ له.

قال الله عز وجل: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

ولو أن الإيمان هو التصديق لله ورسوله فقط بدون انقياد ، لكن إبليس مؤمنًا لأنه يعلم الحق من الباطل ، ولكنه لم ينقد للحق استكبارًا عليه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤] .

لهذا لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان برسول الله ﷺ، ولا يتم توحيد الله بالعبادة إلا بتوحيد الرسول ﷺ بالإتباع : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]

والإيمان بالله ، ورسوله أصل التوحيد ، وأساس الإيمان ، وأعظم أركان الإسلام ، والطريق الوحيد للفلاح ، والنجاة في الدنيا ، والآخرة : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التغابن:٨] .

لهذا لا يمكن إيمان العبد إلا باستكمال أركان الإسلام ، وأركان الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء:١٣٦] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: « بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إله إِلاَّ اللهُ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَيامِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ البيت » . متفقٌ عليه[1] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ قَالَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إله إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِّ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِّ » . متفقٌ عليه[2] .

وعن أبى هريرة عن رسولَ الله ﷺ أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » . أخرجه مسلم[3] .

وقال جبريل ﷺ: « يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ : الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِّ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأله وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ ، قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِّ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » . أخرجه مسلم[4] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٥٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٨).

- **فشهادة التوحيد لها ركنان :**

١- شهادة أن لا إله إلا الله .

٢- وشهادة أن محمدًا رسول الله .

فشهادة أن لا إله إلا الله ، توحيد الله جل جلاله بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وعبادته وحده لا شريك له ، وكلمة التوحيد بركنيها شرط للدخول في الإسلام ، وشرطٌ لدخول الجنة ، والنجاة من النار ، وهى لب الدين ، وأساس الملة ، لهذا يجب على من أراد الله ، والدار الآخرة أن يعلم شروط تلك الشهادة ، ويحققها بالعمل بموجبها ، والقيام بشروط كلمة التوحيد من أوصاف أهل الجنة، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المعارج:٣٣] .

وهذه الآية ، وإن كان المقصود بها عموم الشهادات ، فإن شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله هي أول الشهادات بالهدى ، والتحقيق ، والتصديق، والتطبيق .

٢- الخزانة الثانية

- **شروط شهادة أن لا إله إلا الله :**

يشترط لتحقيق كلمة التوحيد ثمانية شروط :

الأول : العلم المنافي للجهل، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

الثاني : اليقين المنافي للشك، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات:١٥] .

الثالث : القبول المنافي للرفض، كما قال سبحانه : ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

الرابع : الانقياد المنافي للترك، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [لقمان: ٢٢]

الخامس : الصدق المنافي الكذب، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

السادس : الإخلاص المنافي للشرك، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

السابع : الاستقامة المنافية للانحراف، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود: ١١٢] .

الثامنة : المحبة المنافية للبغض، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة:١٦٥] .

أما شهادة أن محمدًا رسول الله فهي طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠].

وشهادة أن محمد رسول الله كشهادة أن لا إله إلا الله لها شروط لا ينتفع قائلها إلا بتحقيقها :

الأول : العلم بمعناها ، وهو العلم أن محمد رسول من عند الله حقًا، كما قال سبحانه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[الأحزاب:٤٠] .

الثاني : استيقان القلب بهذه الشهادة، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات:١٥] .

الثالث : الانقياد لها ظاهرًا ، وباطنًا ، وذلك بالقيام بحقوق النبي ﷺ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران: ٣١] .

الرابع : القبول بها فلا يرد شيئًا من لوازمها، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

الخامس : الإخلاص فيها بأن لا يجعل مع الرسول شريكا في الإتباع، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال النبي ﷺ: « عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » . أخرجه مسلم[1] .

السادس : الصدق فيها ، وضده الكذب ، والنفاق، كما قال سبحانه : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾[المنافقون:١] .

السابع : المحبة لهذه الشهادة ، وأهلها ، والمعاداة لمن يبغضها، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[آل عمران: ٣٢] .

الثامن : الإيمان بها ، والكفر بما يناقضها، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧١٨).

خصائص الرسول ﷺ

رسولنا محمد ﷺ سيد ولد آدم ، وأفضل النبيين والمرسلين ، جمع الله له ما تفرق من كمالات الأنبياء من الأقوال والأعمال والأخلاق، وخصه ربه الذي اصطفاه بخصائص تميز بها عن غيره ، وخصائصه ﷺ تزيد على مائة صفة كريمة.

وهذه أشهر خصائصه ﷺ على سبيل الإيجاز :

الأول : أن الله سبحانه وتعالى أخذ العهد والميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران: ٨١] .

الثانية: أنه ﷺ أعطى خمس لم يعطهن أحدٌ قبله

عن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال : «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» متفق عليه. (١)

الثالثة : أن في كتاب الله الذي أنزل عليه الناسخ والمنسوخ ، كما قال سبحانه: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٥)، ومسلم برقم: (٥٢١).

الرابعة: أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله سبحانه: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

الخامسة : حفظ الكتاب الذي أنزل عليه إلى يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩].

السادسة: حماية كتابه ﷺ من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان، كما قال سبحانه :﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١ -٤٢].

السابعة : أن الرسول ﷺ أمنةً لأصحابه من العذاب والفتن في حياته، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٣] .

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: صَلَّيْنَا المَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ العِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله صَلَّيْنَا مَعَكَ المَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ العِشَاءَ، قَالَ «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» أخرجه مسلم [1].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣١).

الثامنة : أن الله عز وجل أقسم بحياته لما فيها من عظيم الخير والبركات والرحمات، كما قال سبحانه: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[الحجر: ٧٢]

التاسعة : أن النبي ﷺ أكثر الناس تبعًا في الدنيا والأخرة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا» أخرجه مسلم(١).

العاشرة: أن الله عز وجل نادى كل نبي باسمه فقال يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي ، يا يحيي خذ الكتاب بقوة ، ونادى محمد ﷺ بوصف النبوة والرسالة زيادة في التكريم والإجلال له، كما قال سبحانه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[الأنفال: ٦٤].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[المائدة/ ٦٧].

الحادية عشرة: أن الله عز وجل غفر للنبي ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ ﴾[الفتح:١ – ٢].

الثانية عشر: أن الله عز وجل خصَّه ﷺ بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة والمفصَّل.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ ، فُتِحَ الْيَوْمَ ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ ، فَقَالَ : هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ ، لَمْ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٦).

يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَسَلَّمَ ، وَقَالَ:أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ. أخرجه مسلم(١).

الثالثة عشرة : أن الله عز وجل قرن اسمه باسمه في الكتاب تشريفًا وتعظيمًا له، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب: ٧١].

وقال الله تعالى : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[التغابن: ١٢].

الرابعة عشر : أن الله عز وجل أعطاه مفاتيح خزائن الأرض .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا. متفق عليه(٢).

الخامسة عشرة : أن الله عز وجل خصَّه بالإسراء والمعراج، كما قال سبحانه:﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الإسراء: ١].

السادسة عشرة : أن الرسول ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، أَلَا تُحْسِنُ صَلَاتَكَ؟ أَلَا يَنْظُرُ المُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّي؟ فَإِنَّمَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ، إِنِّي وَالله لَأُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ» متفق عليه.(٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٠٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٧٧)، ومسلم برقم (٥٢٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤١٩)، ومسلم برقم (٤٢٣).

السابعة عشرة: أن الله عز وجل خصَّه بدرجة الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود يوم القيامة

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ» أخرجه البخاري [١].

الثامنة عشرة : أن الرسول ﷺ أول من تشق عنه الأرض يوم القيامة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ» متفق عليه[٢].

التاسعة عشر : أن الرسول ﷺ أول من يقرع باب الجنة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» أخرجه مسلم[٣].

العشرون : أن النبي ﷺ أول من يمر على الصراط ، في حديث الرؤيا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه - في حديث الرؤية وفيه - فقال رسول الله ﷺ: «..وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ» قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يجُيزُ » متفق عليه[٤].

---

(١)أخرجه البخاري برقم (٤٧١٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٣٧٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٣)، ومسلم برقم (١٨٢).

الحادية والعشرون : أن الله عز وجل خصَّه بالكوثر كما قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر:١-٣] .

الثانية والعشرون : أن ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ» متفق عليه(١).

الثالثة والعشرون : أن الله عز وجل خصَّه يوم القيامة بالدعوة المستجابة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا» متفق عليه(٢).

الرابعة والعشرون : أنه يدخل الجنة من أمته ﷺ سبعون ألفًا بغير حساب .

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ الفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» متفق عليه(٣).

الخامسة والعشرون : أن الله عز وجل جعل أمته ﷺ خير الأمم وجعلهم وسطًا وجعلهم شهداء على الناس كما قال سبحانه: ﴿ **كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ** ﴾[آل عمران: ١١٠] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٨٨٨)، ومسلم برقم (١٣٩٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٤)، ومسلم برقم (١٩٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٠٥)، ومسلم برقم (٢١٨).

وقال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

السادسة والعشرون : أن الله عز وجل حرم الزكاة ، والصدقة عليه وعلى إله ، وعلى مواليه ، وموالى آله .

عن عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث ﷺ.. قال: قال رسول الله ﷺ :«إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ، إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ» أخرجه مسلم(١).

السابع والعشرون : أن الله عز وجل وضع الأعذار والأغلال والحرج عن أمته، كما قال سبحانه : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[الحج: ٧٨].

وقال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة/ ١٨٥].

الثامن والعشرون : أن الله عز وجل خصه بإسلام قرينه من الجن .

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ ، وَقَرِينُهُ مِنَ المَلَائِكَةِ » ، قَالُوا : وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : «وَإِيَّايَ ، إلا أَنَّ الله أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » أخرجه مسلم(٢).

التاسع والعشرون : الرسول ﷺ تنام عيناه ، ولا ينام قلبه .

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عَائِشَة رَضِيَ الله عَنْهَا: كَيْفَ كَانَتْ صَلاَةُ رَسُولِ الله ﷺ فِي رَمَضَانَ؟ قَالَتْ: مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَلاَ تَسْال عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسْال عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثًا،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٧٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٤).

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ: «تَنَامُ عَيْنِي وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي »متفق عليه[1].

الثلاثون: أن الله ﷻ قد تجاوز لأمته عن الخطأ، والنسيان، وحديث النفس، كما قال سبحانه :﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

فقال الله: قد فعلت. أخرجه مسلم[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الله تجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» متفق عليه[3].

الحادي والثلاثون : أن الله سبحانه حفظه أمته ﷺ من الهلاك ، والاستئصال وأن الله زوي له الأرض فرأى مشارقها ، ومغاربها وأنه أعطى كنوز الدنيا ، وهى الآن في أمته .

عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَالتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا» أخرجه مسلم[4].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٩)، ومسلم برقم (٧٦٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٢٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢٦٩)، ومسلم برقم (١٢٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨٨٩).

الثاني والثلاثون : أن أمته ﷺ شهداء الله في الأرض .

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الأَرْضِ» متفق عليه[1].

الثالث والثلاثون : أنه لا يخلو عصرٌ في أمته من جماعة ظاهرة ، ظاهرة على الحق إلى يوم القيامة .

عَنِ المُغِيرَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُون» متفق عليه [2].

الرابع والثلاثون : أن الله عز وجل خص أمته ﷺ بأن جعل صفوفها كصفوف الملائكة .

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ المَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ المَاءَ» أخرجه مسلم[3].

الخامس والثلاثون : أن أمته ﷺ يأتون يوم القيامة عرى محجلين .

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنَّ حَوْضِي لَأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الإِبِلَ الغَرِيبَةَ عَنْ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣٦٧)، ومسلم برقم (٩٤٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٤١)، ومسلم برقم (١٩٢١).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٥٢٢).

حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا محُجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ» أخرجه مسلم[1].

السادس والثلاثون : أنه ﷺ ، وأمته أول من يعبر الصراط .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «.. وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ» متفق عليه[2].

السابع والثلاثون : أن أمته ﷺ أكثر أهل الجنة .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ : «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ ؟ »، قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ ؟ »، قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ ؟ »، قُلْنَا : نَعَمْ. قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ» متفق عليه[3].

الثامن والثلاثون : أن أمته ﷺ أول من يحُاسب يوم القيامة .

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ» متفق عليه[4].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٤٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٣)، ومسلم برقم (١٨٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٨)، ومسلم برقم (٢٢١).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦٢٤)، ومسلم برقم (٨٥٥).

التاسع والثلاثون : أن الله عز وجل خص أمته بيوم الجمعة من بين الأمم .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ – قَالَ: يَوْمُ الجُمُعَةِ – فَاليَوْمَ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى» متفق عليه[1].

الأربعون : أنه ﷺ أبيح له الوصال في الصامدون أمته .

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالوِصَالَ» مَرَّتَيْنِ قِيلَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: «إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ، فَاكْلَفُوا مِنَ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ» متفق عليه [2].

الحادي والأربعون : أنه ﷺ أبيح له الزواج بغير قيد وعدد، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ﴾[الأحزاب:٥٠] .

الثاني والأربعون : أن أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾[الأحزاب:٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٨٦)، ومسلم برقم (٨٥٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٦٦)، ومسلم برقم (١١٠٣).

الثالث والأربعون : أن أزواجه ﷺ محرمات على غيره أبدًا ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب:٥٣] .

الرابع والأربعون : أن الكذب عليه ﷺ أشد آثم ، وعقوبة من غيره .

عَنِ المُغِيرَةِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» متفق عليه (١).

الخامس والأربعون : أن من استهان به أو سبه كفر ،كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب:٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة: ٦١] .

وقال عز وجل : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة:٦٥-٦٦] .

السادس والأربعون : أن الله عز وجل خصه بالعصمة في أقواله ، وأفعاله ، كما قال سبحانه : ﴿**وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾**﴾ [النجم:١-٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٢٩١)، ومسلم برقم (٤).

السابع والأربعون : أن الله عز وجل اتخذ محمدًا خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً .

عَنْ ابن مسعود ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ» أخرجه مسلم [١].

الثامن والأربعون : اختصاصه ﷺ بإباحة الصلاة بعد العصر .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: رَكْعَتَانِ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ يَدَعُهُمَا سِرًّا وَلاَ عَلاَنِيَةً: رَكْعَتَانِ قَبْلَ صَلاَةِ الصُّبْحِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ العَصْرِ. متفق عليه [٢].

التاسع والأربعون : اختصاصه ﷺ بإباحة القتال في مكة .

عن أبي شريح العدوي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الفتح «إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا الله، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلاَ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ الله ﷺ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ الله قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ» متفق عليه [٣].

الخمسون : أن له ﷺ نكاح من وهبت نفسها بلا مهر ، كما قال سبحانه : ﴿ **وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ** ﴾ [الأحزاب:٥٠] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٨٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٢)، ومسلم برقم (٨٣٥).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٠٤)، ومسلم برقم (١٣٥٤).

الحادي والخمسون : أن الله سبحانه كرمه وشرفه بالصلاة عليه وأمر المؤمنين بذلك، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب:٥٦] .

الثاني والخمسون : أن أصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين قد رضي الله عنهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

الثالث والخمسون : أن الله عز وجل أعطاه قوة ثلاثين رجلاً .

عن قتادة عن أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الوَاحِدَةِ، مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ. قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَوَكَانَ يُطِيقُهُ؟ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلاَثِينَ. متفق عليه [١].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ. متفق عليه [٢].

فهذه أهم خصائص الرسول ﷺ الواردة في القرآن والصحيحين أو أحدهما ، اقتصرنا عليها خشية الإطالة .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٨)، ومسلم برقم (٣٠٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٤)، ومسلم برقم (٣٠٩).

٣- الخزانة الثالثة

- **لوازم الإيمان بالنبي ﷺ:**

ليس الإيمان بالنبي ﷺ هو مجرد التصديق، والإقرار بأنه نبي، أو أنه رسول، أو أنه مصلح عظيم، ويقف الأمر عند ذلك فقط.

بل الإيمان الصادق ، الصحيح ، الكامل بالنبي ﷺ، ليقتضي بضعة عشر أمرًا وهي :

الأول : معرفة أسمه ونسبه ﷺ، فنعرف أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ، إلى آخره .

لابد للمسلم أن يعرف الرب الذي يعبد ، وهو الله بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وأن يعرف الرسول الذي يتبعه ، وهو محمد بن عبد الله ﷺ، ويعرف الدين الذي يدين به ، وهو الإسلام .

الثاني : الإيمان ببشريته ، وأنه عبد لله لا يعبد ، ورسول لا يكذب ، كما قال سبحانه : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء:١] .

وعن عمر رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا : عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ» أخرجه البخاري[1].

الثالث : الإيمان بنبوته ، ورسالته ، وأنه نبي ، ورسول من عند الله حقًا ، فيجب تصديقه ، كما قال سبحانه : ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ**

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).

إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

الرابع: الإيمان بمثابة سيرة النبي ﷺ من الأخبار الصحيحة ، الدالة على حسن سيرته ، وعظمة أخلاقه ، وجهاده في دعوته ، وبذل كل ما يملك في سبيل إبلاغ دين ربه ، ثم تحقيق ذلك في حياة المسلم ، كما قال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

الخامس : الإيمان بما جاء من صفاته الخَلقية ، والخُلقية ، كصفة طوله ، ولونه ، وصفة هيئته ، ومشيته ، وصفة وجهه ، وجمال خلقته ، وكذا معرفة ما حباه الله به من الأخلاق الكريمة ، التي لم تجتمع لأحد غيره ، كالصدق ، والعفو ، والأمانة ، والرحمة ، والكرم ، والجود ، وغيرها من الصفات العظيمة التي أثنى الله عز وجل عليه بها ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

ثم التحلي بتلك الصفات العظيمة .

السادس : الإيمان بما جاء من خصائصه ﷺ الذاتية ، كمعرفة أنه تنام عيناه ، ولا ينام قلبه ، وأنه يرى من أمامه ، ومن خلفه ، ومعرفة خصائصه الشرعية ، كمعرفة أنه لا يورث ، وأنه لا تنكح نسائه من بعده ، وغير ذلك من الخصائص .

السابع : الإيمان بما جاء من دلائل نبوته ﷺ، وذلك بمعرفة الأدلة الأساسية ، والعقلية ، والشرعية التي تدل على أنه رسول الله حقًا .

الثامن : القيام بحقوقه ﷺ الواجبة على أمته ، بتصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه ، وزجر ، ولا يعبد الله إلا بما شرع :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال النبي ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ ، فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه[1] .

التاسع : الإيمان بأنه ﷺ خاتم النبيين ، ورسالته خاتمة الرسالات كلها ، كما قال عنه ربه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٠] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال :« إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ، قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ » متفق عليه[2].

العاشر : الإيمان بأن رسالة النبي ﷺ ناسخة لما قبله من الشرائع كلها ، كشريعة موسى ، وعيسى -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ، ومهيمنة عليها كلها ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [المائدة:٤٨] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧١٨).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٢٨٦).

الحادي عشر : الإيمان بأنه بعد بعثة النبي ﷺ، فأنه لا دين مقبول عند الله إلا الإسلام الذي جار به ، فلا يجوز التعبد لله بعد بعثته بغير الإسلام ، الذي جاء به ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران:٨٥] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ». أخرجه مسلم(١) .

الثاني عشر : الإيمان بعموم رسالته للأنس ، والجن إلى يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وكلمة الناس يقصد بها الإنس ، والجن ، كما قال سبحانه : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [الناس: ١ – ٦]

وثبتت دعوة النبي ﷺ للجن في القرآن في سورة الجن والأحقاف، وأتى بعض الجن فبايعوا النبي ﷺ على الإسلام كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٥٣).

ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحقاف:٢٩ – ٣١].

الثالث عشر : الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة كاملة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين ، وترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، كما قال سبحانه : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣] .

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للناس في حجة الوداع : «.. وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابُ الله، وَأَنتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إلى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إلى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. أخرجه مسلم(١).

وعَنْ مَسْرُوقٍ عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قالت: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شيئاً مما أنزلَ اللهُ عليه فَقَدْ كَذَبَ، واللهُ يقولُ: "يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ". متفق عليه(٢).

الرابع عشر : الإيمان بعصمته ﷺ.

- **والنبي ﷺ معصوم من خمسة أشياء :**

١ – معصوم من الشرك .

٢ – معصوم من كبائر الذنوب .

٣ – معصوم من الأخلاق السيئة .

٤ – معصوم في مجال التبليغ ، والرسالة .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢١٧).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٦١٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٧٧).

٥- معصوم في نسبه من السفاح .

١-فالنبي ﷺ عصمه ربه من الشرك، قبل البعثة وبعد ها: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

فقد كان ﷺ يعرف الله بفطرته قبل أن يبعثه الله، وكان يتعبد لله في غار حراء سنين عديده، ولم يسجد لصنم قط، ولم يفعل شيئاً من أمور الشرك التي كان يفعلها قومه.

وقد استخرج الله ﷻ حظ الشيطان منه في حادثة شق صدره التي حصلت للنبي ﷺ مرتين :

الأولى: لما كان صغيراً يرضع في بادية بني سعد، والثانية: في مكة في الحجر قبيل العروج به إلى السماء.

عن أنس بن مالك ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ القَلْبَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً ، فَقَالَ : هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ لَأَمَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ ، وَجَاءَ الغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ ، فَقَالُوا : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ ، قَالَ أَنَسٌ : وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ المِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ » متفق عليه [1].

وعن أَنَس بْن مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « بَيْنَا أَنَا عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَاليَقْظَانِ - وَذَكَرَ- يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ - فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنْ النَّحْرِ إِلَى

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٥١٧) ، ومسلم برقم (١٦٢) واللفظ له.

مَرَاقِّ البَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ البَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ البُرَاقُ فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا » متفق عليه (١).

فهذا الحديث وما قبله يدل على عصمة النبي ﷺ من الشرك.

٢- والنبي ﷺ عصمه ربه من كبائر الذنوب، سواء قبل البعثة أو بعدها، فلم يسجد ﷺ لصنم قط، ولم يشرب الخمر قط، ولم يكذب قط، ولم تمس يده يد امرأة أجنبية عنه قط، ولم تقع منه كبيرة قط: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [النجم: ١-٥].

وكيف تقع منه الكبيرة وهو الذي قال ﷺ عن نفسه: « أَمَا والله إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لله، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ» أخرجه البخاري(٢).

٣- والنبي ﷺ عصمه ربه من جميع الأخلاق السيئة، وجمَّله بجميع الأخلاق الحسنة؛ لأنه رسول رب العالمين إلى الناس أجمعين، فتبارك الله أحسن الخالقين: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم:٤].

فقد فطره الله ﷻ على كل خُلق فاضل كريم، وجمع له خصال الخير كلها، وجمله بمحاسن الأخلاق التي جبله عليها منذ نشأته.

فلله الحمد الذي عصم نبيه ﷺ من كل ما يُنقصه أو يضع من قدره في دينه، أو خلقه، أو نسبه، أو قوله، أو فعله، أو سيرته، أو نسبه، ليكون مثالا فريداً لكل ما يحبه الله ويرضاه ، وحتى لا يبقى لحاقد أو حاسد أو منتقص حجة

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣).

يتعلق بها، لتنفير الناس من رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وقالت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها حينما أتاها النبي ﷺ خائفاً بعد أن لقيه جبريل عليه السلام في غار حراء قبل البعثة، فقال لها: «لقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا، أَبْشِرْ، فوالله لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ. أخرجه البخاري(١).

وعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: فقال: أجل والله، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: " يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا " وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صَخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتحوا بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غُلفاً. أخرجه البخاري(٢).

وقول الله عز وجل: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ لا يشكل على ما تقدم من عصمة النبي ﷺ من الشرك والكبائر وسيء الأخلاق؛ لأن معنى ﴿ضَآلًّا﴾ وجدك غافلاً عما يُراد بك من أمر النبوة، أو لم تكن تدري ما القرآن ولا

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٥٣).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢١٢٥).

الشرائع، فهداك الله إليها : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى: ٥٢].

أما الخطأ الذي يجوز في حقه ﷺ فله ثلاث حالات:

١-الخطأ في الأمور الدنيوية البحتة التي لا تمس الدين والسلوك، فهذه قد تقع منه، لكنها لا تحط من قدره كنبي، ولا تنقص من منزلته، ولا تناقض عصمته، وذلك مثل تلقيح النخل، فإنه لما قدم المدينة وجدهم يلقحون النخل فقال : « لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا » فَتَرَكُوهُ ، فَنَفَضَتْ أَوْ فَنَقَصَتْ ، قَالَ : فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ» أخرجه مسلم(١).

٢- الخطأ في المسائل القضائية؛ لأنه لا علم له بحقيقة أمر المتخاصمين فيها، إلا ما ظهر له منها .

فهذا قد يقع في حقه ﷺ ، لأن النبي ﷺ بشر لا يعلم الغيب، وإنما يقضي على نحو ما يسمع من أقوال الخصمين والشهود .

ويدل على إمكانية وقوع الخطأ منه في القضاء قوله ﷺ : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ » متفق عليه (٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٦٢).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧١٦٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٧١٣).

٣- الخطأ منه ﷺ في الجانب الديني أو السلوكي، وهذا نادر جداً، لا تكاد مسائله تعد على الأصابع، وهذا من حكمة الله تعالى لإثبات أن النبي ﷺ بشر كغيره، يخطئ كما يخطئون، وينسى كما ينسون، كما حصل له من النسيان في الصلاة، لحكمة استنان المسلمين به .

وهذا الخطأ الذي يمكن وقوعه من النبي ﷺ يكون في غير شرك، ولا كبيرة، ولا في تبليغ الوحي، والله سبحانه لا يقره على هذا الخطأ، وإنما يوجهه إلى الصواب، وربما يعاتبه، كما قال سبحانه: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ ﴾ [عبس:١-٤].

وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ ﴾ [الأنفال/ ٦٧].

وهذا الخطأ يقع منه ﷺ على سبيل الاجتهاد، لا على سبيل الرغبة في المعصية .

وقد كان النبي ﷺ يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة، ووعده ربه بمغفرة ذنبه، كما قال سبحانه:﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ ﴾ [الفتح:١-٢].

٤- عصمة نسبه الذي تناسل منه من السفاح .

فقد حمى الله ﷻ أصول نبينا ﷺ من سفاح الجاهلية، فلم يشب نسبه شيء من ذلك، لا من جهة آبائه، ولا من جهة أمهاته، ولم يولد إلا من نكاح شرعي صحيح .

فلم يلتق أبواه على سفاح قط، ولم يزل الله ﷻ ينقله من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً، لم تتشعب شعبتان في عمود نسبه إلا كان في خيرهما .

فخرج ﷺ من نكاح، ولم يخرج من سفاح من لدن آدم ﷺ ، لم يصبه من سفاح الجاهلية شيء: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨] .

٥- عصمته ﷺ في مجال التبليغ من الخطأ والنسيان:

جميع أنبياء الله ورسله معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالته، ولهذا أوجب الله الإيمان بكل ما جاءوا به من عند ربهم كما قال سبحانه : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة:١٣٦-١٣٧] .

والرسل هم الوسائط بين الله وعباده في التبليغ، وبهم يهتدي البشر إلى عبادة الله سبحانه، ولهذا أوجب الله العصمة لرسله وأنبيائه، لتصل الرسالة كاملة غير منقوصة ولا محرفة، فتقوم بها الحجة على الناس: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [النجم:١-٥].

فالنبي ﷺ معصوم من الخطأ في مجال التبليغ والرسالة، وقد بلَّغ البلاغ المبين كما أمره ربه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة/ ٦٧].

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » ، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: فَإِنَّكَ تُدَاعِبُنَا يَا رَسُولَ الله. فَقَالَ: « إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» أخرجه أحمد والترمذي(١).

وقد عصم الله رسوله ﷺ من الناس، وكفاه من أذاهم.

وقد ثبت في السنة نحو عشرين قصة تدل على وقاية الله لنبيه ﷺ من أذى الكفار حتى بلَّغ رسالة ربه، منها قصته ﷺ لما اجتمعت قريش على قتله، فخرج عليهم من بيته، وخلَّف مكانه علي بن ابي طالب، وخرج عليهم ولم يروه.

ومنها عصمة الله وحفظه لرسوله ﷺ من أهل مكة، وصناديدها، وحسادها، ومعانديها، ومترفيها.

فصانه الله في بداية الرسالة بعمه أبي طالب الذي كان رئيساً مطاعاً في قريش، فلما مات قيض الله له الأنصار، فبايعوه على الإسلام، على أن يتحول معهم إلى دارهم وهي المدينة، فلما صار إليها منعوه ممن عاداه.

ومنها أن الله عصمه من كفار قريش وغيرهم وهو في طريق الهجرة، لما خرج المشركون في طلبه فاختبأ في غار ثور مع أبي بكر رضي الله عنه، ولما وصلوا

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٨٢٧٦)، وأخرجه الترمذي برقم (١٩٩٠).

إلى الغار أعمى الله أبصارهم، ثم لما أدركه سراقة بن مالك في طريق الهجرة دعا عليه النبي ﷺ، فساخت قوائم فرسه، فلم يستطع أن يدركه أو يضره .

وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله، ورد كيده عليه، وحفظ رسوله ﷺ فقد كاده اليهود في المدينة بالسحر، فحماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء.

ولما سَمَّه اليهود في ذراع تلك الشاة التي أهديت له بخيبر أعلمه الله به، وحماه منه.

وحماه الله من المشركين في بدر بمدد من الملائكة .

وحماه الله من المشركين في الأحزاب بالريح الشديدة، والملائكة القديرة، وغير ذلك كثير مما ثبت في السنه.

٤- الخزانة الرابعة

- **نواقض الإيمان بالنبي ﷺ:**

كما أن للصلاة نواقض ، فكذلك فلشهادة أن لا إله إلا الله نواقض ، ولشهادة أن محمد رسول الله نواقض .

فشهادة أن محمد رسول الله تنتقض بالوقوع في أحد خمس أمور :

الأول : نقص شرط من شروط أن محمد رسول الله بعدم الإيمان به ﷺ ، أو عدم طاعته فيما أمر ، أو عدم تصديقه فيما أخبر. أو عدم اجتناب ما نهي عنه وزجر ، أو عدم عبادة الله بما شرح ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ [النساء: ١١٥] .

الثاني : إنكار أمرٍ معلوم من الدين بالضرورة ، كإنكار نبوته ﷺ ، أو بشريته ، أو أنه خاتم النبيين ، أو إنكار عموم رسالته للإنس ، والجن ، وإنكار أنه قد بلغ الدين كله ، أو إنكار أن رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع ، أو إنكار أنه له حقوق على أمته ، ونحو ذلك ، فمن فعل ذلك فهو كافر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ ﴾ [النساء:١٥٠-١٥١] .

الثالث : إيذائه بقولٍ ، أو بفعل ، سواء كان ذلك في حياته ، أو بعد مماته ، فمن أذاه فهو كافر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ ﴾ [الأحزاب:٥٧] .

ومن لعنه الله لا يكون إلا كافر ؛ لأن من أذى الرسول ﷺ، أذى الله ، ومن أطاع الرسول ﷺ، فقد أطاع الله :﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ ﴾[النساء:٨٠] .

ومن ألوان إيذائه ﷺ: الاستهزاء به ، أو الطعن في شخصه ، أو نسبه ، أو صدقه ، أو عقله ، أو عفته ، أو عرضه ، أو الطعن في دينه ، أو تصغير شأنه ، ونحو ذلك ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤ ﴾[الأنعام:٣٤] .

والاستهزاء بالنبي ﷺ سبٌّ له ، وكفر بالله ، ورسوله ، سواء كان المستهزئ جادًا ، أو هازلًا ، كما قال الله عز وجل عن المستهزئين به ، وبأصحابه ﷺ: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦ ﴾[التوبة:٦٥-٦٦] .

فالاستهزاء بالله ، ورسوله كفر مخرج من الدين ؛ لأن أصل الدين قائم على تعظيم الله ، وتعظيم دينه ، وتعظيم رسوله ، والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل العظيم ، من توقيره ﷺ ، وتعظيمه ، وإجلاله ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩ ﴾[الفتح:٨-٩] .

الرابع : الوقوع في شيء من نواقض الإسلام ، ونواقض الإسلام الكبرى كثيرة .

- **ويجمعها عشرة نواقض وهي :**

١ - الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له .

٢- من جعل بينه ، وبين الله وسائط يدعوهم ، ويتوكلوا عليهم ، ويسألهم الشفاعة .

٣- من لم يكفر المشركين ، أو شك بكفرهم ، أو صحح مذهبهم .

٤- ومن اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه .

٥- ومن أبغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ ، ولو عمل به .

٦- ومن استهزئ بشيء من دين الله ، أو ثوابه ، أو عقابه .

٧- والسحر من فعله ، أو رضي به كفر .

٨- ومن اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة ﷺ.

٩- والإعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ، ولا يعمل به .

١٠- إنكار شيء معلوم من الدين بالضرورة ، كإنكار وجوب الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، وما نحو ذلك ، أو إنكار تحريم الزنا ، والربا ، أو إنكار شيء من أركان الإسلام ، أو الإيمان ، ومظاهرة المشركين ، ومعاونتهم على المسلمين .

فمن فعل شيئًا من هذه النواقض عالمًا ، عامدًا ، مختارًا ، فهو كافر مرتدٌ عن الإسلام ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ [النساء:١٣٦] .

الخامس : الغلو في النبي ﷺ ، وهو مجاوزة الحد في تعظيم النبي ﷺ ، حتى يصل الأمر إلى صرف شيء من حقوق الله -تَعَاليَ- له ، سواء كان من صفات الله ، كصفات علم الغيب ، أو من العبادات كصرف الدعاء ، أو

النذر ، أو الذبح له ، وهذا هو الشرك بعينه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر:٦٥-٦٦] .

وهذا الأمة أفضل الأمم ، وقد خصها الله بأكمل الشرائع ، وجعلها أمة وسطا في كل شيء ، فلا إفراط ، ولا تفريط ، ولا غلو ، ولا تقصير ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة:١٤٣] .

وقد حذر الله هذه الأمة ، وغير من جميع أنواع الغلو ، والأهواء بقوله : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[المائدة:٧٧] .

والغلو في النبي ﷺ حرام ؛ لأن الغلو في الأنبياء ، والصالحين يؤدي إلى الوقوع في الشرك ، كما حصل لقوم نوح حين غلو في الصالحين منهم ، ثم زين لهم الشيطان ، فعبدوه من دون الله ، كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾[نوح:٢١-٢٥] .

ثم بسبب الغلو في الصالحين انتشر الشرك في قوم نوح ، ثم انتقل إلى من بعدهم ، حتى وصل الشرك عن طريق الغلو إلى أمة محمد ﷺ، وانتقلت تلك الأصنام من قوم نوح إلى بلاد العرب .

ومن ذلك الغلو النصارى في نبي الله عيسى ﷺ، فأنهم تجاوزوا الحد ، ونقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله ، كما قال الله عنهم : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[المائدة:٧٢] .

ثم غلو في إتباع عيسى ﷺ من الأحبار ، والرهبان ، وادعوا فيهم العصمة ، ثم اتبعوهم في كل ما قالوا ، سواء كان حقًا أم باطلًا :﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[التوبة:٣١] .

لهذا يجب تعظيم النبي ﷺ، وتوقيره حسب ما ورد به الشرع ، من غير غلو ، ولا إطراء .

عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا تُطْرُوني كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ » . أخرجه البخاري[1] .

ومظاهر الغلو في الأنبياء ، والصالحين كثيرة ، بعضها شرك ، وفاعلها يعتبر مشركًا ، وبعضها يدخل في حيز البدع غير مكفرة ، وصاحبها يعتبر من أهل الكبائر .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٤٥).

- **مظاهر الغلو في النبي ﷺ.**

مظاهر الغلو في النبي ﷺ التي يكفر بها العبد ستة ، وهي كما يلي :

الأول : دعائه ﷺ، كان يقول : يا رسول الله أغثني ، أو يا نبي الله اغفر لي ، ونحو ذلك ، فهذا شركٌ ؛ لأن الدعاء عبادة لا تصرف إلا لله وحده ، ومن صرف دعائه لغير الله ، فهو ضال مشرك: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[الأحقاف:٥] .

الثاني : دعوة الربوبية فيه ﷺ، كأن يعتقد أنه يخلق ، أو يرزق ، أو يدبر الأمر ، أو نحو ذلك ، وهذا شرك ظاهر ، وهو من أقبح أنواع الشرك ؛ لأن الله وحده هو المتفرد بالربوبية على خلقه أجمعين ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢] .

الثالث : الذبح له ، والذبح لغير الله شرك ؛ لأن الذبح عبادة ، لا يجوز صرفها إلا لله وحده : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾[الكوثر:٢] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

الرابع : النذر له ﷺ، وهذا شرك ؛ لأن النذر عبادة ، لا تصرف إلا لله وحده :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

الخامس : الطواف حول قبره ، وهذا شرك ؛ لأن الطواف عبادة ، لا يجوز صرفه إلا لله وحده ، والطواف الشرعي ، لا يكون إلا في مكان واحد من الأرض ، وهو الطواف في البيت العتيق ، في مكة حرصها الله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الحج:٢٩] .

السادس : ادعاء أنه يعلم الغيب ، وهذا شرك في التوحيد ؛ لأن علم الغيب خاص بالله وحده ، فمن ادعى أن غير الله يعلم الغيب فهو مشرك : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:٥٩] .

أما المظاهر المحرمة في الغلو بالنبي ﷺ فيما دون الشرك ، فهي على درجتين :

١- منها ما يدخل في حيز البدع .

٢- منها ما يدخل في حيز الكبائر ، التي دون البدع .

وكلاهما ليست من نواقض الإيمان بالنبي ﷺ، وليست مكفرات بحد ذاتها ، ولكنها قد تؤدى إلى الكفر ، والشرك ، ولهذا حذر منها النبي ﷺ؛ لأن كل ما كان وسيلة إلى محرم ، فهو محرم ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

ومن هذه المظاهر ما يلي :

أولًا : اتخاذ قبر ﷺ مسجدًا يصلى فيه.

وهذا بحمد الله متعذر بسبب الحجرة النبوية ، والسور الحديد المحيط بها ، وقيام الحكومة السعودية حرصها ، ومنع ذلك .

عن جندب بن سفيان قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يتوفى بخمس يقول : « أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ » . أخرجه مسلم(١) .

ومن أجل هذا دفن الصحابة رسول الله ﷺ في حجرة عائشة ؛ لألا يتخذ قبره مصلى .

عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه : « لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » . متفق عليه(٢) .

ثانيًا : بناء مسجد على قبره – لعبادة الله وحده.

وهذا لم يحصل بحمد الله ، ولن يحصل ؛ لأن الله حارس النبي ﷺ حيًا ، وميتًا ، وعاصم له من كل ما يؤذيه ، فيحرم على أهل التوحيد بناء المساجد على قبور الأنبياء ، أو الصالحين .

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ لِرَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ أُولَئِكِ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكِ الصُّوَرَ ، أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ» متفق عليه(٣).

ثالثًا : دعاء الله عز وجل عند قبره ﷺ

ومن يفعل هذا يظن أن الدعاء عند قبره أقرب إلى الاستجابة ، وهذا قول على الله بغير علم ، وقد نهى النبي ﷺ أن يتخذ قبره عيدًا ، ولم يفعله أصحابه بعد مماته : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٣٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٣٠)، وأخرجه مسلم برقم: (٥٢٩) ، واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٢٧) ، ومسلم برقم (٥٢٨).

ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

رابعًا : طلب الدعاء منه ﷺ بعد مماته

وهذا سفه في العقول ، لأن النبي ﷺ قد مات بنص القرآن ، وإجماع الصحابة ، والميت في حياة برزخية على علاقة له بالحياة الدنيا ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[الأحقاف:٥] .

ولو كان طلب الدعاء منه بعد وفاته مشروعًا ، لفعله الصحابة رضي الله عنهم ، وإنما يُطلب منه الدعاء في حياته فقط ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾[النساء:٦٤] .

خامسًا : اتخاذ قبره عيدًا ، يعود الإنسان كل يوم ، أو كل أسبوع ، ونحو ذلك ، وهذا محرم ؛ لأنه من الزيادة في التعظيم فوق القدر المشروع .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا » . أخرجه أحمد ، وأبو داود بسند صحيح[1] .

وبهذا نعلم أن بعض ما يفعله بعض الناس من زوار المدينة ، وغيرهم من ارتياد قبر النبي ﷺ كل يوم ، أو بعد كل فريضة ، مخالف للشريعة .

سادسًا : السفر إلى زيارة قبره ﷺ، وهذا محرم .

---

(١)صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٥٨٦) وهذا لفظه، وأخرجه أبوداود برقم (٢٠٤٢) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِي هَذَا ، وَالمُسْجِدِ الحْرَامِ ، وَالمُسْجِدِ الأَقْصَى » . متفق عليه(١) .

فمن أراد السفر للمدينة ، فلتكن نيته السفر لزيارة المسجد النبوي ، والصلاة فيه فقط ، وبعد الصلاة تسنن له زيارة قبر النبي ﷺ.

سابعًا : الحلف به ﷺ، وهذا محرم ، وقد يكون شركًا مخرجًا من الملة ، وقد لا يكون شركًا ، فإن كان الحالف يعظم المحلوف به ، كما يعظم الله ، فيقول والنبي ، أو حياة النبي ، فهذا شرك ؛ لأنه ساوى بين الله ، والمخلوق في المنزلة ، وإن كان دون ذلك فإنه من الشرك الأصغر الذي هو من كبائر الذنوب .

عن ابن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهَّ فَقَدْ كَفَرَ ، أَوْ أَشْرَكَ » أخرجه أبو داود ، والترمذي (٢) .

ثامنًا : تعظيم البقاع ، والأماكن التي مر بها النبي ﷺ، أو صلى عندها ، أو جلس فيها ، وهذا محرم ؛ لأنه من التعلق بغير الله من الجمادات :﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠]

التاسع : التبرك بمسح قبره ﷺ، أو أخذ تراب منه ، أو التمسح بجدران حجرته ، أو الحديد المحيط بها ، ونحو ذلك ؛ لابتغاء البركة ، وهذا باطل ، ومحرم ؛ لأن الشرع لم يأتِ به ، وهو من التعلق بغير الله من الجماد ، والأمور كلها بيد الله وحده لا شريك له ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٩٥) ، ومسلم برقم (١٣٩٧) واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥).

وعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى خُيْبَرَ ، مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ، يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«سُبْحَانَ الله، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»أخرجه أحمد والترمذي(١).

عاشرًا : التوسل بذاته ﷺ، كأن أن يقول لله اللهم إني أتوسل إليك بجاه نبيك ، أن ترزقني ، أو تشفيني ، أو نحو ذلك ، فهذا من التوسل البدعي ؛ لأن الشرع أورد التوسل بأسماء الله الحسنى ، أو بالعمل الصالح من العبد ، أما التوسل بذوات الآخرين ، أو أعمالهم ، فهذا لم يرد في القرآن ، ولا السنة ، فالتعبد لله به بدعة :﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » . أخرجه مسلم(٢) .

الحادي عشر : الاحتفال بذكرى مولده ﷺ، وهذه من البدع المشتهرة ، وقد أنكرها علماء الإسلام على مر العصور، وهي من التشبه بالكفار من النصارى، الذين يحتفلون بمولد عيسى ﷺ ويتخذونه عيدًا توقد فيه الشموع، وترتكب المحرمات من الغلو، والأغاني ، والاختلاط، وغيرها ، وفي إقامة المولد تشبه بالنصارى ، وهو منهي عنه شرعًا ، كما قال النبي ﷺ: « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » أخرجه أبو داود واللفظ له، وأحمد(٣) .

---

(١) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢١٣٨٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢١٨٠) وهذا لفظه.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٧١٨).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود (٤٠٣١) واللفظ له، وأحمد (٥١١٤) مطولاً.

عن أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ ، وَالنَّصَارَى ، قَالَ : فَمَنْ » . متفق عليه[1] .

والاحتفال بالمولد النبوي لو كان خيرًا ، لفعله الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعون الذين هم أشد الناس تعظيمًا للنبي ﷺ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه ، والخير كله في إتباع سنته ، وهديه ، والعمل بما جاء به :﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

وقال سبحانه : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وإقامة المولد النبوي بجميع أنواعه ، سواء كان في المساجد ، أو غيرها ، بدعة محرمة ، محدثة ، أحدثها الشيعة الفاطميون لإفساد دين الإسلام ، وفيه من الفساد ، والرقص ، والغنى ، والغلو ، والمنكرات مما عم وطم يندى له الجبين .

- **عقوبة المستهزئ بالنبي ﷺ:**

أما حكم الاستهزاء بالنبي ﷺ، فهو لون من ألوان إيذائه ، ومن استهزأ به فهو كافر ، وعقوبة المستهزئ بالنبي ﷺ القتل كفر لا حد .

عن جَابِرَ بْن عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى الله وَرَسُولَهُ» فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله أَتحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ قَالَ: «نَعَمْ».

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤٥٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦٦٩).

قَالَ فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا قَالَ: « قُلْ».
فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ.
قَالَ: وَأَيْضًا وَاللهِ لَتَمَلُّنَّهُ .
قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ.
فَقَالَ: نَعَمِ ، ارْهَنُونِي .قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟
قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ.
قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ العَرَبِ؟
قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ.
قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ فَيُقَالُ رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ - قَالَ سُفْيَانُ يَعْنِي السِّلَاحَ -.
فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنْ الرَّضَاعَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الحِصْنِ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ - وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَتْ أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ- قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُونَائِلَةَ، إِنَّ الكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ.
قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ - وَقَالَ مَرَّةً ثُمَّ أُشِمُّكُمْ -.
فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ رِيحًا.
قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ العَرَبِ ، وَأَكْمَلُ العَرَبِ .

فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ.
قَالَ: نَعَمْ .فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ قَالَ: دُونَكُمْ، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ . . متفق عليه[1].

والاستهزاء به ﷺ معادة له ، والمعادي لولي الله معادي لله في الحقيقة ، ومن عاد الله فقد حاربه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أن الله تعالى قال : « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ » . أخرجه البخاري[2] .

والمستهزئ بالنبي ﷺ حقيق بعقوبة الله في الدنيا ، والآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾[الحجر:٩٥] .

والنبي ﷺ لم يسلم من الأذى ، والسخرية ، والاعتداء منذ بعثه الله إلى يومنا هذا ، شأنه شان غيره من الأنبياء ، والمرسلين ، لتستمر أجورهم من غيرهم ، إيجابًا ، وسلبًا: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[يس:٣٠] .

ومن استهزاء الكفار بالنبي ﷺ أنهم اتهموه بالجنون ، والكذب ، والشعر ، والسحر ، وغمزوه في عرضه الشريف ، وكان يسمونه مذمم ، ولكن الله حفظه ، وعصمه ممن أذاه ، ونصره على أعدائه ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[المائدة:٦٧] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٠٣٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٠١).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٠٢).

وقد أخبر الله رسوله ﷺ إن من استهزأ بالأنبياء ، الله سيعاقبه في الدنيا ، والآخرة :﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الأنعام:١٠] .

والاستهزاء بالرسول ﷺ لا يضر بالدين شيئًا ، فدين الله سيبلغ ما بلغ الليل ، والنهار لا محالة ، وقد بلغوا لله الحمد أكثر الأرض :﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[التوبة:٣٣] .

من سب النبي ﷺ مكرهًا ، فهذا لا يؤاخذ ، كما قال سبحانه :﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل:١٠٦] .

ولا شك ، ولا ريب أن الاستهزاء بالنبي ﷺ مستلزمٌ بالشريعة التي جاء بها ، فلولا الدين الذي جاء به لما استهزءوا به ، فمن استهزأ به ، استهزأ بالشريعة التي جاء بها ، ومن استهزأ بالشريعة ، فقد استهزأ بالله الذي أنزلها ، وكل ذلك كفر عظيم ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[التوبة:٦٥-٦٦] .

٥- الخزانة الخامسة

أحسن أسوة :

من رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم الأنبياء ، والرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ؛ ليسعدوا في الدنيا ، والآخرة :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦] .

فالله سبحانه اختار الأنبياء ، والرسل من البشر، واختار الرسل من الأنبياء الذين أرسلهم الله؛ لهداية خلقه، و الذين بلغ عددهم مائة وأربعة وعشرون ألفًا نبي الرسول منهم ثلاثمائة وخمسة عشر رسولًا.

واختار من الرسل أولى العزم نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد - عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

واختار سبحانه من أولى العزم الخليلين إبراهيم ، ومحمد -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- واختار من الخليلين سيد الأنبياء ، والرسل محمد ﷺ.

واختار سبحانه هذه الأمة من بين الأمم ، وفضلهم على سائر الأمم في توحيدهم ، وإيمانهم ، وفى أعمالهم ، وأخلاقهم ، و في عظيم ثوابهم ، وحسن جزاءهم ، إن أصابهم ما يحبون حمدوا ، وشكروا ، وإن أصابهم ما يكرهون صبروا، واحتسبوا :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

وحاجة الناس إلى بعث الأنبياء، والرسل الذين يبينون لهم ما يريد الله عز وجل هو ما يحبه ، أشد حاجة؛ لهذا حاجة العباد إلى معرفة الرسول ﷺ وما جاء به فوق كل حاجة ، فإنه لا سبيل إلى فلاح الناس ، وسعادتهم في الدنيا ، والآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل ، والطيب من الخبيث إلا من جهتهم ، ولن ينالوا رضي الله البتة إلا على أيديهم :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فالطيب من جميع الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق هو هديهم ، وهو الميزان الراجح الذي به أقوالهم، وأعمالهم، وأخلاقهم تزن أقوال، وأعمال، وأخلاق البشرية .

وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، وأهل الحق من أهل الباطن ، ويحصل الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ﴿ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُواْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾[النساء:٦٦-٧٠] .

وإذا كانت سعادة الإنسان في الدارين متعلقة بهدى النبي ﷺ ، فيجب على كل مسلم يحب أن يسعد في الدنيا ، والآخرة أن يعرف مسيرة النبي ﷺ، وهديه ، وسنته ما يخرج به من قوائم الجاهلين ، ويدخل به في عداد أتباعه

المؤمنين ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران: ٣١] .

والإتباع الكامل للنبي ﷺ يتحقق بستة أمور :

معرفة سيرته ، وسنته ، وإتباعه في نيته ، وفكره ، وفى أقواله الحسنة ، وفى أعماله الصالحة ، وفى أخلاقه الكريمة ، وفى دعوته ، وجهاده .

وحياة النبي ﷺ أحسن حياة ، وأطهر حياة ، وأذكى حياة ، وأجمل حياة ، وقد أكرم الله رسوله ﷺ بأنواع الحياة المختلفة ، زوجًا ، وأبًا ، وداعيًا ، ومعلمًا ، وعابدًا ، وزاهدًا ، وإمامًا ، وسيدا ، وذاكرًا ، ومذكرًا ، وغنيًا ، وفقيرًا ، وشاكرًا ، وصابرًا ، ومجاهدًا ، ومقاتلاً ، وغير ذلك من صفحات الحياة القلبية ، والبدنية ، والأخلاقية .

وذلك أولًا : ليمتثل ﷺ أمر الله إليه في كل حال ، ويبلغ فيه الكمال ، وينال عليها أحسن الثواب : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

ثانيًا : ليكون ﷺ لكل فرد من أمته سواء كان رجلًا ، أو امرأةً ، أو زوجًا ، أو أبًا حاكمًا ، أو محكومًا قويًا ، أو ضعيفًا ، أو داعيًا ، أو معلمًا ؛ ليكون قدوة لكل فرد من أولئك :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

لهذا يجب على كل مسلم ، ومسلمة تعلم ما جاء به ، والعمل بموجبه ، والدعوة إليه ، والتواصي به ، والصبر عليه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

حياة النبي ﷺ الخاصة :

- **ملابس الرسول ﷺ :**

كانت له ﷺ عمامة تسمى السحاب ، وكان إذا اعتم أرخى طرفي عمامته بين كتفيه .

عن عمرو بن الحرير رضي الله عنه قال : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ ، قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ » . أخرجه مسلم[1] .

ولبس ﷺ القميص ، وكان أحب الثياب إليه ، وكان كمه إلى الرسغ في الكف ، ولبس الجُبة ، ولبس في السفر جُبة ضيقة الكمين، ولبس القباء ، ولبس الإزار، والرداء، وكان طول رداءة ستة أذرع وشبر، وعرضه ذراعان وشبر ، وطول إزاره أربعة أزرع ، وشبر ، وعرضه ذراعان وشبر .

ولبس ﷺ حلة حمراء منسوجة بخطوط حمر مع الأسود ، والحلة إزار و رداء بشكل واحد، ولبس ﷺ الخميصة المعلمة، والسادجة ، ولبس الثوب الأسود ، ولبس الفروة المكفوفة بالسندس .

ولبس ﷺ السراويل ، ولبس الخفين ، ولبس النعلين ، ولبس الخاتم في يمينه ، ويسراه ، ولبس البيضة على رأسه ، ولبس المغفر ، ولبس الدرع ، وظهر يوم أحد بين ذراعيه .

وكان للرسول ﷺ بردان أخضران ، وكساء اسود ، وكساء أحمر ملبد ، وكساء من شعر ، وكان قميصه ﷺ من قطن ، وكان قصير الطول ، قصير

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٣٥٩).

الكمين ، وكان أحب الثياب إليه القميص ، والحبرة ، والحبرة ضربٌ من البرد فيه حمرة .

وكان أحب الألوان إليه البياض لبسه ﷺ وأمر بلبسه ، وتكفين الأموات به .

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمْ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ ». أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[1] .

عن أبي بُرْدَةَ قال : « دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا إِزَاراً غَلِيظاً مِمّا يُصْنَعُ بِالْيَمَنِ ، وَكِسَاءَ مِنَ الّتي يُسَمّونهَا المُلَبّدَةَ ، قال : فَأَقْسَمَتْ بالله أنّ رَسُولَ الله ﷺ قُبِضَ في هَذَيْنِ الثّوْبَيْنِ » . أخرجه مسلم[2] .

ولبس ﷺ خاتم فضة ، وكان يجعل فصه مما يلي باطن كفه ، ونهى الرجال عن التخطب بالذهب ، وكان غالب ما يلبسه ﷺ وأصحابه من الثياب ما نُسج من قطن ، وربما لبسوا ما نُسج من صوف ، والكتان أحيانًا .

وسنة الرسول ﷺ أن هديه في اللباس أن يلبس ما تيسر له من اللباس من القطن ، أو الكتان ، أو الصوف ، أو الشعر .

ولبس ﷺ العمامة وأدارها على الحُنك ، وكان إذا استجد ثوبًا سماه باسمًا ، وكان إذا لبس قميصه بدأ بميامينه وهديه ﷺ في أنواع اللباس ، أن اللباس الجميل إذا لبسه الإنسان تجملا ، وإظهارًا لزينة ، ونعمة الله فهو ممدوح ، وإذا لبسه تكبر ، وفخر ، وخيلاء فهو مذموم وإذا لبس الدنيء من الثياب استكانة ، وتواضع فهو ممدوح وإذا لبسه شهرة ، ورياء فهو مذموم .

---

(١)صحيح/ أخرجه أبوداود برقم (٣٨٧٨) ، وأخرجه الترمذي برقم (٩٩٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٨٠).

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ، قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يحُبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ : إِنَّ اللهَّ جَمِيلٌ يحُبُّ الجَمَالَ ، الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ » . أخرجه مسلم[1] .

- **أثاثه ﷺ :**

كان له ﷺ قدح يسمى الريان، وقدح من قوارير، وقدح مضبب بسلسلة من فضة، وله ركوة تسمى الصادر، وتورٌ من حجارة يتوضأ منه، ومغتسل من صفر، وله ربعة يجعل فيها المشط والمرآة والمقراض والسواك ، وله مكحلة يكتحل منها عند الحاجة عند النوم في كل عين ثلاثاً بالإثمد.

وكانت له ﷺ قصعة تسمى الغراء، لها أربع حلق، يحملها أربعة رجال.

وله صاع، ومد، وقطيفة، وله سرير قوائمه من ساج، أهداه له أسعد بن زرارة، وله فراش من أدم حشوه ليف، وله وسادة من أدم حشوها ليف ، وله كنانة تسمى الجمع .

وكل هذه وردت في أحاديث صحيحة عنه ﷺ .

- **طعامه ﷺ :**

كان هديه ﷺ في الطعام أنه ما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم، وما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه لغيره يأكله .

وأكل ﷺ الحلوى والعسل، وكان يحبهما، وأكل لحم الجزور والضأن، وأكل الدجاج والحباري، وأكل لحم الأرنب وحمام الوحش، وأكل طعام البحر، وأكل الشواء .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩١).

وأكل الرطب والتمر، وشرب اللبن خالصاً ومشوباً، وشرب السويق والعسل مشوباً بالماء، وأكل القثاء بالرطب، وأكل الأقط، وأكل التمر بالخبز، وأكل الخبز بالخل، وأكل الثريد، وهو الخبز باللحم، وأكل الخبز بالإهالة السنخة، وأكل القديد وأكل من الكبد المشوية، وأكل الدباء المطبوخة، وأكل الثريد بالسمن، وأكل الجبن، وأكل الخبز بالزبيب، وأكل البطيخ بالرطب، وأكل التمر بالزبد، وكان يحبه .

وكان هديه ﷺ في الطعام أكل ما تيسر، فإن أعوزه صبر، حتى إنه ليربط الحجر على بطنه من الجوع، ويُرى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ولا يوقد في بيته نار.

وكان ﷺ إذا جاءه ضيف لا يرد موجودا، ولا يتكلف مفقوداً .

وكان معظم طعامه ﷺ يوضع على الأرض في السفرة، وهي كانت مائدته، وكان يأكل بأصابعه الثلاث، ويلعقها إذا فرغ، وكان يجلس على طعامه جلسة العبد، ولا يأكل متكئاً على الجنب، ولا على إحدى يديه.

وكان ﷺ يأكل ويشرب بيمينه، ويقول:(بسم الله) في أول طعامه، ويحمد الله بعد الفراغ منه.

وكان أكثر شربه قاعداً، وزجر عن الشرب قائماً، وشرب مرة من زمزم لعذر قائماً .

وكان ﷺ إذا شرب ناول من على يمينه، وإن كان من على يساره أكبر منه.

وكان ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَبو بَكْرٍ، فَشَرِبَ ثُمَّ أَعْطَى الأَعْرَابِيَّ وَقَالَ: «الأَيمَنُ

فَالأَيمَنُ» متفق عليه[1].

- **خدمه ﷺ :**

منهم أنس بن مالك، وكان على حوائجه، وعبد الله بن مسعود، صاحب نعله وسواكه، وعقبة بن عامر، صاحب بغلته، وبلال بن رباح، وأبو ذر الغفاري، رضي الله عنهم.

- **مواليه ﷺ :**

منهم زيد بن حارثة رضي الله عنه ، حب رسول الله ﷺ، أعتقه ﷺ، وزوَّجه مولاته أم أيمن، فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

ومنهم ثوبان، وأسلم، وأبو رافع، وأبو كبشة سليم، وشقران، ورباح، ويسار، ومدعم، وكركرة، وأنجشة، وسفينة، وأفلح، وعبيد، وطهمان، وذكوان، وأبو مويهبة فهؤلاء مواليه من الرجال.

ومواليه من النساء منهن سلمى أم رافع، وميمونة بنت سعد، ومارية القبطية، وريحانة، وميمونة، رضي الله عنهن .

- **حرسه ﷺ :**

منهم سعد بن معاذ، حرس النبي ﷺ يوم بدر حين نام في العريش، ومحمد بن مسلمة، حرسه يوم أحد، والزبير بن العوام، حرسه أيام الخندق، والمغيرة بن شعبة وقف على رأسه بالسيف يوم الحديبية .

ومنهم عباد بن بشر، وهو الذي كان على حرسه .

وحرسه ﷺ جماعة آخرون غير هؤلاء، فلما نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة/٦٧].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٣٥٢)، ومسلم برقم (٢٠٢٩) واللفظ له.

خرج ﷺ إلى الناس فأخبرهم بها، وصرف الحرس.

- **دوابه ﷺ :**

ركب ﷺ الناقة، والخيل، والحمار، والبغل .

فمن خيله ﷺ السَّكب، وهو أول فرس ملكه، وكان أغر محجلاً، والمرتجز، وكان أشهباً، واللزاز، واللحيف، والظراب، والورد، وسبحة، فهذه سبعة من خيله ﷺ .

وكانت له من البغال دلدل، وكانت شهباء، وبغلة أخرى تسمى فضة، وبغلة شهباء أهداها له صاحب أيلة، وبغلة أخرى أهداها له صاحب دومة الجندل.

ومن الإبل كانت له القصواء ، وهى التي هاجر عليها ، والعضباء ، والجدعاء ، ولم يكن بها عضبٌ ، ولا جذع ، والعضباء هي التي كانت لا تسبق ثم سبقها قعود الأعرابي .

وغنم ﷺ جملًا مهريًا يوم أحد ، وكان لأبى جهل ، وكانت في أنفه بره من فضه فأهداه ، وذبحه يوم الحديبية ؛ ليغيظ به المشركين .

وكان له من الحمر عفير أهداه له المقوقس ملك القبط وحمارًا آخر أهداه له فروه الجزامي .

ومن الإبل كانت له القصواء، وهي التي هاجر عليها، والعضباء، والجدعاء، ولم يكن بهما عضب ولا جدع، والعضباء هي التي كانت لا تُسبق، ثم سبقها قعود الأعرابي .

وغنم ﷺ جملاً مهرياً يوم بدر، وكان لأبي جهل، وكانت في أنفه برة من فضة، فأهداه وذبحه يوم الحديبية ليغيظ به المشركين .

وكان له من الحُمر عفير، وكان أشهباً، أهداه له المقوقس ملك القبط، وحمار آخر أهداه له فروة الجذامي .

وكان له ﷺ من الإبل خمس وأربعون لقحة، وله مائة شاة من الغنم، وكان يريد أن لا تزيد، كلما ولّد له الراعي بهمة، ذبح مكانها شاة .

وكانت له سبع أعنز منائح، ترعاهن أم أيمن رضي الله عنها .

• **ركوبه ﷺ :**

ركب ﷺ الإبل، والخيل، والبغال، والحمير، في أيام ومناسبات مختلفة.

وركب الفرس مسرجة تارة، وعرياً أخرى، وكان يركب وحده وهو الأكثر، وربما أردف خلفه على البعير، وربما أركب أمامه، وأردف الرجال، وأردف بعض نسائه .

وكان أكثر مراكبه ﷺ الخيل والإبل .

• **نومه ﷺ وانتباهه :**

كان فراشه ﷺ أدماً حشوه ليف، وكانت وسادته أدماً حشوها ليف، وكان له مسح ينام عليه يُثنى له ثنيتين .

وكان ﷺ ينام على الفراش تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى النطع تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رماله، وتارة على كساء أسود .

وكان إذا أوى إلى فراشه للنوم قال: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا»

وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيهِ النُّشُورُ » أخرجه البخاري[1].

وكان ينام على شقه الأيمن، ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣١٤).

وغير ذلك من أذكار وآداب النوم والاستيقاظ المبسوطة في كتب الفقه والحديث .

- **معاشرته ﷺ أهله :**

كانت سيرته ﷺ مع نسائه حُسن المعاشرة، وحُسن الخلق، وكان يقسم بين أزواجه في المبيت والنفقة، وكان إذا صلى العصر دار على نسائه، فدنا منهن، واستقرأ أحوالهن، فإذا جاء الليل انقلب إلى بيت صاحبة النوبة فخصها بالليل، وقل يوم إلا كان يطوف عليهن جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس .

وكان ﷺ يقسم بين نسائه التسع إلا سودة بنت زمعة، فإنها لما كبرت وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها.

وكان ﷺ يطوف على نسائه بغسل واحد، وربما اغتسل عند كل واحدة، وقد فعل هذا وهذا، وقد أعطي قوة ثلاثين رجلاً في الجماع وغيره، وقد أباح الله له من النساء ما لم يبحه لأحد من أمته، لاستكمال تحقيق البلاغ، وأحكام النساء المختلفة.

وكان ﷺ يأتي أهله أول الليل وآخره، فكان إذا جامع أول الليل ربما اغتسل ونام، وربما توضأ ونام، وكان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فمن خرج سهمها خرج بها معه، وكان إذا قدم من السفر لم يطرق أهله ليلاً، ونهى عن ذلك .

وكان ﷺ يحب عائشة رضي الله عنها، ويُسَرِّب إليها بنات الأنصار يلعبن معها، وإذا هويت شيئاً لا محذور فيه تابعها عليه، وإذا شربت من الإناء أخذه ووضع فمه في موضع فمها وشرب، وإذا تعرقت عرقاً من لحم أخذه فوضع فمه موضع فمها وأكل.

وكان ﷺ يتلو ويقرأ القرآن ورأسه في حجرها، وربما كانت حائضاً، وكان يأمرها وهي حائض فتتزر ثم يباشرها، وكان يقبلها وهو صائم، وسابقها في السفر على الأقدام مرتين سبقته مرة، وسبقها مرة .

وكان ﷺ يقول: « خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي» أخرجه الترمذي(١).

فنعم الزوج ﷺ كان، ونعم الأب كان، ونعم زوجاته أمهات المؤمنين، ونعم إحسانه وتربيته لهن رضي الله عنهن أجمعين : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[الأحزاب/ ٣٢-٣٣] .

- **من كان في شئونه الخاصة ﷺ :**

كان بلال على نفقاته ﷺ، وكان معيقيب على خاتمه ﷺ ، وكان عبد الله بن مسعود على سواكه ونعله، وكان يأذن عليه مولياه رباح وأنس، وأذن عليه أنس بن مالك، وأبو موسى الأشعري، رضي الله عنهم أجمعين .

---

(١) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥).

٦- الخزانة السادسة

أخلاق النبي ﷺ:

لابد لكل مسلم أن يطلع على حياة النبي ﷺ الخاصة ، والعامة ؛ ليعرف ما كان عليه ﷺ من الأخلاق العظيمة .

- **ويقتضي بالنبي ﷺ في خمسة أمور :**

١- يقتضي به في توحيده ، وإيمانه .

٢- وفي نيته ، وفكره .

٣- وفي أقواله الحسنة .

٤- وفي أعماله الصالحة .

٥- وفي أخلاقه الكريمة .

قال الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال عز وجل : ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

أخلاق النبي ﷺ:

حُسن خُلق النبي ﷺ:

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا ، وَلا مُتَفَحِّشًا ، وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا » . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣٢١).

وعن أنس رضي الله عنه قال : « خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي : أُفٍّ ، وَلاَ : لِمَ صَنَعْتَ ؟ وَلاَ : أَلَّا صَنَعْتَ » . متفق عليه[١] .

• **كرمه ﷺ:**

عن جابر رضي الله عنه قال: ما سئِلَ النَّبيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قطُّ فَقالَ: لا.م تفق عليه[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ ما يَكونُ في رَمضَانَ حيْنَ يَلْقاهُ جِبْرِيلُ ، وَكانَ يَلْقاهُ في كلِّ لَيْلةٍ منْ رَمضَانَ فَيُدَارِسهُ القرآنَ فَلَرَسولُ الله أَجوَدُ بالخَيْرِ منَ الرِّيْحِ المُرْسلَةِ. متفق عليه[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: مَا سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ على الإسْلامِ شَيْئاً إلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَماً بَينَ جَبَلَينِ، فَرَجَعَ إلى قَومِهِ فَقَالَ: يَا قَومِ أَسْلِمُوا فَإنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطاءً لا يَخْشَى الفَاقَةَ. أخرجه مسلم[٤].

• **حياؤه ﷺ:**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، فَإذَا رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ في وَجْهِهِ. متفق عليه[٥].

• **تواضعه ﷺ:**

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقولُ: «لا تُطْرُوْني كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإنَّمَا أَنا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ» أخرجه

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٣٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣٠٩).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٣٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣١١).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٠٨).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٢).

(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٢٠).

البخاري[1].

وعن أنس ﷺ أَنَّ امْرَأَةً كَانَ في عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ الله: إنَّ لي إلَيكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ» فَخَلا مَعَهَا في بَعْضِ الطُّرُقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا. أخرجه مسلم[2].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَوْ دُعِيتُ إلى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إليَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ» أخرجه البخاري[3].

- **شجاعته ﷺ:**

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِيْنَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ ناسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ الله ﷺ رَاجِعاً، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إلى الصَّوتِ، وَهُوَ على فَرَسٍ لأبي طَلْحَةَ عُرْيٍ في عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا» قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْراً، أَوْ إنَّهُ لَبَحْرٌ» قَالَ: وَكَانَ فَرَساً يُبَطَّأُ. متفق عليه[4].

وعن علي ﷺ قال: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يومَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلوذُ بِرَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إلى العَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يومَئِذٍ بَأساً. أخرجه أحمد[5].

- **رفقه ﷺ:**

عن أبي هريرة ﷺ أن أعرابياً بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا على بَوْلِهِ ذَنوباً مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلاً مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣٢٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٥٦٨).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩٠٨)، ومسلم برقم (٢٣٠٧) واللفظ له.

(٥) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٦٥٤).

مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» متفق عليه[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا ، وَسَكِّنُوا وَلا تُنَفِّرُوا» متفق عليه[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي على الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي على العُنْفِ، وَمَا لا يُعْطِي على مَا سِوَاهُ» متفق عليه[3].

- **عفوه ﷺ:**

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة/ ١٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَينَ أَمْرَينِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً، فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِه، إِلَّا أَنْ تُنتَهَكَ حُرْمَةُ الله فَينتَقِمَ للهِ بِهَا. متفق عليه[4].

- **رحمته ﷺ:**

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

وعن أبي قتادة ﷺ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبي العَاصِ على

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٢٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٤).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٢٥)، ومسلم برقم (١٧٣٤).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧)، ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٢٧).

عَاتِقِهِ فَصَلَّى، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَ، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا. متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قَبَّلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ» متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ، وَالسَّقِيمَ، وَالكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» متفق عليه[3].

وعَنِ المَعْرُورِ بنِ سُوَيْدٍ قَالَ: مَرَرْنَا بِأَبي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلى غُلَامِهِ مِثْلُهُ فَقُلْنَا: يا أَبا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْني وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَاني كَلَامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ فَشَكَاني إلى النَّبِيِّ ﷺ فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : «يَا أَبا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فيكَ جَاهِلِيَّةٌ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ» متفق عليه[4].

وعن أنس ﷺ قال: كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَال لَهُ: «أَسْلِمْ» فَنَظَرَ إلى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبا القَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٤٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣١٨).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٠٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٦٧).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٠)، ومسلم برقم (١٦٦١) واللفظ له.

أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» أخرجه البخاري[١].

• **ضحكه ﷺ:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجْمِعاً قَطُّ ضَاحِكاً حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. متفق عليه[٢].

وعن جرير ﷺ قال: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلا رآني إِلَّا تَبَسَّمَ في وَجْهِي. متفق عليه[٣].

• **بكاؤه ﷺ:**

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قال: «نَعَمْ»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى أَتَيْتُ إلى هَذِهِ الآيةِ :﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ قال: «حَسْبُكَ الآنَ»، فَالتَفَتُّ إِلَيهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. متفق عليه[٤].

وعن عبدالله بن الشِّخِّير ﷺ قال: رأيتُ رَسُولَ الله ﷺ يُصَلِّي وَفي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ البُكَاءِ ﷺ. أخرجه أبو داود والنسائي[٥].

وفي رواية للنسائي: «كأزيزِ المِرْجَلِ» .

• **غضبه ﷺ لأمر الله:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عَلَيَّ النبي ﷺ وفي البيت قِرَام فيه صور، فتلوَّن وجهه ثم تناول الستر فهتكه، وقالت: قال النبي ﷺ: «مِنْ أَشَدِّ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٥٦).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٨٩٩).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٨٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٤٧٥).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٨٠٠).

(٥) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٩٠٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (١٢١٤).

النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ» متفق عليه[1].

وعن أبي مسعود ﷺ قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عَنْ صلاة الغداة من أجل فلان مما يُطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله ﷺ قط أشدَّ غضباً في موعظةٍ منه يومئذ، قال: فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ مِنكُم مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ، فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإنَّ فيهِمُ المريضَ ، وَالكَبِيرَ، وَذَا الحَاجَةِ» متفق عليه[2].

- **شفقته ﷺ على أمته:**

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة/ ١٢٨].

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً فَجَعَلَ الجَنَادِبُ وَالفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيْهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي» أخرجه مسلم[3].

- **انبساطه ﷺ إلى الناس:**

عن أنس بن مالك ﷺ قال: إنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لأَخٍ لي صَغِيرٍ «يَا أَبَا عُمَيرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» متفق عليه[4].

- **زهده ﷺ:**

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوْتاً» متفق عليه[5].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٠٧).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١١٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٦٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٢٨٥).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٢٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٥٠).

(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٠) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٥٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المدِيْنَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلاثَ لَيَالٍ تِبَاعاً حَتَّى قُبِضَ. متفق عليه[1].

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: وَالله يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إلى الهلالِ ثُمَّ الهلالِ، ثُمَّ الهلالِ، ثَلاثَةَ أَهِلَّةٍ في شَهْرَينِ، وَمَا أُوْقِدَ في أَبيَاتِ رَسُولِ الله ﷺ نَارٌ، قَالَ: قُلْتُ يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتْ: الأَسْوَدَانِ ، التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أنه قَدْ كَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ جِيرانٌ مِنَ الأَنصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إلى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ. متفق عليه[2].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ الحَارِثِ قال: مَا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ دِينَاراً وَلا دِرْهَماً، وَلا عَبْداً وَلا أَمَةً، إلا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلاحَهُ، وَأَرْضاً جَعَلَهَا لابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً. أخرجه البخاري[3].

- **عدله ﷺ:**

عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمَّهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت..

-وفيه-: فكلَّمه أسامة بن زيد، فقال رسول الله ﷺ: «أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُوْدِ اللهِ؟» ثُمَّ قَام فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيْهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيهِ الحَدَّ، وَأَيْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» متفق عليه[4].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٤١٦)، ومسلم برقم (٢٩٧٠) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٥٦٧)، ومسلم برقم (٢٩٧٢) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٤٦١).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٥) واللفظ له، ومسلم برقم (١٦٨٨).

• **حلمه ﷺ:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحد؟ فقال: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَومِكِ وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَومَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي على ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ ابنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْني إلى مَا أَرَدْتُّ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ على وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْني، فنَظَرْتُ فَإِذَا فيْهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَاني فَقَالَ: إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوْا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ فَنَادَاني مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الله قَدْ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ، وَأَنا مَلَكُ الجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَني رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَني بِأَمْرِكَ ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيهِمُ الأَخْشَبَينِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» متفق عليه(١).

• **صبره ﷺ:**

قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف/ ٢٨].

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: دَخَلْتُ على رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَجَلْ إِنِّي أُوْعَكُ كَمَا يُوْعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ» قَالَ فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَجَلْ» متفق عليه(٢).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (١٧٩٥) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٦٧)، ومسلم برقم (٢٥٧١) واللفظ له.

وعن خباب بن الأرتِّ ﷺ قال: شَكَونَا إلى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ في ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ في الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيْهَا، فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوْضَعُ على رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَينِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مِن دُونِ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِيْنِهِ، وَالله لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إلَّا الله ، وَالذِّئْبَ على غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» أخرجه البخاري(١).

- **نصحه ﷺ:**

كَانَ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» متفق عليه(٢).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ» متفق عليه(٣).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «إيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَجَسَّسُوا، وَلا تَنَاجَشُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إخْوَاناً» متفق عليه(٤).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «لا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَومَ القِيَامَةِ» أخرجه مسلم(٥).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ : «مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الوَجْهَينِ ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٤٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٦٢١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٥٩).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٢٣٧)، ومسلم برقم (٢٥٦٠) واللفظ له.

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٦٣).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٨).

وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ» متفق عليه[1].

وكان ﷺ يقول: «المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ في حَاجَةِ أخِيهِ كَانَ الله في حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ» متفق عليه[2].

وكان ﷺ يقول: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإنَّ الشُّحَّ أهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ على أنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» أخرجه مسلم[3].

وكان ﷺ يقول: «إذَا رَأيْتُمُ المَدَّاحِينَ فَاحْثُوا في وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ» أخرجه مسلم[4].

وكان ﷺ يقول: «لا تُزَكُّوا أنْفُسَكُمْ ، اللهُ أعْلَمُ بِأهْلِ البِرِّ مِنْكُمْ» أخرجه مسلم[5].

وكان ﷺ يقول: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدٌ مِنْكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإنْ كَانَ لا بُدَّ مُتَمَنِّياً لِلْمَوْتِ فَلْيَقُل: اللَّهُمَّ أحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لي، وَتَوَفَّنِي إذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْراً لي» متفق عليه[6].

وكان ﷺ يقول: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أنْ يَنْفَعَ أخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» أخرجه مسلم[7].

وكان ﷺ يقول: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أوْ لِيَصْمُتْ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٠٥٨)، ومسلم برقم (٢٥٢٦) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٨).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٣٠٠٢).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢١٤٢).

(٦) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٥١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٨٠)

(٧) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٩).

الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» متفق عليه[1].

- **تقشفه ﷺ:**

عن النعمان بن بشير ﷺ قال: «أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ «لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يجِدُ مِنَ الدَّقَلِ، مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ» أخرجه مسلم.[2].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: مَا أَكَلَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ إِلَّا إِحْدَاهُمَا تَمْرٌ. أخرجه البخاري[3].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَدَمٍ، وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ. متفق عليه.[4].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَهُ حَصِيرٌ، يَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ، وَيحْتَجِرُهُ بِاللَّيْلِ، فَثَابَ إِلَيْهِ نَاسٌ، فَصَلَّوْا وَرَاءَهُ. أخرجه البخاري[5].

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا، فَقَالَتْ: قُبِضَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَيْنِ. أخرجه البخاري[6].

- **حلمه ﷺ:**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٧٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٤٥٥).

(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٥٦)، ومسلم برقم (٢٠٨٢).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٧٣٠).

(٦) أخرجه البخاري برقم (٥٨١٨).

عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. متفق عليه [1].

- **تيسيره ﷺ :**

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٥٧].

و عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. متفق عليه. [2]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا» متفق عليه[3].

- **رحمته ﷺ :**

١- رحمته بالأطفال :

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا» أخرجه البخاري [4].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣١٤٩)، ومسلم برقم (١٠٥٧).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٢٦)، ومسلم برقم (٢٣٢٧).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٩)، ومسلم برقم (١٧٣٤).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٣).

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ؟» فَقَالَ الغُلاَمُ: وَالله يَا رَسُولَ الله، لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ الله ﷺ فِي يَدِهِ. متفق عليه. (١)

٢- رحمته بالخدم :

عن أبي هريرة ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ» متفق عليه(٢).

٣- رحمته بالضعفاء :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ، فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» متفق عليه (٣).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٦٢٠)، ومسلم برقم (٣٠٢٠).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٤٦٠)، ومسلم برقم (١٦٦٣).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٠٣)، ومسلم برقم (٤٦٧).

٧- الخزانة السابعة

- **شمائل النبي ﷺ:**

هذه أهم شمائل النبي ﷺ فعلى كل مسلم ، ومسلمة العلم بها ، والعمل بها ، والتزين بها :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

- «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً، وَأَحْسَنَهُ خَلْقاً، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الذَّاهِبِ وَلا بِالقَصِيرِ» متفق عليه(١).
- و«كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ الله ﷺ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَماً حَشْوهُ لِيْفٌ» متفق عليه(٢).
- و«كَانَ ﷺ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ على نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ» متفق عليه(٣).
- و«كَانَ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، وَإِذَا كَرِهَ شَيْئاً عُرِفَ في وَجْهِهِ»

متفق عليه(٤).

- و«كَانَ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَانَ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ» متفق عليه(٥).
- و«كَانَ ﷺ يُبَاشِرُ نِسَاءَهُ فَوقَ الإِزَارِ وَهُنَّ حُيَّضٌ» متفق عليه(٦).
- و«كَانَ ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ في تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ»

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٤٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٣٧).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٤٥٦)، ومسلم برقم (٢٠٨٢) واللفظ له.
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤٣٩)، ومسلم برقم (٢١٩٢) واللفظ له.
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢)، ومسلم برقم (٢٣٢٠) واللفظ له.
(٥) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٦) ، ومسلم برقم (٢٧٦٩) واللفظ له.
(٦) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٠٣)، ومسلم برقم (٢٩٤) واللفظ له.

متفق عليه[١].

- و«كَانَ ﷺ يُقبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لإِرْبِهِ» متفق عليه[٢].
- و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لا يَطْرُقُ أَهْلَهُ، كَانَ لا يَدْخُلُ إِلَّا غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً » متفق عليه[٣].
- و«كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُحِبُّ العَسَلَ وَالحَلْوَاءَ، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ العَصْرِ دَخَلَ على نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ» متفق عليه[٤].
- و«كَانَ ﷺ لا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا نَهَاراً في الضُّحَى، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالمسْجِدِ، فَصَلَّى فيْهِ رَكْعَتَينِ، ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ» متفق عليه[٥].
- و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعاً، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنيهِ» متفق عليه[٦].
- و «كَانَ شَعَرُ رَسُولِ الله ﷺ رَجِلاً، لَيْسَ بِالسَّبِطِ وَلا الجَعْدِ، بَيْنَ أُذُنيهِ وَعَاتِقِهِ»

متفق عليه[٧].

- و «كَانَ ﷺ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيُحْيِي آخِرَهُ» متفق عليه[٨].
- و «كَانَ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ » متفق عليه[٩].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٦٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٨).
(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٩٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (١١٠٦).
(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨٠٠) واللفظ له، ومسلم برقم (١٩٢٨).
(٤) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٢٦٨) واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٧٤).
(٥) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٠٨٨)، ومسلم برقم (٧١٦) واللفظ له.
(٦) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٣٧).
(٧) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٩٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٣٨).
(٨) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١١٤٦)، ومسلم برقم (٧٣٩) واللفظ له.
(٩) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٤٢٨)، واللفظ له ،وأخرجه مسلم برقم (٥٢٤).

- و «كَانَ ﷺ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ على نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ » متفق عليه[١].
- و«كَانَ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثاً حَتَّى تُفْهَمَ، وَإِذَا أَتَى على قَومٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيهِمْ ثَلاثاً» أخرجه البخاري[٢].
- و«كَانَ ﷺ إِذَا اشْتَدَّ البَرْدُ بَكَّرَ بِالصَّلاةِ، وَإِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ أَبْرَدَ بِالصَّلاةِ» أخرجه البخاري[٣].
- وقال كعب بن مالك ﷺ: لَقَلَّمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَخْرُجُ إِذَا خَرَجَ في سَفَرٍ إِلَّا يَوْمَ الخَمِيسِ. أخرجه البخاري[٤].
- و«كَانَ ﷺ يُصَلِّي على رَاحِلَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ، فَإِذَا أَرَادَ الفَرِيْضَةَ نَزَلَ فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ» أخرجه البخاري[٥].
- و «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ رَحِيماً رَفِيقاً» أخرجه البخاري[٦].
- و «كَانَ ﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » أخرجه البخاري[٧].
- و«كَانَ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلا صَوتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ» أخرجه مسلم[٨].
- و«كَانَ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ» أخرجه مسلم[٩].
- و«كَانَ ﷺ كَثِيراً مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ» أخرجه مسلم[١].

---

(١) **متفق عليه** ، أخرجه البخاري برقم (٤٤٣٩) ،وأخرجه مسلم برقم (٢١٩٢))، واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٩٥).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٩٠٦).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٩٤٩).
(٥) أخرجه البخاري برقم (٤٠٠).
(٦) أخرجه البخاري برقم (٦٣١).
(٧) أخرجه البخاري برقم (٢١٤).
(٨) أخرجه مسلم برقم (٨٦٧).
(٩) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣).

- و«كَانَ ﷺ يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيْحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ» أخرجه مسلم(٢).
- و«كَانَ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيهِ بِالمُعَوِّذَاتِ» أخرجه مسلم(٣).
- و«كَانَ ﷺ يَذْكُرُ الله تَعَالى على كُلِّ أَحْيَانِهِ» أخرجه مسلم(٤).
- و«كَانَ ﷺ رَجُلاً سَهْلاً» أخرجه مسلم(٥).
- و «كَانَ ﷺ يُوجِزُ في الصَّلاةِ وَيُتِمُّ» أخرجه مسلم(٦).
- و «كَانَ ﷺ لا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ أَو الغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ» أخرجه مسلم(٧).
- و «كَانَ ﷺ رَحِيماً رَقيقاً» أخرجه مسلم(٨).
- و«كَانَ ﷺ يَتَخَلَّفُ في المَسِيرِ،فَيُزْجِي الضَّعِيفَ، وَيُرْدِفُ، وَيَدْعُوْلَهُمْ»أخرجه أبوداود(٩).
- و«كَانَ ﷺ إِذَا اكْتَحَلَ اكْتَحَلَ وِتْراً، وَإِذَا اسْتَجْمَرَ اسْتَجْمَرَ وِتْراً» أخرجه أحمد(١٠).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٧٢).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٢).
(٤) أخرجه مسلم برقم (٣٧٣).
(٥) أخرجه مسلم برقم (١٢١٣) .
(٦) أخرجه مسلم برقم (٤٦٩).
(٧) أخرجه مسلم برقم (٦٧٠).
(٨) أخرجه مسلم برقم (١٦٤١).
(٩) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٢٦٣٩).
(١٠) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٧٥٦٢).

- و«كَانَ ﷺ تعجبه الريح الطيبة» أخرجه أحمد وأبو داود[١].
- و«كَانَ ﷺ إِذَا دَعَا لأَحَدٍ بَدَأَ بِنَفْسِهِ» أخرجه أحمد وأبو داود[٢].
- و«كَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إِلى رَسُولِ الله ﷺ القَمِيْصُ» أخرجه أبو داود والترمذي[٣].
- و«كَانَ ﷺ إِذَا أَرَادَ الحَاجَةَ أَبْعَدَ» أخرجه أحمد والنسائي[٤].
- و«كَانَ ﷺ يَلْبَسُ النِّعَالَ السِّبْتِيَّةَ، وَيُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ بِالوَرْسِ وَالزَّعْفَرَانِ» أخرجه أبو داود والنسائي[٥].
- و «كَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ خَاتِمُ فِضَّةٍ يَتَخَتَّمُ بِهِ في يَمِينِهِ» أخرجه النسائي[٦].
- و «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لا يَتَوَضَّأُ بَعْدَ الغُسْلِ» أخرجه الترمذي والنسائي[٧].
- و «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَوَضَّأُ بِالمُدِّ وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ» أخرجه أبو داود والنسائي[٨].
- و «كَانَ ﷺ يَبِيْتُ اللَّيَالِيَ المُتَتَابِعَةَ طَاوِياً، وَأَهْلُهُ لا يَجِدُوْنَ عَشَاءً، وَكَانَ عَامَّةُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيْرِ» أخرجه أحمد والترمذي[٩].
- و «كَانَ ﷺ إِذَا عَطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ أَوْ بِثَوْبِهِ، وَغَضَّ بِهَا صَوْتَهُ » أخرجه أبوداود والترمذي[١٠].

---

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٢٦٣٦٤)، وأخرجه أبو داود برقم (٤٠٧٤).
(٢) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢١١٢٦) وهذا لفظه، وأخرجه أبو داود برقم (٣٩٨٤).
(٣) **صحيح** / أخرجه أبو داود برقم (٤٠٢٥)، وأخرجه الترمذي برقم (١٧٦٢).
(٤) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (١٥٧٤٦)، وأخرجه النسائي برقم (١٦).
(٥) **صحيح**/ أخرجه أبوداود برقم (٤٢١٠)، وأخرجه النسائي برقم (٥٢٤٤).
(٦) **صحيح**/ أخرجه النسائي برقم (٥١٩٧).
(٧) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (١٠٧)، وأخرجه النسائي برقم (٤٣٠) وهذا لفظه.
(٨) **صحيح**/ أخرجه أبو داود برقم (٩٢)، وأخرجه النسائي برقم (٣٤٧) وهذا لفظه.
(٩) **صحيح**/ أخرجه أحمد برقم (٢٣٠٣)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٢٣٦٠).
(١٠) **صحيح** / أخرجه أبو داود برقم (٥٠٢٩) ، وأخرجه الترمذي برقم (٢٧٤٥)، وهذا لفظه.

• و«كَانَ ﷺ يُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ، وَيُطِيلُ الصَّلَاةَ، وَيُقَصِّرُ الخُطْبَةَ، وَلَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالمسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الحَاجَةَ » أخرجه النسائي[١].

• و«كَانَ ﷺ إذا رَاعَهُ شيء قال:هُوَ الله رَبِّي لا أُشْرِكُ بِهِ شَيئاً»أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة[٢].

• و«كَانَ ﷺ لا يُسْأَلُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ أَوْ سَكَتَ» أخرجه الحاكم[٣].

• و «كَانَ ﷺ إِذَا مَشَى مَشَى مُجْتَمِعاً لَيْسَ فيهِ كَسَلٌ» أخرجه أحمد والبزار[٤].

• و«كَانَ ﷺ يَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَعْمَلُ مَا يعْمَلُ الرِّجَالُ في بُيُوتهمْ» أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد[٥].

• و«كَانَ ﷺ رَحِيماً ، وَكَانَ لا يَأْتيهِ أَحَدٌ إِلَّا وَعَدَهُ وَأَنْجَزَ لَهُ إِنْ كَانَ عِنْدَه» أخرجه البخاري في الأدب المفرد[٦].

• و«كَانَ كَلامُ رسول الله ﷺ كَلاماً فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ» أخرجه أبو داود[٧].

• و«كَانَ ﷺ لا يَنَامُ إِلَّا وَالسِّوَاكُ عِنْدَهُ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ» أخرجه أحمد[٨].

فرَّق الله ﷻ الأخلاق الحسنة في الأنبياء، ثم جمعها في سيد الأنبياء ﷺ ، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء.

---

(١) **صحيح** / أخرجه النسائي برقم (١٤١٤).
(٢) **صحيح**/ أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٦٥٧).
(٣) **صحيح** / أخرجه الحاكم برقم (٢٥٩١).
(٤) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٣٠٣٣) ،وأخرجه البزار – كشف الأستار– برقم (٢٣٩١) .
(٥) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٢٤٩٠٣) ،وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٥٤٩) .
(٦) **حسن**/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٨١).
(٧) **حسن**/ أخرجه أبوداود برقم (٤٨٣٩).
(٨) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (٥٩٧٩).

فكان ﷺ أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً، وأعظمهم رحمة، وأحسنهم حديثاً، وأطيبهم ريحاً، وأنقاهم سريرة، وأكرمهم جوداً، وأتقاهم لربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

وكان ﷺ يجلس على الأرض تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى البساط تارة.

وكان يتكئ على الوسادة، وربما اتكأ على يساره، وربما اتكأ على يمينه، وكان يتوكأ أحياناً على بعض أصحابه عند القيام من الضعف .

وكان ﷺ إذا مشى تكفأ تكفوءاً كأنما ينحط من صبب ، وكان أسرع الناس مشية وأحسنها وأسكنها، كأن الأرض تطوى له.

وكان يمشي حافياً ومنتعلاً، ويماشي أصحابه فرادى وجماعة، وكان أصحابه رضي الله عنهم يمشون بين يديه وهو خلفهم، وكان في السفر يسوق أصحابه، يُزجي الضعيف، ويُردفه .

وكان ﷺ يستنجي بالماء تارة، وبالأحجار تارة، ويجمع بينهما تارة، وكان إذا أراد قضاء الحاجة في السفر توارى عن أصحابه، واستتر عنهم بهدف أو شجر، وكان يبول قاعداً، وبال قائماً مرة لعذر، وكان يستنجي ويستجمر بشماله .

وكان ﷺ يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره، وأخذه وعطائه، وفي شأنه كله، وكانت يمينه لطعامه وشرابه وطهوره، ويساره لخلائه ونحوه من إزالة الأذى والأوساخ.

وكان ﷺ يحب السواك، ويكثر من التسوك، ويستاك مفطراً وصائماً، وكان يحب الطيب، ويُكثر منه، ولا يرد الطيب، وكان أحب الطيب إليه المسك .

وكان ﷺ أفصح الخلق، وأحسنهم كلاماً، وأحلاهم منطقاً، إذا تكلم تكلم بكلام فصل مبين، يعده العاد، ليس بهذٍّ سريع لا يُحفظ، ولا منقطع تتخلله السكتات، وكان كثيراً ما يعيد الكلام ثلاثاً ليعقل عنه، كلامه جزل مؤثر، يأخذ بمجامع القلوب، ويغذي الأرواح .

وكان ﷺ طويل السكوت، لا يتكلم من غير حاجة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، ويتكلم بجوامع الكلم، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وكان إذا كره شيئاً عُرف في وجهه من غير أن يتكلم بشأنه، ولم يكن ﷺ فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق .

وكان ﷺ جل ضحكه التبسم، بل كله التبسم،فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذه، وكان يضحك مما يُضحك منه، ويُتعجب من مثله .

وأما بكاؤه ﷺ فلم يكن بشهيق، ورفع صوت، بل كانت عيناه تدمعان حتى تهملا، ويُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل ، وهي القدر التي تغلي.

وكان بكاؤه ﷺ تارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن أوقراءته، وهو بكاء حب وإجلال وشوق مصاحب للخوف والخشية، وتارة يبكي خوفاً على أمته، وشفقة عليها، وتارة يبكي رحمة للمريض أو الميت، وتارة يبكي لما يرى من عظمة الله، وسعة حلمه على عباده، وتوالي نعمه على خلقه، وتارة يبكي عند استغاثته بربه، وعند شهود تقصيره بما كلفه الله به ونحو ذلك .

وكان ﷺ يخطب خطبه تارة على الأرض، وتارة على المنبر، وتارة على الناقة.

وكان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم، وكان لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله ﷻ، وختمها بالاستغفار، وكان يخطب خطبه قائماً أو راكباً.

وكان مدار خطبه ﷺ على حمد الله وتوحيده، والثناء عليه بآلائه، وتمجيده بأسمائه وصفاته، وتعليم قواعد الإسلام، وبيان أحوال اليوم الآخر، والأمر بتقوى الله ﷻ، وبيان ما يحبه الله ويرضاه، والترغيب فيه.

وهذه الأخلاق والشمائل التي مر ذكرها ، ماهي إلا نقطة من بحر أخلاقه ، لأنه ما من خصلة حميدة ذكرت في القرآن أو السنة أو الآثار أو الأخبار إلا وكان ﷺ يتصف بها ، وهو أول العاملين بها ، وأحسن المتحلين بها ، قد جمع الله أخلاق الأنبياء والرسل في ظاهره وباطنه ، وزاد عليها بما أكرمه الله به من محاسن الأخلاق والأقوال والأعمال كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم/ ٤].

دعوة الرسول ﷺ:

تنقسم حياة النبي ﷺ إلى ثلاثة أقسام وهي :

طريقة حياة .. فرائض حياة .. مقصد حياة .

الأول : طريقة حياة وهي كل ما كان يتحلى به الرسول ﷺ من الأخلاق و الآداب والسنن ، والفضائل الشرعية وهي كما أثنى عليه ربه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

فنعم الراكب ونعم المركوب فالراكب الرسول ﷺ والمركوب الأخلاق الحسنة .

الثاني : فرائض حياة وهي جميع العبادات والحقوق والواجبات الشرعية ، الصلوات الخمس ، وشهر رمضان ، والحج ، وحقوق الله ، وحقوق الوالدين ونحو ذلك .

الثالث : مقصد حياة وهي الدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والنصيحة لكل مسلم ، وقد أرسل الله رسوله ﷺ محمد رحمة للعالمين فدعا الناس إلى توحيد رب العالمين ، وعبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه من الأصنام والأوثان وغيرها .

فأرسله الله عز وجل لتحقيق عشرة أمور كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥ -٤٨] .

فقام ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى من أول يوم بين أهله ، وعشيرته ، وقومه ، وفي قريته وما حولها والعرب قاطبة والناس كافة والعالم قاطبة يدعو إلى الله في الليل والنهار والحضر والسفر والصحة والمرض، كما قال الله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

فبلغ ﷺ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وترك الأمة على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة:٦٧] .

ودعا ﷺ من أول يوم بعثته إلى أخر يوم من حياته ، وربى أصحابه على ذلك ، فالدعوة إلى الله هي مقصد حياته ﷺ كلها ، وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة ، وقد أمر الله بها قبل الصلاة والصوم وغيرها من فرائض الإسلام ، ووقت الفرائض محدود ، ووقت الدعوة مطلق غير محدود ، بل الدعوة إلى الله هي أم الفضائل كلها ، وأداء الفرائض من ثمراتها ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨ ﴾[يونس: ١٠٨] .

فالدعوة إلى الله هي أم الأعمال كلها ، وجميع أعمال الدين وأحكام الدين من ثمراتها وخيراتها ، وهي وظيفة الأنبياء والرُسل ، ووظيفة الأمة جميعًا كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾[يوسف:١٠٨] .

والدعوة إلى الله رأس العمل الصالح ، وبالدعوة إلى الله يأتي الإيمان ، وبالإيمان تأتي بالأعمال الصالحة ، وفي مقدمة الأعمال الصالحة الدعوة إلى الله كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

وإذا قامت الدعوة إلى الله جاء الإيمان بالله ، ثم جاءت الأعمال الصالحة ثم صلحت أحوالهم بحسن أخلاقهم ، ثم رضي الله عنهم ، ثم أسعدهم في حياتهم ، ثم زاد سعادتهم عند الموت ، ثم زادها في القبر فيقول لهم الله ادخلوا رياض الجنة ، ثم بلغهم الله كمال السعادة في الجنة كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر:٥٤-٥٥] .

وبغير الإيمان فالعمل الصالح كله حابط وصاحبه خاسر : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦] .

والجهاد نوعان :

١- جهاد حسن لذاته وهو الدعوة إلى الله وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان:٥٢] .

وهذا الجهاد أعلى أنواع الجهاد ، وهو سبب لحصول الهداية للداعي والمدعو : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

٢- أما الجهاد لحسن لغيره فهو القتال في سبيل الله ، وهذا لا يكون إلا بعد الدعوة إلى الله ، وهو حسن لغيره لما فيه من حفظ دار الإسلام ، ودفع الأعداء ، وفتح الأبواب لتدخل الدعوة في كل بلد ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[البقرة: ١٩٣] .

والدعوة إلى الله ليست خطبًا ومواعظ ودروسًا فقط ، بل هي خلق كريم وعطاء جزيل ، وإحسان جميل ، ورحمة بالخلق ، ورفقًا بالناس وتواضع لهم ، وتعريفًا بالرب المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وبيان نعمه وإحسانه ليحب الناس ربهم ، ويحبهم ويحبونهم ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وهي كذلك بذل كل شيء من أجل الدين ، وترك كل شيء من أجل الدين ، وصبر على المكاره : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٥] .

والدعوة كذلك حياة مطابقة لحياة سيد الخلق ﷺ الذي كان أحسن الناس خَلقًا وخُلُقا ، وكان خلقه القرآن ، وحياته ﷺ أحسن حياة وأطهر حياة ، وأجمل حياة ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

وأعظم الإحسان بعد الإحسان في التوحيد بالله وعبادته هو الإحسان إلى الخلق بدعوتهم إلى الله الذي خلقهم و رزقهم ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

وقال تعالى:﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

والإسلام هو المنهج الوحيد للحياة البشرية السعيدة كلها إلى يوم القيامة فيجب إبلاغه لكل الناس : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وفي القرآن العظيم والسنة النبوية جميع المناهج الشرعية للأفراد والجماعات والشعوب ، وهي صالحة لكل زمان ومكان في جميع شُعب الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وغيرها ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة:٣] .

والقرآن العظيم ذاته منهج حياة ، وداخله مناهج : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النحل:٦٤] .

والقرآن العظيم ، والقرآن الكريم كله مناهج هي أحسن المناهج على الإطلاق : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

وبغير منهج القرآن فالبشرية تعيش في ظلام وضلال ، وبغي وعدوان : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[آل عمران:١٣٨] .

وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[طه:١٢٣-١٢٤] .

والسنة النبوية ذاتها منهج حياة وداخلها مناهج : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

ونشر الحق كنشر الباطل كلاهما يحتاج إلى جهود وتضحيات ، وإلى بذل وترك ، وإلى تخطيط وتدبير وتنفيذ . ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج:٧٨] .

وكما أنه لابد للمباني والمدن والطرق من تخطيط وتنفيذ كذلك لابد للبشرية من تدبير وتنفيذ وتخطيط وشورى لكيفية دعوتهم إلى الله وصبغهم بصبغة الله لتكون حياتهم في الدنيا والآخرة أحسن حياة بالتوحيد والإيمان وعبادة الله وحده لا شريك له ، والفوز برضوان الله وجنته ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١] .

وأحسن التدبير المقرون بالتنفيذ تدبير رب العالمين لرسوله الكريم ﷺ ، والتوجيه الرباني الكريم لصاحب دعوة الأسوة ﷺ يبدأ بـ ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق:١-٥] .

ثم بعدها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾ [المزمل: ١-٦] .

ثم بعدها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر:١-٧].

ثم بعدها : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٤].

ثم بعدها : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر:٩٤] .

ثم بعدها : ﴿ لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الشورى:٧] .

ثم بعدها : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

ثم بعدها : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة:١٩٠] .

ثم بعدها : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة:٣٦] .

والدعوة إلى الله ، وإبلاغ هذا الدين أعظم فريضة في الإسلام من بعد التوحيد كما قال سبحانه : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧] .

هذا هو التخطيط وهذا هو التدبير وهذا هو التوجيه الرباني للنبي ﷺ ولأمته ، وعقوبة ترك الدعوة إلى الله أعظم عقوبة كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩- ١٦٠] .

وقال عز وجل : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩] .

ولن تخرج من الدعوة ثمرات التي يريدها الله إلا إذا قامت على هذه الأصول والمناهج المبينة في القرآن والسنة ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وقام كل مسلم ومسلمة بالدعوة إلا الله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

والذي جعله الله من خير أمة أخرجت للناس فيجب عليه أن يصرف كل وقته في عبادة الله والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله . ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦١-١٦٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

٨- الخزانة الثامنة

عبادات الرسول ﷺ:

عبادات الأنبياء أحسن العبادات لكمال معرفتهم بالله وكمال حبهم له وكمال طاعتهم له ، وأخلاقهم أحسن الأخلاق ، ومعاملاتهم أحسن المعاملات .

وكان ﷺ أحسن الناس معاملة ، وكان إذا استلف سلفًا قضى خيرًا منه ودعا لصاحبه ، وباع ﷺ واشترى وكان شرائه بعد الرسالة أكثر من بيعه وبعد الهجرة إلى المدينة لا يكاد يحفظ عنه البيع إلا في قضايا يسيرة أكثرها لغيره وأما شرائه فكثير .

وأجّر ﷺ واستأجر واستئجاره أكثر من إيجاره ، أجر نفسه قبل النبوة لرعاية الغنم ، وأجر نفسه من خديجة في سفرة لمالها إلى الشام قبل النبوة وإن كان العقد معها مضاربة والمضارب أمين وأجير ووكيل وشريك .

ووكّل ﷺ وتوكل وكان توكيله أكثر من توكله .

وكان ﷺ يمثل أمر الله في كل عبادة وفي كل معاملة .

وأهدى النبي ﷺ وقبل الهدية وأثاب على الهدية ، ووهب واتهب وكانت هباته أكثر من اتهابه .

واستدان ﷺ برهن واستدان بغير رهن ، واستعار ، واشترى بالثمن الحال والمؤجل .

وضمن ﷺ على ربه أعمالًا من عملها كان مضمونًا له الجنة ، وضمن لمن مات من المسلمين وعليه دين لم يترك له وفاءًا أن يوفيه عنه .

وشفع ﷺ وشُفع إليه ، وردت بريرة شفاعته في مراجعتها مغيثًا فلم يغضب عليها .

ووقف ﷺ أرضًا كانت له جعلها صدقة في سبيل الله .

وحلف ﷺ في أكثر من ثمانين موضعًا أمره الله بالحلف في ثلاث منها بقوله : ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[يونس:٥٣] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ:٣] .

وقوله سبحانه : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾[التغابن:٧] .

وكان ﷺ يستثني في يمينه تارة ويكفر عنها تارة ويمضي فيها تارة ، والاستثناء يمنع عقد اليمين والكفارة تحلها بعد عقدها .

وكان ﷺ يمازح ولا يقول في مزاحه إلا الحق ، ويواري ولا يقول في توريته إلا الحق .

وكان ﷺ يشير ويستشير ، وشاور أصحابه في جهاده وغزواته مرات كثيرة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وكان ﷺ يجيب الدعوة ، ويمشي مع الأرملة والمسكين والضعيف في حوائجهم ، ويعود المريض ، ويشهد الجنازة ، ويقر الضيوف .

وكان ﷺ يصل من قطعه ، ويعطي من حرمه ، ويعفو عن من ظلمه ، ويحسن إلى من أساء إليه . ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وسمع ﷺ مديح الشعر وأثاب عليه ما قيل فيه من الشعر جزء من حامده ، وأمر الناس أن يحثوا في وجوه المداحين التراب لأن مدحهم كذب .
وسابق ﷺ على الأقدام ورفع ثوبه بيده وخصف نعله بيده وثنى ثوبه وحلب شاته وخدم نفسه وأهله وأعان أصحابه في بناء المسجد وحفر خندق وغيرهما .
وربط ﷺ الحجر على بطنه من الجوع تارة وشبع تارة ، وأضاف وأضيف .
وتداوى ﷺ من المرض وأمر بالتداوي .
ورقّ ولم يسترق ، واحتجم في وسط رأسه وعلى ظهر قدمه ، واحتجم الأخدعين ، واحتجم في الكاهل وهما بين الكتفين .
وأمر ﷺ بالحمية وحفظ الصحة واستفراغ المواد الفاسدة واجتناب الأشياء الضارة .

مؤذنيه ﷺ

مؤذنو النبي ﷺ أربعة :
اثنان بمسجده ﷺ وهم : بلال بن رباح، وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ، وعبد الله بن أم مكتوم الأعمى، رضي الله عنهما.
وسعد القرظ في مسجد قباء ، وأبو محذورة الجمحي في المسجد الحرام بمكة .

كتَّابه ﷺ

أما كُتّابه ﷺ فالكُتّاب الذين كانوا يكتبون الوحي والرسائل لرسول الله ﷺ هم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والزبير بن العوام ، وأُبي بن كعب ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن الأرقم ، وعمرو بن العاص ،

والمغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن رواحة ، وثابت بن قيس بن شماس ، وحنظلة بن الربيع ، وخالد بن الوليد ، وخالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين .

خطباؤه وشعراؤه ﷺ

أما خطبائه وشعرائه ﷺ فكان خطيبه ﷺ الذي كان يخطب بين يديه بأمره ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ، وكان من شعرائه ﷺ الذين يذبون عن الإسلام كعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وحسان بن ثابت وكان أشدهم على الكفار .

فصلوات الله وسلامه عليه كان أحسن الناس خلقًا وخُلُقًا ، وكان خلقه القرآن يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه ويحل حلاله ويحرم حرامه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

جهاد الرسول ﷺ:

- **سلاحه ﷺ :**

كان له ﷺ تسعة أسياف هي:

مأثور، وهو أول سيف ملكه، والعضب، وذو الفقار، تنفله يوم بدر .

ومن سيوفه البتار، والقضيب، والحتف، والرَّسوب، والقَلْعِي، والمِخْذم .

وكان له ﷺ سبعة أدرع هي:

ذات الفضول، وذات الوشاح، وذات الحواشي، والبتراء، والسعدية، والفضة، والخرنق.

وكان له ﷺ خمسة رماح هي :

المثوى، والمُثنى، وحربة يقال لها النبعة، والبيضاء، وعنزة يمشي بها أحياناً، ويتخذها سترة يصلي إليها في أسفاره.

وكان له مغفران من حديد، أحدهما الموشّح، والآخر السبوغ.

وكان له ﷺ ثلاث جباب يلبسها في الحرب، وكانت له راية سوداء، يقال لها العقاب، وراية صفراء، وألوية بيضاء .

وكانت له ﷺ ست قسي هي:

الروحاء، والزوراء، والبيضاء، والصفراء، والكتوم، والسداد .

وكان له ترس يقال له الزلوق، وآخر اسمه الفتق .

وكان له ﷺ محجن قدر ذراع أو أطول، يمشي به، ويركب به، ويعلقه بين يديه على بعيره.

- جهاد الرسول ﷺ

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام ومنازل أهله أعلى المنازل في الدنيا والآخرة ، وكان رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه وقام بأنواعه كلها تعبدًا لله عز وجل .

فجاهد ﷺ في الله حق جهاده بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان وكانت ساعاته وأيامه موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده وماله .

ولهذا كان ﷺ إمام المجاهدين وأرفع العالمين ذكرًا وأعظمهم عند الله قدرًا ، وقد أمره الله عز وجل بأعظم أنواع الجهاد وهو الدعوة إلى الله من حين بعثه بقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان:٥١-٥٢] .

وجهاد الكفار والمنافقين يكون بالحجة والبيان وتبليغ القرآن .

وجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد ورثة الرسل وخواص الأمة والقائمون به أفراد في العالم والمشاركون فيه والمتعاونون عليه هم الأعظمون عند الله قدرًا وأجرًا ومنزلة وقد قام به ﷺ خير قيام وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين تحقيقًا لأمر ربه بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ [التحريم:٩] .

ورسول الله ﷺ أول وأعظم من أكمل مراتب الجهاد فجاهد نفسه أولًا لتفعل ما أمرها الله به وتترك ما نهى الله عنه ، وجاهد الشيطان على دفع ما يلقي من الشبهات وما يزين من الشهوات ، وجاهد الكفار والمنافقين بالقلب واللسان والنفس والمال ، وجاهد في الله حق جهاده هو وأصحابه رضي الله عنهم حتى توفاه الله عز وجل : ﴿ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا

بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [التوبة:٨٨] .

وشرع ﷺ الجهاد من حين بعث إلى أن توفاه الله عز وجل فشمر عن ساق الدعوة ودعا الله ليلًا ونهارًا وسرًا وجهارًا ، ودعا القريب والبعيد وصدع بأمر الله لا تأخذه في الله لومة لائم فدعا إلى الله للكبير والصغير ، والذكر والأنثى ، والحر والعبد ، والأحمر والأسود ، والإنس والجن تحقيقًا لقوله سبحانه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

ولما صدع ﷺ لأمر الله وصرح لقومه بالدعوة إلى الله وحده لا شريك له آمن به بعضهم وكفر به وأذاه وسبه وشتمه أكثرهم فصبر على كل ذلك كما قال سبحانه : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم:٦٠]

ثم قاتلوه وحاربوه فنصره الله عليهم وأظهر الله دينه وقتل أئمة الكفر والكبر والضلال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأعراف:٤٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٢-٣٣] .

فصلوات الله وسلامه على من أرسله الله رحمة للعالمين أفضل من دعا إلى الصراط المستقيم وبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ

عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨].

ولعظيم جهاده وصبره ﷺ وعظيم أخلاقه ورحمته وكمال معرفته بربه وحسن عبادته غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفتح:١-٣] .

وصلى الله عليه وملائكته وأمر الله المؤمنين بالصلاة والسلام عليه لقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

- **والجهاد في سبيل الله نوعان :**

الأول : الجهاد الحسن في ذاته وهو الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لكل مسلم وهو أعلى أنواع الجهاد وهو جهاد جميع الأنبياء والرسل وهو أول جهاد مأمور به كما قال سبحانه : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

وقوله عز وجل : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان:٥٢] .

الثاني : الجهاد الحسن لغيره وهو القتال في سبيل الله لصد عدوان المعتدين وكسر شوكة المستكبرين ودفع الظلم عن المظلومين وحماية حوزة الدين .

وقد كان القتال محرمًا في أول الإسلام بمكة ثم مأذونًا به ثم مأمورًا به بمن بدء المسلمين بالقتال ثم مأمورًا به لجميع المشركين .

ففي التحريم، قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾[النساء:٧٧] .

وفي الإذن بالقتال، قال سبحانه : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[الحج:٣٩] .

وفي الأمر به لمن بدأ بالقتال قال سبحانه : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾[البقرة:١٩٠] .

وفي الأمر به لعموم المشركين قال سبحانه : ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة:٣٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[البقرة: ١٩٣] .

وهذا الجهاد فرض عين على كل قادر إذا دعا إليه إمام المسلمين أو هجم العدو على بلد المسلمين أو حضر المسلم صف القتال أو احتاج الأمر إليه بنفسه كطبيب وطيار ونحوهما :﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾[النساء:٧٤] .

وكان ﷺ يرغب أصحابه في قتال أعداء الله والمشركين ويحثهم على الشهادة في سبيل الله وكان يبايع أصحابه في الحرب على أن لا يفروا وربما بايعهم على الموت وكان إذا أراد غزوة ورى بغيرها بها إلا تبوك .

وكان ﷺ يبعث العيون ليأتونه بخبر عدوه ويطلع الطلائع ويبث الحرس .

وكان ﷺ إذا لقي عدوه وقف ودعا واستنصر الله عليه وأكثر ذكر الله هو وأصحابه رضي الله عنهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧ ﴾ [الأنفال:٤٥ : ٤٧] .

وكان ﷺ يرتب صفوف الجيش ويعبئهم بيده وكان إذا اشتدت الحرب اتقوا به وكان أقربهم إلى العدو وكان يلبس الدرع ويتقلد السيف ويحمل الرمح والقوس ويترس بالترس .

وكان ﷺ ينهى عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال في الحرب .

- **وكان ﷺ يأمر أمرائه في السرائب بثلاثة أمور :**

١- أن يدعوا عدوهم قبل القتال إلى الإسلام .

٢- فإن أبوا الإسلام دعوهم إلى بذل الجزية .

٣- فإن أبوا استعانوا بالله وقاتلوهم .

وكان ﷺ ينهى في مغازيه عن النهبة والغلول والمثلة .

وكان ﷺ يمن على بعض الأسرى ويقتل بعضهم ويفادي بعضهم بالمال ويفادي بعضهم بأسرى المسلمين يفعل ذلك حسب المصلحة وثبت أنه قتل جاسوسًا من المشركين .

وكان الهادي ﷺ أنه إذا صالح قومًا فنقض بعضهم عهده وأقره الباقون ورضوا به غزاهم جميعًا كما فعل ببني قريظة وبني النضير اليهود .

• **غزواته وبعوثه وسراياه ﷺ:**

أما غزواته وبعوثه وسراياه ﷺ كلها كانت بعد هجرته للمدينة في مدة عشر سنين ، وغزواته ﷺ سبع وعشرون غزوة قاتل منها في تسع غزوات هي : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، وبني المصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

وغزوات كبار الأمهات سبع هي : بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، وتبوك .

وفي شأن هذه الغزوات نزل القرآن الكريم فنزلت سورة الأنفال في شأن غزوة بدر ، ونزلت آخر سورة آل عمران في شأن غزوة أحد ، ونزلت في غزوة الخندق وقريظة وخيبر صدر سورة الأحزاب ، ونزلت سورة الحشر في غزوة بني النضير ، ونزلت سورة الفتح في شأن قصة الحديبية وخيبر ، وذكر الله الفتح صريحًا في سورة النصر كما قال سبحانه : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر:١-٣] .

ونزلت سورة التوبة في شأن غزوة تبوك وغزوة التوبة إنذارٌ أخير وعظيم للأمة .

وجرح ﷺ في غزوة واحدة من غزواته وهي غزوة أحد ، وقاتلت معه الملائكة منها في غزوتين هما بدر وحنين ، ونزلت الملائكة يوم الخندق لنصرته فزلزلت المشركين وهزمتهم وأرسل الله عليهم الريح فهربوا :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ [الأحزاب:٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ ﴾ [الأحزاب:٢٥] .

وكان الفتح الأعظم في غزوتي بدر وحنين . وقاتل ﷺ بالمنجنيق في غزوة واحدة هي غزوة الطائف ، وتحصن بالخندق في غزوة واحدة هي غزوة الخندق .

أما عدد سراياه ﷺ المبعوثة فأكثر من ستين .

وصلوات الله وسلامه عليه وعلى إله وأصحابه أجمعين ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ ﴾ [الأنفال:٧٤].

- **أمراؤه ﷺ :**

كان له ﷺ ولاة في مختلف البلدان:

منهم باذان بن ساسان، أمَّره رسول الله ﷺ على اليمن كلها بعد موت كسرى.

وهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأول من أسلم من ملوك العجم، ولما مات باذان أمَّر بعده ابنه شهر على صنعاء، ولما قتل شهر أمَّر بعده على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه .

وولى ﷺ زياد بن أمية الأنصاري حضرموت، وولى أبا موسى الأشعري زبيد وعدن والساحل، وولى معاذ بن جبل الجند، رضي الله عنهم أجمعين.

وولى ﷺ أبا سفيان صخر بن حرب نجران، وولى ابنه يزيد تيماء شمال المدينة، رضي الله عنهما .

وولى ﷺ عتاب بن أسيد مكة، وعمره دون عشرين سنة رضي الله عنه.

وولى علي بن أبي طالب ﷺ الأحماس باليمن، وولى عمرو بن العاص ﷺ عُمان وأعمالها.

وولى ﷺ أبا بكر إقامة الحج سنة تسع من الهجرة، وأردفه بعلي بن أبي طالب عوناً له ومساعداً، وليقرأ على الناس سورة براءة، رضي الله عنهم أجمعين.

وولى ﷺ لكل قبيلة وال يقبض صدقاتها ويُفرقها على أهلها .

- **حداته ﷺ :**

حداته الذين كانوا يحدون بين يديه في السفر بالأشعار التي تزيد في النشاط، وتطرد الكسل هم :

عبد الله بن رواحة، وأنجشة، وعامر بن الأكوع، وعمه سلمة بن الأكوع، رضي الله عنهم أجمعين.

- **من كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ :**

الذين كانوا يضربون أعناق الكفار والمجرمين ومن عليه حد بين يديه هم : علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، ومحمد بن مسلمة، والمقداد بن عمرو، والضحاك بن سفيان الكلابي، وعاصم بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين.

وكان قيس بن سعد بن عبادة ﷺ منه ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير.

٩- الخزانة التاسعة

محبة النبي ﷺ وتوقيعه :

خص الله عز وجل رسوله محمدًا ﷺ من بين الأنبياء والرسل بخصائص كثيرة وصفات كريمة وأخلاق رضية وآداب جمة ورحمة عامة ومحاسن جليلة وعلم واسع وقدوة حسنة وشمائل رفيعة وأقوال حسنة وأعمال حسنة وعبودية كاملة .

ولأجل ذلك كله أثنى عليه ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

ولهذه الخصائص والصفات والمكرمات اختاره الله ليكون سيد الأولين والآخرين ، وسيد الأنبياء والمرسلين ، وسيد الثقلين ، وسيد المتعبدين والمتقين ، وسيد الدعاة والعلماء ، وسيد المجاهدين والمتقين :﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨].

ولذلك كله يدعو كل مسلم أن يحب ﷺ ويجله ويوقره ويعظمه ويعظم سنته بقلبه ولسانه وجوارحه كما جاء في سنته ﷺ من غير إطراء ولا غلو ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾[النساء:٨٠] .

ولعظيم ما جاء به ﷺ من الحق من ربه وعظمة ما قام به من إبلاغ لأمته وعظمة ما تحمل من الصبر والأذى في سبيل ذلك فقد أثنى الله عليه وأخبر أنه يصلي عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالإكثار بالصلاة والسلام عليه، كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[الأحزاب:٥٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا » . أخرجه مسلم(١) .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وأصح المخلوقات مزاجًا هو بنو آدم ، وأصح بني آدم مزاجًا هم المؤمنون ، وأصح المؤمنين مزاجًا هم الأنبياء والرسل ، وًاصح الأنبياء والرسل مزاجًا هم أولي العزم :﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ ﴾[البقرة:٢٥٣] .

وأصح أولي العزم مزاجًا هم الخليلان إبراهيم ومحمد ، وأصحهما مزاجًا سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ الذي كان أحسن الناس خلقًا وخُلُقًا وكان خلق القرآن يتأدب بآدابه ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهة ويحل حلاله ويحرم حرامه ويمتثل أوامره ويجتنب نواهيه ويصدق أخباره :﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾[التوبة: ٣٣] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٠٨).

النبي ﷺ نبي الرحمة ونبي الهداية بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾[التوبة:١٢٨].

فسبحان ربي الكريم الذي خلقه وجمله ظاهرًا وباطنًا وأرسله إلى الناس كافة وملأ قلبه توحيدًا وإيمانًا وعلمًا ورحمة وحكمة وأرسله بالحق للناس كافة ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣ ﴾[النساء:١١٣] .

وأخبر أنه جمع فيه محاسن الأخلاق كلها كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾[القلم:٤] .

فهو أكمل الناس في أداء حقوق الله وفي أداء حقوق عباده وفي التعبد بين يدي الله وفي الدعوة والتعليم والإحسان بين يدي خلقه .

وقد اختار الله عز وجل لرسوله محمد ﷺ اسم محمد وأحمد وهما اسمان مشتملان على الحمد والثناء .

وهو ﷺ محمود عند الله تعالى ومحمود عند ملائكته ومحمود عند إخوانه الأنبياء والمرسلين ومحمود عند أهل الأرض كلهم لأن صفاته محمودة عند كل ذي عقل وإن كابر وجاحد محمد رسول الله : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠ ﴾ [الأحزاب:٤٠] .

وهو ﷺ أحمد أهل الأرض والسماء لربه وأحسنهم ثناء عليه وحمدًا له وتمجيدًا له وأعظمهم ذكرًا له وتكبيرًا له وتواضعًا له وافتقارًا إليه :﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف:٦] .

وهو أحمد الخلق للخلق وأرحم بهم من أنفسهم وأنفع لهم وأنصح لهم : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب:٦] .

صدق الله العظيم الذي أثنى على خلقه العظيم بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

وصدق ﷺ حين قال عن نفسه : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » . أخرجه مسلم[1] .

ومما يحمد عليه ﷺ ما جبله عليه من مكارم الأخلاق وكريم الشيم وهو خير الناس أخلاقًا وأحسنهم شمائل وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثًا وأشدهم تواضعًا وأجودهم إنفاقًا وأقواهم صبرًا وأحسنهم حلمًا وأعظمهم عفوًا وأوسعهم مغفرة والرسول ﷺ أفصح الخلق بيانًا وأحسنهم تعبيرًا .

والرسول ﷺ أفصح الخلق بيانًا وأحسنهم تعبيرًا وأكملهم توقيرًا ، والرسول ﷺ أعظمهم برًا وأوفاهم عهدًا وألينهم معاملة وأجملهم إحسانًا .

وهو ﷺ أصبر الخلق في مواطن الصبر وأكرمهم في مواطن الجود وأصدقهم في مواطن اللقاء وأعظمهم إيثارًا على نفسه وأكملهم مكافأة على الجميل بأضعافه .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٧٨).

وهو ﷺ أقوى من الناس بما يأمر به وأتركهم لما ينهى عنه وأوصل الخلق لرحمه وأعظمهم استجابة لأمر ربه .

وهو ﷺ أكرم الخلق لأصحابه وأعدلهم مع أعدائه وأشد الخلق ذبًا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعًا عنهم وأعظمهم نفعًا لأتباعه في دينهم ودنياهم ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[الأعراف:١٥٧] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة : « أَجَلْ ، وَاللهِ إِنَّهُ لمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٥] ، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ ، بِأَنْ يَقُولُوا : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا ، وَآذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا » . أخرجه البخاري[1] .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢١٢٥).

• الأسباب الجالبة لمحبة النبي ﷺ وتوقيره :

الذي يدفع المسلم لمحبة الرسول ﷺ وتعظيمه أمور :

الأول : معرفة صيغته ﷺ الحسنة ، ومعرفة أخلاقه العظيمة ، وشمائله الكريمة ، ومعرفة عظيم رحمته بالأمة ، ومعرفة جهاده وصبره ، ومعرفة عظمة صدقه وحرصه على هداية أمته ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

ومن ذلك معرفة روح رسالته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥ -٤٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران:١٦٤] .

فمن عرف سيد الأولين والآخرين بهذه الصفات ، ولا الأخلاق أحبه ووقره ، وأكثر من الصلاة والسلام عليه ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[الفتح: ٩] .

وقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب:٥٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح:٢٨] .

الثاني : موافقة مراد الله جل جلاله في محبته للنبي ﷺ وثنائه عليه ، وتعظيمه ، وتوقيره ، وقد أثنى الله عليه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

وأكرمه بعظم الكرامات بقوله : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾[الشرح:١-٤] .

فلا يذكر أحدٌ في الدنيا ، ولا يثنى عليه كما يذكر نبيُنا ﷺ ويثنى عليه ، وأقسم الله بحياته تعظيمًا لشأنه فقال : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحجر: ٧٢] .

وذكى الله بعقله ولسانه وقلبه بقوله : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [النجم:١-٥] .

واتخذه الله خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا ، ومحبة رسول الله ﷺ تابعةً لمحبة الله وتعظيمه فالمؤمن يحب الله ، ومن يحبه الله من رسوله وأولياءه . فالمؤمنون يحبون رسول الله ﷺ لمحبة الله له ، ويعظمونه ، ويجلُّونه لإجلال الله له ، ومحبة أهل العلم والإيمان ، ومحبة الصحابة الكرام وإجلالهم كل ذلك تابعٌ لمحبة الله ورسوله ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران: ٣١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾[البقرة:١٦٥] .

وعن أنسٍ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ« لاَ يؤمِنُ أَحَدَكُم حَتّى أَكُونَ أَحَبّ إِلَيهِ مِن وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنّاسِ أَجمَعِينَ » . متفقٌ عليه[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا ، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ » . أخرجه مسلم[2] .

الثالث : أنَّ محبة النبي ﷺ وتعظيمه من شروط إيمان العبد ، وكذا محبة ما جاء به من الوحي فحب الرسول ﷺ وتعظيمه ، وتوقيره ، وطاعته فيه يكون قيام الدين كله ، وبضد ذلك يكون السقوط ديني كله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

وقال عز وجل : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾[النساء:٨٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٢] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥] .

الرابع : معرفة ما خصه الله به من شرف النسب وكرم الحسب ، وكمال الصفات ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٤).
(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥٤).

سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح:٢٩] .

وقال عز وجل : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

فمن عرف ذلك زاد إيمانه بالله ورسوله ، وسارع لإتباع رسوله ﷺ، وامتلاء قلبه بمحبته . ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

الخامس : معرفة شدة محبته ﷺ لأمته ، وعظيم شفقته عليها ، وشدة رحمته لها ، وفرحه بفضل الله عليها ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

السادس : معرفة قدر الثواب والأجر الحاصل بإتباعه وطاعته : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾[النساء:٦٩] .

وقال عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٧١] .

فكل خيرٍ وهدى في هذه الأمة ، وكل فلاحٍ وسعادة ، وكل كرامةٍ وعزة ، وكل أجرٍ وثواب لا يمكن أن يحصل لأحدٍ من البشر إلا بالإيمان بالله ورسوله ، وأتباع الرسول ﷺ وطاعته ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فكل خير وفلاح في هذه الأمة إنما جاء من طريق الرسول ﷺ الذي يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم ، ويحل لهم الطيبات ،

ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم الأصنام والأغلال التي كانت عليهم ﴿ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[الأعراف:١٥٧] .

- **وجوب محبة النبي ﷺ :**

الإيمان بالله ورسوله ، ومحبة الله ورسوله ، وطاعة الله ورسوله أعظم أصول الإيمان فلا إيمان لمن لم يكن الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[التوبة:٢٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ ﴾[الأحزاب:٦] . » . متفقٌ عليه(١) .

وعن أنس بن مالك –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ ، وَجَدَ بهنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ؛ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعد أَنْ أَنقذهُ اللهُ منْه ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ » . متفقٌ عليه(٢) .

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « لاَ يؤمِنُ أَحَدكُم حَتّى أَكُونَ أَحَبّ إِلَيهِ مِن وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنّاسِ أَجمَعِينَ » . متفقٌ عليه(٣) .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٨١) ، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (١٦١٩).

(٢)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٦) ، ومسلم برقم (٤٣) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (٤٤).

وباعث المحبة ، وقوتها يكون بحسب معرفة ما في المحبوب من كمالٍ ، وجلالٍ ، وجمال الذات . والله تعالى وحده أحق بهذه المحبة ؛ لكمال ذاته ، وأسماءه وصفاته ، وأفعاله ، والرسول ﷺ أحق من يتلوه في هذه المحبة ؛ لأنه أكرم الخلق عند ربه ، وأعظمهم أخلاقًا ، وأحسنهم عبوديةً لله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾[البقرة:١٦٥] .

وإن كان باعث المحبة للغير بسبب ما يصل إليك من الغير من المنافع ، والنعم ، والخيرات الله تعالى أحق بهذه المحبة ؛ لأن نعمه تجري على العباد في كل حين ، وكل نعمةٍ منه –جلَّ جلَّاله- ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل:١٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤]

والرسول ﷺ أحق من يتلوه في هذه المحبة فهو الرسول الكريم الرحيم الذي أكمل الله به الدين ، وأتم به النعمة ، وأخرجنا الله به من الظلمات إلى النور ، ومن الضلالات إلى الهدى ، واستنقذنا به من النار فليس بعد الله أحدٌ أمنَّ علينا منه ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

وقال تعالى:﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[آل عمران:١٦٤] .

وقال الله عز وجل: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٥-١٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

اللهم إن نشهدك ، ونشهد جميع مخلوقاتك أننا نحبك ، ونحب أنبياءك ورسلك ، ونحب دينك ، ونحب المؤمنين والمؤمنات: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران:٥٣] .

ومن أحب الله ، وأحب أن يحبه الله ، ويغفر ذنوبه ؛ فليتبع رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١] .

ومحبة الرسول ﷺ على قسمين :

الأولى : فرض وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول ﷺ من عند الله ، وتلَقيه بالمحبة ، والقبول ، والرضا ، والتعظيم والتسليم ، وحسن إتباعه له فيما أرسله الله به ، وتصديقه فيما أخبره ، وطاعته فيما أمره ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، ونصرة دينه ، وجهاد من خالف ما جاء به ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع . فهذه المحبة تبعث على امتثال أوامره ، والانتهاء عن معاصيه ، والرضا بما جاء به ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

فهذا القدر لا بد منه ، ولا يتم إيمان العبد لله به : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

الثانية : فضل وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به ، وتحقيق الاقتضاء بسنته ، وأخلاقه ، وآدابه ، ونوافله ، وأكله وشربه ولباسه ، وحسن معاشرته ، وسائر تطوعاته :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء:٦٩] .

وأكمل الناس دينًا من جمع في الإتباع بين الفرض ، والفضل : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[الحديد:٢١] .

والتعظيم بالمحبة حقان واجبان للرسول ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[الفتح:٨-٩] .

فها الحق المشترك بين الله ورسوله : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[الفتح: ٩] .

والخاص بالله وحده : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[الفتح: ٩] .

والخاص بالرسول ﷺ: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[الفتح: ٩] .

وتعزيره ﷺ نصره ، ونشر ما جاء به ، وتأيده ، ومنعه من كل ما يؤذيه .

وتوقيره إجلاله ، وإكرامه ، وتعظيمه ، وتبجيله لما له من حُرمةٍ ومكانةٍ يعظم من أجلها . والتعظيم أعلى من المحبة ؛ لأن المحبوب لا يلزم أن

يكون معظمًا فالولد الصغير يحب والده محبةً تدعوه إلى تكريمه لا تعظيمه ، والولد يحب أباه محبةً تدعوه إلى تعظيمه وإكرامه .

وكيف نحقق محبة النبي ﷺ وتعظيمه ؟ .

محبة النبي ﷺ وتعظيمه عبادة نتقرب إلى الله سبحانه بها، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب:٥٦] .

والعبادة التي يريدها الله –عز وجل من العبد ويحبها ويرضاها هي ما ابتغي به وجه الله ، وكانت على الصفة التي شرعها الله ورسوله ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

فالإخلاص هو ابتغاء وجه الله في العمال وهو مقتضى شهادة "أن لا إله إلا الله " ؛ لأن معناها لا معبود بحقٍ إلا الله ، ومتابعة النبي ﷺ في كل ما جاء به من ربه ومقتضى شهادة "أن محمدًا رسول الله" ؛ لأن معنى الشهادة له بأنه رسول الله يحق طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبره ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

وفي هذا كمال المحبة له ﷺ، وكمال التعظيم له ، وكمال التوقير له ، وكمال الهداية بالإيمان بالله ورسول ، وكمال الإيمان والتقوى والإخلاص والمتابعة ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠]

أما من لم يؤمن برسالته ﷺ أو شك في خبره أو استنكف عن طاعته أو ارتكب مخالفته أو ابتدع في دينه أو عبد الله من غير طريقه أو جحد ما جاء به أو استهزئ به فهو بعيدٌ عن الإيمان به بعيدٌ عن محبته ، وتعظيمه بعد الأرض عن السماء ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء: ١٤].

ولهذا من سلك في عبادة الله سبيلًا لم يشرعها رسول الله ﷺ فقد ضل وأضل ، وعمله مردودًا وغير مقبول:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]

وعن عائشة –رَضِيَ اللهُ عَنْهَا– قالت : قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفقٌ عليه[1] .

ولهذا أنكر الله عز وجل على من عبد غير الله أو عبد الله بما لا يشرعه الله ورسوله وتوعدهم بالعذاب الأليم فقال عز وجل : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المائدة:٧٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٧١٨)، واللفظ له.

وقال الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾[التوبة:٦٣] .

وقال الله عز وجل: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشورى:٢١]

إن محبة الرسول ﷺ وتعظيمه وتوقيره من أصول الإيمان ، وهي عبادةٌ من العبادات التي نتقرب إلى الله بفعلها في كل حال ، والعبادة محلها القلب واللسان والجوارح ، ويتحقق تعظيم النبي ﷺ بالقلب بتقديم محبته على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين فلا يتم الإيمان إلا بذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء:١٣٦] .

ولا توقير ، ولا تعظيم بلا محبة الله والرسول ﷺ، ولا تعظيم ولا محبة إلا بعد معرفته ، ومعرفة سيرته ، ومعرفة قدره ومحاسنه . وإذا استقرت محبته الصادقة في القلب أثمرت تعظيمه ﷺ وطاعته ، وإتباعه والاقتداء به في جميع ما جاء به من ربه بعبادةٍ تظهر على القلب واللسان والجوارح :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[التوبة:٦٢] .

أما أحوال الصحابة في محبة وتعظيم النبي ﷺ فإن الله عز وجل أكرم الصحابة –رَضِيَ اللهُ عَنْهُم– بشرف لقاء النبي ﷺ والإيمان به ومحبته ،

وتعظيمه ، وصحبته فكان من النصيب الأكمل والأوفى من محبته وتعظيمه ، والاقتداء به مما سبقوا به غيرهم ، ولن يدركهم فيهم من بعدهم فرَضِيَ اللهُ عَنْهُم ورضوا عنه ، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠] .

وسُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟ قال : « والله أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا ، وَأَوْلَادِنَا ، وَآبَائِنَا ، وَأُمَّهَاتِنَا ، وَمِنَ المَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظَّمَأ »[1] .

(١) انظر كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى برقم: (٢ / ٣٨٥).

١٠- الخزانة العاشرة

دلائل محبة الرسول ﷺ وتعظيمه :

لمحبة الرسول ﷺ وتعظيمه دلائل وأمارات تدل على ذلك ، ومن ذلك :

أولاً : تقديم النبي ﷺ، وتفضيله على كل البشر.

فقد فضل الله نبيه محمد ﷺ على جميع الخلق ، أولهم ، وآخرهم ، فهو خاتم الأنبياء ، والمرسلين ، وسيد الخلق أجمعين : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨].

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللهَّ سبحانه اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» . أخرجه مسلم[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أَنَا سَيِّد وَلَد آدَم يَوْم الْقِيَامَة، وَأَوَّل مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْر، وَأَوَّل شَافِع وَأَوَّل مُشَفَّع» . أخرجه مسلم[٢] .

لهذا يجب علينا إذا عرفنا فضائله ، حبه ، وتوقيره ، واستشعار هيبته ، وجلال قدره ، وعظيم شأنه ، واستحضار مكانته ، ومحاسنه ، ومعرفة الأمور الجالبة لحبه ، والعلم بسيرته ، وسنته ، وحسن الاقتداء به :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٧٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٧٨).

ومتى كان حب النبي ﷺ وتعظيمه مستقرًا في القلب ، فإن آثار ذلك ستظهر على اللسان ، والجوارح لا محالة ، فترى اللسان يجرى بمدحه ، والثناء عليه ، وذكر محاسنه ، والإكثار من الصلاة ، والسلام عليه :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب:٥٦] .

وسترى بقية الجوارح مستجيبة لمجابه ، تتبع شرعه ، وتمتثل أوامره ، وتجتنب نواهيه ، وتؤدى حقه من الحب ، والتعظيم ، والتكريم ، والطاعة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال:٢٤] .

فمن فضل الأئمة من آل البيت عن النبي ﷺ فقد ضل ، ومن فضل الأولياء ، والأقطاب عن النبي ﷺ فقد ضل ، ومن فضل أحد من البشر على النبي ﷺ فقد كفر ، وألحد ، وخالف النصوص الشرعية القطعية ، وإجماع الأمة ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥] .

الثاني : حسن الأدب معه ﷺ

ويتحقق ذلك بالأمور الآتية :

حسن الثناء عليه ﷺ بما هو أهله ، وأكمل ذلك ما اثني عليه به ربه جل جلاله ، وما اثني به هو على نفسه ﷺ ، وأفضل ذلك الصلاة والسلام عليه لأمر الله عز وجل بذلك وتوكيده ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

ولعظيم مقام عبد الله ، ورسوله محمد ﷺ أخبرنا الله عز وجل أنه يثنى عليه في الملأ الأعلى ، وأن الملائكة تصلى عليه ثم أمرنا بالصلاة والسلام عليه ؛ ليجتمع الثناء عليه من ربه العظيم ، ومن أهل العالم العلوي ، ومن أهل العالم السفلى .

هذه الآية تدل على وجوب الصلاة عليه ، وأبخل الناس ، وأذلهم ، وأحقرهم من ذكر عنده ، فلم يصل عليه .

عن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: « الْبَخِيلُ الذي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ » أخرجه أحمد والترمذي (١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ فَلَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ» أخرجه أحمد والترمذي (٢).

والصلاة من الله عز وجل والثناء عليه ﷺ في الملأ الأعلى ، والصلاة من الملائكة ، والمؤمنين سؤال الله الثناء عليه ، وثمرات الصلاة على النبي ﷺ كثيرة منها :

أنها سبب في حصول الحسنات ، ومحو السيئات ، ورفع الدرجات ، وإجابة الدعوات ، وحصول الشفاعة ، والنجاة من البخل ، وصلاة الله على العبد ، ودوام محبة النبي ﷺ، وغير ذلك من الفوائد ، والثمرات .

لهذا رغب النبي ﷺ بالصلاة عليه بقوله : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا » . أخرجه مسلم (٣) .

---

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (١٧٣٨)، والترمذي برقم (٣٥٤٦).

(٢) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٧٤٠٢)، والترمذي برقم (٣٥٤٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٤٠٨).

والصلاة عليه ﷺ مشروعة في كل وقت ، ومشروعة في عبادات كثيرة تزيد على أربعين موطنًا ومن ذلك :

الصلاة عليه فالتشهد في الصلاة ، الخطبة في الجمعة ، وبعد الآذان ، وفى صلاة الجنازة ، وعند الدعاء ، وعند سماع اسمه ، وغير ذلك .

وأفضل صيغة للصلاة عليه ﷺ علمه لأصحابه اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد .

ثانيًا : الإكثار من ذكره ﷺ، وذكر محاسنه ، وفضائله ، ومعجزاته ، ودلائل نبوته ، وتعليم الناس سنته ، ودوام تذكيره ، ومكانته ، وتذكيرهم بحقوقه ، وصفاته ، وأخلاقه ، وتذكيرهم بدعوته ، وسيرته ، وجهاده ، وغزواته ، وصبره ، فالعبد كل ما أكثر من ذكر المحبوب ، واستحضر في قلبه محاسنه ، وفضائله ، تضاعف حبه له ، وزاد شوقه لرؤيته ، وكملت طاعته له ؛ ولهذا أمرنا الله بالإكثار من ذكره في كل وقت ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢] .

وأمر الله سبحانه بالصلاة والسلام على نبيه بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

الثالث : حسن الأدب عند ذكر أسمه ﷺ، فلا يذكر باسم مجرد، بل يوصف بالنبوة، والرسالة، وقد خصه الله في القرآن من بين الأنبياء، فلم يذكره باسمه مجرد، بل نداه بقوله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾.

وحين قال: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ قال بعدها: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قال بعدها: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب:٤٠].

ومن كمال الأدب معه، أنه ينادى، ويذكر بوصف النبوة، والرسالة، لا بغير ما ورد في القرآن، والسنة: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[النور:٦٣].

الرابع: حفظ حرمة بلده المدينة النبوية، فأنها مهاجرة، ودار نصرته، وبلد أنصاره، ومحل إقامة دينه، وفيها قبره ﷺ، وفيها مسجده أفضل المساجد بعد المسجد الحرام؛ لهذا يجب على من سكنها، أو زارها، أو دخل فيها، مراعاة حسن المجاورة فيها، وحسن التأدب، وفعل الطاعات، واجتناب المعاصي.

الخامس: حسن الأدب عند دخول مسجده ﷺ، وكذا عند زيارة قبره، وترك اللغط، ورفع الصوت هناك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحجرات:٢-٣].

السادس: توقير حديثه ﷺ، وحسن سماعه، والوقار عند دراسته، وحسن قرأته، وتعظيم سنته، ومحبة حديثه، والمسارعة إلى العمل به تعظيمًا له: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[النجم:١-٥].

وكان مالك بن أنس رحمه الله إذا أراد أن يخرج، يحدث توضأ وضوئه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، ولبس قلنسوةً، ومشط لحيته، فقيل له في ذلك، فقال: أوقِّر به حديث رسول الله ﷺ.

- **دلائل محبة الرسول وتعظيمه :**

لمحبة الرسول ﷺ دلائل وبراهين وأمارات منها :

أولاً : تقديم النبي ﷺ وتفضيله على كل البشر .

الثاني : حسن الأدب معه ﷺ.

الثالث : تصديق النبي ﷺ فيما أخبر .

فمن أصول الإيمان الأساسية ، الإيمان ببعثة النبي ﷺ من الكذب والبهتان، وتصديقه في كل ما أخبر به عن الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، والجفاء كل الجفاء بل الكفر كل الكفر اتهامه ﷺ فيما أخبر وتكذيبه وقد رد الله في كتابه على من كذبه بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يونس:٣٧-٣٩] .

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [السجدة:٣] .

التوحيد يقوم على ركنين :

الأول : توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وتوحيده سبحانه بالعبادة والاستعانة والخضوع والذل والتوكل والإنابة كما قال سبحانه : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة:١٦٣] .

الثاني : توحيد الرسول ﷺ بالإتباع والانقياد لأمره والتسليم لحكمه والإذعان لطاعته ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] .

وبهذا وهذا يكمل التوحيد ويتحقق الإيمان توحيد ﷺ بالإتباع ، وتوحيد من أرسله بالعبادة : ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢] .

الرابع : التحكيم إلى سنته ﷺ تحكيم سنه النبي ﷺ في كل حال وشأن أصل من أصول الإيمان به ، ومحبته وإتباعه ، فلا إيمان لمن لم يحتكم لشريعته ويسلم له تسليماً مطلقَ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] .

ومن أعرض عن ما جاء به النبي ﷺ ورضي بحكم غيره ، فتلك حقيقة النفاق : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥] .

كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيم سنته ، وارتفاع الحرج عن الصدر بحكمه ، والتسليم المطلق لما حكم به هبة واختبارا ومحبه ، وقد بين الله عز وجل أن من علامات الزيغ والنفاق والإعراض عن سنة النبي ﷺ هو ترك التحكيم إليها، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [النساء:٦١-٦٢] .

الخامس : إتباع النبي ﷺ وطاعته الأصل في أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأخلاقه وأحواله إنها للإتباع والتأسي به مطلقا كما بين سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

ويستثنى من ذلك ما خصه الله به دون غيره ، وقد أمر الله عز وجل بطاعته وطاعة رسوله في آيات كثيرة فقال : ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[آل عمران: ٣٢] .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران:١٣٢] .

وقال الله عز وجل: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾[النساء:٨٠] .

وأمرنا الله عز وجل عند التنازع أن يرد ذلك إلى الله والرسول فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء:٥٩].

فعلينا جميعاً أن نتعبد لله عز وجل بإتباع النبي ﷺ وطاعته والاقتداء به والاهتداء بهدية ، وتحكيم سنته وتصديق خبره ، وتعظيم أمره ونهيه :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

السادس : الذب عن النبي ﷺ الدفاع عن الرسول ﷺ ونصرته وحمايته من أعظم البراهين والدلائل على محبته وإجلاله :﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[الفتح:٨-٩] .

وقد ضرب أصحاب النبي ﷺ أروع الأمثلة في الزاد عن الرسول ﷺ وفداءه بالأنفس والأموال والأولاد ، وفي العسر واليسر ، وفي المنشط والمكره ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٨-٩] .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « بَايَعْنَا رَسُولَ اللهَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا ، لاَ نَخَافُ فِي اللهَّ لَوْمَةَ لاَئِمٍ » . متفق عليه[1] .

ومن الزاد عنه ﷺ الزاد عن سنته ويكونَ بحفظها وتنقيحها وإخراج ما ليس منها، وحمايتها من تأويل الجاهلين وتحريف المغاليين، وانتحال المبطلين ، ورد شبهات الملا حدة والزنادقة الطاعنين في سنته، وبيان أكاذيبهم وأبطالهم ودسائسهم ، والرد على شبهات المستهزئين بما جاء في سننه من قولٍ أو فعلٍ أو اعتقاد ، كما يستهزئوا مثلاً باللحية أو الحجاب أو السواك أو رفع الإزار أو الميراث ، والاستهزاء بالسنة الصحيحة كفر يخرج من الملة كمال قال سبحانه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٩٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٧٠٩).

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٨-خزائن السيرة النبوية

القسم الثاني :

ويشتمل على ما يلي :

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٢٨- خزائن السيرة النبوية

القسم الثاني

١- الخزانة الأولى

- **دلائل محبه النبي ﷺ وتعظيمه :**

لمحبه النبي ﷺ وتعظيمه دلائل وأمارات وعلامات ومن ذلك :

- **الذب عن سنه النبي ﷺ:**

ومن الذب عنه ﷺ الذب عن سنته ويكون بحفظها وتنقيحها وإخراج ما ليس منها وحمايتها من تأويل الجاهلين وتحريف الغاليين وانتحال المبطلين ، ورد شبهات الملاحدة والزنادقة الطاعنين في سنته ، والتهاون في الذب عن الرسول ﷺ وعن شريعته من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان المسلم أو زواله ، فمن ادعي حب النبي ﷺ ولم تظهر عليه الغيرة على حرمته وعرضه وسنته فهو كاذب في دعواه ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

واحذر أن يكون خصمك يوم القيامة رسول الله ﷺ فيقول لك : بلغتك سنتي فلماذا لم تعمل بها ؟ ولماذا لم تنشرها ؟ ولماذا لم تدافع عنها ؟ .

والرب العظيم سوف يسأل كل رسول وكل من أرسل إليه : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف:٦-٩] .

فالمحامي عن السنة الذاب عن حماها كالمجاهد في سبيل الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

وقد كان جبريل ﷺ وحسان بن ثابت يؤيده فيما نافح عن رسول الله ﷺ في أشعاره ، فكذلك من ذب عن سنته ودينه من بعده .

عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَّانَ : « اهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ » . متفق عليه[1] .

ومن تمام محبه النبي ﷺ وتعظيمه الحرص على إبلاغ ما جاء به من ربه كما قال سبحانه : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

والحرص على نشر سنن النبي ﷺ وأقواله وأفعاله وإبلاغها للناس كما أمر بذلك رسول الله ﷺ بقوله : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً » . أخرجه البخاري[2] .

وقوله ﷺ: « أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ » . متفق عليه[3] .

وحرص المسلم على نشر السنة وإبلاغها وتعليمها باب عظيم من أبواب محبه النبي ﷺ وتعظيمه، وباب كبير من أبواب كسب الأجر والثواب ورضوان الله عز وجل ، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ » . أخرجه داود والترمذي بسند صحيح[4] .

فإبلاغ السنة وتعليمها ونشرها والعمل بها هي روح رسالة النبي ﷺ والبرهان القاطع على محبته وتعظيمه وتعظيم سنته ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢١٣)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (٢٤٨٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٠٤)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (١٣٥٤).

(٤) صحيح/ **صحيح** / أخرجه أبوداود برقم (٣٦٦٠)، والترمذي برقم (٢٦٥٦).

إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

وعن أبي موسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ » . متفق عليه(١) .

ومن مقتضيات ذلك الحرص على إماتته الضلالات والبدع المخالفة لهدي النبي ﷺ وأمره فالابتداع في دينه من خوارم محبته وتعظيمه : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وعن عائشة رضي الله عنه قالت : قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ ، فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه(٢) .

ومحبه النبي ﷺ وتعظيمه تقتضي التسليم بالحبيب ﷺ والانقياد لأمره وتتبع أثاره ، والوقوف عند أمره ونهيه ، وعدم النقص أو الزيادة في دينه ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥] . تلك بعض أمارات حب النبي ﷺ وتعظيمه نسأل الله أن يرزقنا وإياكم العمل بموجبها ما بقينا .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٩)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (٢٢٨٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (١٧١٨).

السابع : ولا شك أن الذب عن النبي ﷺ يقتضي الزاد عن أصحابه رضي الله عنهم

فهم ثقات عدول ، وهم خير القرون وهم أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه كمال قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

وقال عز وجل : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح:١٨] .

وقال الله عز وجل: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح:٢٩] .

وعن عمران بن حصيب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ: « قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يجِيءُ قَوْمٌ : تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ » . متفق عليه(١) .

وعن أبى سعيد الخضري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ، وَلاَ نَصِيفَهُ » . متفق عليه(٢) .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٥١) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٥٣٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٣) ، ومسلم برقم (٢٥٤١) واللفظ له.

- **لذلك فحقوق الصحابة علينا كبيرة جد ومنها :**

الأول : محبتهم والتراضي عنهم والاستغفار لهم وحسن الثناء عليهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[الحشر: ١٠] .

الثاني : الاقتداء بسنتهم والاهتداء بهديهم

عَن الْعِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ ﷺ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ : « .. فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ » أخرجه أبوداود والترمذي[1].

والقدح في الصحابة وسبهم قدح في النبي ﷺ فهم خاصته وأصحابه وبطانته الذين آمنوا به ونصروه وأطاعوه وجاهدوا معه ، ونقلوا للأمة سنته وشريعته رضي الله عنهم أجمعين .

وأعظم من طعن في الصحابة وسبهم وباطن الأمر الطعن في الرسول ﷺ ليقول قائل رجل سوء كان له أصحاب سوء ، ولو كان رجل صالحًا لكن أصحابه صالحين :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[البقرة:١٦] .

وقال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥] .

فما أعظم جرمهم وما أقبح افترائهم ، وما أسوء كذبهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج:١٠] .

---

(١) **صحيح** / أخرجه أبوداود برقم (٤٦٠٧) وهذا لفظه، والترمذي برقم (٢٦٧٦).

ثامنًا : ومن الذب عن النبي ﷺ الذب عن عرضه وعرض أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهم خاصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أحبوا النساء إليه وأحفظهن لسنته وأكثرهن رواية لحديثه ، والتي برأها الله عز وجل من فوق سبع سموات بقوله سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾[النور:١١] .

ومن سب عائشة رضي الله عنها بعد هذه البراءة ، قتل لأنه كافر مخالفٌ لنصوص القرآن ، وجميع أمهات المؤمنين مؤمنات طيبات تقيات نقيات ، ولهذا سماهن الله أمهات المؤمنين بقوله : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾[الأحزاب:٦] .

والوقيعة في زوجات النبي ﷺ واتهامهن بالباطل من أعظم الإيذاء للنبي ﷺ والقدح في دينه وعرضه وأهله ، وذلك كفر من فاعله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾[الأحزاب:٥٧] .

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾[الأحزاب:٥٣] .

- **دلائل عظمة قدر الرسول ﷺ:**

النبي ﷺ أعظم الناس قدرًا، وأحسنهم دينًا وأكملهم توحيدًا ، وأقواهم إيمانًا، وأفضلهم حديث وأكثرهم علمًا وأقومهم نفسًا ، وأعلاهم شئنًا ، وأعزهم مكانة ، وأشرفهم نسبًا ، وأحسنهم خلقًا.

ودلائل عظمة قدر الرسول ﷺ كثيرة جدًا وهذه أهمها :

الأول : أن الله عز وجل اصطفاه واختاره ليقوم بأعباء الرسالة العالمية من بين سائر الناس : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح:٢٨] .

وقال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

الثاني : أن الله سبحانه جمع لمحمد ﷺ بين النبوة والرسالة كما قال سبحانه : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

الثالث : أنه ﷺ من أولي العزم من الرسل ، فهو أفضلهم وسيدهم وأولي العزم من الرسل خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد ذكرهم الله في قوله سبحانه : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[الشورى:١٣] .

وقال تعالى:﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[الأحقاف:٣٥] .

الرابع : أن الله عز وجل خصه من بين الأنبياء بآيات معجزات تدل على صدق نبوته ، ويؤمن بسببها الناس وأعظمها القرآن الكريم :﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعًا مِّنَ ٱلۡمَثَانِى وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الحجر:٨٧].

وقال الله عز وجل: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠] .

ومعلوم أن آيات الأنبياء انتهت بموتهم أما القرآن العظيم فأية خالدة باقية إلى قيام الساعة : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] .

الخامس : أن الله عز وجل أنزل عليه أحسن كتبه وهو القرآن العظيم :﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾[الزمر:٢٣] .

وأحوى إليه بالسنة التي هي أفضل الشرائع وأحسنها وأكملها وأيسرها كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ﴾[النجم:١-٥] .

السادس : أن الله عز وجل أتم به بنيان الأنبياء ولهذا سمي بخاتم الأنبياء، كما قال سبحانه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ۝٤٠ ﴾[الأحزاب:٤٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بني بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَكْمَلَهُ ، إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ : هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ؟ قَالَ : فَأَنَا اللَّبِنَةُ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ » . متفق عليه[1] .

السابع : أن الله عز وجل فضل النبي ﷺ على جميع الخلق ، فهو سيد الأولين والآخرين وسيد الأنبياء والمرسلين ، وسيد الناس أجمعين .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفق عليه[2] .

الثامن : أن الرسول ﷺ أعلم الخلق بربه ، وأخشاهم له وأتقاهم له وأحمدهم له كما قال ﷺ: « أَمَا والله إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ » متفق عليه[3].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٣٥)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (٢٢٨٦).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧١٢)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم: (١٩٤).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٤٠١).

التاسع : أن الله عز وجل أتخذه خليلا، والخلة أعلى درجات المحبة .
عَنْ أبي سعيد الخدري ﷺ قَالَ: قال رسول الله ﷺ :« لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلا» متفق عليه (١).
عاشرًا : ومن دلائل عظمة قدره ﷺ أن الله جمع فيه ما تفرق به غيره من الأنبياء ، وهو الخلة والكلام والنبوة والرسالة وأفضل الأخلاق والشمائل وغيرها :﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].
وقال الله تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .
الحادية عشرة : أن الله عز وجل خصه بالإسراء إلى بيت المقدس والمعراج إلى ما فوق السماء السابعة ، وتكليمه بالوحي كما قال سبحانه : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء:١] .
وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ [النجم:١٣-١٥]
الثانية عشرة : أن الله عز وجل جعل محمد ﷺ قدوة وأسوة لجميع الناس في أقواله وأفعاله وأخلاقه وجميع أحواله، كما قال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٩٠٤) ، ومسلم برقم (٢٣٨٢) واللفظ له.

الثالثة عشرة : أن الله عز وجل أكرمه بشق صدره ، واستخراج حظ الشيطان منه ، وغسل قلبه وملئه إيمانًا وحكمه .

وقد حصل شق صدر النبي ﷺ مرتين :

الأولى : وهو غلام صغير في بادية بني سعد .

والثانية : قبيل الإسراء والعروج به إلى السماء .

الرابعة عشرة : أن الله ﷻ أرسله للناس كافه الإنس والجن، بينما أرسل غيره من الأنبياء إلى أقوامهم خاصة، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[سبأ:٢٨] .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ :« أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ » متفق عليه [1].

الخامسة عشرة: أن الله ﷻ جعله رحمة للعالمين في العالم العلوي ، وفي العالم السفلي ، وفي الدنيا ، وفي الآخرة : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٣٨) واللفظ له ، ومسلم برقم (٥٢١).

٢- الخزانة الثانية

ومن دلائل عظمة قدر الرسول ﷺ:

السادسة عشرة: أن الله تعالى وهب نبيه ﷺ أحسن الأخلاق ، وأثنى على عظيم خُلقه فقال له : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم: ٤] .

فكان خلقه القرآن، يتمثل أوامره، ويتجنب نواهيه، ويصدق أخباره ، ويتأدب بآدابه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه ، ويبلغ أحكامه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الصف: ٩] .

وقد أجمل ﷺ بعثته كلها في مكارم الأخلاق بقوله :« إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ» أخرجه أحمد(١).

ومكارم الأخلاق قسمان :

الأول : حسن الخلق مع الخالق بتوحيده والإيمان به وعبادته وحده لا شريك له .

والثاني : حسن الخلق مع المخلوق بالإحسان إليه وكفى الأذى عنه .

وكان ﷺ أعظم الناس أخلاقًا في هذا وهذا : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن. أخرجه مسلم(٢).

وسُئِلَتْ عائِشةُ عن خُلُقِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فقالَتْ: " كان خُلُقُه القُرآنَ " أخرجه أحمد ، وأبو يعلى (٣) .

---

(١) **صحيح** / أخرجه أحمد برقم (٨٩٥٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٤٦).

(٣) صحيح / أخرجه أحمد برقم: (٢٥٨١٣) واللفظ له، وأبو يعلى برقم: (٤٨٦٢).

وإذا كان خلقه القرآن ، فالقرآن يهدي للتي هي أقوم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[الإسراء:٩] .

فسبحان ما جمله بالأخلاق ظاهرًا وباطنًا ، وأرسله لتجميل الناس بالإيمان والتقوى ومكارم الأخلاق ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨].

فالدين كله حسن الخلق ، مما يجعل الأخلاق العظيمة هي البعثة، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[البقرة:١٧٧] .

وقد جمع الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الدين كله بأقسامه الثلاثة :

١- الإيمان بالله وملائكته إلى أخره .

٢- والإسلام من صلاة وزكاة إلى أخره .

٣- والإحسان من وفاء وصدق وصبر وتقوى لله عز وجل .

فمن أكمل هذه الأخلاق في الدنيا كان أقرب الناس منزلة من النبي ﷺ يوم القيامة ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ: « أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَى اللهِّ ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مجَلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ " فَسَكَتَ

الْقَوْمُ ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ، فَقَالَ الْقَوْمُ : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللهِّ قَالَ : " أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا » . أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد بسند صحيح(١) .

السابعة عشرة : أن الله عز وجل أكرم رسوله ﷺ بكرامات وشرح صدره ووضع عن وزره ورفع ذكره رفعاً عظيمَ كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح:١-٤] .

فجعل الله سبحانه أسم نبيه ﷺ جزء من شهادة التوحيد ، فلا يذكر الله تعالى إلا وذكر معه النبي ﷺ في الأذان والإقامة وفي الصلاة وفي التحيات وفي التشهد وفي الخطب وكثير من الأدعية والأذكار .

فذكر النبي ﷺ يدوي في كل مكان في العالم العلوي والعالم والسفلي ، والله وملائكته والمؤمنون يصلون ويسلمون عليه في كل آن ، ومنارات المساجد تهتف بذكره في كل يوم وليلة خمس مرات في كل وقت وفي كل بلد .

فليس بشر في الدنيا يذكر ويثنى عليه كما يذكر النبي ﷺ ويثنى عليه .

الثامنة عشرة : أن الله عز وجل أمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ، وأخبر سبحانه أنه يصلى عليه وملائكته فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

والصلاة والسلام عليه مشروعة في كل حال ، ومشروعة في أحوال خاصة كالتشهد في الصلاة وفي صلاة الجنازة وفي الخطبة ، وبعد الأذان وعند الدعاء وغيرها من المواطن والمناسبات ، ولعظمة قدره ﷺ رتب الأجر

---

(١) صحيح/ أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٥).وأخرجه أحمد برقم (٦٧٣٥)..

العظيم على من صلى عليه ، وأخبر ﷺ أن من صلى عليه واحد صلى الله عليه بها عشره .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا » . أخرجه مسلم[1] .

فالله عز وجل يصلى عليه وأمر الملائكة بالصلاة والسلام عليه ، وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه لعظمة مكانته ومنزلته وقدره ، لهذا اجتمع أهل عالم العلوي والعالم السفلى على الصلاة والسلام عليه ، فصلوات الله وسلامه عليه .

التاسعة عشرة : أن الله عز وجل ميزة بشرف النسب وكريم الحسب ، وصفاء النشأة فهو خير الناس بيتاً وخيرهم نفسًا ، عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إِنَّ اللهَّ عز وجل اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » . أخرجه مسلم[2] .

العشرون : من دلائل عظمة قدرة ﷺ وخصه الله به من خصائص ذاتيه وخصائص شرعيه :

الخصائص الذاتية : التي تتعلق بدنه ومنها أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه ، وما جعل الله فيما أنفصل من جسده من بركة كعرقه وريقه وشعره وماء وضوئه وهذا خاص به .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٠٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٧٦).

ومن ذلك أن الله خص أمته ﷺ بكرامات وخصائص ليست لغيرها ومن ذلك :

أما خصائصه الشرعية : فمتعددة ومنها لا يورث ومن تركه صدقه ، ومنها أن الصدقة محرمه وعلى أل بيته ، ومنها أن الله أباح له النكاح من أكثر من أربع نسوة ، ومنها جواز الوصال في الصوم في حقه وأنه لا يجب عليه القسم في الليالي بين نسائه ، ومع ذلك يقسم لكمال خلقه ﷺ: ﴿ ۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾[الأحزاب:٥١] .

الحادي والعشرون : من دلائل عظمة قدرة ﷺ ما أختص الله به أمته من خصائص وكرامات أهمها أن الله جعل أمته خير الأمم كما قال سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

ثانيًا : أن الله اجتباها من بين الأمم ، كما أصطفى الأنبياء واجتباهم من بين الناس : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾[الحج:٧٨] .

الثالثة : أن الله عز وجل جعل أمته أمة وسطا ، وجعلهم شهداء على الناس : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾[البقرة:١٤٣] .

وعن بن سعيد الخضري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « يجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ اللهُ لِنُوحٍ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ ، قَالَ : مَنْ يَشْهَدُ

لَكَ ، قَالَ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، قَالَ : فَنَجِيءُ فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عز وجل : وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » . والوسط العدل أخرجه البخاري[1] .

فهذه الأمة أمة وسط وعدل ، وصفهم الله بالوسط لتوسطهم في الدين، فلهم أهل غلو في الدين غلوا النصارى، الذين غلوا في الترهب وغلوا في نبيهم عيسي، فقالوا إنه الله أو ابن الله، ولا هم أهل تقصير في الدين كتقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وحرفوا وقتلوا أنبياءهم ، وكذبوا على ربهم وكفروا به ، وقالوا على الله غير الحق: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾[آل عمران:١٨١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[المائدة:٦٤].

الرابع : أن الله عز وجل جعل أمته ﷺ لها خير ما في الدنيا السابقون يوم القيامة في الحساب ودخول الجنة ، فهم الآخرون زمانًا الأولون منزلة ، فهم أول من يحشروا وأول من يحاسب وأول من يدخل الجنة .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَاخْتَلَفُوا ، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ، هَدَانَا اللهُ لَهُ - قَالَ : يَوْمُ الْجُمُعَةِ - فَالْيَوْمَ لَنَا ، وَغَدًا لِلْيَهُودِ ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى » . متفق عليه[2] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٣٣٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦) ، ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له..

الخامسة : أن أمته ﷺ أول من يجوز من الأمم على الصلاة يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حديث الرؤية: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ » متفق عليه[1].

السادسة : أن الله هدي أمته ﷺ إلى يوم الجمعة سيد الأيام ، فأمته ﷺ يجتمعون للعبادة يوم الجمعة ، واليهود يوم السبت ، والنصارى يوم الأحد .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَاخْتَلَفُوا ، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ، هَدَانَا اللهُ لَهُ – قَالَ : يَوْمُ الْجُمُعَةِ – فَالْيَوْمَ لَنَا ، وَغَدًا لِلْيَهُودِ ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى » . متفق عليه[2] .

وخلق الله آدم يوم الجمعة ، والإنسان إنما خلق للعبادة فناسب أن يشتغل أكثر في العبادة فيه ، لأن الله أكمل فيه خلق الموجودات وخلق فيه الإنسان التي ينتفع بها فناسب أن يشكر ربه على ذلك بالعبادة فيه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ ﴾[الجمعة:٩] .

سابعاً : أنه أمته ﷺ لا تجتمع على ضلاله : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ ﴾[الأنبياء: ٩٢] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٧٦) ، ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له.

وعَنْ ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قال النبي ﷺ :« إِنَّ الله لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي ، أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ » أخرجه الترمذي [١].

ثامناً : أن أمته ﷺ يأتون يوم القيامة غر محجلين من أثار الوضوء.

عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال النبي ﷺ :« إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ» متفق عليه [٢].

التاسع : أنه أمته ﷺ نصف أهل الجنة أو أكثر .

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في قُبَّةٍ فقال: «أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ » قلنا نعم قال: «أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ » قلنا نعم، قال: «أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ » قلنا: نعم. قال: «إنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنتُمْ في أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ في جِلْدِ الثَّورِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ في جِلْدِ الثَّورِ الأَحْمَرِ». متفق عليه [٣].

العاشرة : أن الله عز وجل يدخل من أمته ﷺ سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَليَّ الأُمَمُ، فَأَجِدُ النَّبِيَّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، هَؤُلاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لا، وَلَكِن انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوادٌ كَثِيرٌ. قَالَ: هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفاً قُدَّامَهُمْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا

---

(١) **صحيح**/ أخرجه الترمذي برقم (٢١٦٧).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٣٦) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٤٦).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢١).

عَذَابَ. قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لا يَكْتَوونَ، ولا يَسْتَرْقونَ، وَلا يَتَطيَّرون، وَعَلَى رَبِّهِمْ يتوكَّلُونَ». متفق عليه[1].

الحادي عشرة: مضاعفة أجور هذه الأمة، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة كما قال سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[الأنعام:١٦٠].

وقال الله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[البقرة:٢٦١].

وقال الله عز وجل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[البقرة:٢٤٥].

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[الزمر:١٠].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُما عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةَ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا، وَأَقَلَّ عَطَاءً، قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ» أخرجه البخاري[2].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٥٤١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٢٦٨).

وعن أبي ذر ﷺ في قصة الإسراء والمعراج أن النبي ﷺ قال :« فَفَرَضَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ الله لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا. فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ فَرَاجَعْتُ. فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاجَعْتُهُ فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ » متفق عليه (١).

فهذه الأمة أمة مكرمة ذنوبها مغفورة ، وعيوبها مستورة ، وأعمالها مضاعفة ، وأعمارها قصيرة ، لأن الله ﷻ شرفها كالأنبياء بالدعوة إلى الله والعبادة كما قال سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

الثانية عشرة : أن أمته ﷺ لا يعمها الهلاك العام ، كالأمم السابقة بغرق أو خسف أو جدب ، فهي باقية إلى يوم القيامة ، كما هلك الله تعالى الذين كذبوا رسله من قال كما قال سبحانه : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٠] .

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قَالَ: قال النبي ﷺ :« سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا ، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً ، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٤٩) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٦٣).

فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا» أخرجه مسلم(١).

الثالثة عشرة : ومن خصائص أمة محمد ﷺ بقاء طائفة منها على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، جعلنا الله وإياكم وجميع المسلمين منهم .

عن معاوية رضي الله عنه قَالَ : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ الله ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ» متفق عليه(٢).

الرابعة عشرة : أن الله عز وجل أكرم هذه الأمة بحسن الشريعة وكمالها ، فقد حوت جميع محاسن الشرائع الإلهية المتقدمة ، ورفع عنها ما لا يلائمها كرفع الحرج ، والعفو عند الخطأ ، والنسيان والإكراه ورفع الآثار والأغلال وحديث النفس كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٧] .

وقال عز وجل : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾ [الحج:٧٨] .

الخامسة عشرة : أن الله هيأ لأمة محمد ﷺ من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة ، ليحفظ لها دينها على مر القرون إلى يوم القيامة .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٨٩).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٦٤١) ، ومسلم برقم (١٠٣٧) واللفظ له.

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال :« إِنَّ الله يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينِهَا » أخرجه أبوداود[1].

السادسة عشرة : أن الله عز وجل اختص أمة محمد ﷺ بالشريعة السمحة ، ويسر في التشريع وحلل لها بعض ما حرم على الأمم من قبلها .

عن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال :« أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» متفق عليه[2].

وغير ذلك من الخصائص والكرامات التي خص الله بها أمة محمد ﷺ ، فهذه ستة عشر كرامة خص الله بها أمة محمد ﷺ.

---

(١) **صحيح** / أخرجه أبوداود برقم (٤٢٩١).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٥) واللفظ له ، ومسلم برقم (٥٢١).

٣- الخزانة الثالثة

ومن دلائل عظمة قدر النبي ﷺ:

الثاني والعشرون : من دلائل عظمة قدره ﷺ أنهُ أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأنه أول من يُفيق .

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :« لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاء، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى »» متفق عليه (١).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :« لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ » متفق عليه (٢).

الثالث والعشرون : أن الله سبحانه وتعالى خصهُ من بين الرُسُل بالشفاعة العظمي لبدل الحساب يوم القيامة تشريفًا لمقامه وإظهارًا لمكانتهِ إذ جعلهُ ربه شفيعًا لجميع الخلائق لبدل الحساب العباد كلهُم مؤمنهم وكافرهُم حين يطول منهِم الموقف يوم القيامة ويعتذر جميع الأنبياء عن الشفاعة من نوح لعيسي عليهم الصلاة والسلام فيذهبون إلى محُمد ﷺ فيقول :« أَنَا لهَا ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّيَ فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لا تَحْضُرُنِي الآنَ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المَحَامِدِ ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ » متفق عليه (٣).

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٤١٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٧٣).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٩١٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٧٤).

(٣) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٧٥١٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٩٢).

فالنبي ﷺ أعظم الخلق جاهًا وقدرًا عند الله ، لما قام به من جهد البلاغ والرسالة ، والصبر على أداء الأمانة ولهذا فهو أول شافع وأول مشفع .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« أَنَا سَيِّدُ الناسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه [١].

ومن دلائل عظمةِ قدرهُ عند الله أن اللهُ خصهُ يوم القيامةَ بثلاثِ شفاعات غير العُظمي المُتقدمة في أهل الموقف وهي :

الأولي : شفاعتهُ ﷺ لعُصاة المؤمنين من أهل الكبائرِ من أُمتهِ ممن استحق النار أن يدخُلُها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا ، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ » متفق عليه [٢].

الثانية : شفاعتهُ ﷺ للمؤمنين في دخول الجنة فإذا شفع فُتحت لهُم أبواب الجنة فدخلوها .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ »أخرجه مسلم[٣].

فالشفاعة الأولى لزوال الكرب والغم ليرتاح الناس من كُروبات الحشر والانتظار الطويل ، والشفاعة الثانية لعُصاة المؤمنين ليُريحهُم من الهمِ والغم ، والثالثةِ في دخول الجنة لينال المؤمنون الفرح ، والفرج والسرور بدخول الجنة ﷺ.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢) ، ومسلم برقم (١٩٤).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٩٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).

الثالثة : شفاعتهُ ﷺ في تخفيف العذاب عن عمهِ أبو طالب ليُخفف عنهُ العذاب جزاء إحسانهِ إليه ، ودفاعه عنه .

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ، وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَار، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ» متفق عليه [1].

فهذه الشفاعات خاصةِ به ﷺ وهُناك شفاعة خامسة ولكنها مُشتركةٍ بينهُ وبين المؤمنين والملائكة ، وهي الشفاعة في المؤمنين الذين استحقوا النار أن يخرجوا منها .

الرابعة والعشرون : أن الله عز وجل قرن حقهُ بحق الرسول ﷺ في ثلاثة مواطن :

في الإيمان .. وفي طاعتهِ .. وفي محبتهِ .

فالإيمان به في قولهِ سبحانه : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨ ﴾ [التغابن:٨] .

وطاعتهِ في قولهِ سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾ [آل عمران:١٣٢] .

وفي المحبة قوله سبحانه : ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤ ﴾ [التوبة:٢٤] .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٣) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٠٩).

الخامسة والعشرون : من دلائل عظمة قدر الرسول ﷺ قُبيل بعثتهِ ﷺ حُرثت من استراق الشياطين للسمع لئلا يختلط الواحد بكذب الشياطين ، وهذا حدثٌ عظيم فقد كان الشياطين يسترقون السمع ثم يلقونه للكُهان ثُم يلقينهُ الكُهان علي الناس بعدما يزيدونَ فيها كذباتٍ ، كما قال سبحانه عن الجن : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن:٨-٩] .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إِنَّ المَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ ، فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » متفق عليه [١].

السادسة والعشرون : من دلائل عظمة قدر النبي ﷺ تسليم بعض الجمادات عليه كالحجر الذي كان يُسلم عليه في مكة قبل البعثة

عن جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنِّي لأعرف حجراً كَانَ يسلم عَليّ قبل أَن أُبْعث، وَإِنِّي لأعرفه الْآن » أخرجه مسلم[٢].

السابعة والعشرون : توقير بعض الحيوانات لهَ ﷺ في قصة الجمل الذي خر ساجدًا بين يديهِ

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ لهَُمْ جَمَلٌ يَسْنُونَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ الجَمَلَ اسْتُصْعِبَ عَلَيْهِمْ فَمَنَعَهُمْ ظَهْرَهُ ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ جَاؤا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نُسْنِي عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ اسْتُصْعِبَ عَلَيْنَا ، وَمَنَعَنَا ظَهْرَهُ ، وَقَدْ عَطِشَ الزَّرْعُ وَالنَّخْلُ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحَابِهِ : «

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢١٠) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٢٢٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٧).

قُومُوا» ، فَقَامُوا فَدَخَلَ الحَائِطَ وَالجَمَلُ فِي نَاحِيَته ، فَمَشَى النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَهُ. فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ : يَا رسولَ الله ، إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلِبِ ، وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ ، فَقَالَ: « لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ » فَلَمَّا نَظَرَ الجَمَلُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، أَقْبَلَ نَحْوَهُ ، حَتَّى خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا كَانَتْ قَطُّ ، حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا نبيَّ الله ، هَذِهِ بَهِيمَةٌ لَا تَعْقِلُ تَسْجُدُ لَكَ ، وَنَحْنُ نَعْقِلُ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ ! فَقَال: « لَا يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ ، وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا » أخرجه أحمد(١).

الثامنة والعشرون : محبة بعض الجمادات لهَ كجبل أُحد .

عن أبي حميد ﷺ قال: أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى المَدِينَةِ، قال: « هَذِهِ طَابَةُ ، وَهَذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » متفق عليه (٢).

التاسعة والعشرون : طاعة بعض الجمادات لهَ ﷺ فحين صعد النبي ﷺ علي جبلِ أُحد ومعه أبوبكر وعمر وعثمان، فرجف بهم الجبل ، فضربه ﷺ برجله ، وقال : « اثْبُتْ أُحُدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ » أخرجه البخاري(٣).

الثلاثون : تعظيم بعض الكُفار لهُ ﷺ وإن لم يتبعوه وهذا مُشاهد معلوم في الماضي والحاضر أما في الحاضر المعاصر فكم كتب الكفار المعاصرون في عُظماء البشرية ، وجعلوا نبينا محُمد ﷺ أول العُظماء ، أما في الماضي فكما روي أن هِرقل عظيم الروم تأثر من كتاب النبي ﷺ وأوشك أن يُسلم

---

(١) **حسن**/ أخرجه أحمد برقم (١٢٦١٤).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٤٤٢٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٣٩١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦٨٦).

ووضع كتابهُ لهُ في قصبةٍ من ذهب تعظيمًا لهُ وأنهُ لا يزالُ حُكام الروم يتوارثونهُ كابرًا عن كابر ودامت دولته الروم أكثر من دولة الفُرس .

الحادية والثلاثون : أنهُ ﷺ أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة .

عَنْ أنس ﷺ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ» أخرجه مسلم(١).

وعَنْ أنس ﷺ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« أَنَا أَوَّلُ شفيعٍ في الجَنَّةِ» أخرجه مسلم(٢).

الثانية والثلاثون : إنه ﷺ كان إمام الأنبياء في الصلاة في ليلة الإسراءِ والمِعراج ببيت المقدس

عَنْ أبي هريرة ﷺ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الحِجْرِ وَأَنَا أُخْبِرُ قُرَيْشًا عَنْ مَسْرَايَ قَالَ : فَسَأَلُونِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا ، قَالَ : فَكُرِبْتُ كَرْبًا مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، قَالَ : فَرَفَعَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، مَا سَأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ ، قَالَ : وَرَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، وَإِذَا عِيسَى قَائِمٌ يُصَلِّي ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ، قَالَ : وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَائِمٌ يُصَلِّي ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ ، قَالَ : فَحَانَتِ الصَّلاةُ فَأَمَمْتُهُمْ فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلاةِ قِيلَ لي : يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلامِ » أخرجه مسلم(٣).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٧٢).

الثالثة والثلاثون : أنه ﷺ أكثر الأنبياء جُهدًا وصبرًا وأعظم الناس أجرًا وثوابًا يوم القيامة قال الله سبحانه وتعالى ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[التوبة:٨٨] .

عَنْ أبي مسعود رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» أخرجه مسلم(١).

الرابعة والثلاثون : أن قرنهُ ﷺ خير قرون بني آدم كما أنهُ خير قرون أُمتهِ .

عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ» أخرجه البخاري(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قَالَت: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ :أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ ، ثُمَّ الثَّانِي ، ثُمَّ الثَّالِثُ » أخرجه مسلم(٣).

الخامسة والثلاثون : أن الله عز وجل أخبر النبي ﷺ بأنهُ غُفر لهُ ما تقدم من ذنبٍ وما تأخر وهو حيٌ يمشي علي الأرض، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾[الفتح:١-٣] .

ولم يُنقل أن الله عز وجل لم يخُبر أحدًا من الأنبياء بمثل ذلك والظاهر أنه سبحانه لم يخُبرهُم لأنهُم في مقام الشفاعة في الموقف ذكر كُل واحدًا منهُم خطيئتهُ التي أصابها ، ثُم اعتذر عن الشفاعة ولو علم بغُفران خطيئتهَ لم يوجل منها وشفع .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٩٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣٦).

السادسة والثلاثون : أن الله سبحانه أقسم بحياتهِ إظهارًا لعظيم قدره ومكانتهَ : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[الحجر: ٧٢]

والإقسام بحياتهِ يدُل علي شرف حياتهِ وعزتِها ، وقدرها عند المُقسم بها ، وأن حياتهُ ﷺ جديرة أن يُقسمُ اللهُ بها ، لما فيها من البركات العظيمة ، والمنافع الجمة ، والجُهد العظيم ، والصبر الجميل الذي بذلهُ ﷺ في إعلاء كلمة الله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

٤ - الخزانة الرابعة

ومن دلائل عظمة قدر النبي ﷺ:

السابعة والثلاثون : أن عز وجل وقر النبي ﷺ في ندائهِ فلم يُخاطبهِ باسمه ، محُمد مجُردًا بل نادهُ بوصف الرسالة والنبوة بقولهِ : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾[المائدة:٤١] .

وقال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٥] .

في حين نادي جميع الأنبياء بأسمائهم كما قال سبحانه : ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[الصافات:١٠٤-١٠٥] .

وقال الله تعالى:﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[الأعراف:١٤٤] .

وقال الله تعالى:﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ ﴾ [مريم:١٢] .

وقال الله تعالى:﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾[المائدة:١١٠] .

وهذا خاص بالنبي دون غيرهِ من الأنبياء ولما أخبر عنهُ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ﴾[الأحزاب:٤٠] .

قال بعدها : ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾[الأحزاب:٤٠] .

أما الأنبياء من قبلهِ فقد نادهُم بأسمائِهم كما مرّ معنا .

الثامنة والثلاثون : أنهُ ﷺ أول من يجُيزُ عن الصراط وأول من يقرع باب الجنة وهو خاصٌ بهِ دون غيرهِ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في حديث الرؤية: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إلا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». متفق عليه(١).

وعَنْ أنس رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ» أخرجه مسلم(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« آتي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ »أخرجه مسلم(٣).

التاسع والثلاثون : من دلائل عظمة قدره كثرة أسمائهِ ﷺ وتنوعِها وكُلها أسماءِ مدحٍ وكمالٍ وصفاتٍ قائمة به مثلِ : محُمد ، أحمد وغيرها .

وأسماء النبي ﷺ نوعان :

الأول : خاصًا به لا يشاركوهُ في معناهُ غيرهُ من الرُسل كـ محُمد ، وأحمد ، والعاقب ، والحاشر والمُقفي ، ونبي الملحمة محُمد رسول الله :﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف:٦] .

وعن جبير بن مُطْعِم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو الله بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٨٠٦)، ومسلم برقم (١٨٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).

يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ». متفق عليه[1].

الثاني : يشاركهُ في معناها غيرهُ من الرُسُل لكن لهُ منها الكمال فهو مخُتصًا بكماله دون أصله ، كرسول الله ونبي الله وعبد الله والشاهد والمُبشر والنذير ونبي الرحمة ونبي التوبة والمُتوكل والأمين والقاسم وغيرُها ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥ -٤٦] .

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١﴾ ﴾[الأحزاب:١]

وقال عز وجل : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧] .

وأما إن اشتققنا له ﷺ من كل وصفٍ من أوصافه اسمًا فإن أسمائه ﷺ تتجاوز المائتين كالرؤوف الرحيم ، والصادق المصدوق ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

فهو ﷺ حمد كثير الخِصال التي يحُمد عليها الذي يحمد أكثر من غيرهِ الذي يحمدهُ أهلُ السماءِ وأهل الأرض وهو ﷺ أحمد فهو أحمد الخلق لربهِ وأكثر من حمد غيرهِ لربهِ وهو أحق الناس وأولاهُم بأن يحُمد لكثرة خِصال الخير فيه وهو ﷺ المتوكل الذي توكل على الله في إقامة الدين ، وفي كُل أمورهِ توكُلاً لم يُشاركهُ فيهِ غيرهُ .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٥٣٢) واللفظ له ، ومسلم برقم (٢٣٥٤).

وهو ﷺ الحاشر الذي يحُشر الناس علي قدمهِ فكأنهُ بُعث ليحشِر الناس ، وهو ﷺ العاقب الذي جاء بعد الأنبياءِ كُلهم فليس بعدهُ نبي ، وهو ﷺ الماحي الذي يمحو به الله الكُفرِ والشرك وهو ﷺ المُقفى الذي قفى على آثار من تقدمهُ من الأنبياء وهو خاتمهُم وآخرهُم وهو الأمين فهو أمين الله علي وحيهِ ودينهِ وهو أمين من في السماء وأمينُ من في الأرض ، وهو ﷺ الضحوك القتال وهُما اسمان مزدوجان لا يُفرد أحدهُما عن الأخر فهو ضحوك في وجوه المؤمنين وقتال لأعداء الله المُكابرين والمُستكبرين لا تأخذهُ فيهم لومة لائم .

وهو ﷺ الفاتح الذي فتح اللهُ بهِ أبواب الهُدي وفتح به أمصار الكُفار ، وفتح بهِ أبواب الجنة وفتح به العلم النافع والعمل الصالح ، وفتح به القلوب والأسماع والأبصار والأمصار .

وهو ﷺ نبي التوبة ، الذي فتح الله به أبواب التوبة علي أهل الأرض ، وكان ﷺ أكثر الناسِ توبةٍ واستغفارًا وأكملهُم .

عن الأغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيُغَانُ على قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله في اليَومِ مِائَةَ مَرَّةٍ» أخرجه مسلم(١).

وتوبة أُمتهِ ﷺ أكمل من توبةِ سائر الأُمم وأيسرها وكانت توبة من قبلهِم من أصعب الأشياء حتى كانت توبة بني إسرائيل من عبادة العِجل قتلُ أنفسهِم ولكرامة توبة هذه الأُمة جعل الله عز وجل توبتها الندم ، والإقلاع عن المعصية ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

وهو ﷺ الذي أرسلهُ الله رحمةً للعالمين ، رحم الله به أهل الأرض جميعًا مؤمنهُم وكافرهُم ، فالمؤمنون نالوا النصيب الأكمل والأوفر من الرحمة في الدُنيا والآخرة ، أما الكُفار فمن دفع الجزية عاش في ظلهِ وعدلهِ وشرعهِ ومن قُتل من الكُفار فإنه تعجل للنار واستراح من الحياة الطويلة التي لا تزيدُ إلا شدة العذاب في الآخرة .

وهو ﷺ نبي الملحمة الذب بعثهُ الله لجاهد أعدائهِ من الكُفار الذين أذوه وحاربوه وأصروا علي كُفرهِم ، فجاهدهُم بنفسهِ وماله ولسانهِ ويدهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[التوبة:٧٣] .

ولم يجُاهد نبيٌ وأُمتهُ مثل جاهد النبي ﷺ فهو ﷺ البشير الذي بشر من أطاعهُ بالجنة ، النذير الذي أنذر من عصاهُ بالنار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥] .

وهو ﷺ عبدُ الله وقد شرف الله بهذا الاسم في أعظم المقامات كما قال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان:١] .

هذا في مقام التنزيل .

وفي قال الإسراء سبحانه : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[الإسراء:١] .

وقد وصف الله رسولهُ بالعبودية في تسعة مواضع من القُرآن .

الأربعون : ومن دلائل عظيم قدرهِ ﷺ أن الله نصرهُ بالرعب مسيرة شهر ، حيثُ ألقي -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الرُعب في قلوب أعدائهِ مسيرة شهر حتى لو كان وحدهِ بدون عسكر .

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ ليَ الأرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، فَأيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ ليَ المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلي، وَأُعْطيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إلَى النَّاسِ عَامَّةً» متفق عليه[1].

الحادية والأربعون : أن النبي عليه الصلاة والسلام رأي في المنام أنه أتي مفاتيح خزائن الأرض ووضعت في يدهِ وحصل كما رأي وورثت أمتهُ كنوز كيسري وقيصر وغيرها من الممالك ومازالت أُمتهُ تمتثل من تلك الخزائن .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَآني فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآني ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي ». متفق عليه[2].

الثانية والأربعون : أن أتباع النبي ﷺ كانوا في ازدياد فلم يمر يوم إلا ودخل داخل في دين الإسلام بخلاف الأنبياء الآخرين ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر:١-٣] .

الثالث والأربعون : أن الشيطان لا يتمثل به ﷺ في المنام فمن رآه في المنام وأكرر للذي رآه كما جاء في صفاتهِ المذكورة في السُنة فقد رأي شخصهُ حقًا ومنع الله الشيطان ليتمثل في صورتهِ لـ ألا يكذب على لسانهِ في النوم .

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٣٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٢١).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١١٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٦٦).

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَآني فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآني ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي ». متفق عليه[1].

الرابعة والأربعون : ما بين بيتهِ ﷺ ومنبره روضةً من رياض الجنة (أي كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة)

وحصول الخير والسعادة بما يحصُل فيها من الأعمال الصالحة أو أن العِبادة فيها تؤدي إلي الجنة .

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ ، ومِنْبري عَلى حَوْضي» متفق عليه[2].

الخامسة والأربعون : ومن دلائل عظمة قدرهِ ﷺ عصمتهُ من الشرك والخطأ في مجال التبليغ وعصمة نسبهِ من السِفاح وعصمتهِ من كبائر الذنوب ، وعصمتهِ من رذائل الأخلاق :﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [النجم:١-٥] .

السادسة والأربعون : أن الصدقة محُرمةً عليه ﷺ وعلى آل بيتِ لأنهُا أوساخ الناس ولهذا كان بذلهُا طهرةً للمالِ والشخص .

عَنْ عبدالمطلب بن ربيعة قَالَ: اجْتَمَعَ رَبِيعَةُ بْنُ الحَارِثِ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، فَقَالَا : والله لَوْ بَعَثْنَا هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ - وفيه - فقال رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَةَ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ » أخرجه مسلم[3].

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١١٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٦٦).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (١٨٨٨) ، ومسلم برقم (١٣٩١).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٠٧٢).

السابعة والأربعون : أن الله عز وجل أعانهُ على قرينهُ من الجن فأسلم فلا يأمرهُ إلا بخير

عَنْ ابن مسعود ﷺ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ :« مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ» قَالُوا : وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : « وَإِيَّايَ ، وَلَكِنَّ الله أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ » أخرجه مسلم(١).

الثامن والأربعون : من دلائل عظمتهِ ﷺ تحريم نكاح زوجاتهِ من بعدهِ أبدا كما قال سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾[الأحزاب:٥٣] .

التاسعة والأربعون : أن من سب النبي ﷺ أو أيًا من الأنبياء فعقوبتهُ القتل ، سواء كان مُسلمًا أو كافرًا .

عَنْ عَلِيٍّ ﷺأَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ، فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ، فَأَبْطَلَ رَسُولُ الله ﷺ دَمَهَا. أخرجه أبوداود(٢).

الخمسون : من دلائل عِظم قدرهُ النبي ﷺ أنهُ لا ينبغي عندهُ التنازُع .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : « لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَجَعُهُ ، قَالَ : ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ ، قَالَ عُمَرُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللهَّ حَسْبُنَا ، فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ ، قَالَ : قُومُوا عَنِّي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ ، فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، يَقُولُ : إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِهِ » . متفق عليه(٣) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٤).

(٢) **صحيح** / أخرجه أبوداود برقم (٤٣٦٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٦٣٧).

بل إن رفع الصوت فوق صوتهِ موجب لحبوط العمل، كمال قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾ [الحجرات:٢] .

الحادية والخمسون : من دلائل عظم قدرهِ ﷺ أن أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجلٌ قتله نبي أو قتل نبيًا .

عَنْ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رَسُولَ الله ﷺ قال: « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ المُمَثِّلِينَ» أخرجه أحمد[1].

هذه إحدى وخمسون من دلائل عظمة قدرهِ ﷺ ذكرنها على وجه الإيجاز والاختصار .

(١) **حسن** / أخرجه أحمد برقم (٣٨٥٨).

٥- الخزانة الخامسة

حقوق النبي ﷺ:

الأول: إن الإيمان بالله عز وجل يقتضي توحيدهُ وطاعتهُ وتعظيمهُ وتكبيرهُ وحمدهُ وشكرهُ والإيمان به وعبادتهُ وحدهُ لا شريك لهَ وغيرهُ من الحقوق العُظمى الواجبة لله عز وجل وكذا الإيمان بالرسول ﷺ يقتضي توحيدهَ بالإتباع وتصديقهُ وطاعتهُ والإيمان به وغير ذلك من الحقوق الواجبة لهُ ﷺ والقيام بحقوق النبي ﷺ هو الرُكن الأعظم في الدين بعد القيام بحقوق الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢] .

وعن تميم الداري رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :«الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ، قُلْنَا : لمَِنْ ؟ قَالَ : «لله ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم(١).

والنصيحةُ للرسول ﷺ تكون بتحقيق الأمور والحقوق الآتية :

١- تصديقهُ برسالتهِ ونبوتهِ ، الإيمان بكُل ما جاء بهِ .

٢- تصديقهُ فيما أخبر ، وطاعتهِ فيما أمر .

٣- واجتناب ما نهي عنهُ وضجر ، وألا نعُبد الله إلا بما شرع .

٤- ونصرتهُ حيًا وميتًا ، ومولاة من ولاه ومُعادة من عاده .

٥- وتعظيمهُ وتوقيرهُ وتعظيم سُنتهِ ، وإحياء دينهُ وطريقتهُ .

٦- وبث دعوتهِ ونشر شريعتهِ ، والتفقه في دينهِ والتلطُف في تعليم سُنتهُ وتعليمها والدعوةِ إليها والذب عنها والتأدب عند قراءتها وتعظيمها وتجليلها ونفي التُهمةِ عنها وعدم الكلام فيها بغير عِلم وإجلالِ أهلها

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

لانتسابهم إليها ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩ ﴾[الفتح:٨-٩] .

الأول : من حقوقهِ ﷺ التخلق بأخلاقهُ الكريمة والتأدب بآدابه الجميلة ومحبتهُ ﷺ ومحبة آل بيتهِ ومحبة أصحابهِ ومجانبة من الابتداع في دينهِ ، وهجر من تعرض لأحدٍ من أصحابهِ :﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾[الفتح:٢٩] .

ومن حقوقهِ ﷺ الانقياد والتسليم لأمرهِ وبذل النفوس والأموال دونهُ في حياتهِ وإحياء سُنتهُ بعد موتهِ :﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب:٢١] .

الثاني : حقوقهِ ﷺ كثيرة والمؤمن حقَ من أداها كما جاءت في القرآن والسُنة واتبع ﷺ في خمسةِ أمور تجمع الحقوق كُلِها :

١- إتباعهُ ﷺ في توحيدهِ وإيمانهِ .

٢- وفي نيتهِ وفكرهِ .

٣- وفي أقواله الحسنة .

٤- وفي أعماله الصالحة .

٥- وفي أخلاقة الكريمة .

وهذه حقوق النبي ﷺ كما جاءت في القُرآن والسُنة وهي ثمانية عشر حقًا نسأل الله عز وجل أن يُعيننا علي أدائها ويُرزقُنا حُسن العملِ بموجبها وإعلام الناسِ بها :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٤٨ ﴾ [الأحزاب:٤٥ -٤٨] .

ومن أعظم حقوقهِ ﷺ الإيمان بهِ والتصديق بنبوتهِ وبما جاء به من الرسالة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الحجرات:١٥] .

وقد أمرنا الله عز وجل الإيمان به وبرسولهِ في آياتٍ كثيرة كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء:١٣٦] .

الثالث : من حقوقهِ ﷺ تصديقهُ ﷺ فيما أخبر وتصديق النبي ﷺ بما جاء به من ربهِ عز وجل هو شطر الإيمان به ؛ لأن الإيمان به ﷺ له رُكنان :

١- تصديقُ ما جاء به من الأخبار .

٢- والانقياد لما جاء بهِ من الأوامر .

قال تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

وتصديق النبي ﷺ يتضمن التصديق بكُل ما جاء به من أمور التوحيد والإيمان والشرائع والأحكام والإخبار والآداب ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]

فكُل ما جاء بهِ ﷺ من الوحي حقًا يجب التصديق والإيمان بهِ وإتباعهُ : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[النجم:١-٥] .

الإيمان بالنبي ﷺ

الإيمان بالأنبياء والرسل أحد أركان الإيمان الستة كما في حديث جبريل أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال : «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» أخرجه مسلم(١).

والإيمان بالنبي ﷺ هو التصديق بنبوته ، وبما جاء به من الرسالة : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات/ ١٥] .

وقد أمرنا الله ﷻ بالإيمان بالله ورسوله في آيات كثيرة كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء/ ١٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٥٨] .

وقال جل جلاله : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح/ ٨ – ٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨).

تصديقه ﷺ فيما أخبر

تصديق النبي ﷺ فيما جاء به من ربه ﷻ هو شطر الإيمان به ، فإن الإيمان به له ركنان:

تصديق ماجاء به من الأخبار .. والانقياد لما جاء به من الأوامر : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء/ ٦٥].

وتصديق النبي ﷺ يتضمن التصديق بكل ماجاء به من أمور التوحيد والإيمان ، والشرائع والأحكام ، والأخبار والآداب : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة/ ٢] .

فكل ماجاء به ﷺ من الوحي حق يجب الإيمان به ، وتصديقه ، واتباعه : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[النجم/ ١ – ٥]

فالنبي ﷺ جاء بالوحيين القرآن والسنة ، وهما أصدق الحديث ، وهو ﷺ أصدق الخلق ، ومن آمن به فيجب عليه أن يصدق بما جاء به : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل/ ٤٤] .

وأعظم من آمن به ﷺ وصدقه من هذه الأمة أبوبكر الصديق ﷺ، فقد آمن به حق الإيمان ، وصدقه حق التصديق ، ثم اتبعه في كل ماجاء به ﷺ ، فهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، لكمال إيمانه وتصديقه واتباعه، ولذلك سمي أبوبكر الصديق: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الزمر/ ٣٣] .

فعلينا أن نؤمن به ﷺ ونصدقه، ونتبعه ، لنسعد في الدنيا والآخرة ، ونكون ممن يرافقه في الجنة مع الأنبياء والمؤمنين : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾[النساء/ ٦٩ – ٧٠].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ». متفق عليه(١).

وضد التصديق للنبي ﷺ التكذيب والشك والإعراض ، وذلك كله من نواقض تصديقه : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾[النساء/ ١١٥].

فليحذر العبد من ذلك ، لينجو من عقوبة ذلك : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ ﴾[النور/ ٦٣].

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٦)، ومسلم برقم (٢٨٣١)، واللفظ له.

طاعته ﷺ فيما أمر

والإيمان بالرسول ﷺ يقتضي طاعته في كل ما جاء بهِ ﷺ وقد قرن الله طاعة رسوله بطاعتهِ في آياتٍ كثيرة تأكيدًا لوجوب طاعتهِ ﷺ، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء:٥٩] .

وقال عز وجل : ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ ﴾ [آل عمران: ٣٢] .

وقد ذكر الله عز وجل طاعة النبي في ثلاثين موضعًا من القُرآن الكريم ، وأكد الله عز وجل أن من أطاع الرسول ﷺ فقد أطاع الله بقوله : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ ﴾ [النساء:٨٠] .

وقال النبي ﷺ: « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَّ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَّ ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهَّ وَعَدَلَ ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا ، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ » . متفق عليه[1] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى ، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، وَمَنْ يَأْبَى ؟ ، قَالَ : مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» أخرجه البخاري [2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى الله » متفق عليه[1].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٣٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠).

فيجب على كل مسلم الانقياد لسنته، والمسارعة إلى طاعته في كل حال ، والاستجابة لأمره إذا علم به .

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى ﷺ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي. قَالَ: «أَلَمْ يَقُلْ الله "اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لمَا يُحييكُم"» ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ المَسْجِدِ؟» فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّكَ قُلْتَ لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنْ القُرْآنِ. قَالَ: «الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ » أخرجه البخاري (٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ النَّاسَ ، فَقَالَ : « ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالشَّيْءِ ، فَخُذُوا بِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ » . أخرجه مسلم(٣) .

فيجب علي كُل مُسلم ومُسلمه المسارعة إلى طاعتهِ في كُل حال والاستجابة لأمره إذا علم بهِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢٤] .

الرابع : من حقوق النبي ﷺ اجتناب ما نهي عنه ﷺ وزجر ، فالطاعة ضد المعصية وطاعة النبي ﷺ ضدها معصيته وكما أمر الله عز وجل بطاعتهِ

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٩٥٧) واللفظ له ، ومسلم برقم (١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٤٧٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم: ١٣٣٧.

وطاعة رسولهِ ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[آل عمران: ٣٢] .

كذلك نهي عن معصية الله ورسولهِ في آياتٍ كثيرة منها :

قال عز وجل : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء: ١٤].

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

وقال عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الفرقان:٢٧-٢٨] .

كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يحُدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ » . متفق عليه[1] .

ومعصية النبي ﷺ أربعة أنواع :

صغائر .. وكبائر .. وبِدع .. وكُفر .

ودوافع معصية الرسول ﷺ في الأنواع السابقة ثمرة ثلاثة أمور :

١- إتباع الهوى .

٢- والقول بالرأي .

٣- والتقليد بالأعمى .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٨)، ومسلم برقم: (١٣٣٧)، واللفظ له.

كما قال سبحانه : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص:٢٦] .

وقال عز وجل : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠] .

وإتباع هوي النفس يقود للاستكبار عن الحق ورد الأمر على الآمر كما فعل إبليس حين أمرهُ إله -جَلَّ وَعَلَا-بالسجود لآدم فامتنع ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة:٣٤] .

ومن حقوقهِ ﷺ ألا يُعبدُ الله إلا بما شرع ، فمن أعظم حقوقهِ ﷺ الاعتصام بسُنتهِ والحذر من البدع في دينهِ ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وعن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » . متفق عليه[1] .

وعَنْ عائشة رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفق عليه[2].

فحديث عائشة هذا ميزانٌ لأعمال الظاهرة وحديث عُمر رضي الله عنهم يزانٌ لأعمال الباطنة ، ودين الإسلام كُله يقوم علي هذين الأصلين العظيمين

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨).

فكُل عملٍ لا يُراد به وجه الله فهو باطل لا ثواب فيه ، وكُل عملٍ لا يكون عليه أمر الله ورسولهِ فهو مردودٌ على عامله ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]

ومن حقوقهِ ﷺ تعظيم سُنتهِ وتعظيم سُنتهِ يقتضي العمل بشريعتهِ والاقتضاء بسُنتهِ وامتثال أوامره وتحكيم كُل ما جاء به والرضا بحُكمهِ والتسليم لهَ ، والسعي في إظهار دينهِ وإبلاغ رسالتهِ لناس ودعوتهُم إلى الإيمان بالله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] .

ومن تعظيم سُنتهِ طاعتهِ فيما أمر تصديقهُ وفيما أخبر واجتناب فيما نهي عنهُ وزجر ، وألا يُعبد الله إلا بما شرع ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح:٨-٩] .

ومن تعظيمُ سُنته تعلمُ ما جاء بهِ والعمل بهِ وتعليمهُ لناس : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

ومن تعظيم سُنتهِ توقير حديثهُ والتأدُب عند سماعهِ والوقار عند دراستهِ ، والإصغاء لحديثهِ كأنهُ يتكلم بهِ وتوقير مجلس الحديث والتحفُظ لاستباق العمل بهِ تعظيمًا لهَ .

ومن تعظيم سنتهِ نصرُ ما جاء بهِ ، والذب عن سنتهِ والدفاعُ عنها : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

ومن حقوقهِ ﷺ التحاكُم إلى شريعتهِ ﷺ فالإيمان بالنبي ﷺ يقتضي التحاكمُ لشريعتهِ ، والرضاء بحكمهِ والتسليم لأمرهِ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ : « ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا » . أخرجه مسلم(١) .

لهذا يجب التسليمُ التام والانقياد التام لما حكم بهِ الله ورسولهُ ، وليس في ذلك الاختيار بل الواجب السمع والطاعة والانقياد والتسليم لكُل ما جاء في الشريعة: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[النور:٥١] .

فيجب على كُل من آمن باللهِ ورسولهِ السمعُ والطاعة وعدم مخُلفة أمر الله ورسولهِ لأن ذلك من موجبات الإيمان بالله ورسولهِ ، ومن حقوقهِ ﷺ علي أُمتهِ مجانبة الراغبين عن سُنتهِ من أهل الهوى والبدع والضلال حتى لا يلبسوا على المُسلم دينهِ أو يغمسون في ضلالتهِم ، وليكون في هجرهِ لهُم تأديبًا لهُم لعلهم يتوبون من بدعتهِم :﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[الأنعام:٦٨] .

وقال عز وجل : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[النساء:١٤٠] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٤).

والصاحبُ صاحب إلي سُنه أو بدعه ومن جالس الصالحين زادَ صلاحَ وحسن دينهِ ومن جالس أهل الزجر والفساد زاغَ قلبهُ وفسد دينهُ ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وعن أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السّوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يحُذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يحُرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً » . متفق عليه[1] .

ومن حقوقهِ ﷺ حُب النبي ﷺ وتوقيرهُ وتعظيم سُنتهِ وإتباعهِ من لوازم الإيمان بهِ ومن أصول الدين التي أوجبها إله على العِباد ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وتكون محبة النبي ﷺ بتقديم محبتهِ على محبة النفسِ والمال والولد والناسِ أجمعين لأنه ﷺ أولي بكُل مؤمنًا من نفسهِ كما قال سبحانه : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ ﴾ [الأحزاب:٦] .

ومن حقوقهِ ﷺ العمل بما جاء به ونشرِ في سُنته وإبلاغ دينهِ لناسِ كافة كما وقال عز وجل : ﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢١٠١)، ومسلم برقم: (٢٦٢٨) باختلاف يسير.

والدعوةِ إلي الله أفضل الأعمال كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يونس: ١٠٨] .

والدعوة إلي إله واجبه علي كُل الأُمة رجالاُ ونساءَ كُلًا بحسبهِ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٤] .

ومن حقوقهِ ﷺ حُسن الأدب معهَ بندائه كان حيًا بلفظ النبوة أو الرسول إجلالًا له وتعظيمًا لشأنهُ . ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

ومن حقوقهِ ﷺ عدم رفع الصوت واللغط في منزلهِ وعند قبرهِ لأن حُرمة النبي ﷺ في حياتهِ وبعد مماتهِ علي حدٍ سواء:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحجرات:٢-٣] .

ومن حقوقهِ ﷺ الذب عن ذاته ﷺ فالدفاع عن النبي ﷺ من أعظم دلائل محبتهِ وإجلاله وقد سبق بها الصحابة ومن جاء بعدهُم كما أخبر الله عنهم بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الحشر: ٨] .

والصحابة من المُهاجرين والأنصار أفضل الناسُ بعد الأنبياء اختارهم الله لصحبة نبيهِ والقيام معه في إقامةَ دينهِ رضي الله عنهم :﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ

ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة:١٠٠] .

ومن أعظم حقوقهِ ﷺ الذب عن دينهِ الذي أرسلهُ الله به : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[فاطر:٢٤] .

والذبُ عن دينهِ ﷺ بحفظهُ من الضياع وحماية سُنتهِ ﷺ انتحال المُفترين وتحريف الضالين وتأويل الجاهلين والردُ على شُبهات المُستهزئين ، والردُ على الطاعنين في القُرآن والسُنة من أعظم الجِهاد والمُحامي عن السُنة كالذابُ عنها كالمُجاهد في سبيل اللهَ :﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[الفرقان:٥٢] .

ومن حقوقهِ ﷺ توقير آل بيتهِ وحُب آل بيتهِ والتراضي عنهُم ، والصلاةُ عليهِم وإكرامهُم وتوقيرهُم والعنايةَ بهِم تنفيذًا لوصية النبي ﷺ فيهِم .

قَالَ زُهَيْرٌ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنِي أَبُو حَيَّانَ ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ ، قَالَ : انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ ، وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ ، إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ : لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا ، رَأَيْتَ رَسُولَ الله ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ لَقَدْ لَقِيتَ ، يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا ، حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي وَالله لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي ، وَقَدُمَ عَهْدِي ، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا ، وَمَا لَا ، فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : قَامَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا ، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ، ثُمَّ قَالَ : " أَمَّا بَعْدُ ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَوَّلُهُمَا

كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ " فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي » . أخرجه مسلم[1] .

وآل بيت النبي ﷺ هُم الذين تحُرم عليهم الصدقة وهُم بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المُطلب بن عبد مناف فهؤلاء يدخلون في سهم ذوي القُربة وتحُرم عليهم الصدقة حمايةً لجناب النبوة وتعظيمًا لقدرهِم ، لأن الصدقةُ أوساخُ الناس ، كما قال النبي ﷺ: « إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ ، وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ » أخرجه مسلم[2] .

وأزواج النبي ﷺ داخلات في آل البيت بنص القُرآن، كما قال الله سبحانه : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:٣٣] .

ومن حقوقهِ ﷺ توقير زوجاتهِ ورعاية حُرمتهن ، وصيانةِ أعراضِهن ، وبيان فضائلِهن وحُسن الثناءِ عليهن والاستغفارِ لهُن والتراضي عنهِن والدُعاء لهُن .

وقد رفع اللهُ عز وجل مقام أزواج النبي ﷺ وبوئهُن منزلةٍ عالية بل رفع قدرهُن إلى منزلة الأمومة ، لجميع المؤمنين بقولهِ سبحانه : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾[الأحزاب:٦] .

ومن حقوقهِ ﷺ توقير أصحابهِ ﷺ:

فمن حقوقه ﷺ على أمته توقير أصحابه والترضي عنهُم والاقتضاء بهِم وحُسن الثناء عليهِم والإمساك عما شجر بينهُم ، ومُعادة من عادهُم والدعاء

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٤٠٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠٧٢).

لهم والاستغفار لهُم وذكرِ فضائلِهم ومحاسنِهم ومحبتِهم ، وإجلالهم ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

وأصحاب الرسول ﷺ كُلهُم عدولٌ مرضيون ثِقاة ، وعدالة الصحابة ثابتةٍ معلومة بتعديل الله لهُم وإخبارهِ عن طهارتهِم ورضاهُ عنهِم وشهادة رسول الله ﷺ لهُم كما قال سبحانه : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ** ﴾[آل عمران:١١٠] .

وقال رسول الله ﷺ: « خَيْرُ النَّاسِ قَرْني ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونهَُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونهَُمْ » . متفق عليه[١] .

وقال ﷺ: « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ، وَلَا نَصِيفَهُ » . متفق عليه[٢] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥٢)، ومسلم برقم: (٢٥٣٣)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٦٧٣)، ومسلم برقم: (٢٥٤١)، واللفظ له.

٦ - الخزانة السادسة

أصول الاعتصام بالسُنة :

أصول الاعتصام بالسنة والحذر من البِدعة كثيرة وهذه أهمُها :

الأصل الأول : أن الإسلام مبنيًا على أصلين عظيمين هُما :

الأول : ألا نعبُد إلا الله وحدهُ لا شريكَ لهُ وهو بمعنى(شهادة أن لا إله إلا الله) .

الثاني : أن نعبُد الله إلا بما شرع ، وهو بمعنى أن (شهادة أن محُمدً رسول الله) .

فالشرك ضد الأصل الأول ، والبدعة ضد الأصل الثاني ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠]

فلا يقبلُ الله عز وجل أيُ عملٍ إلا إذا كان خالصًا صوابًا فالخالص لله وحدهِ والصواب ما كان على السُنة ، فالفوز والنجاةِ في التوحيدي في السُنة والخُسرانِ والهلاك في الشركِ والبدعة ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر:٦٥-٦٦] .

الأصل الثاني : أن السُنة سُنتان :

سنةً فعلية .. وسُنةً تركية .

والسُنةِ الفعلية هي : ما فعلهُ النبي ﷺ أو أقر عليه مثل الآذان للصلواتِ الخمس ، والتلبية في الحجِ ونحوِها .

والسُنةِ التركية هي : ما تركه ﷺ مع قيام المُقتضي لذلك مثل ترك الآذان لصلاة العيدين ، وصلاة الجِنازة .

فالتركُ السُنةِ النبوية كما أن فعل الأول سُنةِ نبوية ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر: ٧] .

الأصُلِ الثالث : إن الأصلِ في العِبادات المنع إلا بدليلٍ شرعي من القُرآنِ والسُنة أو من احدهِم والأصلُ في المُعاملات والعادات الحل إلا بدليلٍ شرعي يدُلُ على التحريم .

الدليل الأول : قول النبي ﷺ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عليه أمرُنا هذا فهو رَدٌّ » . أخرجه مسلم[1] .

وقولهُ ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفق عليه[2].

الدليل الثاني : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[البقرة:٢٩] .

الأصلُ الرابع : أن التأسي بالنبي ﷺ يتحقق بستةِ أمور :

الأول : السبب بأن تكون العِبادة موافقة للشريعةِ في سببِها ، فلو زاد أحدٌ صلاة سادسة على الصلواتِ الخمس عبادتهُ مردودةَ ، لأن ليس لها سببٌ شرعي في القُرآنِ والسُنة، كما قال سبحانه : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[الشورى:٢١]

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧١٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له.

الثاني : الجنس فلو ضحى أحدٌ بفرس فلن تُقبل أضحيتهُ ، إن الشريعة جاءت بالأُضحية ، من بهيمة الأنعامِ فقط (الأنعامُ والبقر ، والإبل)، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

الثالث : القدر فلو صلى الجمعة ثلاثًا لن تُقبل صلاتهُ لأنها مخُالفة للشريعة في قدرِها لأن الشريعة جاءت بصلاةِ الجُمعة ركعتين :﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ [الطلاق: ١] .

الرابع : الكيفية بأن تكون العِبادة موافقة للشريعة في كيفيتِها ، فلو غسلَ الإنسان رجليهِ في الوضوء ، ثُم مسحَ رأسهُ ثُم غسلَ يديهِ ثُم غسلَ وجههُ فهذا وضوئهُ غير مقبول ، وصلاتهُ غير صحية لأنهُ خالف الشريعة في كيفية الوضوء : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥] .

الخامس : المكان فلو وقف الحاج يوم عرفة بمُزدلِفة أو طاف بغير الكعبةَ أو اعتكف في بيتهِ فهذه العِبادات لا تصح لأنهُ خالف الشريعة في مكان العِبادة المُحدد لها شرعًا .

فعن عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » . أخرجه مسلم(٢) .

السادس : الزمان فلو صلى مُسلمٌ الظُهرَ قبل الزوال أو صام فرض رمضان في رجب أو حج في صفر فهذا صلاتهُ وصيامهُ وحجهُ غير صحيح لأنهُ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٧١٨) ، واللفظ له.

(٢)أخرجه مسلم برقم: (١٧١٨)..

خالف الشريعة في زمانها المُحدد لها شرعًا :﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠]

فهذه ستة أوصاف لا تتحقق مُتابعةٍ للنبي ﷺ إلا باجتماعها في كُل عِبادة فعلى المُسلم إتباع ذلك والحذر من مخُالفة ذلك ، قال سبحانه : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

الأصلُ الخامس : أن الله عز وجل أكمل الدين ببعثةِ محُمد ﷺ فلا يستطيع أحدٌ أن يأتي بشيء يُقرب إلى الله غير النبي ﷺ فقط، قال سبحانه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

الأصلُ السادس : أن كمال الدين يقتضي بُطلان البِدع فدين الإسلام كاملٌ لا يحتاج إلي زيادة ، كما أنهُ لا يجوزُ فيهِ النُقصان، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[المائدة:٣] .

فاللهُ سبحانه بيّن كُل شيءٍ في كتابهِ يحتاجهُ الناس في معاشِهم ومعادهم كما قال سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

وقال رجل لِسَلْمَانَ الفارسي رضي الله عنه : « قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ ، فَقَالَ : أَجَلْ ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ ، أَوْ بَوْلٍ ، أَوْ

أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ ، أَوْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلاثَةِ أَحْجَارٍ ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ » . أخرجه مسلم(١) .

الأصلُ السابع : أن التشريع حقٌ لله وحدهُ كما قال سبحانه : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[يوسف:٤٠].

وأنكر سبحانه على من شرعَ للناس دينًا أضلهُم بهِ فقال سبحانه : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[الشورى:٢١]

والتشريع قد انقضى بموت النبي ﷺ بعد حجةِ الوداع بعد أن أنزل الله عليه في يوم عرفة : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[المائدة:٣] .

فمن أحدث في دين الله وزاد فيهِ ما ليس منهَ فقد جعل نفسهُ مُشرعًا مع الله ومقتضى فعله أن النبي ﷺ أنهُ لم يتم الرسالة وأنهُ ببدعتهِ جاء ليُتم الشريعة وكُل ذلك باطلٌ مردودٌ مُعاقبٌ عليه ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء: ١١٥] .

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٢).

(٢)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له..

والابتداع في الدين ولو بقصدٍ حَسِن يُعتبر تكذيبًا لله عز وجل لقوله سبحانه : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣] .

الثامن : أن الابتداع في الدين تقدم بين يدي الله ورسوله وهذا من الجرأة على الله ورسوله وقد حذر الله ذلك بقوله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾[الحجرات:١] .

التاسع : أن النبي ﷺ دائمًا يحذر من البدع في كل خطبة وفي كل جمعة وهذا يدل على عظيم خطر البدع وشدة ضلالها وإن لكل بدعة ضلالة ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور:٦٣] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ نَذِيرُ جَيْشٍ يَقُولُ : صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ وَيَقُولُ : بُعثت أَنَا وَالسَّاعَةِ كَهَاتَيْنِ - ويقرن بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى - وَيَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) » . أخرجه مسلم[1] .

الأصل العاشر : أن التعبد لله لا يكفي في معرفة الهدي النبوي فقط بل لابد من معرفة ضده من الشركيات والبدع ؛ لئلا يقع الإنسان في الشرك والبعد وهو لا يدري كما مر بحديث حذيفة السابق الذي كان الذي يسأل عن البدع مخافة أن يقع أو الشرك أو غيرها من المعاصي مخافة أن يقع فيها ، وقد وقع أناس في الشرك الذي هو أعظم بالبدع فكيف بالبدع ؛ لأن الوقوع فيها

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨٦٧).

أخف وأسرع ؛ لأن أمرها قد يخفى على الإنسان فيظن أنها سنة وأنها من العمل الحسن ، وأنها تقربه إلى الله وهي لا تزيده من الله إلا بعدًا فيكون من قال الله فيهم : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤]

الأصل الحادي عشر : أن البدع تكون في الاعتقادات ، والأقوال ، والأفعال وإذا انتشرت اشتهرت وصارت كأنها سنة ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥] .

الأصل الثاني عشر : أن البدع درجات وليس في خطورتها على درجة واحدة ، فبعضها يُفضي إلى الكفر كبعض بدع العقائد وبعضها لا يُفضي إلى الكفر ككثير من بدع العبادات القولية ، والفعلية ، والبدع فوق الكبائر في المرتبة وليس فوق البدع إلا الشرك ؛ لأن البدعة هي تعدٍ على الشريعة بزيادة والزيادة تحريف ولا أظلم من ذلك ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٣] .

وإثم البدع أعظم من إثم الكبائر من وجوه :

الأول : أن صاحب البدع يعتقد أنه على صواب فيما يقوم به من عبادات محدثة فلا يفكر في التوبة منها أما فاعل الكبيرة من زنا ، وسرقة ، ونحوه فيعلم أنه مخطئ وربما أحدث التوبة فتاب الله عليه :﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠] .

وقال عز وجل : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠] .

الثاني : أن البدع تؤدي مع مرور الزمن إلى تغيير الدين؛ لأنها تتطور وتتنوع، وتتفرع، وتشتهر أما الكبائر فكل واحد يعلم أنها مخالفة للدين وليست منه .

الثالث : أن أهل البدع في الغالب يحاربون أهل السنة إذا أمروهم بالسنة ونهوهم عن بدعٍ ربما فسَّقوهم أو كفروهم أو اتهموهم ، أم أهل الكبائر فإن من جاء ليذكرهم بالله وعقابه فإنهم إما أن يقبلوا النصيحة ويتوبوا إلى الله وهذا هو الغالب وإما أن يردوا النصيحة مع طلب الدعاء لهم بالهداية .

الرابع : إحياء البدع وإشهارها يؤدي إلى هدم السنة النبوية والعبد عنها :﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾** ﴾[النساء: ١١٥] .

الأصل الثالث عشر : أن صغائر البدع تكبر مع مرور الزمن ، وقلة المناصح فتصير كبائر وقوى وتشتد حتى تصبح دينًا يُتعبد لله به فالنجاة في الاعتصام بالسنة والحذر من البدعة وهذا هو الصراط المستقيم الذي قال الله عنه : ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾** ﴾[الأنعام:١٥٣] .

والخارجون عن الصراط المستقيم إلى الصراط المعوج اثنان :

أحدهما : رجلٌ زل عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير فهذا لا يُقتضى بذلته ؛ لأنها مهلكة :﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾** ﴾[الأنعام:١٥٣] .

والثاني : من عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين فهذا ضالٌ مُضل ، وشيطان مريد حقٌ على من يعرفه أن يحذر الناس منه لئلا يقعوا أحدهم في بدعته : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥] .

الأصل الرابع عشر : إن من البدع كلها ضلالة وكلها سيئة وكلها مردودة ، والبدع ليست من الإسلام ، والبدعة ليست بحسنة .

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « جاءَ نَاسٌ مِنْ الأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمْ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَ ثُمَّ إِنَّ رَجُلا مِنْ الأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » . أخرجه مسلم(١) .

فمن أحيا سنة كانت موجودة فعلمت ثم أحياها وعمل بها الناس بعده فله مثل آجر من عمل بها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أن النبي ﷺ قال : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » . أخرجه مسلم(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠١٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٤٧).

فليس في الإسلام إلا السنن لا البدع كما أنه ليس في البدع بدعةٌ حسنة ، فالبدع كلها سيئةٌ مردودة كما قال النبي ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه[1] .

الأصل الخامس عشر : أن بدع العقائد أشد خطرًا من بدع الأعمال ؛ لأن العقيدة عمل ، وإذا صلح القلب بالعقيدة الصحيحة صلح عمل الجوارح وإذا فسد القلب في البدع المُحدثة فسد سائر عمل الجوارح .

عن النعمان بن بشير عن الرسول ﷺ قال : « الْحَلالُ بَيِّنٌ ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ محَارِمُهُ ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه[2] .

والبدع في العقيدة كثيرة وقد أخبر النبي ﷺ عن تفرق أمته في باب العقيدة إلى فرقٍ وطوائف نحو من ثلاثٍ وسبعين فرقة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الرسول ﷺ: « افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » . أخرجه أحمد والترمذي[3] .

ومن أعظم البدع والفرق التي ظهرت في العقيدة :

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له..

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٩٩).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٤٠). وأخرجه أحمد برقم: (٨٣٧٧).

١- بدعة الجهمية .

٢- وبدعة القدرية .

٣- وبدعة المُرجئة الذين قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب .

٤- وبدعة المعتزلة الذين قالوا أن مرتكبي الكبيرة كالزنا كافر وهو مخُلدٌ في النار ، ومثلهم الخوارج .

٥- وبدعة الرافضة الذين طعنوا في الرسالة وصحة القرآن وأنكروا السنة إلا ما وافق مذهبهم وكفروًا الصحابة كلهم إلا أفراد لا يصلون إلى العشرة وكذبوا ما نقلوا من الأمة من الأحاديث وعبدوا القبور وحكموا بردة الخلفاء وكفروهم إلا عليًا ، وكفرو أهل السنة وعادوهم وحاربوهم وكانوا دائمًا مع أعدائهم كما حصل منهم مع التتار فشابهوا اليهود في عقيدتهم التي بها كفروا، كما قال سبحانه : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[البقرة:٨٥] .

٦- وبدعة الخوارج والزيدية من أعظم البدع في باب السمع ، والطاعة لولاة الأمر فاستحلوا الخروج على الأئمة إذا رأوا منهم معصية ، وقد فعل الخوارج ما فعلوا من قتل عثمان وعلي رضي الله عنهم ثم انفتحت أبواب الشر على المسلمين إلى يومنا هذا .

وفي باب الإيمان بالقدر ضلت الجبرية الذين قالوا : إن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه ، نسأل الله السلامة من مثل هذا القول .

ورؤوس أهل البدع الكبرى أربعة :

الخوارج .

والرافضة .

والجهمية .

والمرجئة .

وأما البدع في العبادات فبحر لا ساحل له ، فلا تكاد تجد عبادة إلا و أضاف إليها أهل البدع زيادةً سواء في آياتها ، أو عددها ، أو وقتها . فما أعظم تلاعب الشيطان بالناس :﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ ﴾[فاطر:٨] .

وقال الله عز وجل:﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ ﴾[النساء:٣٨] .

٧- الخزانة السابعة

فقه الإتباع :

الإتباع هو : الاقتداء ، والتأسي ، والاقتفاء ، والائتمام ، وإتباع النبي ﷺ هو الشهادة له بالرسالة ، وهو الركن الثاني من أركان التوحيد .

التوحيد كله في أمرين :

١- شهادة أن لا إله إلا الله .

٢- شهادة أن محمد رسول الله .

والإتباع في الشرع هو : الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ في خمسة أمور :

١- في توحيده ، وإيمانه .

٢- في نيته ، وفكره .

٣- وفي أقواله الحسنة .

٤- وفي أعماله الصالحة

٥- وفي أخلاقه الكريمة .

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [النساء:٨٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤] .

فنوحد الله عز وجل كتوحيد النبي ﷺ لربه، ونؤمن به، ونؤمن بالله كإيمانه، ونذكر الله كذكره، وندعوه كدعائه، ونستغفره كاستغفاره، ونعبد الله كعبادته، ونتوضأ كوضوئه ، ونصلي كصلاته ، ونصوم كصيامه، ونحج كحجه ، ونبيع كبيعه ، ونشتري كشرائه ، ونجاهد كجهاده ، وندعي إلى الله كدعوته، ونعلم شرعه كما علم ، وكاد نحسن كإحسانه، ونعفو كعفوه، ونرحم كرحمته، ونحلم كحلمه ، ونعطي كعطائه، ونزور كزيارته، وهكذا ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فنقول كقوله ﷺ، ونفعل كفعله ﷺ على الوجه الذي فعله من أجل أنه فعله ، كالأدعية ، والأذكار ، والصلاة ، والصيام ، والنكاح ، والطلاق ، والبيع ، والشراء ، والدعوة ، والجهاد ، وغيرها ، مما جاء عنه ﷺ ، وهذه حقيقة التأسي والإتباع :﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[الأحزاب:٢١] .

وضد الإتباع المخالفة ، وتكون في الاعتقاد ، والقول ، والفعل ، والترك : ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾[النور:٦٣] .

وكما أن لكل إتباع ثواب ، كذلك لكل مخالفة عقاب :﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥] .

وقال الله تعالى:﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾ [الطلاق: ١] .

لهذا يجب أن نفعل ما فعله ﷺ من جميع الأوامر ، والطاعات بقدر الاستطاعة ، ونترك ما تركه من أنواع المعاصي ، والمحرمات كلها ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن: ١٢- ١٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن:١٦] .

ويجب علينا أن نجتب ما نهى الله ، ورسوله عنه مطلقًا ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ » . متفق عليه[1] .

وأفعال النبي ﷺ من حيث الإتباع ، والتأسي ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الأفعال الجبلية :

كالقيام ، والقعود ، والدخول ، والخروج ، والأكل ، والشرب ، والنوم ، واليقظة ، ونحو ذلك .

فهذا من حيث الإتباع ، والتأسي نوعان :

الأول : نوع جاء النص الشرعي بإيجابه ، أو ندبه ، كالأكل باليمين ، أو النوم على الشق الأيمن ، والسلام عند الدخول ، والخروج ، فهذا يشرع التأسي ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٧٢٨٨، ومسلم برقم: ١٣٣٧، واللفظ له.

والاقتداء به ﷺ في ذلك ، كما قال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

الثاني : نوع لم يأتِ به نص ، دال على مشروعيته ، فهو باقٍ على أصل الإباحة ، كالصلاة في موضع صلى فيه النبي ﷺ اتفاقًا ، وكنزوله بالأبطح لما فرغ من مناسك الحج ، فهذا لا يشرع التأسي ، والاقتداء بالنبي ﷺ بفعله ؛ لأنه فعله اتفاقًا لا قصدًا له بعينه .

القسم الثاني : الأفعال التعبدية :

وهي جميع العبادات ، والمعاملات التي يقصد بها التشريع ، فهذا يجب الاقتداء بالنبي ﷺ به فعلًا للأوامر ، واجتناب للمناهي ، وهذه هي الأصل في أفعال النبي ﷺ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال عز وجل : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال النبي ﷺ : « وصَلُّوا كما رَأَيْتُموني أُصلِّي » **متفق عليه**[1] .

القسم الثالث : الأفعال الخاصة به ، وهي التي علمنا شرعًا أنها من خصائصه سواء كانت من المباحات ، أو الواجبات ، أو المحرمات ، أو المكروهات ، فمن المباح له ﷺ يه وسلم خاصة مثل : النكاح أكثر من أربع نسوة ، والنكاح بلا مهر ، والنكاح الواهبة نفسها له .

ومن الواجب عليه : وجوب التهجد ، وقيام الليل .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٨)، ومسلم برقم: (٦٧٤)

ومن المحرم عليه : الأكل من صدقة ، وأكل ما له رائحة خبيثة من المباح كالثوم ، والبصل .

فهذه خصائص لا يشاركه فيها أحد ، ولا يقتدي ، ولا يتأسى بها أحد ؛ لأنه جاء الخبر بأنها من خصائصه ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

الوسائل المعينة على إتباع النبي ﷺ

الوسائل المعينة على إتباع النبي ﷺ كثيرة وهذه من صورها :

الأول : معرفة سيرة النبي ﷺ، وسنته ، آدابه ، وأخلاقه ، وجهاده ، وصبره في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾[الأحزاب:٤٥ -٤٨] .

وقال الله تعالى :﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

وقال الله تعالى :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

الثاني : تقوى الله عز وجل ، فمن اتقى الله ، وخاف جعل الله له فرقان يميز به بين الحق ، والباطل ، وبين النور ، والظلام ، وبين ما ينفعه ، وما يضره ، فمن اتقى الله أعطاه الله نورًا ، وعلمًا ، وهدى ، يمشي به في ظلمات الجهل ، والضلال ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[الحديد:٢٨]

والتقوى ، والاستقامة هي أساس الدين كله ، وأساس سعادة الإنسان في الدنيا ، والآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأنفال:٢٩] .

الثالث : إخلاص العمل لله ، فمعرفة الحق فقط ، لا تكفي للعبد ، لابد من التجرد لله في طلبه ، وشكره على معرفته ، وطلب عونه في أدائه ، وإبلاغه ، فمن سعى لطلب الحق مخلصًا هداه الله إليه ، وأعانه على أدائه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد:١٧] .

وقال الله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

ومن أعرض عن إتباع الحق الذي يعلمه ، فإن ذلك يورثه الجهل ، والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الصف:٥] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

وقال عز وجل : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠]

الرابع : إظهار الافتقار إلى الله ، والتضرع إليه ، واللجوء إليه من أعظم الأسباب المعينة ، على الإتباع لما جاء به النبي ﷺ من الهدى ، والنور ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر:٦٠] .

وكان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يفعل ذلك ، ومن دعائه ﷺ: « اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ ، وَمِيكَائِيلَ ، وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » . أخرجه مسلم[1] .

ومن دعائه ﷺ: « اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نفسي إِلَيكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ . وَفَوَّضتُ أَمري إِلَيْكَ ، وَأَلجَأْتُ ظَهرِي إِلَيْكَ ، رغبةً ورهْبَةً إِلَيْكَ ، لا مَلجأَ ولا مَنجي مِنْكَ إِلاَّ إِليكَ ، آمنتُ بِكِتَابِكَ الذِي أَنزَلْت ، وَبِنَبِيِّكَ الذِي أَرسَلتَ ، فإِنْ مِتَّ . مِتَّ على الفِطرةِ ، واجْعَلهُنَّ آخِرَ ما تَتَكّلم به » . متفق عليه[2] .

الخامس : من الوسائل المعينة على إتباع النبي ﷺ تعلم الأحكام الشرعية ، من القرآن ، والسنة ، فالعمل بأحكام الإسلام فرع عن العلم بها ، فلابد من العلم قبل القول ، والعمل، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة: ١١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

فسماع القرآن ، وتلاوته ، وتدبره ، من أعظم الأسباب المعينة على الإتباع ، لما فيه من تقرير التوحيد ، والإيمان ، وأخبار الأنبياء ، والرسل ، وأحوال

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٧٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٤٧)، ومسلم برقم: (٢٧١٠).

اليوم الآخر ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩] .

وقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق:١-٥] .

عن معاذ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللهُّ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَاللهُّ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِّ ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ » . متفق عليه[1] .

عَنْ عُثْمَانَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، وَعَلَّمَهُ » . أخرجه البخاري[2] .

السادس : تدبر نصوص القرآن ، والسنة ، وفهم معانيها فهما مصدر تلقي الحق ، والهدى ، والسنة ، والأحكام :﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾[الإسراء:٩] .

وقال الله تعالى :﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[النحل: ٤٤] .

وقال الله تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النساء:٨٢].

وقد تكفل الله سبحانه بحفظ كتابه من التحريف ، أو التبديل ، أو الزيادة ، أو النقصان ؛ وذلك لأنه منهج الأمة إلى قيام الساعة ، وقد تكفل به الحفيظ سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[الحجر:٩] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٠٢٧).

وكذلك قيد الله لسنة محمد ﷺ من يكتبها ، ويحفظها ، ويدافع عنها ، ويخرج منها ما ليس منها ؛ وذلك لأن القرآن ، والسنة مصدر الأحكام ، وطريق الاعتصام بالحق ، والأمن من الزيغ ، والضلال: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾[الزخرف:٤٣] .

السابع : اتباع طريقة السلف في فهم النصوص الشرعية ، وفى العلم ، والعمل ، فخير قرون هذه الأمة ، وأفضلها ، وأقربها إليه ﷺ ، فأصحاب النبي ﷺ أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه .

عن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ: « خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » . متفق عليه(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرَسُولُ اللهِّ ﷺ قال : « افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى ، أَوْ اثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفَرَّقَتْ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى ، أَوْ اثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً » . أخرجه الترمذي والحاكم(٢) .

الفلاح والنجاة في فهم النصوص الشرعية من القرآن والسنة بفهم سلف الأمة فقط : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء: ١١٥] .

وقال الله تعالى:﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٣-١٤] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٩٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٣٣).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي. رقم: (٢٦٤١)، والحاكم برقم: (٤٤٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : « مَن كانَ مُسْتَنًّا ، فَلْيَسْتَنَّ بمن قد ماتَ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ محُمَّدٍ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا ، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا ، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا ، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ عز وجل لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ » . أخرجه أبو نعيم في الحلية بسند حسن[1] .

الثامن : الصحبة الصالحة ، صحبة الصالحين ، والأخيار من أهل الإيمان ، والتقوى ، من أعظم الأسباب التي تعين المسلم على الإتباع ، والتمسك ، والعمل بما جاء به النبي ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

وقال عز وجل : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨]

وعن أبي موسى رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إِنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ ، وجَلِيسِ السُّوءِ ، كَحامِلِ المِسْكِ ، ونافِخِ الكِيرِ ، فَحامِلُ المِسْكِ ، إِمَّا أَنْ يحْذِيَكَ ، وإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وإِمَّا أَنْ تجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، ونافِخُ الكِيرِ ، إِمَّا أَنْ يحْرِقَ ثِيابَكَ ، وإِمَّا أَنْ تجِدَ رِيحًا خَبيثَةً » . متفق عليه[2] .

والصاحب ساحب ، إما إلى خير ، أو إلى شر ، وإما إلى سنة ، أو بدعة ، وإما إلى تقوى ، أو إلى فجور ، وإما إلى جنة ، أو نار .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيُ ﷺ قال : « الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يخَالِلْ » . أخرجه أبو داود ، والترمذي[3] .

---

(١) حسن/ أخرجه أبو نعيم في الحلية ص (١/ ٣٠٥) بلفظ.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨) باختلاف يسير.

(٣) حسن/ أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨).

٨- الخزانة الثامنة

الأصول والقواعد الشرعية :

مصادر الفقه الإسلامي :

١- القرآن .

٢- والسنة .

٣- والإجماع .

٤- والقياس .

فالقران والسنة هما أصل الأدلة الشرعية والإجماع هو اتفاق علماء الأمة على حكم شرعي مبني على الكتاب والسنة كالإجماع على وجوب الصلوات الخمس ، ووجوب صوم رمضان ونحو ذلك .

والقياس هو إلحاق فرع بأصل لعلة تجمع بينهما .

مثاله : تحريم المخدرات قياس على تحريم الخمر لعلة الإسكار .

أقسام الإحكام الشرعية :

تنقسم الأحكام الشرعية إلى خمس أقسام :

الأول : هي الواجب وهو ما طلب الشرع فعله طلبًا جازم يثاب فاعله امتثالًا ، ويستحق العقاب تاركه كالصلوات الخمس .

الثاني : المستحب وهو ما طلب الشارع فعله طلبًا غير جازم يثاب فاعله امتثالًا ولا يُعاقب تاركه ، كأنواع التطوع من صلاة وصيام وصدقات وأذكار ، ونحوها ويسمى المندوب والمسنون والتطوع .

الثالث : المحرم وهو ما طلب الشرع تركه طلبًا جازمًا ليثاب تركه امتثالًا ويستحق العقاب فاعله كالكفر والشرك والزنا والربا والظلم والبغي ونحو ذلك من الكبائر والمحرمات .

الرابع : المكروه وهو ما طلب الشرع تركه طلب غير جازم يثاب تركه امتثالًا ولا يُعاقب فاعله كالسدل في الصلاة ونحو ذلك .

الخامس : المباح وهو ما لا يتعلق بأمر ولا نهى لذاته وهو ما خير الله المسلم بين فعله وتركه لا ثاب فاعله ، ولا يعاقب تاركه كالأكل من أنواع الطيبات وصيد البر والبحر و أكل طعام أهل الكتاب ونكاح نسائهن .

وقد ينوى بفعل المباح الاستعانة بها على طاعة الله فيُؤجر ، وقد يتوصل بالمباح إلى الخير فيلحق في المأمورات ، وقد يتوصل بالمباح إلى الشر فيُلحق بالمنهيات كما قال النبي ﷺ: « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه[1] .

أقسام الأوامر الشرعية :

تنقسم الأوامر الشرعية من حيث الثبات والتغير إلى قسمين :

الأول : أحكام ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا اجتهاد الأئمة مثل الأحكام الواردة بالنص من القرآن والسنة كوجوب الواجبات ، وتحريم المحرمات ، والحدود المقدرة شرعًا ، وأركان الإسلام وغيرها .

الثاني : أحكام تتغير بحسب ابتغاء المصلحة لها زمانًا ومكانًا وحالاً ، والمصالح والمنافع تتغير بتغير الزمان والمكان والحال مثل : العادات والأعراف ، ومقادير التعذيرات .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

وهذه أحكام اجتهادية لا تستند مباشرة على نصٍ شرعي ، بل مصدرها عرف أو مصلحة سكتت عنه النصوص الشرعية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[النساء:٥٩] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾[النساء:٨٣] .

حكم فعل الأوامر الشرعية :

أوامر الله ﷻ مبنية على العدل والإحسان والسماحة والرحمة ، فيؤدي العبد الأوامر منها بقدر استطاعته ، ويجتنب المنهيات مطلقًا، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ ﴾ [التغابن:١٦] .

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « ذروني ما تَرَكتُكم فإنَّما هلَك الَّذينَ من قبلِكم بِكثرةِ مسائلِهم واختلافِهم على أنبيائِهم ، ما نَهيتُكم عنهُ فاجتَنبوهُ وما أمرتُكم بِه فافعلوا منهُ ما استطعتُم » . متفق عليه[1] .

فقه أقوال النبي ﷺ وأفعاله :

إذا حث النبي ﷺ عن أمر أو نهى عنه ثم فعل خلافه فهو لبيان الجواز ، لكنه يواظب على الأفضل منه .

ومثاله : حث النبي ﷺ على الوضوء ثلاثة ، وتوضأ مرة أو مرتين ، وزجر عن الشرب قائمًا ، وشرب قائمًا ، وطاف بالبيت ماشيًا وراكبًا ، ومشى حافيًا ومنتعلاً ، فهذه وأمثاله كله لبيان الجواز ، لكن النبي ﷺ واظب على

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٢٨٨)، ومسلم برقم: (١٣٣٧).

الأفضل منه وهو الوضوء ثلاثة ، واشرب جالسًا ، والطواف ماشيًا ، والمشي منتعلاً .

والقول مُقدم على الفعل ؛ لأن الفعل مظنة الخصوصية ، أما القول فهو قطعيٌ للعموم .

أهم الأصول والقواعد الشرعية في الفقه الإسلامي :

أهم القواعد الشرعية أن اليقين لا يزول بالشك ، ولا ستار في كل شيء إلا ما دل الدليل على نجاسته ، والأصل براعة الذمة إلا بدليل ، والأصل الإباحة إلا ما دل الدليل على نجاسته أو تحريمه ، والأصل أن المشقة تجلب التيسير ، والضرورات تبيح المحظورات ، والضرورة تُقدر بقدرها وأن الواجبات لا تلزم إلا بعد العلم بها والتمكن من العمل بها .

وأنه لا واجب مع العجز ، ولا محرم مع الضرورة ، وأن الواجبات الشرعية تلزم المُكلفين ، وأن جميع الشروط في العبادات والمعاملات تعتبر حسب الإمكان ، وأن درأ المفاسد مُقدم على جلب المصالح ، ويُختار أعلى مصلحتين ، ويُرتكب أخف المفسدتين عند التزاحم .

وأن الحكم يدور مع علته ثبوتًا وعدمًا ، وأن الائتلافات تجب على المكلفين وغيرهم ، والأصل في العبادات الحظر إلا ما دل الدليل عليه ، والأصل في العادات والمعاملات الإباحة إلا ما ورد الشرع بتحريمه .

والأصل في الأوامر الشرعية الوجوب إلا إذا دل الدليل على الاستحباب أو الإباحة ، والأصل في النواهي الشرعية التحريم إلا إذا دل الدليل على الكراهة ، والأصل في المنافع الحلم ، والأصل في النجاسات والمضار الحرمة .

كل عبادة مركبة من أجزاء فإنه لابد فيها من أمرين :

الأول : الترتيب .

الثاني : الموالاة .

كالوضوء والصلاة والحج والعمرة وغيرها .

والفرق بين فرض الكفاية وفرض العين ، أن فرض العين يتعلق بالعامل كالصلوات الخمس ، والصوم ونحوهما ، وفرض الكفاية يتعلق بالعمل المطلوب فعله كالآذان ، وتجهيز الميت ونحوهما ، فإذا قام بذلك أحد سقط الإثم عن الباقين .

شروط قبول الأعمال الصالحة :

أفعال النبي ﷺ ثلاثة أفعال :

الأول : الفعل الجبلي المحض الذي تقتضيه الطبيعة البشرية كالقيام ، والقعود ، والأكل ، والشرب ، والنوم والسهر . فهذا لم يفعله ﷺ للتشريع والتأسي . فلا يقول أحد أقوم واقعد تقربًا إلى الله واقتداء بنبيّ ﷺ.

الثاني : الفعل التشريعي المحض كأفعال الصلاة ، وأفعال الحج ، ونحو ذلك من أحكام الشريعة . هذا وأمثاله قد فعله الرسول ﷺ من أجل التأسي به ، ونفعله كما فعله ﷺ وهذا هو الغالب .

يجب علينا الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ في سيرته ، وسريرته ، وسنته .

الثالث : الفعل المُحتمل التشريعي والجبلي ، وضابطه أن تكون الجبلة البشرية تقتضيه ولكنه وقع متعلقًا بعبادة ، أو في وسيلتها ، كالركوع في الحج ، وجلسة الاستراحة في الصلاة ، والرجوع في صلاة العيد من طريق أخرى ، واضطجع على الجانب الأيمن بين ركعتي الفجر وصلاة الفجر ، والنزول بالمحصب بعد النفر من منى في آخر أيام التشريق ، ونحو ذلك .

هذا وأمثاله محتمل للأمرين ولمن شاء فعله أو تركه ، كما قال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وقال عز وجل : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

شروط قبول العمل الصالح :

العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور :

الأول : أن يكون خالصًا لله عز وجل لأن الله يقول : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥] .

الثاني : أن يكون موافقًا لما جاء به الرسول ﷺ لأن الله يقول : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه[1] .

الثالث : أن يكون فاعله مؤمنًا لأن الله يقول : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

فإذا اجتمعت هذه الشروط الثلاثة ، قبل الله العمل ، وإذا اختل شرط منها بطل العمل، قال الله عز وجل ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له..

وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]

آفات العمل الصالح :

يعرض للعامل إذا عمل عملاً صالحًا ، كالصلاة ، والصيام ، والصدقات ونحو ذلك ثلاث آفات هي :

١- رؤية العمل .

٢- وطلب العوض عليه .

٣- ورضاه به وسكونه إليه .

فالذي يخلص العبد من رؤية عمله ، مطالعته لمنة الله عليه ، وتوفيقه له ، وأنه من الله وبه ، لا من العبد كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣] .

والذي يخلصه من طلب العوض عليه ، علمه بأنه عبد محض مملوكٌ لسيده ، لا يستحق على الخدمة أُجرة ، فإن أعطاه سيدُه شيء من الأجر ، هو إحسان وإنعام من سيده . لا عوضًا عن العمل .

والذي يخلصه من رضاه عن العمل والسكون إليه ، مطالعة عيوب نفسه وتقصيره في نيته ، وعمله ، وما فيه من حظ النفس والشيطان ، وعلمه العظيم بحق الله وأن العبد اعجز واضعف من أن يقوم به على الوجه الأكمل ، نسأل الله الإخلاص والعون والاستقامة وحسن العبادة : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٥]

حفظ العمل الصالح :

ليس الشأن في أداء العمل الصالح فحسب ، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ، ويحبطه ، إذا تم فعله . فالرياء وإن دق مفسد للعمل ، وله أبواب كثيرة لا تُحصى . وكون العمل غير مقيدٍ بإتباع السنة ، محبط للعمل . والمن به على الله بقلبه مفسدٌ له . وهذا الخلق مُنقص له . وتعمد مخالفة أوامر الله والاستهانة بها ، مبطل له ونحو ذلك مما يهدم بنيان العمل الصالح ويقود أركانه . فانتبه لنفسك أيها العبد المسلم واعبد ربك الملك الحق الذي يراك ، ويسمعك كما يليق بجلال وجهه وعظمته وكبرياءه ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠]

واعلم أن العمل الصالح ينطلق منك عملاً ويرجع إليك ثوابًا : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[العنكبوت:٦] .

والعمل السيئ ينطلق منك عملاً ويرجع إليك عقابًا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾[محمد:١٢] .

الصفات التي تُؤدَى بها الأعمال :

أهمية النية :

النية في الشرع هي العزم إلى فعل العبادة تقربًا إلى الله تعالى ، والنية شرطٌ لصحة العمل وقبوله وأجزاءه ، ومحلها القلب وهي لازمة في كل عمل لقوله ﷺ: « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

والنية في قبول العمل ، كالروح في الأجساد لبقاء الحياة ، فلا حياة لجسدٍ بلا روح ، ولا قبول لعملٍ بلا نية ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠]

وتنقسم النية إلى قسمين :

الأول : نية العمل : بأن ينوي المسلم الوضوء والغُسل ، أو الصلاة مثلًا .

الثاني : نية المعمول له : وهو الله عز وجل وهو الغسل ، أو الصلاة ، وغيرها . تقرباً لله وحده . وهذه أهم من الأولى وكلاهما لازمٌ في كل عمل: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[النساء:١١٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴾[الزمر:٣] .

معنى الإخلاص :

الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن بتصفية العمل لله عن ملاحظة المخلوقين ، والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره ، وإذا أخلص العبد ، اجتباه ربه ، و أحيا قلبه ، وقربه إليه . وحبب إليه الطاعات ، وكره إليه المعاصي .

بخلاف القلب الذي لم يخلص ، فان فيه طلبًا وشوقًا وإرادة ، تارةً إلى الرئاسة ، وتارةً إلى الشهرة ، وتارةً إلى الدرهم والدينار ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف: ١١٠]

حكم الإيثار :

الإيثار ثلاث أقسام :

الأول : إيثار ممنوع : وهو أن تؤثر غيرك ممن يجب عليك شرعًا كما لو كان الوضوء الذي لا يكفي إلا لواحد ، فهذا لا يجوز أن تؤثر به غيرك ، لأنه يستلزم إسقاط الواجب عنك .

الثاني : إيثار مباح : كالإيثار في الأمور المستحبة ، كأن تؤثره في الصف الأول الذي أنت فيه وهذا تركه أولى إلا لمصلحة كما لو كان أباك .

الثالث : إيثار مستحب : كأن تؤثر غيرك في أمر غير تعبدِ ، كما لو أثرته بطعام وأنت جائع، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحشر: ٩] .

٩- الخزانة التاسعة

الصفات التي تؤدى بها الأعمال الصالحة :

كل عملٍ لا بد له من صفات يؤدى به ليكون صالحًا مثمرًا مقبولًا عند الله سواء كان من العبادات كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج وغيرها، أو كان من المعاملات كالبيع ، والتجارة ، والصلح ، والوكالة ، وغيرها .

أو كان من الآداب ، أو المعاشرات ، أو الأذكار ، أو الأدعية، وغيرها من أوامر الله عز وجل، كالدعوة إلى الله، وتعليم شرعه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهم الصفات التي يجب توفرها في كل عمل ليكون مثمرًا مقبولًا . ما يلي :

الأول : اليقين بأن هذا العمل الذي أمرنا الله ورسوله به فيه فقط قضاء حاجاتنا ، وفوزنا ، ونجاتنا ، وفلاحنا في الدنيا والآخرة ، بلا ريب : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١] .

الثاني : إخلاص العمل لله وحده لا شريك له ؛ لأنه هو الذي خلقنا وهدانا وأعاننا عليه ، وهو الذي يثبتنا عليه ، ويثيبنا عليه ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام:١٠٢] .

وقال عز وجل : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر:٣] .

وأعمال الدين غالية ، لا يستطيع أحدٌ أن يدفع قيمتها إلا الله وحده ، فكل من في السموات والأرض لا يستطيعون أن يعطوا أحدًا ، ثواب تسبيحةٍ واحدة . فأخلص العمل لمن وعدك بأجره وهو الله وحده ، لا شريك له ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزمر:٦٢-٦٤] .

الثالث : إتباعه الرسول ﷺ في كل عمل بأن نفعله كما فعله الرسول ﷺ، ونستحضره لو كان النبي ﷺ حاضرًا أو في مكاني ماذا سيفعل في هذه الحال فأفعله إن علمت به أو إن جهلت سأسأل من يعلمه .

الرابع : استحضار فضيلة العمل ، فالأعمال الصالحة ثقيلة : ﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزمل:٥] .

وإذا عرفنا فضائلها سهل القيام بها ، والمداومة عليها ، والإكثار منها، والدعوة إليها ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥] .

الخامس : استحضار فضيلة العمل الصالح ، فنعرف فضيلة الذكر ، والصوم ، والحج ، والدعوة إلى الله، وصلة الرحم، وغيرها من أعمال البر ليسهل القيام بها، والمداومة عليها .

سادسًا : الإحسان بأن نؤدي العبادات بصفة الإحسان ، بأن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فهو يراك ، فنستحضر أن الله يرانا ويسمع كلامنا ، ويعلم أحوالنا ، ويراقب تصرفاتنا ، وأنه قادرٌ على قضاء حوائجنا ، وأنه سوف يستجيب دعائنا .

العبد حق من عمل لله في الخلوة ، أو مع الناس ، على حدٍ سواء ، وتوجه إلى ربه وحده بقلبه وقالبه ، ولم يلتفت إلى أحدٍ سواه . ومن أحسن عمله لله بحضرة الناس ، وأساء عمله في الخلوة فقد استحضر عظمة المخلوق

للخالق ، وهذا هو النفاق :﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[الشعراء:٢١٣] .

السابع : المجاهدة ، فلنجاهد أنفسنا لنسارع إلى كل عمل صالح ، ونفطم أنفسنا مما تحب وتريد ، إلى ما يحبه الله ويريده . ونبذل كل ما نملك من أجل رضا الله ، وفعل ما يحب ، واجتناب ما يكره . فالعبد حقًا من قدم مراد الله إلى مراد نفسه ، وقدم ما يحبه الله على ما يحبه نفسه .

فمن وفقه الله لهذا فهو المجاهد حقًا الذي وعده الله بالهداية :﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت: ٦٩] .

وقال الله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٨٢].

وإذا قمنا بالأعمال بهذه الصفات الحسنة ، انتشر العلم والعمل والصفات الطيبة ، وإذا قمنا بالعلم والعمل بدون هذه الصفات ، انتشر العلم والعمل بدون الصفات ، وكثر الجدل والخلاف . وطلب الرخص والكسل والرياء وهبت الفتن ، وانتشرت الفرق والأحزاب :﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[هود: ١١٢] .

ومن قام بالعمل بهذه الصفات ، حصل على موعودات الله في الدنيا والآخرة . ومن قام بالعمل وقد أخلّ بإحدى هذه الصفات ، لم يحصل على الموعود من العمل ، ولم ينجو من الخسارة إلا من أكمل وسائل النجاة أربعة كما قال –سُبْحَانَهُ : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر/ ١-٣].

حقيقة الرسالة :

أرسل الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ رحمة بالعالمين ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء:١٠٧] .

فمحمدٌ ﷺ رحمة للعالمين كلهم ؛ لأنه جاءهم بما يسعدهم في الدنيا والآخرة ، فمن آمن به نال هذا الخير ، ومن لم يؤمن به فهو الذي حرم نفسه ، وضيع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى المبسوطة لكل أحد ، ولو فجر الله عينًا للخلق غزيرة الماء سهلة التناول ، فمن سقى نفسه ومواشيه وزرعه بمائها صلحت حاله وتتابعت عليه النعم ، ومن فرط وكسل عن العمل ضيع نصيبه من تلك العين ، فقد حرم نفسه من منافع تلك العين ، فساءت حاله ؛ لأنه حرمها مما ينفعها ، كما قال سبحانه : ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩ ﴾[إبراهيم:٢٨-٢٩] .

وقال عز وجل : ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾[العنكبوت:٥١] .

وأفضل الخلق على الإطلاق هو سيد الخلق سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ ، وقد ذكر الله من أسماء النبي ﷺ في القرآن اسمين هما محمد وأحمد ، والفرق بينهما في الصيغة أن اسم محمد اسم مفعول يعني محمود ، وأحمد تفضيل ، والفرق بينهما في المعنى في محمد الفعل واقعًا من الناس ، أي الناس يحمدونه لكمال صفاته وأخلاقه .

وفي أحمد يكون الفعل واقعًا منه ﷺ فهو ﷺ أحمد الناس لله -تَعَالَى- ، وهو أحق الناس أن يحمد ولعل هذا هو السر في أن الله ألهم عيسى أن يقول أحمد لبني إسرائيل لأنه أحمد الناس لله – تعالى- ، وهو أحق الناس

بالحمد ، كما قال عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف:٦] .

فصلوات الله وسلامه عليه ، وأفضل صيغة للصلاة على النبي ﷺ هي ما علمه أصحابه في الصلاة عليه والسلام عليه ، وهي : « قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » . متفق عليه[1] .

أما السلام فيقول كما جاء عن النبي ﷺ في تشهد الصلاة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وأما الصلاة فيصل عليه وعلى آله وأزواجه و ذريته وأتباعه إلى يوم القيامة ، فإن الآل تطلق على الأتباع .

ورسول الله ﷺ أرسله ربه رحمة للعالمين ، لقد كان ﷺ أرحم الخلق بالخلق ، وأشفق الخلق على الخلق وأرحمهم لهم ، فقد كان يترك العمل وهو يحب أن يفعله لئلا يعمل به الناس فيفرغ عليهم فيشق عليهم ، ومن ذلك ترك قيام رمضان جماعة في المسجد لئلا يفرض على الأمة ، وترك تأخير صلاة العشاء لوقتها الأفضل ، والوصال لئلا يشق على الأمة ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدَعُ العَمَلَ ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ ، فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ ، وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا » . متفق عليه[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٧٩٧)، ومسلم برقم: (٤٠٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٢٨)، ومسلم برقم: (٧١٨).

فسبحان من خص رسوله ﷺ بالأقوال الحسنة والأعمال الصالحة والأخلاق الكريمة ، وقد خص الله عز وجل رسوله محمد ﷺ بأشياء ففرض عليه أشياء لم تفرض على غيره ، وحرّم عليه أشياء لم تحرّم على الأمة ، وأُحِل له أشياء لم تحل للأمة ، فأما ما فُرِضَ عليه فالتهجد بالليل والوتر ، والسواك وقضاء دين من مات معسرًا وإذا عمل عملاً أثبته ، وإنكار المنكر إذا رآه ، وتخيير النساء .

وأما ما حُرِمَ عليه فمن ذلك تحريم الزكاة عليه وعلى آله ، وتحريم صدقة التطوع عليه ، وخائنة الأعين وهي أن يُظْهِر خلاف ما يبطن ، وحرام عليه إذا لبس لأمة الحرب أن يخلعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه ، وأكل الأطعمة الكريه الرائحة ، التبدل بأزواجه ، وقول الشعر وتعليمه ، وأن يمُد عينه إلى ما متّع به الناس من الأزواج والأولاد :﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾[طه : ١٣١] .

وأما ما أُحل له خُمس الخُمس ، والوصال ، والزيادة على أربع نسوة ، والنكاح بلفظ الهبة ، والنكاح بغير ولي ، والنكاح بغير صداق ، وسقوط القسم بين الأزواج عليه ، ولكنه ﷺ كان أحسن الناس عدلًا وقسمًا ، ومما أُحل له القتال في مكة ، وأنه لا يُرَث وبقاء زوجيته بعد وفاته ، ولا تنكح أزواجه من بعده فهذا من خصائصه ﷺ.

١٠ - الخزانة العاشرة

فضل هذه الأمة :

هذه الأمة خير أمةٍ أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمن بالله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

فهذه الأمة أفضل الأمم ، كما أن النبي ﷺ أفضل الأنبياء والرسل ، فهذه الأمة أفضل من بني إسرائيل ، فقد ابتلى الله أصحاب النبي ﷺ بالخوف ، وابتلاهم بطمع ، وابتلى بني إسرائيل بخوف وابتلاهم بطمع ، فاستجاب أصحاب النبي ﷺ له ﷺ ولم يستجب بنو إسرائيل لأنبيائهم ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

والابتلاء الذي يظهر به الفضل وعدمه إنما يكون بخوف أو طمع ، فابتلي الصحابة في بدر بخوف من عدوهم فصبروا وثبتوا ؛ فنصروا :﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[الأنفال:٢٦] .

وابتلي بنو إسرائيل بخوف من الجبارين فجبنوا وخافوا وعوقبوا بالتيه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا

فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[المائدة:٢٠-٢٦] .

وابتلى الله عز وجل الصحابة رضي الله عنهم بالصيد وهم محرمون في الحديبية ، فأطاعوا ولم يمسوا أحدٌ منهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٩٥﴾﴾[المائدة:٩٤-٩٥] .

وابتلى الله عز وجل بنو إسرائيل بظهور السمك يوم السبت فاعتدوا فمسخوا قردة . كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾[البقرة:٦٥] .

وجعل الله مقتسم بني إسرائيل أعلاهم منه ، كما قال سبحانه : ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾[المائدة:٦٥-٦٦] .

وجعل سبحانه في هذه الأمة درجة أعلى ، وهي السابق بالخيرات ، كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ

وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فاطر:٣٢-٣٥] .

والصحابة رضي الله عنهم صدقوا الرسل : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الزمر:٣٣].

وبنو إسرائيل عادوا الرسل وكذبوهم وقتلوهم : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[المائدة:٧٠] .

ولهذا الله عز وجل رضي عن هذه الأمة ، وعن القرن الأول خاصة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

مشاورة النبي ﷺ لأصحابه :

أرسل الله رسوله محمد ﷺ رحمة للعالمين وأمره بمشاورة أصحابه ؛ لأنهم سيرثون العمل بالدين والدعوة إليه وتعليم شرعه من بعده فقال سبحانه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

فالدين عظيم والدعوة إلى الله عظيمة ونشر الدين في العالم يحتاج إلى بذل الأوقات والأنفس والأموال وترك الشهوات ، والأوطان والأهل من أجل

إبلاغ دين الله كما أمرا الله عز وجل بقوله : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

والأمة سترث هذا العمل العظيم بعد النبي ﷺ وإبلاغه للناس كافة إلى يوم القيامة لهذا أمر الله نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه في أمر الدين وكيفية انتشاره ، ورغبهم في بذل الأوقات والأنفس والأموال في سبيل إعلاء كلمة الله ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾[الحجرات:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٣ ﴾[الأحزاب:٧٢-٧٣] .

فبالمشاورة يعلم الإنسان خير الأمور وشرها وأفضلها وأحسنها وقد أمر الله رسوله ﷺ بمشورة أصحابه لأمور :

الأول : إن مشورة النبي ﷺ لأصحابه توجب علو شأنه ورفع مقامهم وذلك يوجب شديد محبتهم له ولزوم طاعته وشعورهم بمسئوليتهم عن هذا الدين من بعده .

الثاني : إن النبي ﷺ وإن كان أكمل الناس عقلا إلا أن علوم الخلق متناهية فلا يبعد أن يختار ببال أحدهم من وجوه المصالح مالا يختار بباله خاصة في أمور الدنيا فقد قال ﷺ: «:أَنْتُمْ أَعْلَمُ بأَمْرِ دُنْيَاكُمْ. »[1] .

الثالث : أن الله أمر رسوله ﷺ بمشاورة أصحابه ليقتدي به غيره في المشاورة ويصير سنةً في أمته، ويتعبد لله بالشورى في سبيل إعلاء كلمة الله .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٣٦٣)

الرابع : أنه ﷺ شاورهم في الخروج إلى أحد فأشاروا عليه بالخروج فحصل ما حصل من رفع النصرة عن الصحابة فأمره الله عز وجل بمشاورتهم بعد ذلك ليدل على أن قلبه لم يبق به أثر من تلك الغزوة .

الخامس : وشاورهم في الأمر لا لتستفيد منهم رأيًا وعلمًا ، لكن لتعلم مقدار عقولهم و أفهامهم ، ومقدار حبهم لك ، وطاعتهم لك ليتميز عندك الفاضل من المفضول ، فتستعمل طاقتهم في خدمة الدين كلٌ بحسبه .

السادس : وشاورهم في الأمر لا لأنك محتاج إليهم ولكن ليجتهد كل واحد منهم إلى استخراج الرأي الشديد لمصلحة الدين ؛ لأنهم سيحملون أمر الرسالة والدعوة بعدك .

السابع : أن الله عز وجل أمره بمشاورتهم ليعلمهم أن لهم عند الله قدرًا وقيمة فهذا يفيد أن لهم قدرٌ عند الله وعند الرسول وعند الخلق : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشورى:٣٨] .

الثامن : أن الملك العظيم لا يشاور في المهمات العظيمة إلا خواصه والمقربين منه فالصحابة -رضي الله عنهم- أنصح الخلق للرسول ﷺ ولهذا الدين وهذا الدين لهم فشاورهم فما يتعلق بنشره والدفاع عنه ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

فإذا حصل الأمر المتأكد فلا تعتمد عليه بلا اعتمد على الله وحد ، والمشاورة لا تكون فيما نزله من الوحي بالإخبار والأحكام ، بل تكون فيما تتطلب الاجتهاد في حسن الاختيار وقد شاور الرسول ﷺ أصحابه في عدة مناسبات في غزوة بدر وغيرها من المناسبات .

حكم الصلاة على النبي ﷺ وغيرها :

الصلاة على النبي ﷺ مشروع بالقرآن والسنة كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب:٥٦] .

وقال النبي ﷺ: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا» . أخرجه مسلم[1] .

وإما الصلاة على غير النبي ﷺ فلها ثلاث حالات :

الحالة الأولى : إما أن تكون على أهله وأزوجه وذريته فهذى مشروعة مع الصلاة عليه وجائزة مفروضة .

الحالة الثانية : أما أن تكون الصلاة على الملائكة أو الأنبياء وأهل الطاعة عمومًا فهذى جائزة فتقول اللهم صلى على ملائكتك المقربين ، وأهل طاعتك أجمعين .

الحالة الثلاثة : أما أن تكون الصلاة على شخص معين أو طائف معين فهذه تجوز لكن بشرط ألا تتخذ شعار يداوم عليه .

أما ثمرات الصلاة على النبي ﷺ

فالنبي ﷺ أفضل بني آدم وخاتم الأنبياء والرسل وأعرف الخلق بربه وأعظمهم عبادة لله وأكملهم أخلاقًا وأعظمهم جهاد في سبيل الله وأعظمهم دعوة إلى الله وتعليمًا لشرعة وإحسان إلى خلقه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة:١٢٨].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٠٨).

لهذا استحق ﷺ أن يُحمد في السماء والأرض فهو أحمد الخلق لربه وهو محمودٌ في السماء والأرض والله وملائكته يصلون عليه كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب:٥٦] .

وقد أمرنا الله بالإكثار من الصلاة عليه لما خاص الله به من هذا الجهاد العظيم في إبلاغ دين الله -عز وجل - واتصافه بأحسن الأخلاق حتى أثنى عليه ربه بقوله وإنك لعلى خلق عظيم وفوائد الصلاة عليه ﷺ كثيرة منها امتثال أمر الله سبحانه بالصلاة عليه وموافقة الله بالصلاة عليه وموافقة الملائكة بالصلاة عليه وحصول عشرة صلوات لمن صل عليه مرة وأن يرفع للمصلى عليه عشرة درجات ويكتب له عشرة حسنات ويمح عنه عشرة سيئات وأنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها بين دعائه هي سبب لغفران الذنوب وسبب لقرب العبد منه وسبب لشفاعته له ﷺ وسبب لصلاة الله وملائكته عليه وسبب لرد النبي عليه وسبب لطيب المجلس ، وسبب لنفى البخل عن ما صل عليه ، وسبب لخروج العبد عن الجفاء ، وسبب لنيل رحمة الله وسبب لدوام محبته ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب:٥٦] .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد .

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٩-خزائن الأعمال الصالحة

القسم الأول

ويشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٢٩-خزائن الأعمال الصالحة

القسم الأول

١- الخزانة الأولى

فقه الأعمال الصالحة :

الأعمال الصالحة هي كل ما أمر الله ورسوله به سواءً كان امتثالًا للأوامر كالأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام وغيرها من أنواع العبادات والطاعات ، أو كان اجتنابًا للنواهي كالأمر باجتناب الكفر والشرك ، والكبائر والفواحش ، والمعاصي والبدع .

وسواءً كانت أقوالاً كالأدعية والأذكار، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، والنصح للمسلمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الأحزاب:٤١-٤٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[فصلت:٣٣].

وقال الله عز وجل : ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[آل عمران:١٠٤] .

أو كانت أفعالًا كالوضوء والصلاة والحج والجهاد ، وسواء كانت أعمالًا قلبية كالإيمان والتوحيد ، والخوف والرجاء ، والحب لله ، والتعظيم له ، والذل له والتوكل عليه : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾[التغابن:١٣] .

أو كانت أعمالًا تخص اللسان كالأدعية والأذكار ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والنصح لكل مسلم ، أو كانت أعمالًا تخص الأبدان كالصوم والصلاة والجهاد والحج ونحو ذلك من الأعمال الصالحة : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت:٤٦] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾ [الإسراء:٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة:١٧٧ - ١٧٩] .

ونية المؤمن خير من عمله عند العذر ، والنية لا تنفك عن الفعل ، ومقصود جميع الأعمال الصالحة تنوير القلب بمعرفة الله ، ومعرفة عظمته وقدرته ، وتطهيره مما سوى الله ، والقصد من تكرار الأعمال الصالحة ؛ أن يذكر القلب ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم يحبه ويكبره ويعظمه ويطيعه .

والقلب أشرف من الجسد ، وفعله أشرف من فعل الجسد ، والجسد يأتمر بأمر القلب ، فكانت النية أفضل من العمل .

عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه[1] .

وعن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال : « أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ ». متفق عليه[2].

أنواع الأعمال التي يباشرها الإنسان :

الأعمال ثلاثة أنواع :

١- طاعات .

٢- ومعاصي .

٣- ومباحات .

فالطاعات مرتبطة بالنية في الأصل وفي الفضيلة ، فالأصل أن ينوي بها المسلم عبادة الله وحده لا شريك له ، فإن نوى بها الرياء صارت معصية : ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥] .

وأما الفضيلة فبكثرة النيات تكثر الحسنات في كل عملٍ صالح ، فمن نوى إذا دخل المسجد بالصلاة ركعتين ، ركعتي الوضوء وتحية المسجد والسنة الراتبة ، كتب الله له أجر تلك النيات : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ [البينة: ٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٧/ ١٥٩٩).

وكذا المباحات وكل شيء مباح ، إذا نوى به العبد التقرب إلى الله صار طاعةً يؤجر عليها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] .

فالنية تجارة العلماء يربحون على الله فيها ما لا يربحه غيرهم .

أما المعاصي فلا تتغير بالنية ؛ فالمعاصي لا تنقلب طاعات بالنية ، فالذي يسرق ويتصدق فعله كله معصية ، لأن طيب لا يقبل إلا طيباً .

أقسام المؤمنين في النيات :

نيات الناس في الطاعات أقسام :

منهم من يعبد الله خوفًا منه ، ومن عذابه ، ومنهم من يعبد الله طمعًا في ثوابه وهو الرغبة في الجنة : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

ومنهم من يعبد الله؛ لأنه العظيم الذي يستحق أن يعبد لذاته وجماله وجلاله، وإنعامه وإحسانه ؛ راجيًا لثوابه ، خائفًا من عقابه .

وهؤلاء هم أولو الألباب المقربون ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

وثواب الناس بقدر نياتهم ، فأعبد الله ، لأنه أهل أن يُعبد ، وأهل أن يذكر ، وأهل أن يوحد ، واهل أن يُشكر ، لتتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم ويفوز بالجنة والرضوان : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة:٢٢ -٢٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢] .

ونسبة اللذة بنعيم الجنة إلى لذة النظر إلى وجهه الكريم ، كنسبة نعيم الجنة إلى وجه الله الكريم .

ثواب الأعمال الصالحة :

الأعمال الصالحة : هي كل قول أو فعلٍ أمر الله ورسوله به ، وأداه العبد ؛ ابتغاء مرضات الله ﷻ ، وامتثالًا لأمره : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥] .

وقال ﷻ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧ ﴾ [النساء: ٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ١١ ﴾ [الطلاق:١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨ ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨] .

وغير ذلك من الآيات الواردة في كتاب ربنا ﷻ .

فقه العمل الصالح :

العمل الصالح يشمل كل قول وفعل .

العمل أعم الأحداث ، وهو تعلق الجارحة بما نيطت به ؛ فالقلب جارحة عملها النية ، واللسان جارحة عملها القول ، والعين جارحة عملها الرؤية .

أما الفعل : فهو تعلق فعل غير اللسان بما نيط به ، أما تعلق اللسان فهو قول ؛ فالقول والفعل يسمى عملًا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾ [الصف:٢-٣].

وقال الله ﷻ : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾ [النحل:٩٧] .

وأعظم صفقة رابحة هي الإيمان، والأعمال الصالحة؛ فالدنيا وقتها محدود، ودنيا كل احد بقدر عمره ، وعمره فيها مظنون لا يدري متى يموت ؟ ورزق الإنسان في هذه الدنيا بقدر ما قسم الله له ؛ فالأرزاق مقدرة مكانًا وزمانًا وكميةً ونوعية : ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الزخرف:٣٢] .

أما الآخرة فعمرها مطلق ، وعمر الإنسان فيها مطلق ، والنعيم فيها على قدر عطاء الخالق : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[ص:٥٤] .

والرابح حقًا من استعمل الدنيا وما وهبه الله في سبيل الوصول إلى رضوان الله والفوز بالجنة : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

فحياة الإنسان في هذه الحياة الدنيا إيمان وعمل وعبادة لله وحده لا شريك له ، قيامٌ بالعمل ، ودعوة إلى الأعمال الصالحة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[الحج:٧٧- ٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر/ ١-٣].

والعمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة شروط :

الأول : أن يكون خالصًا لله وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢- ٣] .

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي : « أنا أغْنى الشُّركاء عن الشِّركِ ، مَنْ عَمِل عَمَلا أشرك فيه مَعي غيري تركتهُ وشِرْكَه » . أخرجه مسلم[1] .

الثاني : أن يكون مطابقًا لما جاء به النبي ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

الثالث : أن يكون ذلك العمل مبنيًا على أساس الإيمان ؛ لان العمل كالسقف لابد له من أساس يثبت عليه وإلا انهار كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف:١١٠] .

فهذا العمل الصالح هو الذي يقبله الله ، وينفع صاحبه يوم القيامة ويدخل العبد بسببه الجنة ، فإذا اختل أحدٌ من هذه الأمور لم يكن عملًا صالحًا كالذي يعمله الكفار يريدون به وجه الله : كبر الوالدين ، ومواساة الفقراء ، وإعانة المظلوم ، لا تنفعهم تلك الأعمال يوم القيامة ، لفقدها شرط الإيمان كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النور:٣٩] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٦/ ٢٩٨٥).

وقال الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٨] .

لكن هذه الأعمال إن وقعت صالحةً خالصةً تنفعهم في الدنيا ، وأثابهم الله عليها في الدنيا مالاً أو ولدا أو صحة ونحو ذلك ؛ لأن الله لا يضيع عنده شيء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء:٤٠] .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا ، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا » . أخرجه مسلم(١) .

والعمل الصالح لا ينفع صاحبه إلا إذا تقبله الله منه ، ولا يعمل المؤمن عملًا صالحًا إلا إذا وفقه الله إليه وأعانه عليه :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة:٢٧] .

والعمل الصالح إنما صار سببًا لدخول الجنة ؛ لأن الله تقبله ، ووفق صاحبه إليه ، وأعانه عليه ؛ ولهذا صار دخول الجنة بفضل الله ورحمته ، وصار العمل الصالح سببًا لدخول الجنة كما قال سبحانه : ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأعراف:٤٣]

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٦/ ٢٨٠٨).

أما التوفيق والعمل الصالح فهو فضلٌ من الله على من شاء من عباده كما قال النبي ﷺ: « لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ » . قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا » . متفق عليه[1] .

والقرآن الكريم بحر العلوم ، بين الله فيه كل شيء ، وهو بحر لا ساحل له ، جمع الله فيه علوم الأولين ، وعلوم الآخرين ، وعلوم الدنيا ، وعلوم الآخرة : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

والسنة النبوية قطرٌة من بحره ؛ لأن جميع ما جاء به الرسول ﷺ يدخل في قوله سبحانه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وأبواب السماء تفتح لأعمال المسلمين ، ودعائهم ، وأرواحهم، كما قال سبحانه : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾ [فاطر:١٠] .

أما الكفار ، والمكذبون لله ورسله ، والمستكبرون عن عبادته سبحانه ، فلا تفتح لهم أبواب السماء ؛ لا تفتح لأحدهم أبواب السماء ، لأن أعمالهم مردودة غير مقبولة ، ولا تفتح لدعواتهم أبواب السماء ، لأنها غير مستجابة للشرك المانع من قبول الدعاء ، ولا تفتح لهم أبواب السماء بالبركات لكفرهم ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦] .

ولا تفتح أبواب السماء لأرواح الكفار إذا ماتوا لأنهم كفار، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧١/ ٢٨١٦).

ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأعراف:٤٠-٤٢] .

حكم أفعال العباد .

انقسم الناس في كسب العبد إلى ثلاث أقسام :

الأول : قومٌ قالوا : إن العبد يخلق أعمال نفسه بلا تأثيرٍ لقدرة الله فيها ، وهذا مذهب باطل ؛ لأن الله يقول : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[الزمر:٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات:٩٦] .

وهذه الطائفة غلت في التفريط ، حتى سلبوا الله قدرته ، وأوقعوا في ملكه ما لا يريد ، ومحالٌ أن يقع في ملك الله شيء إلا بمشيئته .

وهذا مذهبٌ باطل لأن الله خالق كل شيء :﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

الثاني : قوم قالوا : إن الفعل فعل الله ، والعبد مجبور على أفعاله ، فلا خيار له ، ولا يعذب بفعل الله .

وهذا مذهب باطل؛ لأن الله خلق الإنسان مخيرًا ليؤمن أو يكفر ، أو يطيع أو يعصي، كما قال سبحانه : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾[الكهف:٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾[التغابن:٢] .

الثالث : وهم أهل الحق الذين قالوا : إن الله خلق للعبد قدرة ، فهو القادر الذي أقدر كل قادر من إنسان وحيوان ، ونبات وجماد .

فالله خلق للعبد قدرة وإرادة ومشيئة ، ولكنها لا تنفذ إلا بمشيئة الله ، ويصرفها الله إلى ما سبق به العلم الإلهي ، فيأتيه العبد طائعًا مختاراً .

وهذا هو المذهب الحق ، فإن الله خلق العباد ، وخلق أفعالهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الصافات:٩٦] .

ولا يقع في ملكه سبحانه إلا ما يشاء ، وقد مكن الكل من أسباب الهداية ، وتفضل بها على من شاء ، ومنعها من شاء وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الأنعام:٥٣] .

هدى سبحانه من شاء بفضله ، وأضل من شاء بعدله : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[الأنعام:١٤٩] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[التكوير:٢٧-٢٩] .

فالله خلق الخلق وأمرهم ، وسيوفق كله منهم إلى ما سبق له علمه الأزلي .

قال النبي ﷺ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ فَقَالَ : مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَقَالَ : اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ

الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل:٥-١٠] . » . متفقٌ عليه[1] .

والطبع والختم على قلوب الكفار ما كان إلا بسبب ذنوبهم ، فإن الله يسبب للإنسان الضلالة بسبب ارتكاب الذنوب ، كما يسبب له الهدى بسبب الطاعات ، فالعبد إذا سار على الكفر ، وتكذيب الرسل ، عاقبه الله بأن زاده الله ضلالاً على ضلاله ، وجاءه الطبع والختم بسبب كفره وبغيه كما قال سبحانه : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾ [النساء:١٥٥-١٥٦] .

وقاله سبحانه عن الكفار : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴾ [الصف:٥] .

وقال سبحانه عن المنافقين : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٠] .

والحسنات والطاعات سببٌ لزيادة الهدى كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد:١٧] .

وقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وقنا برحمتك شر ما قضيت .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٩٤٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦/ ٢٦٤٧).

٢- الخزانة الثانية

شروط العمل الصالح :

لابد لكل عملٍ صالح من ثلاثة أمور :

١- أن يكون خالصًا لله ﷻ .

٢- ومشروعًا في الدين .

٣- مؤدى على سنة رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف:١١٠] .

فإذا لم يكن العمل خالصًا لله لم يقبل ؛ لأنه شرك: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[النساء:١١٦] .

وإذا لم يكن العمل على ما شرع الله لم يُقبل ؛ لأنه بدعة في أصله كما قال النبي ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه[١] .

وإذا لم يكن على سنة رسول الله ﷺ لم يقبل؛ لأنه بدعة في كيفيته : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

فنصلي لله وحده ؛ لان الله شرع الصلاة وإتباعًا لسنة النبي ﷺ في تلك الصلاة ، حيث قال ﷺ : « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ».متفق عليه[٢].

---

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له..

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٠٨)، ومسلم برقم: (٦٧٤).

أثر الحلال على العمل :

الأكل من الحلال له أثر في العمل الصالح ، وإجابة الدعاء ؛ لهذا أمر الله الرسل بالأكل من الطيبات والعمل الصالح:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾[المؤمنون:٥١] .

ومن أكل الحرام فإن دعاءه لا ينفعه ؛ لأنه لا يأكل الحلال ، ولم يشرب منه ، ولم يركبه ، ولم يلبسه ، فأنى يستجاب لمثل هذا ؟

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] .

وقد نهى الله ورسوله عن المعاصي وهي كبائر ، وصغائر .

والكبائر كل ذنبٍ توعد الله عليه بنارٍ أو بغضبٍ أو عذابٍ أو حد .

والكبيرة أعظم من مطلق المعصية ، ويدل عليها تغليظ التحريم وتوكيده .

والكبائر غير محصورة ، والصغائر غير محصورة كذلك .

والمعاصي كبائر وصغائر ، غير أنه لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار : ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ ﴾[النساء:٣١] .

وكبائر الإثم ليست محدودة في عدد معين ، ومنها السبع الموبقات وهي :

الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

ومن الكبائر قتل الولد ، والزنا بحليلة الجار ، وشهادة الزور ، وعقوق الوالدين ، واستحلال حرمة البيت الحرام ، والرجوع إلى البادية بعد الهجرة ، وشرب الخمر ، والسرقة ، واليمين الغموس ، ومنع فضل الماء ،

ومنع فضل الكلام ، وتسبب الرجل في سب و الديه ، والوقوع في عرض المسلم ، والجمع بين صلاتين من غير عذر ، والأضرار في الوصية ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ، وسوء الظن بالله ، والغلو ، والذين اشتروا بعهد الله وإيمانهم ثمنًا قليلا .

فليجتنب العبد هذه الأعمال المهلكة ، ويحذر منها : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء:١٣-١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء:٦٩-٧٠] .

اقسام الطاعات :

الطاعات أقسام .

فالطاعة : هي كل ما يحبه الله ويرضاه .

والطاعات أقسام :

قوليه ، وفعلية ، ظاهرةٌ وخفية ، لازمة ومتعدية .

فالطاعات القولية : كتلاوة القرآن ، والأذكار، والأدعية والدعوة إلى الله ﷻ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، والنصيحة للمسلمين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

والفعلية : كالصلاة ، والحج ونحوهما من العبادات .

والظاهرة : كالصلاة ، وتلاوة القرآن .

والباطنة : كالإيمان والتوحيد وحب الله ، والتوكل عليه .

واللازمة : كالصلاة والصوم ونحوهما .

والمتعدية : كصلة الأرحام والإحسان : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

أقسام المعاصي :

الذنب كل معصية لله عز وجل .

والذنوب قسمان :

صغائر .. وكبائر .

فالكبائر : كالشرك والقتل ، والصغائر : تيسير الرياء .

والذنوب قسمان كذلك :

١- لازمة .

٢-ومتعدية .

فاللازمة : ما كان قاصرًا على الإنسان وحده ، سواء كان فيما بنيه وبين الله كالتقصير في العبادات ، أو التقصير فيما بينه وبين الناس كالنظرة المحرمة ، والمتعدية وهي أعظم : كالقتل والزنا والرشوة ونحو ذلك .

والذنوب قسمان كذلك :

١- ظاهرة .

٢- وباطنة .

فالظاهرة : كترك الصلاة ، وشرب الخمر ونحوهما .

والباطنة : كالشرك والحسد والنفاق ونحو ذلك .

والذنوب قسمان كذلك :

١- قوليه .

٢- وفعلية .

فالقولية كالكذب والغيبة والنميمة ، والفعلية كالقتل والزنا والسرقة ونحو ذلك ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤] .

أصل العمل .

سر الحياة ليس بمعرفة الزمان والمكان والمخلوق ، وإنما سرها الوحيد معرفة خالق الكون ، وعبادته وحده لا شريك له ، وطاعته وطاعة رسوله ﷺ : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩] .

وقد جعل الله معرفة المخلوقات سبيلًا وطريقًا إلى معرفته وعبادته، كما قال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق:١٢] .

وإذا عرفتم ذلك كبرتم الله وعظمتموه وحمدتموه وشكرتموه وأحببتموه : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٢- ١٠٣] .

والزمان والمكان والمخلوق وسيلة لمعرفته ، وموسم ومكان للقرب منه وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠- ١٩١] .

الزمان موسم ، والمكان موطن ، للقرب منه جل جلاله بأي عمل صالح ، وليس القصد في الشعيرة من صلاة وزكاة وصيام وحج ونحوه ، بل المقصود الأكبر تعظيم الشعيرة ، لأن الله أمر بها : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[الحج:٣٢] .

وليس القصد العمل ، إنما المقصود قبول العمل ؛ فالمنافقون كانوا يصلون مع النبي ﷺ ، وهم في الدرك الأسفل من النار ، وابني آدم كلاهما قاما بالعمل ، وقربا قربانًا ، فقبل الله من قدم العمل لله بالتواضع والانكسار ، ورد من قدم العمل بالاستعلاء والاستكبار : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[المائدة: ٢٧ - ٣٠] .

وكل عمل تتقدم به إلى الله ، وتعمله لله ، إن نسبته إلى نفسك وقوتك وعقلك وجهدك لم يقبل ، لأن جميع النعم من الله ، ومنها الهداية :﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[الحجرات: ١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] .

فكل شيء بأمر ربي وحده ، وكل شيء بفضل ربي وحده ، صاحب الفضل والإحسان في كل عباده ؛ ولهذا حسن الاستغفار بعد كل عبادة من العبادات الكبار: كالصلاة والصيام والحج؛ لإزالة أوساخ الالتفات إلى غير الله وقت العمل : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[الزمر:٢-٣] .

وكلما زاد الإيمان جاء التواضع ، كالسنبلة كلما امتلأت بالحب تواضعت ومالت إلى الأسفل ، وكلما كانت فارغة زادت استعلاء وشموخا .

وإذا نسبت العطاء لواهبك زادك منه ، وإذا نسبته إلى نفسك حرمك منه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧] .

والذي يقول : لا أملك شيئًا ، يملكه الله ما يشاء ، والذي يقول : أنا املك وعندي كذا ، الله لا يعطيه ؛ ولهذا قال سبحانه لرسوله ﷺ : ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[الأعراف:١٨٨] .

والله ﷻ حكيم عليم شاء إن يذكر ويشكر ، فخلقنا لنذكره ونشكره ولابد مع هذا من الصبر ، فإذا ذكرناه سبحانه ذكرنا ، وإذا شكرناه زادنا ، وإذا صبرنا على ما يحبه ويرضاه أحبنا ، وكان معنا ، فالذكر والشكر والصبر أعظم

الصفات التي يحبها الله ﷻ كما قال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢] .

والشكر وحده لا يكفي ، بل لابد معه من الصبر ؛ لأننا في دار الامتحان والابتلاء ونبتلى بالخير والشر: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

ففي حال الخير نحتاج إلى الشكر ، وفي حال الشر نحتاج إلى الصبر ، فالمؤمن الحق إن أصابه خير حمد ربه وشكره ، وان أصابه شرٌ حمد ربه وصبر ، كما في حديث صهيب أن النبيﷺ قال : « عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إِنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمنِ إِنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خَيرًا لهُ » . أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٤/ ٢٩٩٩).

ولكي تأتي فينا هذه الصفات نحتاج إلى ثلاثة أمور :

تخليه ..

ثم التزكية ..

ثم تحليه .

فالنفس كالإناء لا بد أن تفرغ من الشر ، ليمكن ملؤها بالخير ، والنفس بطبيعتها إمارة بالسوء: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾[يوسف:٥٣] .

فجاهد نفسك على فعل الخير ، واجتناب الشر ، تعطى الهدية : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

٣- الخزانة الثالثة

فقه الأعمال الصالحة :

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، هو الكبير قبل أن نكبره ، وواحد قبل أن نوحده ، ومحمود قبل أن نحمده ، لا يزداد بتكبيرنا كبرياء ، ولا بتعظيمنا له عظمة ؛ لأنه كامل الذات والأسماء والصفات : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه:٨] .

هو الغني سبحانه عن كل ما سواه ، لا ينفعه إيمان المؤمنين به ، ولا يضره كفر الكافرين به سبحانه : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[يونس: ٦٨]

وإنما نفع الإيمان والطاعات والأعمال الصالحة يعود على المؤمنين ، وضرر الكفر والمعاصي يعود على الكافرين : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿٧﴾ ﴾[الإسراء:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[فصلت:٤٦] .

ومن عمل صالحًا أو سيئًا ، قطف ثمرته ، أو نال عقوبته : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾[الكهف:٢٩-٣١] .

فاجتهد أن تكون صالحًا ومصلحا ، وذاكرًا ومذكرا ، وعالمًا ومعلما ، تفوز بأعلى الدرجات عند ربك الكريم : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾[العنكبوت:٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[فاطر:١٥] .

واجتهد على نفسك بكمال الإيمان والتقوى ، واجتهد على غيرك بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان لخلق الل، يهديك الهادي إلى سبل رضاه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

أفضل حياة :

أفضل حياة في العالم هي حياة الأنبياء والرسل ، وأفضل حياة الأنبياء والرسل هي حياة النبي ﷺ ، ومدتها ثلاث وعشرون سنة ، وكلها تشريع ، ولهذا هي الحياة المحفوظة بالكامل من بين سائر الأنبياء، لأنها أفضل حياة، وأجمل حياة ، وأطهر حياة أمر الله البشر بالاقتداء بها كما قال سبحانه : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨ ﴾[الأعراف:١٥٨] .

وقال ﷻ : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وحياة النبي ﷺ هي الدين ، وهي المقبولة عند الله ، ولا سعادة للإنسان إلا بالاقتداء بها ؛ لأنها أسهل حياة ، وأطهر حياة ، ومراد الله أن نمشي على هذه الحياة : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ

وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٨] .

وهناك أربعة شروط لقبول هذه الحياة ، وهذه الشروط الأربعة تسمى جهد الأنبياء وهي :

الأول : التضحية بكل شيء ، من اجل إعلاء كلمة الله .

الثاني : الاستقامة على أوامر الله في كل حال .

الثالث : السابقية إلى كل عمل صالح .

الرابع : الدعاء والاستعانة بالله وحده لا شريك له .

فمن أكمل هذه الشروط جاءت حياة النبي ﷺ في حياته ، وهي مزاج جميع الأنبياء ، وبها يحفظ الله الأمة .

فالتضحية والمجاهدة كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

والاستقامة كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

والسابقية والمسارعة إلى الخيرات، كما قال سبحانه : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣- ١٣٤] .

وقال تعالى عن الأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠] .

والدعاء والاستغاثة والاستعانة بالله كما قال سبحانه : ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨] .

وقال الله تعالى عن نوح ﷺ : ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر:٩- ١٤] .

فالله بيده كل شيء ، وغيره ليس بيده شيء : ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة :

المحرمون من نظر الله إليهم يوم القيامة أصناف هم :

الصنف الأول : من يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنًا قليلا، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ٧٧] .

الثاني : من حلف بالله كاذبا ، ومن منع فضل ماء عن غيره .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ : رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ

كَاذِبٌ ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ العَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ : اليَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ » . متفق عليه [1] .

الثالث : الحاكم الذي يحتجب عن رعيته ، ولا ينظر في حاجتهم وفقرهم .

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ المُسْلِمِينَ شَيْئًا ، فَاحْتَجَبَ دُونَ خَلَّتِهِمْ ، وَحَاجَتِهِمْ، وَفَقْرِهِمْ ، وَفَاقَتِهِمْ، احْتَجَبَ اللهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُونَ خَلَّتِهِ، وَفَاقَتِهِ، وَحَاجَتِهِ، وَفَقْرِهِ ». أخرجه أبو داود وأحمد والترمذي [2].

الرابع : عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ » . أخرجه مسلم [3] .

الخامس : عن عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَة : الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالمُرْأَةُ المُتَرَجِّلَةُ ، وَالدَّيُّوثُ ، وثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ : الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ ، وَالمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى » . أخرجه النسائي وأحمد [4].

السادس : عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لَا يَنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلٍ أَتَى رَجُلًا أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا » . أخرجه الترمذي والنسائي [5] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٧٢١٢)، ومسلم (١٠٨) باختلاف يسير.

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود (٢٩٤٨) واللفظ له، والترمذي (١٣٣٢)، وأحمد (١٨٠٦٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٧).

(٤) صحيح/ أخرجه النسائي برقم: (٢٥٦٢) واللفظ له، وأحمد برقم: (٦١٨٠).

(٥) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١١٦٥)، والنسائي برقم : (٩٠٠١) .

السابع : عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ » . أخرجه مسلم[1] .

فهؤلاء جميعاً لا ينظر الله إليهم يوم القيامة .

اللهم أرنا الحق حقا ، وارزقنا إتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا ، وارزقنا اجتنابه ، اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت .

حكم أفعال العباد :

كل شيء في هذه الحياة واقع بمشيئة الله وقدره من الطاعات والمعاصي ، ومن الحسنات والسيئات ، وأفعال العباد كلها مخلوقة لله ، واقعة بمشيئة الله ؛ فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبدًا : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ ﴾[الزمر:٦٢-٦٣] .

والعبد فاعلٌ لفعله حقيقة ، يستوجب على فعله المدح أو الذم ، والثواب والعقاب ، ولكن كل أفعاله واقعة بمشيئة الله وإرادته : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾[الصافات:٩٦] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ ﴾[يوسف: ١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦ ﴾[فصلت:٤٦] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧١/ ١٠٦).

فأفعال العباد كلها مخلوقة لله ، وان كان لهم كسب ، يحاسبون عليها لأنهم اختاروها ، ولا ينسب الخلق لغير الله من أحد من الخلق فيكون شريكًا لله في الخلق، كما قال سبحانه : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الأعراف:١٩١] .

وقال الله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

أشرف الأعمال :

أشرف وظيفة يعمل بها العبد ، وأشرف مهنة يقوم المسلم هي الدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه ، وتفسير كتابه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

والصناعات تشرف بأحد ثلاثة أمور :

الأول : شرف موضوعها :

نحو أن يقال : الصياغة اشرف من الدباغة ، فإن موضوع الصياغة الذهب والفضة ، وهي أنفس المعادن ، وهي أشرف من موضوع الدباغات التي موضوعها الجلود .

الثاني : شرف صورها ، نحو أن يقال طبع السيوف أشرف من طبع القيود .

الثالث : شرف أغراضها ، كصناعة الطب التي غرضها الصحة فإنها اشرف من صناعة الكُناسة التي غرضها النظافة .

وبهذا نعلم أن تفسير القرآن العظيم ، وتعليم الأحكام الشرعية ، والدعوة إلى الله ، أشرف الأعمال ، وقد حصل لها الشرف من الجهات الثلاث .

فموضوع التفسير كلام الله الذي هو أحسن الكلام ، وينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ، وصورة فعله إظهار خفيات ما أودعه الله فيه من أسرار ، وغرضه التمسك بالعروة الوثقى ، والوصول للسعادة التي لا فناء لها :﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

٤ - الخزانة الرابعة

الأعمال بالخواتيم

المؤمن ضربان :

الأول : مؤمن يحبه الله ويواليه ، وهو من علم الله أنه يوافي ربه مؤمنا .

الثاني : مؤمن لا يحبه الله ولا يواليه ، وهو من علم الله أنه يموت كافرا ، هذا يبغضه الله لا لأجل إيمانه ؛ بل لأجل كفره الذي مات عليه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣] .

والكافر ضربان :

الأول : كافر يعاقب لا محالة ، وهو من مات كافرا ، فالله يبغضه ويسخط عليه لكفره الموافي به ربه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [البقرة:١٦١-١٦٢] .

الثاني : كافر لا يعاقب ، وهو من عاش كافراً ، ثم مات مؤمنًا بالله في آخر حياته ، فالله يحبه ويرضى عنه ، لا لكفره وإنما لإيمانه الموافي به ربه : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة: ٣٩] .

فالأمور بالخواتيم ، وبما كتبه الله في اللوح المحفوظ من الأقدار ؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما سيكون : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

فالله سبحانه راضٍ عن عمر رضي الله عنه في الوقت الذي كان يعبد الصنم ، ومريد لثوابه ودخوله الجنة لا لعبادته للصنم ، بل لإيمانه الموافي به ربه .

والله ساخط على إبليس في حال عبادته ، لكفره الموافي به ربه ، فالله سبحانه عالم بما يوافي به إبليس من الكفر بالله ؛ ولهذا لعنه الله .

والله عالم بما يوافي به عمر بن الخطاب ﷺ ، ولهذا رضي الله عنه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك:١٤] .

والله سبحانه محب لمن علم أنه من أهل الجنة ، وساخط على من علم أنه من أهل النار ، والأعمال بالخواتيم ، فنسأل الله أن يثبتنا على الحق وإياكم : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨] .

وعن عبد اللهَّ قال حدثنا رسول اللهَّ ﷺ وهو الصّادق المصدوق : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يجُمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ في ذلك عَلَقَةً مِثْلَ ذلك ، ثُمَّ يَكُونُ في ذلك مُضْغَةً مِثْلَ ذلك ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فيه الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ ، فَوَا الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حتى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عليه الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ، وان أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ

بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حتى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عليه الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا » . متفق عليه[1] .

فاللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، ويا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ، واستعملنا في عبادتك ، يا ذا الجلال والإكرام .

مقصود الأعمال الصالحة :

المقصود من كل عمل صالح ، تحصيل الصفات التي يحبها الله ، وعبادة الله ﷻ بموجبها ، فإذا لم تظهر تلك الصفات بعد العمل فلا زال القلب مريضا.

وكل صفة من الصفات الطيبة تخرج مرضًا من أمراض القلب .

فاليقين يخرج الشك ، وهدي النبي ﷺ يخرج هوى النفس ، والصلاة بخشوع وخضوع تخرج الغفلة ، والنسيان ، والعلم يخرج الجهل ، والذكر يخرج النسيان ، والإخلاص يخرج الرياء ، وحسن الخلق يخرج سوء الخلق ، وهكذا : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[الأحزاب:٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤].

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٠٨)، ومسلم : برقم (٢٦٤٣) باختلاف يسير.

والشيطان يجتهد على المسلم، لئلا يقوم بأي عمل صالح من دعوة، وعبادة، أو تعلم ، أو تعليم ، أو إحسان إلى الخلق ، فإن قمنا بذلك تسلط علينا الشيطان بإضاعة الأوقات، فإن لم يقدر اجتهد علينا لتكون أعمالنا لغير الله.

فإن لم يقدر اجتهد لإفساد أخلاقنا ، لتحصل العداوة وسوء الظن بيننا ؛ حتى لا نجتمع .

فإن لم يقدر علينا كجماعة اجتهد على كل فرد بإشغاله بالمباحات ، ثم ينقله إلى الصغائر ، ثم ينقله إلى الكبائر ، ثم ينقله إلى الردة ، هذه خطوات الشيطان في إضلال بني أدم فاحذرها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ ﴾[البقرة:١٦٨] .

سماحة الإسلام :

ما أعظم سماحة الإسلام ، فجميع الأوامر الشرعية في مقدور كل إنسان ، بل نحن نقدر على أكثر مما أمرنا الله به ، لكن الله رحيم بخلقه ، لم يكلف نفسًا إلا وسعها كما قال سبحانه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

فالصلوات الخمس هي الركن الثاني بعد الشهادتين تستغرق من المسلم ساعة تقريبًا من كل يوم ، والوقت الباقي كله للعبد .

والزكاة لا تجب على أي أحد ، بل تجب على من عنده مال معين ، وحال عليه الحول ، ومقدار الواجب جزء من واحد من أربعين جزءا ، وهو ربع العشر غالبًا ، والمال الباقي كله للعبد .

والصوم ثلاثون يومًا من ثلاثمائة وستين يوما ، والباقي كله للعبد .

والحج لا يجب على كل أحد ، بل يجب على المستطيع في العمر مرة واحدة وباقي العمر كله لك .

فلله الحمد على أن أمرنا بالقليل من العمل ، وجزانا بالعظيم من الثواب، وأعطانا العمر كله للتقرب إليه بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق، والفرائض والسنن :﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية: ٣٦ – ٣٧] .

هذا كله للدين ، أما جهد نشر الدين فله كل الأوقات ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

كيفية حياة المسلم

حياة المسلم لابد أن تكون مطابقة لحياة النبي ﷺ ؛ ليسعد في الدنيا والآخرة ، والمطلوب والواجب إتباع النبي ﷺ في خمسة أمور :

١ – إتباعه في نيته وفكره .

٢ –وفي توحيده وإيمانه .

٣– وفي أقواله الحسنة .

٤ –وفي أعماله الصالحة .

٥ –وفي أخلاقه الكريمة .

قال الله تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأعراف:١٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب:٢١] .

وهذا الفساد العظيم في العالم ؛ سببه فساد اليقين ، وفساد الأعمال ، الذي سببه ترك الدعوة إلى الله ، التي هي سبب لصلاح الأفراد والجماعات : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾[آل عمران:١٠٤- ١٠٥] .

وحتى يصلح اليقين ، وتصلح الأعمال ، لابد من أخذ العلاج من القرآن والسنة ؛ حتى يزول الفساد في العالم ، وذلك بالقيام بثمانية أعمال هي مجموع اعمال الرسول ﷺ التي قام بها بين أصحابه ، وجعلها الله سببًا لإزالة الفساد ، ونزول الهداية ، في كل زمان ومكان وهذه الأعمال هي :

أولًا : الدعوة إلى الله :

وهي أول عمل ، وأعظم عمل للمسلم في كل يوم ، فأما أن نتكلم أو نسمع عن لله وأسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه وإحسانه ، رجالًا ونساء وأطفالًا ، ونتكلم عن الغيبيات وأركان الإيمان الستة ، حتى يزيد الإيمان في قلوبنا ، وتحصل الهداية لنا ولغيرنا : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

ثانيًا : الجلسة الإيمانية :

بتذكر **سبعة أمور هي :**

الكلام عن الله .. وملائكته .. وكتبه.. ورسله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره وشره . والبعث بعد الموت ؛ ليزيد في قلوبنا الإيمان بالغيب ، وتأتي في قلوبنا الرغبة في الأعمال الصالحة : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

ثالثًا : حلقة فضائل الأعمال :

لتكون دافعًا للقيام بالأعمال الصالحة القولية ، والعملية مع المؤمنين ، مع الانقطاع عن أهل الغفلة : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨] .

رابعًا : ذكر الله وتلاوة القرآن في وقت معين كل يوم بالمحافظة على الأذكار والأدعية والتسبيحات المختلفة في أوقاتها ومقاديرها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[الأحزاب:٤١-٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الأعراف:١٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء:٧٩] .

هذه الأعمال هي الأساسية في كل يوم ، وإذا قمنا بها الله يرزقنا نور هذه الأعمال ، وبعد القيام بهذه الأعمال ، يأتي فينا حب الله ، وحب العمل الصالح ، ويزداد نور الإيمان في القلب، فنؤدي الصلاة بالخشوع والخضوع لله فرضًا أو نفلًا ، ويستجاب دعاؤنا :﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

وقال الله تعالى عن الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

وهذه الصلاة تكون قوية ، إذا أقيمت بعد القيام بتلك الأعمال الأربعة معاً انفرادية أو اجتماعية : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾[المؤمنون:١- ٣] .

انفرادية : كالأذكار ، والأدعية ، وتلاوة القرآن ، والنوافل .

أو اجتماعية : كالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

فإذا قيمت الصلاة بعد القيام بتلك الأعمال الأربعة التي تزيد الإيمان في القلب ، فنؤديها قوية بنور تلك الأعمال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤] .

خامسًا : كسب الحلال ، واجتناب كسب الحرام :

فلقمة من الحرام تضيع أجور الأعمال الصالحة ، فلا نعمل ولا نكسب إلا بسنة ؛ لنحصل على البركة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة:١٧٢] .

سادسًا : الاقتداء بالرسول ﷺ في أخلاقه مع كافة الخلق :

فالله ﷻ فرق الأخلاق الحسنة في الأنبياء :

ثم جمعها في سيد الأنبياء ، ثم فرقها في امة سيد الأنبياء كما قال عن رسوله ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وقال عز وجل عن أمته : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] .

سابعًا: اجتناب العصبية لبلد ، أو قوم ، أو مذهب ، أو غير ذلك من أعمال الجاهلية فالمسلم يفتخر بأنه من أمة الرسول ﷺ فقط : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت:٣٣].

فيفتخر المسلم بأنه من أمة الرسول ﷺفقط ، وأن عليه مسئولية العالم ، وبهذا تكون معنا نصرة الله وعملنا يؤثر في كل مكان : ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات: ١٣] .

٥- الخزانة الخامسة

فقه الإنفاق في سبيل الله

الإنفاق في سبيل الله يشمل كل شيء أمر الله بالإنفاق فيه ومنه ابتغاء وجه الله

ومن أعظم وجوه الإنفاق :

١- الدعوة إلى الله .

٢- وتعليم شرع الله .

٣- والإحسان إلى الخلق .

قال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾[البقرة:١ - ٣] .

فمن أعطاه الله مالًا فلينفق منه على المحتاجين ، ومن أعطاه الله علمًا فلينفق منه على أهل الجهل ، ومن أعطاه الله قدرة بدنية فلينفق من ذلك بمساعدة المحتاجين ، وهكذا وجوه الإنفاق تتعدد : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ ﴾[آل عمران:١٣٣- ١٣٤] .

ومن الإنفاق المالي :

١- الإنفاق على النفس والزوجة والأولاد والفقراء واليتامى والمساكين .

٢- والإنفاق في الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله .

فهذه الوجوه وأمثالها الإنفاق فيها عبادة يؤجر عليها العبد : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٩٥ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

والشح بالمال سفه في العقل ؛ لأن هذا المال إما أن يفنى في حياتك فتعدمه ، وإما أن يبقى بعد موتك فيرثه صالح فيكون أسعد به منك ، أو يرثه فاسد فتكون خلفت له ما يستعين به على الفساد .

و أفضل أوقات الإنفاق عند شدة الحاجة إلى الدعوة ، وإلى العلم ، وإلى المال ؛ ولهذا لا يستوي من أنفق من قبل الفتح ، وهو صلح الحديبية في ذي القعدة في سنة ست من الهجرة بمن أنفق بعده : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد:١٠] .

وذلك لأن الأوليين أنفقوا وقاتلوا وسبقوا وكان الإسلام في حاجة إليهم ولإنفاقهم فأنفق مما أعطاك الله من العلمِ ، والخلق ، والمالِ ، وغير ذلك مما وهبك الله ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

ومن الأعمال الصالحة التي يحبها الله .

الشفاعة ، وهي جلب الخير للغير ، بالتوسط للغير بجلب منفعة ، أو دفع مضرة فشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة لأهل الجنة أن يدخل الجنة من جلب المنفعة ، وشفاعته ﷺ فيمن يستحق النار ألا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخرج منها من دفع المضرة: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء:٨٥ -٨٦] .

والمؤمن عبد لله ، وليس عند العبد عمل إلا امتثال أوامر سيده بفعل الأوامر ، واجتناب النواهي : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]

ويجب على الإنسان أن يأكل من الطيبات ، لأمر الله بذلك ، ولحفظ حياته ، وليحمد الله عليها ، وليتعبد لله بذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

ومن امتنع من أكل الطيبات لغير سبب شرعي فهو مذموم ، لأنه ترك ما أباح الله له ، والسبب الشرعي :

إما أن يتعلق ببدنه كمن يمتنع من أكل اللحم ، لأن بدنه لا يقبله .

وإما أن يتعلق بدينه كمن يترك اللحم ، لأنه يخشى أن تتسلى به نفسه ، ويكون ذلك أكبر همه : ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم:٥٩] .

وإما أن يمتنع عنه مراعاة لغيره كما ترك عمر بن الخطاب ﷺ أكل الطيبات عام الرمادة ، واكتفى بالخبز والزيت حتى اسود جلده ، فالمؤمن إذا وجد أكل ، وإذا لم يجد صبر: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ

وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٢-٣٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [البقرة:١٦٨] .

أما الخبيث فيحرم أكله ، والخبيث نوعان :

الأول : خبيث لذاته : كالميته ، والخنزير ، والدم المسفوح ونحو ذلك .

والثاني: خبيث لكسبه ، كالمأخوذ من طريق الغش ، أو الربا ، أو السرقة ، أو الغصب .

فالأول محرم على جميع الناس أكله ، والثاني محرم على مكتسبه ، وليس محرماً على غيره إذا اكتسبه بطريقٍ مباح كما كان النبي ﷺ يعامل اليهود ، ويشتري منهم ، فقد مات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

فقه الأوامر الشرعية :

الفطرة من حيث هي فطرة تقبل الحق : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:٣٠] .

لكن إذا وجد موانع لم تتمكن من الهدى ، وكل أمر لا يحصل إلا بوجود سببه ، وانتفاء موانعه : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [البقرة:٨٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [البقرة:٨٦] .

والإيمان وحده لا يكفي لدخول الجنة ، بل لابد من عمل صالح يكون من علاماته ، وثمراته ، والعمل الصالح وحده لا يكفي لدخول الجنة بل لابد أن يكون صادرًا عن إيمان بالله فلابد من الأمرين معًا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ ﴾ [الكهف:١٠٧] .

والدين ركنان :

١- عبادة الحق .

٢- والإحسان إلى الخلق .

فلابد من هذا وهذا : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء:٢٣] .

وقرابة الإنسان ومن يجتمعون معه إلى الأب الرابع فما دون .

والإحسان إليهم يتفاوت بحسب القرب منه ، فكل من كان أقرب فهو أولى بالإحسان : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

فيجب عليك أيها المسلم من صلة العم أكثر مما يجب عليك من صلة أولاد العم وهكذا .

والإحسان عام يشمل : الإحسان بالقولِ ، والفعلِ ، والمالِ ، والجاه ، ويشمل : الإحسان إلى القريبِ ، والبعيدِ ، والإنسان ، والحيوان : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

ما يجب على المسلم :

الواجب على المسلم : القول الحسن ، والعمل الحسن .

والقول الحسن مركب من أمرين :

قول حسن في هيئته بأن يكون بلطف ، ولين ، وعدم شدةٍ ، أو غلظة : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[البقرة:٨٣] .

الثاني : قولٌ حسن في معناه بأن يكون خيرًا ، لأن كل قول حسن فهو خير : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[البقرة:٨٣] .

ومن ذلك الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتعليم شرع الله : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

وكل نعمة ، وكل خير من الله وحده لا شريك له ، وكل شر فمن النفس ، ومن الشيطان : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء:٧٩] .

وما يحصل للإنسان بسببٍ معلوم له صور :

الأولى : أن يضيفه العبد إلى الله وحده فيقول : هذا من الله ، هذا من فضل ربي ، لكمال يقينه على أن كل شيء من الله ﷻ : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣] .

الثانية : أن يضيفه إلى الله مقرونًا بسببه المعلوم كأن يقول : لولا أنّ الله أنْجاني بِفلانٍ لغرِقْتُ .

الثالثة : أن يضيفه للسبب المعلوم وحده ، مع اعتقاد أن الله هو المسبب كقول النبي ﷺ لعمه أبي طالب : « لَوْلا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِن النَّار » . متفق عليه[1] .

الرابعة : أن يضيفه إلى الله مقرونًا بالسبب المعلوم ب (ثُمَّ) كأن يقول : لولا الله ثُمَّ فلان لهلكت .

و هذه الأربع كلها جائزة .

الخامسة : أن يضيفه إلى الله ، وإلى السبب المعلوم ب (الواو) فهذا شرك كقوله : لولا الله وفلان لغرقت والصحيح أن يقول : لولا الله ثُم فلان لغرقت ؛ لأن فلاناً سبب ، والله بيده جميع الأسباب : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٨٨٣)، ومسلم برقم: (٢٠٩).

٦- الخزانة السادسة

فقه الأعمال الصالحة :

الحق هو الشيء الثابت ، والحق هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ من ربه إلى البشرية كافة : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [البقرة:١١٩].

والحق إن وُصف به الحكم الشرعي فهو العدل ، وإن وُصف به الخبر فالمراد به الصدق ، وكل دين الإسلام على هذا ، فأخباره صدق ، وأحكامه عدل : ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام:١١٥] .

والعمل الذي يصدر من الإنسان نوعان :

الأول : عمل القلب ، لأن القلوب لها أعمال كالجوارح مثل :

المحبة ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل على الله ﷻ ، ونحو ذلك مما لا يُدرك بالرؤية : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج:٣٢] .

الثاني : عمل بدني يُدرك ، وهو نوعان :

الأول : قولي وهو ما يصدر من اللسانِ من الكلام : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

والثاني : فعلي وهو ما يصدر من البدن : كالصلاةِ ، والجهاد ، والأكلِ ، والشرب ، ونحوهما ، والمؤمن يتعبد لله بكل ذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

والذنوبُ نوعان :

الأول : إذا كان الذنب في حق الله كترك واجب ، أو فعل محرم ، فإن الله لا يجمع للعبد فيه بين عقوبتين في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى:٣٠] .

الثاني : إذا كان الذنب في حق العباد إما اعتداء عليهم ، أو منع لحقهم ، فإن الله قد يجمع لفاعله بين العقوبتين :

عقوبة في الدنيا ، ليشفي قلب المظلوم المعتدى عليه .

وعقوبة في الآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾ ﴾ [البقرة:١١٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة:٣٣] .

فإن حقوق الله مبنية على المسامحة ، وحقوق الخلق مبنية على المشاحة .

والله سبحانه له الأسماء الحسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، ويحب من عباده أن يتصف بصفاته على شاكلة العبودية ،

كما قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

فالله كريم يحب من يكرم الناس ، وهو عفو يحب العافين عن الناس ، وهو رحمن يحب من يرحم الناس ، وهو محسنٌ يحب المحسنين .

فقه القرض الحسن :

والقرض الحسن هو ما وافق الشرع بالأمور الآتية :

الأول : أن يكون القرض قرضاً خالصًا لله ﷻ ، لا رياء فيه ، ولا سمعة ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥] .

وقال النبي ﷺ أن الله ﷻ قال : « أنا أغْنى الشُّركاء عن الشِّركِ ، مَنْ عَمِل عَمَلا أشرك فيه مَعي غيري تركتهُ وشِرْكَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

الثاني : أن يكون من مالٍ حلال ، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٧] .

الثالث : أن تكون نفسه طيبة به ، بحيث يفرح بالأجر أعظم مما يفرح المعطي بالعطاء ، كما كان ﷺ ، فالله أعطاك لتعطي ، والله جعلك اليد العليا ، وجعل غيرك اليد السفلى ، فلتطب نفسًا بما تقدمه لإخوانك المسلمين : ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن:١٧] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٦/ ٢٩٨٥).

الرابع : أن يكون الفرض في مرضات الله كأن يتصدق به على فقير ، أو مسكين ، أو مصالح عامة ، ونحوها ، لا فيما يغضب الله : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء:١١٤].

الخامس : أن لا يتبع ما أنفق مَنًّا ولا أذى ، فإن أتبعه مناً أو أذى بطل ثوابه، كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٤] .

وقال الله عز وجل : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

فقه تفاضل الأعمال الصالحة :

تفاضل الأعمال الصالحة يكون بعدة أمور :

١- بحسب العمل : جنسه أو نوعه .

٢- وبحسب العامل .

٣- وبحسب الزمان .

٤- وبحسب المكان .

٥- وبحسب الكيفية ، والمتابعة .

٦- وبحسب الإخلاص لله .

٧- وبحسب الحال .

فمثال العمل الصالح بحسب العمل جنسه ونوعه : كالصلاة أفضل من الزكاة ، والزكاة أفضل من الصيام ، هذا باعتبار الجنس .

ومثاله باعتبار النوع : الفريضة من كل نوع أفضل من النافلة كما قال الله ﷻ في حديث القدسي : « وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ به ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا » . أخرجه البخاري(١) .

ومثال [illegible] ﷺ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، » . متفق عليه(٢) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال الرسول ﷺ : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي [illegible] أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » . متفق عليه(٣) .

ومثال العمل الصالح بحسب الزمان : كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [القدر:١-٣] .

وقال ﷺ في عشر ذي الحجة : « مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ » . أخرجه البخاري(٤) .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » . متفق عليه(٥) .

---

(١) أخرجه البخاري برقم : (٦٥٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٦٧٣) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٤٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: ٣٦٧٣ ، واللفظ له، ومسلم برقم: ٢٢١/ ٢٥٤٠.

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٩٦٩).

(٥)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٠١٤)، ومسلم برقم: (٧٦٠)

ومثاله بحسب المكان : الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة ، والصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة ، والصلاة في سائر المساجد جماعة بسبعٍ وعشرين صلاة.

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المُسْجِدَ الحَرَامَ » . متفق عليه(١) .

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المُسْجِدَ الحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي المُسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ » . أخرجه أحمد وابن ماجة بسندٍ صحيح(٢) .

ومثال العمل الصالح بحسب الكيفية : كالخشوع في الصلاة كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾[المؤمنون:١-٣] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ ﴾ [الملك:١٢].

ومثال العمل الصالح بحسب المتابعة : أنه كلما كان الإنسان أتبع للرسول ﷺ كان عمله أفضل وأزكى كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ ﴾[آل عمران:٣١] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١١٩٠)، ومسلم برقم: (١٣٩٤).

(٢)صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٤٦٩٤)، وأخرجه ابن ماجة برقم: (١٤٠٦).

وقال الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة:٢٧] .

ومثال العمل الصالح بحسب الإخلاص : أنه كلما كان المسلم أشد إخلاصًا لله كان أكمل ممن خالط عمله شيء من الشركِ أو الرياء : ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢- ٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥] .

ومثال العمل الصالح بحسب الحال : العبادة بين أهل الغفلة ، والإعراض أفضل من العبادة بين أهل الطاعة والإقبال ، ولهذا كان للعامل في أيام الصبر أجر خمسين من الصحابة ، والعفة من الشاب أفضل من العفة من الشيخ « ومَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . متفق عليه [1] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨] .

اللهم فقهنا في الدين ، واجعلنا هداة مهتدين ، يا رب العالمين .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم: (٧١)، ومسلم برقم: (١٠٣٧).

٧- الخزانة السابعة

فقه الأعمال الصالحة :

الواجب على المسلم عندما يأمره الله ﷻ بالعمل أن ينظر إلى ثلاثة أمور :

١- مقام الربوبية .

٢- ومقام الألوهية .

٣- وذلة العبودية .

فبنظر العبد إلى مقام الألوهية يفعل هذا العمل الصالح تعبدًا لله سبحانه وتعالى ، لأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر:٥٤-٦٦] .

وبنظرة إلى مقام الربوبية يحذر المخالفة ؛ لأن الرب هو الذي له الخلقُ ، والملك ، والتدبر ، والتصريف فيجب على العبد أن يخافه فيتخذ التقوى عبادة لله ربه كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

وقال الله عز وجل : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

وبنظره إلى ذلة العبودية يعلم أن الله غني عن كل ما سواه ، وقادر على كل شيء ، وعليم بكل شيء ، ومحيط بكل شيء ، والعبدُ محتاج إلى ربه في

كل حال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر:١٥] .

أحكام الطاعات والمعاصي :

والعبدُ مأمور بطاعة ربه في كل حال فإن الله خالق كل شيء يسبح بحمده ، وخلق الإنس والجن لعبادته وحده لا شريك له كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٤] .

والمؤمن مأمور بفعل الطاعات ، واجتناب المعاصي .

ومن هَمَّ بالشيء المحرم من المعاصي والسيئات ، ثم تركه ، فله أربع حالات :

الأولى : أن يترك المحرم لله ، فيُثاب على هذا الترك ، وتُكتب له حسنة كما قال النبي ﷺ : قال الله ﷻ : « إذا تحَدَّثَ عَبْدِي بأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فأنا أكْتُبُها له حَسَنَةً ما لَمْ يَعْمَلْ، فإذا عَمِلَها، فأنا أكْتُبُها بعَشْرِ أمْثالِها، وإذا تحَدَّثَ بأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فأنا أغْفِرُها له ما لَمْ يَعْمَلْها، فإذا عَمِلَها، فأنا أكْتُبُها له بمِثْلِها. وَقالَ رَسولُ الله ﷺ: قالتِ الملائِكَةُ: رَبِّ، ذاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وهو أبْصَرُ به، فقالَ: ارْقُبُوهُ فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها له بمِثْلِها، وإنْ تَرَكَها فاكْتُبُوها له حَسَنَةً، إنَّما تَرَكَها مِن جَرَّايَ. وَقالَ رسولُ الله ﷺ: إذا أحْسَنَ أحَدُكُمْ [illegible] أمْثالِها إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُها تُكْتَبُ بمِثْلِها حتَّى يَلْقَى اللهَ. » . متفق عليه[1] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢)، ومسلم برقم (١٢٩).

وقال رسول الله ﷺ : « قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: إذا تحَدَّثَ عَبْدِي بأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فأنا أكْتُبُها له حَسَنَةً ما لَمْ يَعْمَلْ، فإذا عَمِلَها، فأنا أكْتُبُها بعَشْرِ أمْثالِها، وإذا تحَدَّثَ بأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فأنا أغْفِرُها له ما لَمْ يَعْمَلْها، فإذا عَمِلَها، فأنا أكْتُبُها له بمِثْلِها. وَقالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: قالتِ الملائِكَةُ: رَبِّ، ذاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وهو أبْصَرُ به، فقالَ: ارْقُبُوهُ فإنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها له بمِثْلِها، وإنْ تَرَكَها فاكْتُبُوها له حَسَنَةً، إنَّما تَرَكَها مِن جَرَّايَ. وَقالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إذا أحْسَنَ أحَدُكُمْ إسْلامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُها تُكْتَبُ بعَشْرِ أمْثالِها إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُها تُكْتَبُ بمِثْلِها حتَّى يَلْقَى اللهَ ». متفق عليه[1].

الثانية: إذا هَمَّ العبد بفعل السيئة ، ثم تركها عزوفًا عنها ، فهذا لا له ولا عليه، لعدم نيته كما قال النبي ﷺ : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفق عليه[2] .

الثالثة : أن يتمنى فعل المحرم ، ويحرص عليه ، ولا يعمل الأسباب التي يحُصله بها ، فهذا يُعاقب على نيته السيئة ، دون عقاب من فعلها ، فمن نوى خيرًا أو شرًا ولم يعمل لكن يُعاقب على النية لا على الفعل كما قال النبي ﷺ : « فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ ». أخرجه أحمد وابن ماجة [3] .

الرابع : أن يعزم على فعل المعصية ، ويفعل الأسباب ، ولكن يعجز عنها ، فعليه إثم فاعلها كمل قال النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال : « إِنّ الله كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسّيِّئَاتِ . ثُمّ بَيّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم: (٤٢)، ومسلم برقم : (١٢٩) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٧).

(٣) صحيح/ أخرجه ابن ماجه برقم:(٤٢٢٨)، وأحمد برقم: (١٨٠٢٤).

كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله ﷻ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ . وَإِنْ هَمّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمّ بِهَا فَعَمِلَهَا ، كَتَبَهَا الله سَيِّئَةً وَاحِدَةً » . متفق عليه[1] .

ومن عزم على فعل المعصية ، وفعل الأسباب ، لكنه عجز عن فعل المعصية فعليه إثم فاعلها .

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولُ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ». متفق عليه[2] .

حكم النسيان والجهل

النسيان ذهول القلب عن معلوم ، والجهل ارتكاب المخالفة بغير قصد المخالفة ، ويسمى الخطأ ، وقد رفع الله المؤاخذة بالنسيان ، والخطأ كما [illegible] ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] . « قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ » . أخرجه مسلم[3] .

ولا يلزم من رفع المؤاخذة سقوط الطلب بأداء العمل ، فمن ترك الواجب [illegible] انًا أو جهلًا وجب عليه قضاؤه لقول النبي ﷺ : « مَنْ نَسِيَ صَلاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا » . أخرجه مسلم[4] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٩١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٧٥)، ومسلم برقم: (٢٨٨٨)

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٠ / ١٢٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٧)، ومسلم برقم(٦٨٤) باختلاف يسير.

وقول النبي ﷺ للمسيء بصلاته : « ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ » . متفق عليه[1] .

ومن فعل منهيات جاهلًا أو ناسيًا فلا إثم عليه ولا كفارة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ » . متفق عليه[2] .

ولو أكل المسلم وهو صائم جاهلًا بالحكم أو الوقت فصومه صحيح .

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قَالَتْ : « أَفْطَرْنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ غَيْمٍ ، ثُمَّ طَلَعَتِ الشَّمْسُ قِيلَ لهِشَامٍ : فَأُمِرُوا بِالقَضَاءِ ؟ قَالَ : لاَ بُدَّ مِنْ قَضَاءٍ وَقَالَ مَعْمَرٌ : سَمِعْتُ هِشَامًا لاَ أَدْرِي أَقَضَوْا أَمْ لاَ » . أخرجه البخاري[3] .

ومن فعل المحرم عالمًا بالتحريم جاهلًا بما يترتب عليه من الحكم لم يسقط عنه الإثم ، ولا ما يترتب عليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلَكْتُ . قَالَ : مَا أَهْلَكَكَ ؟ قَالَ : وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي ، وَأَنَا صَائِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : هَلْ تجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا ؟ قَالَ : لا . قَالَ : فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟ قَالَ : لا . قَالَ : فَهَلْ تجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِيناً ؟ قَالَ : لا . قَالَ : فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تمرٌ قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ ؟ قَالَ : أَنَا . قَالَ : خُذْ هَذَا ، فَتَصَدَّقَ بِهِ . فَقَالَ الرَّجُلُ : عَلَى أَفْقَرَ مِنِّي : يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فَوَاللهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا أَهْلُ

---

(١)متفق عليه، خرجه البخاري برقم: (٧٥٧) واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٩٧) .

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٦٩)، ومسلم برقم: (١١٥٥) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٩٥٩).

بَيْتِي أَنْتَظِرُ : أَهْلِ بَيْتِي فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ . ثُمَّ قَالَ : أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ » . متفق عليه [1] .

والطاعات محبوبات رب العالمين ، والمعاصي يبغضها الرب سبحانه .

أسباب المعاصي :

المعاصي سببها أمران :

الأول : إتباع هوى النفس ، والنفس أمارة بالسوء، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف:٥٣] .

والثاني : الشيطان، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩١] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء:٣٨] .

فإذا اجتمعت النفسُ ، والشيطان ، على الإنسان انحرف إلى معصية الله بأنواع المعاصي ، والفواحش ، والكبائر : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ:٢٠] .

والمعاصي نوعان :

١- معصية يوحي بها الشيطان .

٢- ومعصية تصُر عليها النفس .

فمن حدثته نفسه بمعصية ، ولم تتراجع عنها ، بل أصرت عليها نفسها ، فهذه معصية من النفس ، كمن يصر على شرب الخمر ، أو الزنا ، أو غيرهما ؛

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٩٣٦) ، ومسلم برقم: (٨١/)١١١١ ، واللفظ له.

لأن النفس تريد المعصية من هذا اللون فقط ، لأنه يحقق لها الشهوة : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس:٧-١٠] .

أما الشيطان فهو يريد الإنسان عاصيًا لربه بأي شكل ، فإن عز عليه في باب من أبوب المعصية طرق عليه بابًا آخر فيصيده به : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [البقرة:١٦٨] .

فالشيطان يجر الإنسان من المُباحات ، إلى الصغائر ، إلى الكبائر ، حتى يرتد عن دين الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس: ٦٠ – ٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦] .

وأفضل أحوال العبد أن يكون عابدًا لربه ، ممتثلًا لأوامره ، مجتنبًا لنواهيه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج:٧٧- ٧٨] .

وحسن الأدب وكماله أن تُسمي الله على كل عملٍ صالحٍ ، وتستغفر الله عن تركها فيما مضى ، وتستغفر الله عن كل عبدٍ نسيها إذا عمل .

وكذلك تحمد الله على كل نعمةٍ أنعم الله بها عليك وعلى غيرك ، وتستغفر الله عن تركها على ما مضى من النعم ، وتستغفر الله عن كل عبدٍ ترك ذكرها.
وبذلك تحصل لك بركة هذا وهذا ، فكل فعل يفعله العبد ، أو يفعله الله ، له مكان ، وزمان ، وفاعل ، ومفعول ، وسبب ، وقدرة : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢] .

فهذه ستة أمور لا يملكها إلا الله وحده ، فحين أريد فعل شيء أستعين بالله ، وأعلقه بمشيئة الله ، وأقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، فتُسمي التسمية عند الأكل ، وعند الجماع ، وكذا عند تلاوة القرآن .
وحين أرى فعل الله ، ونعمه ، وإحسانه أقول : الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله ، فنسمي الله على ما نريد أن نفعل مستعينين بالله القادر على كل شيء، ونحمد لله على ما فعل الله لنا : ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣٧﴾ [الجاثية / ٢٦-٣٧].

٨- الخزانة الثامنة

فقه الفساد في الأرض :

الله جل جلاله جمَّل الكون بآياته الكونية ، وجمَّل الإنسان بأحكامه الشرعية : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[الحج:٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾[الملك:٥] .

وجمَّل الإنسان بأحكامه الشرعية : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[البقرة:١٣٨] .

وصلاح الإنسان بفعل ما أمره الله به ، واجتناب ما نهاه الله عنه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

والفساد في الأرض يكون بتغيير ما خلق الله .

وفساد الحياة البشرية يكون بنقل مجال الأمر ، وجعله في مجال النهي ، بنقل مجال افعل في لا تفعل ، ومجال لا تفعل في افعل ، أما المباح فلا يترتب عليه فساد ولا صلاح .

فقمة الفساد في الأرض أن تترك الواجبات ، وترتكب المنهيات ، أن تخرج بـ افعل ، ولا تفعل ، عما شرع الله ، فتعوق شرع الله أن يحكم الناس ، فيحصل الفساد ، لأن هذا يفعل كذا ، وذاك يفعل كذا ، فيحصل التصادم والفساد في الأرض : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأعراف:٥٦] .

فالصلاح بإتباع الهدى ، والفساد باتباع الهوى :﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ ﴾[طه:١٢٣-١٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠ ﴾ [القصص:٥٠] .

وقال الله تعالى:﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

وقال الله تعالى:﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢ ﴾ [الإسراء:٢٢] .

فمن نقض العهد ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، فقد أفسد في الأرض ، وخسر دنياه ، وآخرته ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥ ﴾[الرعد:٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ ﴾[الزمر:١٥] .

فمن أفسد الحياة والدين فقد خان الأمانة ، وعطل القلوب والألسن عن الحمد ، والثناء على الرب العظيم الذي له ملك السماوات والأرض ، وله ما في السماوات ، والأرض ، وله خزائن السماوات ، والأرض ، وله كل شيء ، ذو الفضلِ ، والأنعامِ ، والإحسان ، الذي أحسن خلق كل شيء

وأنزل أحسن الهدى والدين : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٢٣﴾ [الزمر:٢٣] .

وكل جميل يُنسب إلى الله ، ويحُمد عليه الرب ، من الأقوالِ ، والأعمالِ ، والأخلاقِ ، والأسماءِ ، والصفاتِ، وكل قبيح يُنسب إلى العبد، ويذم عليه : ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف:٥٦] .

وأصلُ كلِ فساد في الكون إخراج الشيء عن حده إلى ضده ، وأول اعتدالٍ في الكون هو التوحيد ، والعبادة لله وحده لا شريك له : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام:١] .

فأول اعتدال في الكون هو توحيد الله بذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وتوحيده بعبادته وحده لا شريك له ، فمن صرف ذلك لغير الله ، فقد فسد وأفسد ؛ لأن كل إنسان سوف يمشي على هواه ، والأهواء مختلفة ، فيحصل الفساد منك ، ومن غيرك ، ثم يكون الفساد العام ، وأول ظاهرة من ظواهر الفساد أن الأمر صادر عن هوى الإنسان : ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم:٤١] .

أقسام الناس في الدنيا :

الناس اثنان :

١- منهم من أدى الأمانة ، وهم المؤمنون .

٢- ومنهم من خان الأمانة ، وهم الكفار ، والمنافقون: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣] .

والدنيا كالجسد الكبير ، وروحها الدين ، وإذا خلت الدنيا من الدين أقام الله الساعة ، فلا سعادة للبشرية أبداً إلا بالإيمان بالله ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧] .

والله ﷻ أمرنا بالعمل بالدين ، ونشر الدين ، فالعمل بالدين هو أن يجعل المسلم حياته مطابقة لحياة النبي ﷺ : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة:١٣٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

والله ﷻ له أوامر على عباده يمتثلونها مع زيادة الإيمان ، ويخالفونها مع نقص الإيمان ، ومن هنا وجب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الله ، لتبقى الحياة آمنة مستقرة للجميع ، فيُعان صاحب الخير ، ويؤخذ على يد صاحب الشر : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

وبالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، تتحقق المنفعة ، وتزول المضرة ، والمنحرف عن سواء السبيل كسر حدًا من حدود الله نؤمن به ، فلابد من إعادته إلى الاستقامة بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وكذلك من سكت عن منكر يراه ولم ينكره لم يمته الله حتى يفعل ذلك الشيء ، ويراه غيره ، ولا يُنكره عليه : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِّ وَالوَاقِعِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا ، وَنَجَوْا جَمِيعًا » . أخرجه البخاري[1] .

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٤٩٣).

الأصول التي تؤدى بها الأعمال الصالحة :

كل عمل صالح نقوم به لابد له من صفات يؤدى بها سواءً كان صلاة أو ذكرًا أو صومًا أو زكاةً أو صدقةً أو حجًا أو تعليمًا أو دعوةً أو أي أمرٍ من أوامر الله في العبادات ، والمعاملات ، والآداب او غيرها : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] .

ومقصود العلم :

الخشية : لأن الخشية هي التي تدفع للعمل : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] .

فنقوم بأي عمل بست صفات ليكون صالحًا مقبولًا عند الله عز وجل :

الصفة الأولى : اليقين ، فنقوم بأى عمل صالح باليقين على أن في هذا العمل الصالح قضاء حاجتي ، وحل مشكلاتي : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:-٧١] .

الثانية : الإتباع ، فنقوم بالعمل بطريقة النبي ﷺ ، ونفعله كما فعله النبي ﷺ ، ونستحضر لو كان النبي ﷺ حاضراً أو في مكاني ماذا سيفعل في هذه الحال فأفعله كما فعله ﷺ إن علمت ، وإذا لم أعلم أسأل العلماء : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[النحل:٤٣] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[الأعراف:١٥٨] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه[1]

(١)**متفق عليه**، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧١٨) واللفظ له..

الثالثة : استحضار فضيلة العمل ، فالأعمال ثقيلة على النفوس ، وإذا عرفنا فضائلها ، وأجورها ، سهل القيام بها ، وتكرارها ، والمداومة عليها ، فنعرف فضائل الذكر ، والتسبيح ، والصلاة ، والصوم ، والحج ، والدعوة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وصلة الرحم وغيرها ليسهل القيام بها : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[التوبة:٧٢] .

وقد حث ﷺ في قيام رمضان : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » متفق عليه.(١) .

وقال ﷻ في الصلاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾[المؤمنون:١-٣] .

الرابعة : التوجه والمراقبة والإحسان ، بأن نستحضر أن الله يرانا ، ويسمع كلامنا ، في كل عمل ، فنراقب الله ، ونُحسن له العمل ، ونعبده كأننا نراه ، سواءً كنا في الخلوة أو مع الناس ، ونستحضر أن الله ﷻ مطلع علينا ، وسيجازينا بأعمالنا ومن أحسن عمله بحضرة الناس ، وأساء في الخلوة ، فقد استحضر عظمة المخلوق لا الخالق ، وهذا هو النفاق .

فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فالكيفية واحدة والله مطلع عليك في الحالين ، فأحسِن العمل لله وحده ، فالعبد حقاً من عمل لله بخلوة أو عند الناس على السواء : ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزمر:٢-٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

وإذا اتصفنا بالصفات التي يحبها الله انتشرت الصفات الإيمانية ، وإذا بيَّنا العلم انتشر العلم بدون صفات ، فصارت فتنة : ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾[آل عمران:١٩] .

وقال تعالى:﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾ [فاطر: ٢٨] .

الخامسة : الإخلاص ، فنُخلص العمل لله وحده لا شريك له ، لأنه الذي وفق إليه ، وهو الذي أعان عليه ، وهو الذي يُثيب عليه ، فأعمال الدين غالية ، وثمينة لا يستطيع أحد أن يدفع قيمتها إلا الله وحده :﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[البينة: ٥] .

والنية تجارة العلماء ، يربحون على الله ما لا يربحه سواهم ، فنُصحح النية ، ونوسعها ، والأجورُ بفضل الله على النيات لا على الأعمال فقط ، فمن نوى شيئًا من الخير ولم يتمكن منه كتب الله له أجره : ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤﴾[فاطر:٣٤] .

وكل من في السماوات والأرض لا يستطيع أن يعطيك ثواب تسبيحة واحدة فاخلص العمل لمن وعدك بأجره ، وهو الله وحده : ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢﴾[التوبة:٧٢] .

السادسة : المجاهدة ، فنُجاهد أنفسنا لنسارع إلى كل عمل صالح ، فنعظم أنفسنا مما تحب وتريد إلى ما يحبه الله ويريد ، ونبذل كل ما نملك من أجل رضا الله ، ونحب ما يحب فيما بيننا وبينه من العبادات ، وفيما بيننا وبين خلقه من المعاملات ، ونقوم بالدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتعليم الدين ، والإحسان إلى الخلق : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾[الحج: ٧٨] .

فمن قَدَّم مراد الله على مراد نفسه ، فهو العبد حقاً .

ومن قام بالعمل بهذه الصفات الست التي ذكرناها تحصل على موعودات الله في الدنيا ، والآخرة ، ومن قام بالعمل ، وقد أخل بإحدى هذه الصفات لم يحصل له الموعود على العمل .

ولا يخرج من الخسارة إلا من حقق أربعة أمور كما قال سبحانه : ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾[العصر/ ١-٣].

٩- الخزانة التاسعة

أسرار الاستعادة :

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه:٨] .

وكل مخلوق مطبوع على أربع صفات ، ضعيفٌ فقيرٌ عاجزٌ محتاجٌ ، والله وحده هو الغني من كل وجه ، القادر من كل وجه ، القوي من كل وجه .

وأعوذُ بالله من الشيطان الرجيم عروجٌ من الخلق إلى الخالق ، ومن العبيد إلى الملك ، وأعوذ إقرارٌ من العبد على نفسه بالعجزِ والحاجةِ والفاقة ، وبالله إقرارًا من العبد بأن الله وحده قادر على إعطاء كل الخيرات ، ودفع كل الآفات ، فيفر العبد من نفسه ، ومن غيره إلى ربه ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

ومن عرف نفسه بالفقرِ ، والعجزِ ، والضعف عرف ربه بالقدرةِ ، والقوةِ ، والغنى : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨] .

فسبحان من خلق المخلوقات ، ليدل على كمال قوته وقدرته ، وكمال حلمه وإحاطته : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢] .

ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بكمال العلم ، ومن عرف نفسه بالظلم والسوء عرف ربه بكمال الجلال ، والجمال : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

والقرآن العظيم من أعظم مجامع الخيرات ، والبركات ، ومن قرأ القرآن أفاده عبادة الرحمن ، ومن تفكر في وعده وعيده ، وآياته ، وبيناته ، ازدادت رغبته في الطاعات ، ورهبته من المحرمات ، فلهذا صارت قراءة القرآن من أعظم الطاعات ، ومن أجل هذا أمر الله ﷻ بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن كما قال سبحانه : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [النحل:٩٨-٩٩] .

والقرآن العظيم : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٩] .

والقلب إذا تعلق بغير الله تنجس ، واللسان إذا جرى بغير ذكر الله تنجس ، وحصل فيهما نوع من اللوث ، وطهورهما بأعوذُ بالله ، فإذا طهُر صار الإنسان مهيئًا للتعبد بذكر الله فيقول : بسم الله الرحمن الرحيم .

أعداء الإنسان :

لكل إنسان عدوان :

١- ظاهر من الإنس .

٢- وباطن من الجن .

والعبد مأمور بمحاربتهما ، ومحاربة العدو الباطن أولى من محاربة العدو الظاهر ، لأن العدو الظاهر إن وجد فرصة ففي متاع الدنيا ، والعدو الباطن إن وجد فرصة ففي نقض التوحيد ، والإيمان ، وترك الأعمال الصالحة .

والعدو الظاهر إن غلبنا كنا مأجورين ، والعدو الباطن إن غلبنا كنا مفتونين .

ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدًا ، ومن قتله العدو الباطن كان طريدًا ، فكان الاحتراز من العدو الباطن أولى ، وذلك لا يكون إلا بأن يقول الإنسان بلسانه وقلبه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هذا هو العدو الباطن .

وإذا حاربت عدوك الظاهر كان ممدك المَلك : ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٥] .

وإذا حاربت عدوك الباطن كان مددك الملك جل جلاله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر:٤٢] .

وقلب المؤمن أشرف البقاع ، لما فيه من الإيمان والتوحيد ، ومعرفة الله بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، والخضوع ، والخشوع لربه ، فهو يطالع كل آن جلال الربوبية ، ويرى في نفسه ذلة العبودية ، فيُثمر ذلك الحب ، والتعظيم ، والذل لربه العظيم ، والإحسان إلى خلقه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:٢٨] .

ولهذا صار القبر روضة من رياض الجنة ، لأنه صار مكان عبد صالح ميت ، وقد جعل الله لكل مؤمن جنتين : جنة في الدنيا ، هي جنة المعرفة ، والإيمان بالله ، وعبادته وحده ، وجنة في الآخرة وهي الجنة ، ورضوان الرب ، ورؤيته ، ومن دخل جنة الدنيا أدخله الله جنة الأخرة : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال عن جنة الآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧] .

وقال عنهما معًا : ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن:٤٦] .

وكما أخرج الله إبليس من الجنة إكرامًا لآدم ﷺ وإسعاده ، فيجب على العبد في الدنيا أن يخرج عدوه الشيطان من قلبه ، لئلا يعطله عن عبادة ربه ، وعليه أن يستعين بربه ، ليحميه من عدوه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٦] .

والشيطان عدو الإنسان في كل حال ، فلا يليق بالمؤمن أن يكره الشيطان بقلبه ، ويطيعه فيما أمره به بجوارحه ، بفعل المحرمات ، ويخالفه في فعل الخيرات ، والإنسان يوافقه في كل المُرادات : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر:٦].

فلا يغرنك الشيطان بوسوسته ، فقد أقسم لأبيك آدم أنه له من الناصحين ، ثم سعى في إخراجه وزوجه من الجنة لما أكلا من الشجرة : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأعراف:٢١] .

وأما في حقك أيها الإنسان فقد أقسم بالله أن يُضِلك ويغويك : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص:٨٢-٨٣] .

فإذا كانت هذه معاملة الشيطان مع من أقسم أنه له ناصح فكيف ، تكون معاملته مع من أقسم أنه يضله ويغويه كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ ﴾[النساء:١١٧- ١٢٢] .

فلا إله إلا الله كم أضل الشيطان الخلق : ﴿ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يس: ٦٢] .

فقه الاستعاذة :

المؤمن أسعد ما يكون إذا كان بجوار الرحمن : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

المؤمن أسعد ما يكون إذا كان بجوار الرحمن الذي خلقه ، وأنعم عليه وهاداه ، ولا يرضى بجوار الشيطان ، لأن الشيطان عاصٍ لله ورسوله ، ويأمر بمعصية الله ورسوله ، والمؤمن لا يرضى بجوار العاصي ، فكيف يرضى بجوار عين المعصية : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾[النساء:١١٩- ١٢٠] .

و إنما نفذ كيد الشيطان في بني آدم ، لأنه يراهم وهم لا يرونه : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[الأعراف:٢٧-٢٨] .

فلبتو جه العبد في دفع شر الشيطان عنه إلى ربه الذي يرى الشيطان ، ولا يراه الشيطان : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

والمؤمنون أولياء الرحمن ، والكفار أولياء الشيطان ، وأكثر الناس غرهم الشيطان فاتبعوه إلا القليل : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[سبأ:٢٠] .

والله رحمن رحيم أرسل رسله ، وأنزل كتبه ، رحمة للعالمين ، وإبليس شيطان رجيم ، فإذا أردت أن تقرأ كتاب الرحمن الرحيم ، فابتعد عن الشيطان الرجيم ، لتصل إلى الرحمن الرحيم ، وقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم .

ولك أيها الإنسان عدو غائب عنك لا تراه ، لكنه ليس بغافل عنك ، فإذا كسرك العدو الغائب ، فافزع إلى الحبيب الغالب : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يس:٦٠-٦٢] .

والمؤمن إذا قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فإنما يستجير بالله ، ويلجأ إلى رحمة الله وعظمته ، ويتصل بفضل الله ورحمته .

والاستعاذة هي التجاء إلى الله في جلب المنافع ، ودفع المضار .

أركان الاستعاذة بالله :

لا تتم الاستعاذة بالله إلا بثلاثة أمور :

علمٌ .. وحالٌ .. وعملٌ .

فالعلم أن يعلم العبد أنه عاجز عن جلب المنافع الدينية والدنيوية بنفسه ، وأنه عاجز عن دفع المضار الدينية والدنيوية بنفسه ، ويعلم أن الله وحده هو القادر على ذلك كله : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

فإذا حصل هذا العلم تولد في القلب حال الانكسار بالتضرع إلى الله ، والخضوع له ، واللجوء إليه ، والاستعاذة به من عدوه ، ولا يستعيذ بالله حقاً إلا من عرف عزة الربوبية ، وذلة العبودية ، وحينئذ يحصل في قلبه الطلب ، وفي لسانه النطق بذلك الطلب : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

ولا خلاص من ظلمات الكفر والشرك ، والضلالات إلا بإيمان العبد برب الأرض والسموات : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾[الكهف:١٧] .

فكل عبد محتاج إلى ربه في خلقه ، ورزقه ، وهدايته ، وعلمه ، وعمله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر:١٥] .

وقد رَكَّب الله في كل إنسان هذه الحواس الخمس التي تجر القلب من عالم العلويات والروحانيات ، إلى عالم السفليات والجسمانيات ، ولا خلاص له من هذه الظلمات إلا بعون الله وتوفيقه ، اللهم اهدنا الصراط المستقيم حتى نقول بقلوبنا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾[الفاتحة : ٥-٦] .

أقسام اللذات العاجلة :

اللذات العاجلة في هذه الدنيا قسمان :

أحدها : اللذات الحسية من مأكول ، ومشروب ، ومركوب ، ومسكون ، ومنكوح ، ونحوها من الشهوات .

الثانية : اللذات الخيالية : كلذة الرئاسة ، والمناصب .

والإنسان كلما كان أقل حظًا من هذه اللذات لم يلتذ بها ، ولم يشعر بها ، وإذا لم يشعر بها قلت رغبته فيها ، وكلما كان أكثر فوزًا بتلك المطالب التذَّ بها ، وقويت رغبته في تحصيل الزائد منها ، وذلك يحرمه من المطالب الدنية العالية ، فلا خلاص له منها إلا بالاستعاذة بربه على تحصيل ما ينفعه ، ودفع ما يضره : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة:٢- ٧] .

فقه المستعاذ به :

المستعاذ به ورد في القرآن على وجهين :

الأول : أن يقول العبد : أعوذ بالله كما قال سبحانه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦ ﴾ [فصلت: ٣٦] .

الثاني : أن يقول : أعوذ بكلمات الله التامات ، وكلمات الله هي أوامره الملكية ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣ ﴾ [يس:٨٢-٨٣] .

والأولى أكمل ، لأن من عرف الله لم يستعذ إلا به ، لأنه لا يري أحد سواه ، ولا رب إلا هو : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١ ﴾ [التوبة:٥١] .

ولابد للعبد عند قراءة القرآن أن يتعوذ بالله ، لأن العبد قد ينجس لسانه بالكذب ، والغيبة ، والنميمة ، فأمره الله بالتعوذ ، ليصير لسانه طاهرًا : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ ﴾ [النحل:٩٨-٩٩] .

١٠- الخزانة العاشرة

فقه الأعمال الصالحة :

الأعمال الصالحة هي كل ما يُقرب إلى الله مما جاء في القرآن والسُنَّة ، والله سبحانه كريم يُعطي على الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة .

كما قال سبحانه : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ [البقرة:٢٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة:٢٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن:١٧] .

والأعمال التي لا تدخل الموازين يوم القيامة لعظيم أجرها ثلاثة :

الأول : الصبر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر:١٠] .

الثاني : العفو ، كما قال سبحانه : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى : ٤٠]

الثالث : الصوم

قال النبي ﷺ : « قال اللهُ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلا الصِّيَامَ ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ » . متفقٌ عليه[1] .

وكل عملٍ صالح لا يقبل إلا إذا كان مبنيًا على أساس الإيمان بالله ﷻ كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

وأعمال الجوارح مربوطةٌ بأحوال القلوب :

وأعجب ما في الإنسان قلبه ، لأن فيه مواد من الحكمة وضدها ، إن سنح له الرجاء أولهه الطمع ، وإن هاج له الطمع أهلكه الحرص ، وإن سجنه اليأس قتله الأسف ، وإن أصابه الغضب اشتد به الغيظ ، وإن ناله الخوف شغله الحُزن ، وإن أصابته المصيبة قتله الجزع ، وإن وجد مالًا أطغاه كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾[العلق:٦-٧] .

فإن وجد مالًا أطغاه الغنى ، وإن عضته فاقة شغله البلاء ، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الأنبياء:٣٥] .

فكل حالةٍ من أحوال القلب مستندةٌ إلى حالةٍ قبلها خيرًا أو شرًا .

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أَلا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه[2] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم: (١٩٠٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦١/ ١١٥١).

(٢) متفق عليه ،أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، ومسلم برقم: (١٠٧/ ١٥٩٩).

ولا خلاص له إلا بتفويض أمره إلى ربه ، والتسليم لحكمه ، وإتباع شرعه : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾ [النساء:٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢ ﴾ [البقرة:١١٢] .

ولا طمأنينة للعبد ، ولا سكون لقلبه إلا بتقديم ما يحبه ربه على ما تحبه نفسه ، والاشتغال بذكره عن الانغماس في شهوات نفسه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩ ﴾ [الرعد: ٢٨ – ٢٩] .

والدين إيمانٌ وعمل ، وثوابٌ أو عقاب :

وليس الدين بالأماني والأكاذيب ، ولكن لكل عملٍ حكم شرعي ، كما قال سبحانه : ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ ﴾ [النساء:١٢٣] .

ومن أماني العرب الكاذبة : ﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ ﴾ [سبأ:٣٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩ ﴾ [الأنعام:٢٩] .

ومن أمانى أهل الكتاب : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾[البقرة:١١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[البقرة:٨٠ -٨٢] .

فقه الكمال الإنساني :

كمال الإنسان من حيث هو إنسان يكون بأمرين :

الأول : التخلي عن الرذائل .

الثاني : التحلي بالفضائل .

وكمال المسلم يكون مع هذا بأمرين : أن يكون صالحًا في نفسه ، ومُصلحًا لغيره ، كالثلج باردٌ في نفسه مُبردٌ لغيره ، وكالمصباح مُضيءٌ بنفسه مضيءٌ لغيره ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر/ ١-٣].

وقال تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأعراف:٣٥].

والله ﷻ هو الملك الحق الذي له الخلق والأمر ، وإليه يُرجع الأمر كله ، ولا يقبل الله من أعمال العباد إلا ما كان صالحًا ، وتحققت فيه ثلاثة شروط :

أولًا : أن يكون خالصًا لله : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [البينة:٥] .

ثانيًا : وأن يكون مشروعًا بالسُنَّة النبوية : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧ ﴾ [الحشر: ٧] .

ثالثًا : وأن يكون صاحبه مؤمنًا كما قال سبحانه : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٧ ﴾ [النحل:٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٢٧ ﴾ [المائدة:٢٧] .

وأما الكافر فينتفع بعمله الصالح في الدنيا : كبِر الوالدين ، وصلة الرحم ، وإكرام الضيف ، والإحسان إلى الجار والفقير ، فيُعطى في الدنيا صحةً وأموالًا وأولادًا حسب مشيئة الله ﷻ ، أما في الآخرة فليس له إلا النار بفقده الإيمان كما قال سبحانه: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ۝٢٣ ﴾ [الفرقان: ٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ۝١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ۝١٩ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ۝٢٠ ﴾ [الإسراء:١٨-٢٠] .

والله سبحانه سوف يسأل كل إنسان عما عمل إخلاصًا ومتابعة :

فيُسأل الإنسان يوم القيامة عن أفعال جوارحه فيُقال : لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ، ولم نظرت إلى ما لا يحل لك النظر إليه ، ولِمَ عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه ؟ ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الإسراء:٣٢] .

وتُسأل الجوارح وتشهد بما فعل صاحبها :

كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[يس:٦٥] .

ويُسأل الإنسان عن كل ما عمل كما قال سبحانه : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الحجر:٩٢-٩٣] .

وإذا عرف العبد أنه سيُسأل عن هذا بادر إلى طاعة ربه ، واجتنب معصيته كالأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

ومن رحمة أرحم الراحمين أن أمر كل مسلم ومسلمة بلزوم البيئة الإيمانية ؛ ليقوى على الأعمال الصالحة ، فيجب على المسلم لزوم البيئة الإيمانية ؛ ليزيد إيمانه ، وينشرح صدره للإقبال على الطاعات ، والبعد عن المعاصي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨]

فالبيئة الإيمانية بيئة الأعمال الصالحة يستفيد منها المسلم خمس كرامات :

الأولى : يتعلم الدين .

الثانية : يعمل بالدين .

الثالثة : يثبت على الدين .

الرابعة : يترقى في الدين .

الخامسة : يدعو إلى الدين .

وإذا كان المسلم عالمًا أو كبيرًا فعليه أن يوقر أهل الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإن كانوا فقراء أو ضعفاء ، ويُسلم عليهم ، ويرفق بهم ، ولا ينفرهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٥١ - ٥٢].

وقال ﷻ : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام:٥٤] .

وهذه البيئة الإيمانية محل سخرية الكفار ، وقد جعلها الله فتنةً لهم :

كما قال سبحانه : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الشعراء:١١١] .

وقال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام:٥٣] .

وقال سبحانه : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقد خلق الله الإنسان وكرمه بأن سخر له ما في السماوات وما في الأرض ؛ ليتفرغ لعبادة ربه ، ويتجاوز المخلوقات إلى خالقها :﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[لقمان:٢٠] .

وخلق الله مع الإنسان مخلوقاتٍ عظيمة هي الملائكة والشياطين ، فالملائكة تقوى في الجو الإيماني ؛ لأنهم لا يعرفون إلا الطاعات ، فهم : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنبياء:٢٠].

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦] .

فالملائكة تقوى في الجو الإيماني ، وتفر من الجو الغافل . والشياطين تقوى في الجو الغافل ، وتفر من الجو الإيماني :﴿ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾[النساء:٣٨] .

الجو الإيماني :

الجو الإيماني جوٌ ملائكي ، لا سلطان للشياطين عليه ، إنما سلطان الشيطان في جو الغفلة والمعاصي ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[الحجر:٤٢] .

وقال ﷻ عن الشيطان : ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[النحل: ١٠٠] .

والدعوة إلى الله تقلب الأجواء الغافلة إلى أجواءٍ إيمانيةٌ ذاكرة ، المُربي فيها هو الله سبحانه ، وإذا تركنا الدعوة إلى الله ابتُلينا بالشياطين ، والحرمان من حضور الملائكة ، وكثرة المصائب والمعاصي ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[ص:٨٢-٨٣] .

وإذا كنا في الجو الإيماني سعِدنا بالملائكة ، وسلمنا من الشياطين ، وكثرت الطاعات ، وصلحت الأحوال ، وقلت المعاصي .

وفي الجو الإيماني يزيد الإيمان ؛ لأننا فيه نسمع عن الله ، وعن اليوم الآخر ، نسمع طاعة ، ونرى طاعة ، ونعمل بطاعة ، ونعلم طاعة ، فالزم ذلك: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨]

الجو الغافل :

وفي الجو الغافل نسمع الباطل ، ونرى معصية ، ونعمل بمعصية ، وندعو إلى معصية ، فينقص الإيمان فاحذر ذلك : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[الأنعام:٦٨] .

فالمؤمن ينأى بنفسه عن الأجواء الغافلة ، ويحركها إلى الأجواء الذاكرة :﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾[النساء:١٤٠] .

فسوق الطاعات في الجو الإيماني قائمة ، وسوق المعاصي خاسرة ، والدعوة إلى الله تجعل الجو الإيماني عالميًا ينفع كل البشرية ، فإن كان جهد الدعوة محليًا أو وطنيًا سهل على العدو ضربه ، وإذا انتشر في العالم دمغ الباطل ، ولم يتمكن العدو من القضاء عليه :﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

وقال الله تعالى:﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ ﴾ [الإسراء:٨١] .

والدين سهلٌ كتقوى ، صعبٌ كفتوى :

وفي عهد النبوة مدرستان :

الأولى : مدرسة التقوى لعامة الصحابة ، فهم يتعلمون من النبي ﷺ ويعملون .

الثانية : مدرسة الفتوى خاصةٌ بأهل العلم والفتوى ، كالخلفاء الأربعة ، ومعاذ بن جبل ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم من كبار الصحابة رضي الله عنهم .

فعموم الصحابة أخذوا صفات النبي ﷺ وعمله ، أما علمه فأخذه خواص الصحابة الذين ورثوا علمه ؛ ليبلغوه أمته .

فقه الدين :

بالدعوة إلى الله ينتشر الإيمان في العالم : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

والسعادة في الدنيا والأخرة تحصل للناس بشيئين :

الأول : عبادة الخالق وحده لا شريك له .

الثاني : حُسن الخُلق مع الخلق بالأخوة والمحبة : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦] .

وهذه هي الشريعة ، والشريعة لها غاية ، هي رضا الله ، ودخول الجنة ، ولها وسيلة وهي الإيمان ، والأعمال الصالحة ، وحسن الخُلق مع الخلق .

وأنفع الناس للناس هو الداعي إلى الله ؛ لأنه يدلهم على كل خير ، ويحذرهم من كل شر ، ومن دعا إلى الله وذكره وعبده في الأرض ، ذكره الله في الملأ الأعلى ، واستغفرت له الملائكة : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة:١٥٢] .

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

أفضل الأعمال :

قال الله تعالى : ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف:٤٦] .

والباقيات الصالحات كل عملٍ صالح يرضي الله ﷻ كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف:٤٦] .

و قال ﷻ : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ:٣٧] .

لهذا يجب علينا فقه الدنيا ، وفقه الآخرة ، يجب علينا معرفة الدنيا والواجب فيها ، ومعرفة الآخرة وكيف نعمُرها : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد:٢٠] .

وإذا عرفنا ذلك ، فيجب أن نُبادر ، ونُسارع ، ونُسابق إلى الأعمال الصالحة، كما قال سبحانه :﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢١].

وقال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

فالمؤمن حقًا هو من بادر إلى امتثال أوامر الله تعظيمًا لله ، وتعظيمًا لأوامره ، ومسارعةً إلى طاعته : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:-٧١] .

ولأن الله ﷻ أمرنا بالمبادرة إلى طاعته ، وأثنى على من فعل ذلك ، ووبخ من لم يُبادر إلى ذلك ، وتخويفه بالموت الذي قد يهلكه قبل الفعل بغتة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

وقال تعالى عن المؤمنين : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦١] .

وقال الله تعالى عن الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

وقال تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٢٩-خزائن الأعمال الصالحة

القسم الثاني

وتشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٢٩-خزائن الأعمال الصالحة

١- الخزانة الأولى

فقه خلق الدنيا والأخرة :

الله ﷻ خالق كل شيء ، وخلق الله كله في منتهى الحكمة والرحمة ، والعدل والإحسان .

خلق الله الدنيا وعجلها ، وخلق الآخرة وأخرها ، فالدنيا تأنيث الأدنى ، وهي في غاية الدناءة والدنو ، فهي عرضٌ عاجل الآن ، وهي دنيا قليلٌ ما فيها بالنسبة لمِا في الآخرة ، فكأنها كالميتة بالنسبة للآخرة التي كلها حياةٌ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [فاطر: ٥] .

فالله الذي خلق الدنيا أخبرنا عنها ، وأمرنا فيها بتكميل محبوباته من الإيمان والتقوى والأعمال الصالحة ، و الله ﷻ يُكمل محبوبات المسلم في الآخرة بما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة:١٧] .

ففي الدنيا نُكمل محبوبات الرب جل جلاله من جميع أنواع الأعمال الصالحة ، والله يُكمل محبوباتنا في الآخرة : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة:٧٢].

وكل ما يفعله الإنسان في الدنيا أثره راجعٌ إلى نفسه ، فإن كان شرًا فهو يجني شرًا على نفسه ، وإن كان خيرًا فهو يجلب الخير لنفسه، كما قال سبحانه : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿٧﴾ ﴾ [الإسراء:٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم:١٤-١٦] .

وجميع حركات الإنسان في الدنيا إنما يبني بها مسكنه الذي سيصل إليه يوم القيامة ، ويخلد فيه .

فالإنسان قائمًا ، وقاعدًا ، متكلمًا ، وسامعًا ، مُعطيًا ، ومانعًا ، إنما يبني بهذه الحركات منزله ، ومقره النهائي ، يبني له إما قصرًا من قصور الجنة يخلد فيه ، أو يبني به سجنًا من سجون جهنم يخلد فيه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة: ٦٨] .

فعلى المسلم أن يحفظ أوقاته في طاعة الله ، وأن ينظر في أقواله وأفعاله ، فيختار الطيب على الخبيث ، والحق على الباطل ، والحسن على القبيح ، فليس للإنسان إلا ما جناه ، ولا حصاد له إلا من زرعه :﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم:٣٩-٤١] .

وقال الله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت:٤٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦] .

فقه العمل :

الأعمال جمع عمل، والعمل هو ما يصدر عن الإنسان من خير كالطاعات، أو شر كالمعاصي ، والعمل الذي يزينه الشيطان ، ويُثاب الإنسان على تركه ، ويُعاقب على فعله ، **أربعة أقسام** :

الأول : فعل الجوارح كالقتل ، والزنا ، والغصب ، والسرقة ونحو ذلك .

الثاني : القول ؛ لأن القول فعل اللسان، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل:١١٧-١١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

الثالث : العزم المصمم ؛ لأن عزم الإنسان وتصميمه على الفعل بحيث لا يمنع منه إلا العجز عنه فعلٌ، كما قال النبي ﷺ : « إذا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ في النَّارِ » . قيل : هذا الْقَاتِلُ فما بَالُ الْمَقْتُولِ ، قال : « إنه كان حَرِيصًا على قَتْلِ صَاحِبِهِ » . متفقٌ عليه[1] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٧٥)، ومسلم برقم: (٢٨٨٨).

أما الهم بالفعل ، ثم يتركه خوفًا من الله ، فهذه سيئةٌ تُكتب له حسنة .

الرابع : الترك ، فترك المأمور به أفعالٌ يزينها الشيطان ، يدخل صاحبها بها النار ، ويُثاب بفعلها ، فيدخل الجنة ، فترك الأمر بالمعروف فعل، كما قال سبحانه عن أهل الكتاب : ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[المائدة:٦١-٦٣] .

وترك النهي عن المُنكر فعل يُذم فاعله، كما قال سبحانه : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[المائدة:٧٨-٧٩] .

فعلى الإنسان أن يتفقد نفسه ، ويُسارع إلى امتثال أوامر ربه ، واجتناب نواهيه ؛ لئلا يكون من الغافلين ، فيسرقه الشيطان ، ويدخل في حصنه ، ويتبع خطواته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[البقرة:١٦٨-١٦٩] .

فقه الغفلة :

الغفلة هي الشرود عن الشيء ، وخروجه عن الذهن للاشتغال بغيره ، وإذا غفل الإنسان أسره الشيطان ، وأدخله في حصنه ، وإذا غفل الإنسان فاته مطلوبه ، ووقع في الخطأ : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨]

والله ﷻ لا يغفل أبدًا ، فعلمه محيطٌ بكل خلقه . : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾ [سبأ:٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق:١٢] .

فالله لا يغفل عما يفعله الظلمة ، ولكنه يُمهل ولا يُهمِل ؛ ليزداد الظلمة إثمًا ، ولعلهم يتوبون ؛ ولتكون عقوبتهم أشد يوم القيامة، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٨] .

وكما قال سبحانه عن الكفار : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [التوبة:٥٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم:٤١] .

فكل ما يعمله الكفار والظلمة ، فالله مدخره لهم ، ومجازيهم عليه ، وليس الله بغافل عما يعمله المسلمون من الخير والحسنات ، وهو مدخره لهم ، ومجازيهم عليه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٦-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٠] .

فجميع الأعمال خيرها وشرها ، تحُفظ عند الله ، ويجُازي بها أهلها يوم القيامة : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٣٢] .

أعظم أنواع الغفلة :

الغفلة عن الله، والغفلة عن أوامر الله ، والغفلة عن اليوم الآخر :﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم:٦-٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٥-٢٠٦] .

محبة العمل الصالح :

من رحمة الله بعباده أنْ حبب إليهم الحق والخير والفضائل ، وكره إليهم الباطل والشر والرذائل : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الحجرات:٧-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل:٩٠] .

والله ﷻ من رحمته بعباده أن خلق في نفوسهم محبوباتٍ مختلفة ، كمحبة الإيمان والتوحيد ، ومحبة الصدق والعدل والإحسان ، ومحبة الرحمة والرأفة ، ومحبة العفو عن أهل الجنايات ، ومحبة العلم والمعرفة ، ومحبة أداء الأمانة وصلة الرحم ، فهذه الأعمال والحركات يتنعم بها الحي ، ويسعد بها ، ويلتذ بها ، ويجد بها فرحًا وسرورًا ، كما يلتذ بسماع الأصوات الجميلة ، ورؤية الأشياء البهيجة ، وشم الروائح الطيبة : ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾[يونس:٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾[الرعد:٢٨] .

وكما يلتذ الإنسان بأكل وشرب ونكاح ، يلتذ بما تفعله نفسه من العلوم والمعارف ، وما يتحلى به من مكارم الأخلاق ، وما في قلبه من الإيمان والتقوى :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

وهذه الأمور التي تحبها النفوس والقلوب بفطرتها هي المعروف ، والتي تبغضها هي المنكر : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾[الروم:٣٠] .

٢- الخزانة الثانية

وجوه انتفاع المسلم بعمل غيره :

الأصل أن الإنسان يعمل لنفسه :﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ ﴾[العنكبوت:٦] .

وقال الله تعالى:﴿ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ ﴾ [الإسراء:٧] .

والمسلم ينتفع بعمل نفسه وبعمل غيره من وجوه :

الأول : أن المسلم ينتفع بدعاء غيره كما قال النبي ﷺ : « إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ : مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » . أخرجه مسلم(١) .

والنبي ﷺ يشفع في أهل الموقف في الحساب ، ثم يشفع لأهل الجنة في دخولها ، ولأهل الكبائر في الخروج من النار .

الثاني : والملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض:﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ ﴾[غافر: ٧] .

الثالث : والله يخرج من النار برحمته من لم يعمل خيرًا قط .

الرابع : وأولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١ ﴾[الطور:٢١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٤/ ١٦٣١).

الخامس : وينتفع المسلم بصلاح أبيه ، وهو ليس من سعيه .

السادس : وينتفع الحي والميت بالصدقة عنه والدعاء له .

السابع : ويسقط الحج عن الميت بحج وليه أو ولده عنه ، وقضاء الدين عنه يسقطه ، وصلاة الجنازة عليه ، ومن عليه دين حلله صاحبه وانتفع به ، وسقط عنه .

الثامن : وأن جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم .

التاسع : والجمعة والجماعة كثرة أجورها تحصل بكثرة العدد ، وهو انتفاعٌ بعمل الغير .

العاشر : والله يرفع العذاب عن بعض الناس بسبب بعض ، وذلك انتفاعٌ بعمل الغير ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[البقرة:٢٥١] .

وغير ذلك من وجده الانتفاع فما أعظم رحمة الله بعباده !

قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[النساء:٢٦-٢٨] .

وقال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾[الحج:٦٥] .

عظمة الإسلام :

الإسلام نظم حياة الإنسان ، وحياة المجتمع ، وحياة الأمة ، ودل الإنسان على كل عملٍ صالح ، ورغبه فيه ؛ لأنه يحقق له السعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

﴿ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٨] .

والسياسة هي تدبير الأمور بأحسن التدابير ؛ لتحقيق المصالح ودفع المضار .

والسياسة الشرعية تنقسم إلى قسمين :

الأول : سياسةٌ خارجية ، ومدارها على أربعة أصولٍ هي :

الأول : إعداد القوة اللازمة لقمع العدو ، وحفظ البلاد : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

الثاني : الوحدة الشاملة حول تلك القوة كما قال سبحانه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

الثالث : الحذر من العدو ، والتحرز من مكائده كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾ [النساء:٧١] .

الرابع : تجنب المواجهة ، وإيثار الصلح عند المصلحة كما قال سبحانه : ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١].

الثاني : سياسةٌ داخلية :

وبها يتحقق للأمة الأمن والطمأنينة ، والسعادة في الدنيا والآخرة ، وتقوم على ستة أصولٍ هي :

١-حفظ الدين .

٢- حفظ الأنفس .

٣- حفظ الأعراض

٤- حفظ العقول .

٥- حفظ الأنساب .

٦- حفظ الأموال .

قال الله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

فمصالح البشرية التي تحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة ، تدور على ثلاث أصول هي :

أولًا : درء المفاسد : وهو حفظ الضرورات الست السابقة .

ثانيًا : جلب المصالح بالمعاملات الحسنة ، وتحقيق المصالح العامة على وفق الشرع .

الثالث : التحلي بمكارم الأخلاق ، ويسمى بالتحسينات ، برعاية خصال الفطرة ، واجتناب الرذائل والمحرمات ، والتحلي بأحسن الأخلاق الإسلامية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل:٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

وكما أن الأرض قابلةٌ لما يغرس فيها من حلوٍ ومر ، فكذا أرض الفطرة رحبةٌ قابلةٌ لما يغرس فيها ، فمن غرس شجرة الإيمان والتقوى جنى حلاوة الأبد ، ومن غرس شجرة الكفر ، والجهل ، والشرك ، والكبر ، والمعاصي ، فكل الثمر مر ، وسيجني شقاوة الأبد :﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:٣٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء:٢٢] .

مذمومًا : لا حامد لك ، مخذولًا : لا ناصر لك ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

فالمؤمن حقًا من حفظ وقته ونفسه وجوارحه فيما يرضي الله ﷻ :﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

ومن لم يكن مع الرحمن جره الشيطان إلى حصنه ، واستعمله فيما يسخط ربه ، وأضاع عمره وأوقاته فيما يضره ولا ينفعه: ﴿ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر:١٥] .

وقال الله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف:١٠٣- ١٠٦] .

الأشياء الضائعة في حياة الإنسان :

هناك عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها :

١- علمٌ لا يعمل به .

٢- وعملٌ لا إخلاص فيه . .

٣- ومالٌ لا ينفق منه في وجوه البر .

٤- وقلبٌ فارغٌ من الإيمان .

٥- وبدنٌ معطلٌ عن طاعة الله .

٦- ووقتٌ معطلٌ عن اغتنام برٍ وإحسان .

٧- وفكرٍ يجول فيما لا ينفع

٨- وخدمة من لا تقربك إلى الله خدمته .

٩- وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله .

قال الله تعالى : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣ ﴾ [هود:١١٢- ١١٣] .

وقال الله تعالى:﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ ﴾ [المؤمنون:١١٥]

٣- الخزانة الثالثة

أقسام الناس في العمل :

لكل عمل هيئة ، ومقصد ، وثمرة ، وثواب ، أو عقاب .

فالصلاة عمل ، ومقصدها أن تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتذكر العبد بربه : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٥] .

والصوم عمل ، ومقصده التقوى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة:١٨٣] .

والزكاة عمل ، ومقصدها تطهير الإنسان من الشح والبخل ، ومواساة الفقير ، والحج عمل والمقصد التقوى .. وهكذا : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢-٤] .

والناس في العمل والمقصد أربعة أقسام :

الأول : من الناس من يهتم بصورة العمل ، والمقصد من العمل ، وهؤلاء بأرفع المنازل ، فيؤدون العمل على وفق السُنة ، خالصًا لوجه الله ﷻ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

الثاني : من الناس من يهتم بالعمل ، دون المقصد من العمل ، فيطبق السُنة في العمل ، ويغفل عن المقصود من العمل .

الثالث : من الناس من يهتم بالمقصد ، دون العمل ، فلا يقيم السُنة كما جاءت عن النبي ﷺ في العمل .

الرابع : من الناس من لا يهتم بالعمل ، ولا بالمقصد ، وهؤلاء أدنى الأقسام .

وأفضل هؤلاء هم القسم الأول ، الذي يهتم بالعمل والمقصد من العمل: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف:١١٠].

فالعمل الصالح هو الموافق لسُنة النبي ﷺ ، والإخلاص لله ﷻ بأن لا يشرك بعبادة ربه أحدًا : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

وقال سبحانه : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

والله ﷻ نوّع العبادات رحمةٌ منه بعباده ، لئلا يملوا ويسأموا ، فجعل حياة المسلم كلها طاعاتٌ وعباداتٌ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

والله سبحانه أمرنا بالإكثار من ذكره ، وعلمنا الله ورسوله كيفية الذكر ، وأنواعه ، ومقاديره : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

أنواع الذكر :

الذكر أوسع أبواب العبادات ، فهو مسنونٌ كل وقت .

وأنواع الذكر ثلاثة :

أولًا : ذكر الله ، ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله ، ومعرفة معانيها ، والثناء على الله بها ، والتعبد لله بها : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

ثانيًا : ذكر آلاء الله ونعمه وإحسانه إلى عباده : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٦] .

ثالثًا : ذكر الأمر والنهي ، والحلال والحرام ، والمبادرة إلى امتثال الأمر ، واجتناب النهي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

والدروس والمحاضرات، والتأليف، والنشر إنما هو لتزيين شجرة الدين، وهي بمنزلة الأغصان ، والأوراق ، والثمار ، ولكن ذلك لا ينفع إلا إذا صحت الجذور ، وسقيت بماء الإيمان والتقوى، كما قال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

ويتم ذلك بما يلي :

نفخ روح الإيمان في قلوب الناس ، وأن يكون بالعمل لا بالدعاية ، وأن يكون ميدان الداعي نفسه أولًا ، ثم الناس ثانيًا ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

وقال الله تعالى:﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦] .

وقال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

وقال الله تعالى عن الأنبياء :﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

أقسام الظلم :

على المسلم أن يجتنب الظلم لنفسه أو لغيره ، فإن للظلم عند الله يوم القيامة ثلاثة دواوين :

الأول : ديوان لا يغفر الله منه شيئًا وهو الشرك بالله كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾[النساء:١١٦] .

الثاني : ديوانٌ لا يترك الله منه شيئًا ، وهو ظلم العباد بعضهم لبعض : ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ ﴾[الشورى:٤١-٤٢] .

الثالث : ديوانٌ لا يعبأ الله به شيئًا ، وهو ظلم العبد لنفسه فيما بينه وبين ربه ، وهذا أخف الدواوين ، وأسرعها محوًا ، فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار من الرحمن الرحيم ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾[النساء:١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[المائدة: ٣٩] .

وديوان الشرك لا يمحى إلا بالتوحيد ، وديوان المظالم يستوفى ولا يمحى إلا بالخروج من تلك المظالم ، أو استحلال أهلها .

قال النبي ﷺ : «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».أخرجه مسلم[1].

(١) أخرجه مسلم برقم: ٥٦/ ٢٥٧٨.

٤ - الخزانة الرابعة

فقه قبول العمل الصالح :

الأعمال الصالحة تتفاضل بحسب ما في القلوب من الإيمان، والتوحيد، ومحبة الله، وتعظيمه، وإخلاص العمل له، وتتفاضل بتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ ، فأفضلها ما كان الإخلاص والإتباع فيه أكمل ، كما قال سبحانه : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وتتفاضل كذلك إذا كان أحد العملين أحب إلى الله في نفسه ، كالجهاد ، وبذل النفس لله ، والصلاة ، وتلاوة القرآن ، ونحو ذلك .

والعمل الأحسن هو الموافق لمرضاة الله ومحبته، وهذا يحبه الله دون الأكثر الخالي من ذلك، فالفضل يكون بحسب رضا الرب سبحانه بالعمل : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [التوبة:٦٢] .

فالفضل يكون بحسب رضا الرب سبحانه بالعمل ، وقبوله له ، وفرحه به ، ومحبته له ، كما يفرح بتوبة التائب أعظم من فرح التائب .

عن أنسٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِن أَحَدِكُمْ كانَ علَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ منه وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فأيِسَ منها، فأتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، قدْ أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبيْنَا هو كَذلكَ إِذَا هو بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فأخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قالَ مِن

شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ. » . متفقٌ عليه[1] .

وعن أنسٍ بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال : « غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » . متفقٌ عليه[2] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « سألت النبي ﷺ أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله ؟ قالَ : الصَّلاةُ على وقتِها ، قلتُ : ثمَّ أيٌّ ؟ قالَ : برُّ الوالدينِ ، قال : ثَمَّ أيٌّ ؟ قالَ : الجهادُ في سبيلِ الله ، قالَ : حدَّثَني بهنَّ رسول الله ﷺ ، ولوِ استزدتُهُ لزادَني » . متفقٌ عليه[3] .

وعن أبي هريرة ﷺ : « أن رسول الله ﷺ سُئل : أيُّ العملِ أفضَلُ ؟ قال : إيمانٌ باللهِ ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهادٌ في سبيلِ اللهِ ، قيل : ثم ماذا ؟ قالَ : حجٌّ مبرورٌ » . متفقٌ عليه[4] .

وقبول العمل الصالح يختلف بحسب رضا الرب سبحانه بالعمل ، والقبول ثلاثة أنواع :

الأول : قبولٌ يوجب رضا الله سبحانه بالعمل ، ومحبته له ، ومباهاة الملائكة به ، وثناءٌ على العامل في الملأ الأعلى ، كموقف الحجاج في عرفة ، وقيام الليل ، وصدقة السر ونحو ذلك .

الثاني : قبولٌ يترتب عليه كثرة الثواب والجزاء فقط ، لكنه دون الأول ، كمن يتصدق بمائة ألف ريال من ماله الكثير ، إما ليتخلص من حفظه ، وإما ليجازى

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٠٩)، ومسلم برقم: (٢٧٤٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤١٥) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٥/ ١٨٨٣).

(٣)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٧) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٩/)٨٥.

(٤)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٣) .

عليه بمثله أو غير ذلك ، وآخر تصدق برغيفٍ هو قوته لا يملك غيره ، آثر به غيره محبةً لله ، وطلبًا لمرضاته ، والله قبل هذه وهذه ، ولكلٍ نيته وأجره .

عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى » . متفقٌ عليه[1] .

لكن قبول الأولى قبول جزاءٍ وثواب ، والثانية قبول رضا ومحبةٍ ومباهاةٍ ، وبينهما من الفضل ، والقبول ، ومحبة الله ، ما لا يحصيه ولا يعلمه إلا الله ، فقبول العطاء والثواب حاصلٌ لأكثر الأعمال ، أما قبول الرضا والمحبة ، فهذا شيءٌ آخر خاص بأهل المعرفة كما قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧] .

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] .

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك:١٢] .

الثالث : قبول إسقاط العقاب فقط ، وإن لم يترتب عليه ثواب ، كقبول صلاة من لم يحضر قلبه في شيء منها ، فهي تسقط عنه الفرض ، لكنه لا يثاب عليها ، وكذلك من أتى عرافًا ، صلاته لا تقبل إذا صدقه ، لكن لا يؤمر بالإعادة .

وكل الناس يبدأ يومه من الغداة بالعمل .

فالمسلم أول ما يغدو يذكر الله ، ويتوضأ ، ويصلي ، فيبدأ يومه بعبادة الله ، وتوحيده ، وطاعته تحقيقًا لقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥٥/ ١٩٠٧).

﴿ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

فهذا باع نفسه بيعًا أعتقها فيه من النار .

قال النبي ﷺ : « كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها » . أخرجه مسلم (١) .

أما الكافر فيغدو إلى العمل بما فيه هلاكه ؛ لأنه يبدأ يومه بمعصية الله ، حتى ولو بدأ بالأكل والشرب ، فإن أكله وشربه يعاقب عليه يوم القيامة ، فكل لقمة ، وكل شربة ، وكل لباس ، وكل مركوب ، وكل نعمة ، فسوف يحاسبه الله عليها ويعاقبه ؛ لأنها لا تحل له ، وإنما تحل لمن آمن بالله وأطاعه ، فالله رزقنا الطيبات ، لنستعين بها على طاعته : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف:٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [المائدة:٩٣] .

وقال سبحانه : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣] .

وقال النبي ﷺ « لا تزولُ قَدَمَا عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن : عَن عُمُرِه فيما أفناهُ وعن جسدِهِ فيما أبلاهُ وعن مالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وفيما أنفقَهُ ، وعن عِلمِهِ ماذا عَمِلَ به ». أخرجه الترمذي (٢).

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٢٣.

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٤١٧).

فقه المجاهدة :

المجاهدة هي بذل الجهد في سبيل الله ، ابتغاء مرضات الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

والمجاهدة تنقسم إلى قسمين :

الأول : مجاهدة الإنسان نفسه .

الثاني : مجاهدة الإنسان غيره .

ولا تتم مجاهدة الغير إلا بمجاهدة النفس أولًا ، أما مجاهدة النفس فتكون بأن يجاهد الإنسان نفسه على شيئين :

الأول : على فعل الطاعات .

الثاني : وعلى ترك المعاصي .

وذلك لا يتم إلا بالعلم بالله ، والعلم بأوامره : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

وقال الله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

فيجاهد الإنسان نفسه على الإخلاص لله في العمل ، ويجاهد نفسه على فعل الطاعات الشاقة كالصلاة والزكاة ، والصيام والحج ، والجهاد في سبيل الله ، ويجاهد نفسه على ترك المعاصي والمحرمات التي يشق على الإنسان تركها ابتغاء مرضات الله .

وفعل الطاعات ، وترك المحرمات ، كل ذلك ثقيل على النفوس ؛ لأن النفوس لها حظوظٌ وشهوات بهيمية : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾[يوسف:٥٣] .

ثانيًا : أما مجاهدة الإنسان غيره فهي قسمان :

الأول : مجاهدة بالعلم والبيان .

الثاني : مجاهدة بالسلاح والسنان .

الأول: فأما المجاهدة بالعلم والبيان فتكون بالدعوة إلى الله لجميع البشر والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

وقال الله تعالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

وتكون بتعليم شرع الله لمن آمن ببيان أحكام الدين ، وتكون ببيان الشبه التي يثيرها المرتابون ، وكشف بطلان البدع التي يحدثها المبتدعة ، فهؤلاء نجاهدهم ببيان الحق ؛ لأنهم مسلمون يظهرون الإسلام ، وإن كانوا مبتدعة أو منافقين ، وتكون بالحكمة والموعظة الحسنة للمسلم الفاسق ليكون صالحًا ، وللغافل ليكون ذاكرًا ، وللصالح ليكون مصلحًا : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

الثاني : أما الجهاد بالسيف والسلاح فيكون لأعداء الدين من الكفار واليهود والنصارى الذين يظهرون عداوة الدين والمسلمين ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾[التحريم:٩] .

وثمرة هذه المجاهدة الهداية لنا ، والهداية لغيرنا ، وزوال فتنة الكفر :﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾[البقرة: ١٩٣] .

وعلى المسلم ان يجتهد على نفسه وعلى غيره ، ويصبر على الطاعات ، ويصبر عن المعاصي ، ويصبر على أقدار الله المؤلمة ؛ فالصبر عبادة من أعظم العبادات :﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[آل عمران:١٤٦] .

ومعية الله مع الصابرين : ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الأنفال: ٦٦].

وقال الله تعالى : ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[العصر: ١ – ٣] .

وأذى الناس للإنسان له أسباب متعددة :

فإن كان السبب طاعة الله ، والجهاد في سبيله ، والدعوة إليه ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فالإنسان يثاب على ذلك من وجهين :

الأول : يثاب على الأذى الذي يحصل له : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[آل عمران:٢٠٠] .

الثاني : ثبات على صبره على الطاعة التي أوذي في الله من أجلها : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[الشورى: ٣٧ -٤٣] .

فعلى الإنسان أن يصبر ، ويعفو ويغفر ، لمن أساء إليه إن كان في ذلك إصلاح ؛ لأن الأجر من الله خيرٌ من أخذك معاوضة من أعمال من آذاك : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[الشورى : ٤٠]

والله سبحانه غنيٌ كريم ، لا يقبل من العمل ، ولا ينصر صاحبه إلا إذا توفرت فيه ثلاثة شروط :

١ - أن يقوم بالعمل لله : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢- ٣] .

٢- وأن يقوم به مستعيناً بالله .

٣- وأن يقوم به في الله على سنة رسول الله .

فيقوم به لله مخلصًا له العبادة ، ويقوم به بالله مستعينًا بالله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٣ ﴾[التغابن:١٣] .

ويقوم به في الله متبعًا لشرعه كما قال سبحانه : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة : ٥-٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٥٨ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

فإياك نعبد قيامٌ لله ، وإياك نستعين قيامٌ بالله ، واهدنا الصراط المستقيم قيامٌ في الله أي في شرعه الموصل إليه ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾[البينة: ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٥٨ ﴾[الأعراف: ١٥٨] .

٥- الخزانة الخامسة

أقسام الأعمال :

الأعمال تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

قسمٌ ينفع الإنسان .

وقسمٌ يضره .

وقسمٌ لا ينفع ولا يضر .

فالعاقل هو الذي يفعل ما ينفع ، ويجتنب ما يضر ، ويزهد فيمالا ينفع ولا يضر ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج:٧٧] .

وإذا تعارضت منفعتان إحداهما أعلى من الأخرى قدمنا العليا ، فإذا اجتمع صلة عم وأخ ، ولا يمكن أن نصلهما معًا ، قدمنا صلة الأخ ؛ لأنه أقرب وأنفع وأفضل .

وإذا اجتمع محرمان أحدهما أشد من الآخر ، قدم الأخف منهما ، فالأوامر يقدم فيها الأعلى والمناهي يقدم فيها الأخف ضررًا : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤] .

وقال الله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة:٢٦٩] .

أعظم سؤال في القرآن :

الهداية أعظم شيءٍ في خزائن الله ، والهداية أعظم سؤالٍ يسأله العبد ربه كما قال سبحانه :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾[الفاتحة : ٢-٧] .

والهادي هو الله ﷻ ، وطلب الهداية من الله يشمل الهداية إلى الصراط المستقيم ، و الهداية للطريق الحسن الحسي .

فالهداية إلى الدين هي الهداية للصراط المستقيم الموصل إلى رضوان الله والجنة كما قال سبحانه : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾[الفاتحة :٦] .

وقال ﷻ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣ ﴾[الأنعام:١٥٣] .

و الهداية إلى الطريق الحسي كأن يضل الإنسان في أرضٍ ، ولا يعرف الطريق ، فيطلب من الله أن يهديه كما قال موسى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝٢٢ ﴾[القصص:٢٢] .

ونحن محتاجون إلى الهداية في الطريقين :

هداية الطريق المعنوي : وهو سلوك الصراط المستقيم ، والهداية إلى الطريق الحسي .

قال الله ﷻ في الحديث القدسي : « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ». أخرجه مسلم[1] .

---

(١)أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٥٧٧).

وفي الهداية إلى الصراط المستقيم غذاءٌ للقلب بالعلم والإيمان ، وغذاءٌ للجوارح بالأعمال الصالحة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

والمسلم يستطعم ربه بالقول أو الفعل ، فالقول أن نسأل الله ﷻ أن يطعمنا ويرزقنا ، فهو سبحانه الذي يُطْعِمُ ولا يَطْعَم .

أما الفعل فله جهتان :

الأولى : الإيمان والعمل الصالح كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأعراف:٩٦] .

وقال ﷻ : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾[نوح:١٠ -١٢] .

الثانية : الأسباب الحسية بحرث الأرض وزعها وسقيها ، مع الاعتماد على الله وحده في حصول الرزق كما قال سبحانه : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الواقعة:٦٣- ٦٧] .

وقال ﷻ في الحديث القدسي : « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ » . أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٥٧٧).

فإذا ملك الإنسان شيئًا من غرسٍ أو زرعٍ أو نحوهما ، فإذا انتفع الناس به ، فلصاحبه أجرٌ ، سواء نوى أو لم ينوِ ، فإذا أكل منه طيرٌ أو حيوانٌ أو إنسان كان له صدقة ، ولو سرق منه سارق فهو له صدقة ، فجميع المصالح والمنافع ، انتفع الناس بها كانت خيرًا لصاحبها وأجرًا وإن لم ينوِ .

فإن نوى زاد خيرًا على خير ، وأتاه الله من فضله أجرًا عظيمًا : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء:١١٤] .

وعن أنسٍ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا ، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ ، وَلَا دَابَّةٌ ، وَلَا طَيْرٌ ، إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . أخرجه مسلم(١) .

وينبغي للمسلم أن يكون مقتصدًا في جميع أموره الدينية والدنيوية ؛ لأنه إن قصر فاته خيرٌ كثير ، وأن شدد فسوف يكل ويعجز ، ويتعب ويقعد: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء:٢٩] .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أَنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: مَن هذِه؟ قَالَتْ: فُلَانَةُ، تَذْكُرُ مِن صَلَاتِهَا، قَالَ: مَهْ، علَيْكُم بما تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لا يَمَلُّ اللهُ حتَّى تمَلُّوا وكانَ أَحَبَّ الدِّينِ إلَيْهِ مَادَامَ عليه صَاحِبُهُ. » . متفقٌ عليه(٢) .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : « جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا ، فَقَالُوا : وَأَيْنَ

(١)أخرجه مسلم برقم: (٣٠٠٢).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٨٢).

نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : « أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا وَاللهِّ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِّ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » . متفقٌ عليه[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ قال : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ » . متفقٌ عليه[2] .

والأصل في العبادات المنع إلا ما أمر به الشرع ، والأصل في المعاملات والعادات الحِل إلا ما حرمه الشرع :﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[النحل:١١٧-١١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشورى:٢١]

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٦٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥/ ١٤٠١).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٨١٦).

وكل مسلم يكتب له أجر الطاعات ، ويكتب عليه أجر المعاصي :﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

أما من كان دون البلوغ من صبيٍ ومميز وغيرهما ، فهذا يكتب له الأجر على الطاعة ، ولا يكتب عليه الوزر إذا تركها ، فمن فعل طاعةً من الصبيان فله أجرها ، ولا يكتب عليه وزرها إذا تركها ؛ لأنه قد رفع عنه القلم ، فليس كالمكلف ، لكن يضمن ما أتلفه : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ ، فَقَالَ : « مَنِ الْقَوْمُ ؟ » . قَالُوا : المُسْلِمُونَ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : « رَسُولُ الله » . ، فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا ، فَقَالَتْ : أَلِهَذَا حَجٌّ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، وَلَكِ أَجْرٌ » . أخرجه مسلم[1] .

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٠٩/ ١٣٣٦).

٦ - الخزانة السادسة

أقسام الناس في الهدى والعلم :

الناس بالنسبة لما بعث الله به رسوله محمداً ﷺ من الهدى والعلم ثلاثة أقسام :

الأول : من فَقُهَ في دين الله ، فعَلِمَ ، وعمل ، وعَلَّم غيره .

فهذا مثل الأرض الطيبة ، التي قبلت الماء ، وأنبتت العشب الكثير والزرع ، فانتفع الناس بها .

الثاني : من حمل العلم والهدى للناس ، ولكن لم يفقه ما فيه من الهدى ، فهؤلاء رواة العلم الذين حفظوه وبلغوه الناس .

فهؤلاء كالأرض القيعان التي أمسكت الماء ، فاستقى الناس منه ، لكن الأرض نفسها لم تنبت .

الثالث : من لم يرفع بالهدى والعلم رأسًا ، وأعرض عنه .

فهذا لم ينتفع ولم ينفع غيره ، فهو كالأرض السبخة التي ابتلعت الماء ، ولم تنبت الكلأ .

وخير الأقسام الأول ؛ لأنه فَقُهَ وعلم ؛ لينتفع ، وينفع غيره ، ويليه الثاني وهو من علم وحفظ ، والثالث لا خير فيه فهو شر الأقسام ؛ لأنه علم ولم يعمل ولم يعلّم ما علم للناس .

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ به من الهُدَى والعِلْمِ ، كمَثَلِ الغيثِ الكثيرِ أصاب أرضًا ، فكان منها نَقِيَّةٌ ، قَبِلَتِ الماءَ ، فأَنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكثيرَ ، وكانت منها أجادِبُ ، أَمْسَكَتِ الماءَ ، فنفع اللهُ بها الناسَ ، فشَرِبُوا وسَقَوْا وزرعوا ، وأصابت منها طائفةً أخرى ، إنما

هي قِيعانٌ لا تمُسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً ، فذلك مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ الله ، ونفعه ما بعثني اللهُ به فعَلِمَ وعَلَّمَ ، ومَثَلُ من لم يَرْفَعْ بذلك رأسًا ، ولم يَقْبَلْ هُدَي الله الذي أُرْسِلْتُ به » . متفقٌ عليه[1] .

وإذا كَثُرَ الخبث في الأمة هلك الصالحون والفاسدون ، وبُعِثَ كلٌ على نيته .

والخبث يطلق على شيئين :

الأول : الأعمال الخبيثة : وهي ضد الأعمال الصالحة .

الثاني : البشر الخبيث : وهو ضد البشر الصالح .

فإذا كثرت الأعمال الخبيثة السيئة من زنا ، وربا ، وفواحش بين المسلمين ، فقد عرضوا أنفسهم للهلاك ، وإذا كَثُر الكفار بين المسلمين فقد عرضوا أنفسهم للهلاك والانحراف ، ولهذا حذر النبي ﷺ من بقاء اليهود والنصارى والمشركين في جزيرة العرب ، حذرًا من ذلك الخبث والهلاك .

عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ « دخل عليها يومًا فزعًا يقول : لا إلهَ إلا اللهُ ، وَيلٌ للعرَبِ من شرٍّ قدِ اقترَب ، فُتِح اليومَ من رَدمِ يَأجوجَ ومَأجوجَ مِثلُ هذه ، وحلَّق بإصبَعَيه الإبهامِ والتي تليها : قالتْ زَينَبُ بنتُ جَحشٍ : فقلتُ : يا رسولَ الله ، أفنَهلِك وفينا الصالحونَ ؟ قال : نعمْ ، إذا كثُر الخبَثُ » . متفقٌ عليه[2] .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥/ ٢٢٨٢).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٣٤٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١/ ٢٨٨٠).

وعن عمر بن الخطاب ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لأُخرِجَنَّ اليهودَ والنَّصارى مِن جزيرةِ العربِ حتَّى لا أدعُ إلَّا مسلمًا » . أخرجه مسلم[1] .

ولزوال الخبث ، وأهل الخبث ، أوجب الله الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

وتغيير المنكر يكون من كل ذي سلطةٍ قادرة ، كالأمير على رعيته ، والرجل في أهل بيته ، والمعلم مع طلابه ، والمرأة في بيتها كما قال النبي ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا ، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ » . أخرجه مسلم[2] .

فهذا له السلطة أن يغير بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه .

أما الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فهو واجبٌ بكل حال ؛ لأنه ليس فيه تغيير ، بل فيه أمرٌ بالخير ، ونهيٌ عن الشر ، وهو سببٌ عظيم لزوال الباطل من العالم : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

ولهذا جعله الله وظيفة كل الأمة كما قال سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٣/ ١٧٦٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٨/ ٤٩).

أفضل الإنفاق :

الإنفاق على الأهل أفضل من الإنفاق على غيرهم ، فهو أفضل من الإنفاق في سبيل الله ، وفي الرقاب ، وعلى المساكين ؛ وذلك لأن الأهل أوجب الله عليك نفقتهم ، فالإنفاق عليهم فرضُ عين ، والإنفاق على ما سواهم فرض كفاية ، وفرض العين أفضل من فرض الكفاية .

والإنفاق عليهم صدقةٌ ، وصلة ، وعفافٌ ، وكفاف ، وقد يكون الإنفاق على من سواهم على وجه التطوع ، والفرض أفضل من التطوع ، لكن الشيطان يخدع المسلم ويرغبه في التطوع ، ليشغله عن الواجب ، فتجده يحرص على الصدقة على الناس ، ويدع الواجب ، وهذا سفهٌ في العقل ، وضلالٌ في الشرع ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « دينارٌ أنفقتَه في سبيلِ الله ، ودينارٌ أنفقته في رقبةٍ ، ودينارٌ تصدقت به على مسكين ، ودينارٌ أنفقتَه على أهلِك ؛ أعظمهما أجرًا الذي أنفقتَه على أهلِك ». أخرجه مسلم[1].

وعن ثوبان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضلُ دِينارٍ يُنْفِقُهُ الرجلُ ؛ دِينارٌ ينفقَهُ على عِيالِه ، و دِينارٌ ينفقَهُ الرجل على دَابَّتِه في سبيلِ الله ، و دِينارٌ ينفقَهُ على أصحابِهِ في سبيلِ الله ، قال أبو قلابةَ : وبدأ بالعيال ، ثم قال أبو قلابة : وأي رجلٍ أعظمُ أجرًا من رجلٍ ينفقُ على عيالٍ صغارٍ يُعفُّهم ، أو ينفعُهم اللهُ به ، ويغنيهم » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٩/ ٩٩٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣٨/ ٩٩٤).

وعن خيثمة قال : كُنَّا جُلُوسًا مع عبدِ الله بنِ عَمْرٍو، إذْ جَاءَهُ قَهْرَمَانٌ له، فَدَخَلَ، فَقالَ: أَعْطَيْتَ الرَّقِيقَ قُوتَهُمْ؟ قالَ: لَا، قالَ: فَانْطَلِقْ فأَعْطِهِمْ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: كَفَى بالمَرْءِ إثْمًا أَنْ يحَبْسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ. » . أخرجه مسلم(١) .

والإنفاق ابتغاء وجه الله زكاةً أو صدقةً أو هدية ، ليزيد مال المنفق بركةً ، وكميةً ، وكيفية ، في الدنيا والآخرة ، فيبارك الله في مال المنفق ، ويخلف عليه أكثر منه في الدنيا ، ويعطيه الله الأجر في الآخرة ، ويضاعفه له ؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وأحسنهم خلقًا ، وأجزلهم عطاءً : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ ﴾[البقرة:٢٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١ ﴾ [البقرة:٢٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩ ﴾[سبأ:٣٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ا نَقَصَتْ صَدَقةٌ مِن مالٍ، وما زادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا، وما تَواضَعَ أحَدٌ للَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللهُ. ». أخرجه مسلم(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٠/ ٩٩٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٩/ ٢٥٨٨).

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال : كانَ رَسولُ اللهِّ ﷺ أجْوَدَ النَّاسِ، وكانَ أجوَدُ ما يَكونُ في رَمَضانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَمَضانَ، فيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسولُ اللهِّ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ. وَعَنْ عبدِ اللهِّ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ بهذا الإسْنَادِ نَحْوَهُ، وَرَوَى أبو هُرَيْرَةَ، وفَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُّ عنْهمَا، عَنِ النبيِّ ﷺ: أنَّ جِبْرِيلَ كانَ يُعَارِضُهُ القُرْآنَ. » . متفقٌ عليه(١) .

والعمل الصالح بأنواعه هو كل ما أمر الله ورسوله به ، فتسبيحةً واحدة في صحيفة الإنسان من هذا العمل خيرٌ من الدنيا وما فيها ؛ لأن الدنيا وما فيها تذهب وتزول ، والتسبيح والعمل الصالح يبقى ، ويضاعف ثوابه : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[الكهف:٤٦] .

وقال الله تعالى:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[النحل:٩٦] .

والشريعة أوامر ونواهي ، وحرامٌ وحلال ، وعلى الإنسان امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وأخذ المباح ، وترك الحرام .

والله ﷻ أحاط الشريعة بسياجٍ محكم ، فحمى الناس من كل محرم يضرهم في دينهم ودنياهم ، وإذا كان الشيء مما تدعوا إليه النفوس شدد السياج حوله كالزنا ، والربا .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٢٠) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣٠٨).

فالزنا سببه قوة الشهوة ، والنفس تدعو إليه ؛ لأنه جبِّلةٌ وطبيعة ، فجعل الخالق سبحانه حوله سياجًا يبعد الناس عنه ، من نظرٍ ، أو لمسٍ ، أو محادثةٍ ، أو خلوةٍ فقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الإسراء:٣٢] .

والربا تطلبه النفوس ، لما فيه من الفائدة ، وحرم كل ذريعةٍ إليه من حيلٍ ونحوها ، فقال : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾[البقرة:٢٧٥] .

فجعل سبحانه للمحارم حِمىً تمنع الناس من الوقوع فيها

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحَلَالُ بَيِّنٌ، والحَرَامُ بَيِّنٌ، وبيْنَهُما مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، ومَن وقَعَ في الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أنْ يُوَاقِعَهُ، ألَا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألَا إنَّ حِمَى اللهِ في أرْضِهِ محَارِمُهُ، ألَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألَا وهي القَلْبُ. » . متفقٌ عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٨/ ١٥٩٩).

٧- الخزانة السابعة

فقه الإصلاح بين الناس :

الصلح بين الناس من أعظم الأعمال الصالحة ، لما يتحقق به من الخير ، ويندفع به من الشر ، وكلما كان المتخاصمان أقرب صلةً بعضهما من بعض كان الصلح بينهما أوكد وأكثر أجرًا ، كصلح بين الأب وأولاده هو أفضل من الصلح بين الرجل وصاحبه ، وكلما كانت القطيعة أعظم كان الصلح بين المباعدين والمتقاطعين أكمل وأفضل وأكبر ، والصلح كله خير ومن ابتغى به وجه الله فله ثوابٌ عظيم، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ ﴾ [النساء:١٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ ﴾ [النساء:١١٤] .

فإذا لم يتبين وجه الصواب مع أحد الطرفين ، فلا سبيل للإنسان إلا الإصلاح ، فيصلح بينهما بقدر ما يستطيع من العدل : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ ﴾ [الحجرات: ٩] .

والكلمة الطيبة تنقسم إلى قسمين :

١- كلمةٌ طيبة بذاتها .

٢- وكلمةٌ طيبةٌ بغايتها .

فالكلمة الطيبة بذاتها : هي ذكر لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا حولا ولا قوة إلا بالله ، ونحو ذلك من الكلم الطيب .

والكلمة الطيبة بغايتها : هي الكلام مع الناس بقصد إيناسهم ، وإدخال السرور عليهم ؛ لأن إدخال السرور على إخوانك مما يقربك إلى الله : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣- ١٣٤] .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يَومٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، ويُعِينُ الرَّجُلَ علَى دابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عليها، أوْ يَرْفَعُ عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » . متفقٌ عليه[1] .

والمؤمن عبدٌ يأخذ من مولاه ما ينفعه، ويجتنب ما يضره، فالحلال يأخذه ، والحرام يجتنبه ، والمشتبه يتورع عنه ، وكل ما نشك فيه نجتنبه ، ولا نأخذ إلا بما تيقنّا حِلّه ، وهذا أصل الورع أن نترك الشك إلى اليقين ، فمن شارك أحدًا ، ووجد في نصيبه زيادة ، وشك فيها فليدعها ، وإذا شك فيها صاحبك وتركها فتصدق بها تخلصًا منها ، أو تجعلها صدقةً معلقة فتقول : اللهم إن

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٩٨٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٠٩).

كانت لي فهي صدقة أتقرب بها إليك ، وإن لم تكن لي فهي مالٌ أتخلص بالصدقة به من عذابه.

قال النبي ﷺ « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ ». أخرجه أحمد والترمذي[1].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ :: مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بتَمْرَةٍ مَسْقُوطَةٍ، فقالَ: « لَوْلا أنْ تَكُونَ مِن صَدَقَةٍ لَأَكَلْتُها. » . متفقٌ عليه[2] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحَلَالُ بَيِّنٌ، والحَرَامُ بَيِّنٌ، وبيْنَهُما مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، ومَن وقَعَ في الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إنَّ حِمَى اللهِ في أرْضِهِ محَارِمُهُ، أَلَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهي القَلْبُ. » . متفقٌ عليه[3] .

أفضل الناس :

أفضل الناس مؤمنٌ يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، وينفع الناس ، ويصبر على أذاهم ، فالمؤمن الذي يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم ، أحب إلى الله من المسلم الذي لا يخالط الناس ، ولا يصبر على أذاهم : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣- ١٣٤] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، وأحمد (١٧٢٣) واللفظ لهما.

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٠٥٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٧١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٨/ ١٥٩٩).

وإذا فسدت أحوال الناس ، فالعزلة أفضل ، العزلة زمن الفتن والشر والخوف من المعاصي ، خيرٌ من الخلطة .

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يُوشِكُ أنْ يَكونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بهَا شَعَفَ الجِبَالِ ومَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ » . أخرجه البخاري(١) .

فمخالطة الناس ، ودعوتهم إلى الله ، ونصحهم ، ونفعهم ، هو الأصل والأفضل ، فإذا فسد حال الناس، وتضرر الإنسان، من مخالطتهم في دينه، فالتفرغ للعبادة ، والبعد عن الناس ، والعزلة عنهم ، أفضل له ، وكل حالةٍ لها حكمٌ وفضل : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران:٧٣- ٧٤] .

وقال الله تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

وقد أمر الله ورسوله بكل خير ، وبكل حق، ونهى الله ورسوله عن كل شر ، وعن كل باطل : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:٧١] .

فيجب على المسلم امتثال الأوامر ، واجتناب المناهي ، والحذر من ارتكاب ما نهى الله ورسوله عنه ، وألا يغلبه الأمن من مكر الله ، والتهاون بمعصية الله ورسوله ، والشيطان يغري بعض الناس ويقول له : افعل المعصية واستغفر الله فالله غفور رحيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٩).

وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور: ٢١] .

ويقول كذلك : افعل المعصية ، ورحمة الله سبقت غضبه ، ويقول : افعل المعصية ، وربك واسع المغفرة ، وغير ذلك من الآمال الكاذبة التي يغر الشيطان بها بني آدم : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴾ [النساء:١٢٠- ١٢١] .

فلا يجوز للإنسان أن يغتر بإمهال الله تعالى له ، ويرتكب المعاصي والمحرمات ، بناءً على أن الله لم يعاجله بالعقوبة : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٥] .

والله سبحانه يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:٩٩] .

فإن الله يغار على دينه وعباده وخلقه : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود:١٠٢] .

أما ما يقول ويفعل من ارتكب منهياً عنه « كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ ». أخرجه الترمذي وأحمد [1] .

(١)صحيح/ أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وأحمد (١٣٠٤٩) واللفظ لهما.

فمن نزغه الشيطان وأزه لمعصية الله ، فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ليحميه من عدوه : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾[فصلت: ٣٦] .

وإذا وقع في الذنب ، فعليه بالتوبة والاستغفار ، والندم على ما حصل منه : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء:١١٠] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠١] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦] .

وقال سبحانه : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[النور:٣١] .

والقول لا بد أن يصدقه الفعل ، و إلا كان فتنةً ولغوًا ، فالكلام على العفو سهل ، ولكن العفو أصعب شيء ، والكلام عن الإحسان أسهل شيء ، ولكن الإحسان أصعب شيء ، والكلام عن الرحمة أسهل شيء ولكن الرحمة أصعب شيء ، والكلام عن العدل أسهل شيء ، ولكن العدل أصعب شيء ، والكلام عن الحب في الله أسهل شيء ، ولكن الحب في الله

أصعب شيء :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾[الصف:٢-٣] .

ومقصود الأعمال الصالحة ، وجميع العبادات والأوامر ، أن يأتي اليقين على الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم يأتي اليقين على قوله ، وقول رسوله ﷺ ، ثم يأتي اليقين على وعده ووعيده ، فإذا جاء اليقين على ذات الله وأسمائه وصفاته ، فعبد المسلم ربه كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإنه يراه ، جاء اليقين على قوله ، ثم جاء اليقين على وعده ووعيده ، فإذا جاء اليقين على الوعد والوعيد ، أقبلت النفس على الطاعات ، والأعمال الصالحة ، ونفرت من المعاصي والسيئات ، وسارعت إلى فعل الخيرات : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال:٢- ٤].

ولا يمكن الحصول على هذا اليقين إلا بالتضحية بكل شيء من أجل الله ، وترك كل شيء من أجل الله ، وبحسب كثرة التضحيات مع الإيمان والتقوى يكون كمال اليقين ، والناس متفاوتون في اليقين بحسب تضحياتهم من أجل الله ، ومن أجل إعلاء كلمة الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤ ﴾[السجدة:٢٤] .

٨- الخزانة الثامنة

حقيقة المجاهدة :

رأس مال الإنسان ثلاثة أشياء :

الإيمان .. والفكر .. والوقت :

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢- ١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠- ١٩١] .

فمن حفظها حفظه الله ، ومن أضاع واحدة أضاع البقية ، فقوة امتثال أوامر الله مبنيٌ على قوة الإيمان ، وقوة الإيمان مبنية على المجاهدة : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

وكلما قويت المجاهدة قوي اليقين ، وكلما قوي اليقين قويت الأعمال القلبية ، وكلما قويت الأعمال القلبية قويت الأعمال البدنية ، وكلما قويت الأعمال الانفرادية قويت الأعمال الاجتماعية : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢١].

والحب الفطري ، والخوف الفطري ، في المجاهدة يتحول إلى حب تعبدي ، وخوف تعبدي ، فنترك المحبوب الأدنى وهو الشهوات ، من أجل

المحبوب الأعلى وهو امتثال أوامر الله ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[التوبة:٦٢] .

ونرقي الخوف الفطري إلى الخوف التعبدي ، بالخوف من الله ، ومن عذاب الله﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[آل عمران:١٧٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[النحل: ٤٩-٥٠] .

ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ، والله غني عنه وعن عمله : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[العنكبوت: ٦] .

وأصل المجاهدة من أجل حفظ الإيمان ، وحفظ الإيمان بحفظ الجوارح ، وحفظ الجوارح بحفظ الوقت بالطاعات ، والأعمال الصالحة ، وحفظ الوقت يملئه بأنواع الأعمال الصالحة ، وحفظ الأعمال يكون بالبحث عن بيئة الأعمال ولزومها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

وقال الله تعالى:﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨] .

ومن ضحى بشهواته من أجل الله ، أعطاه الله اليقين ، وحسن العبادة ، ولحصول ذلك لابد من ترك بيئة المألوفات ، و المحبوبات ، والشهوات ، والغفلات ، ولزوم بيئة الإيمان ، والذكر ، والطاعات ، والأعمال الصالحة ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ

ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

وبسبب العكوف في بيئة المحبوبات ، والشهوات ، والمألوفات ، قلت المجاهدة من أجل الحصول على الهداية ، ولمّا قلّت المجاهدة ، نقص منسوب الإيمان ، ثمّ قلّت الشهية للأعمال الصالحة ، وزادت الرغبة في الشهوات ، وزاد التعلق بالدنيا ، فبدأ ينقص الدين في حياتنا ، ثمّ زالت هيبتنا ، وصرفنا طاقتنا في تكميل شهواتنا ، فاختفت العبادات القلبية ، وظهرت الشهوات الحيوانية ، فنزلت العقوبات الإلهية : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾[مريم:٥٩] .

وقال تعالى:﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٥ ﴾[الأنعام:٤٤-٤٥] .

فالهدى هو التجرد من الهوى ، والعزيمة على الاستقامة على القرآن والسنة ، والهوى هو التحرر من قيود الشريعة لفساد القلب ، وترك الهدى ، كما قال سبحانه : ﴿ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ٤٣ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤ ﴾[الفرقان:٤٣-٤٤] .

وقال الله تعالى:﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣ ﴾ [الجاثية:٢٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠] .

فالمجاهدة التي يريدها الله هي ترويض النفس وتذليلها ، لتعيش تحت قيود الشريعة: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥] .

ومن جاءت الصفات التي في سورة العصر في حياته أكرمه الله بثلاث جوائز : يقينٌ وإيمان في قلبه ، والاهتمام بأعمال الدين في حياته ، والإحساس بالمسئولية : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر:١-٣].

والأصل في الإنسان أن الله هيأه ، وهيأ له ، وأعد له ، وقسم له ، فمن هيأ نفسه لله ، وعبده كما أمر ، متّعه بما هيأ له : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧] .

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام:٨٢].

فمن هيأ نفسه لعبادة الله وحده لا شريك له ، متعه الله بما هيأ له ، وسهل له ما هيأ له ، وأوصله إلى ما أعد له ، وأشغله بعبادته عما قسمه له ، ورزقه الهداية والرضا : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠] .

ومن لم يهيئ نفسه لله ، لم يمتعه بما هيأ له ، وعسّر عليه ما هيأه له ، وتباعد عنه ما أعدّه له ، وأشغله بما قسم له ، ونزع منه الرضا والهدى : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦] .

٩- الخزانة التاسعة

فقه محاسبة النفس :

لابد لمن أراد الترقي في دينه ودنياه من المحاسبة ، فيحاسب الإنسان نفسه ، هل هو يربح أو يخسر ؟، يحاسب التاجر عماله ؟ ، فإن لم يحاسبهم سرقوه ، وخسر أمواله ، وهل يحاسب المؤمن نفسه ، فإن لم يحاسبها سرقها الشيطان ، وبماذا يحاسب الإنسان نفسه ؟ .

ويجب أن يحاسب الإنسان نفسه على خمسة أشياء :

١- ما مدى استعدادي العمل بالدين ؟ .

٢- هل شكرت ربي على فعلى الطاعات ، وترك المعاصي ؟

٣- وما مدى استعدادي لجهد الدين ؟.

٤- هل استغفرت ربي من الذنوب والمعاصي ؟.

٥- وما مدى كمال الصفات لدي ؟.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر: ١٨] .

والصفات الحسنة هي وسيلة التقوى ، فلا تقوى إلا بالصفات ، والمتقي هو الذي يرى المعصية في ترك أمر الله ، أما غير المتقي فيرى المعصية بارتكاب المنهي عنه ، وثمرة التقوى الاعتصام بحبل الله ، وائتلاف القلوب ، والشعور بالإخوة الإيمانية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ

مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣] .

ومن ترك جُهد الهداية أُصيب بثلاث آفات :

الأولى : يتسرب إلى قلبه اليقين الفاسد ، فيشرك بالله .

الثانية : ويتحول جهده للدنيا لا للدين .

الثالثة : ويتسلط عليه الباطل وأهله ، حتى يدخل في عُقر داره ، وقوة البلاد في حفظ حدودها ، فإذا تجاوز العدو الحدود تحكّم في البلد وسيطر على خيراتها ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ:٢٠] .

وكل من عاش في الغفلة فهو مهزوم قطعًا ، مهزوم أمام شهواته ، ومهزوم أمام زوجته ، وأولاده ، وجيرانه ، وأصدقائه وأعدائه: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء:٢٢] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النساء:٣٨] .

فالمؤمن حقًا جميع أوقاته لله : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣] .

حفظ الأوقات في حياة المسلم :

ينبغي على العاقل أن يقسم أوقاته إلى أربعة أقسام :

١- وقتٌ يناجي فيه ربه بصلاةٍ أو دعاء أو ذكر .

٢- ووقت يحاسب فيه نفسه فيحمده على الطاعة ، ويستغفره من المعصية .

٣- ووقت يتعلم دينه ويعلمه .

٤- ووقت يخلي فيه بين نفسه ولذاتها فيما يحل ، وكل ذلك طاعة ، وعبادة ، وسنة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[الأحزاب:٤١-٤٢] .

وقال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾[الحشر:١٨] .

وقال الله تعالى:﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى:﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾[الأعراف:٣٢] .

وقال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾[البقرة:١٧٢] .

ويقدم في كل عمل صالح الواجب على المستحب ، والأحسن على الحسن ، وما نفعه متعدد على ما نفعه قاصر . :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

والوقت كالإناء من وضع فيه خيرًا وجده ، ومن وضع فيه شرًّا وجده ، ومن تركه فارغًا ندم على فواته ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [الكهف:١٠٣- ١٠٦] .

وقال الله تعالى: ﴿ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر:١٥] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[العصر/ ١-٣].

اللهم أحفظ أوقاتنا في طاعتك ، وعبادتك ، والدعوة إليك ، وتعليم شرعك ، والإحسان إلى خلقك في كل حال .

- **أبواب النجاة وأبواب الهلال :**

الطاعات أبواب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

والفراغ باب من أبواب المعاصي ، والمعاصي أبواب الشقاء والهلاك : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء:١٣- ١٤] .

وأربع فيها النجاة :

طاعة الله عز ول .. وطاعة الوالدين .. والصحبة الطيبة .. وحفظ الوقت.

ففي طاعة الله سبع كرامات :

١-نور في الوجه .

٢- ونورٌ في القلب .

٣- ونورٌ في القبر .

٤- وزيادةٌ في الرزق .

٥- وقوةٌ في الذهن ، وصفاءٌ في العقل .

٦- وقوة في البدن .

٧-ومحبة في قلوب الخلق .

وفي معصية الله عكسها : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:-٧١] .

وطاعة الوالدين :

أمر الله بها بعد عبادة الله ﷻ ، فطاعة الوالدين أمر الله بالإحسان إليهما قولًا وعملًا بعد الأمر بالتوحيد مباشرةً فقال سبحانه : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣].

فالدين ركنان :

عبادة الحق .. والإحسان إلى الخلق .

والصحبة الطيبة أن الصاحب ساحب ، إما أن يأخذ بيدك إلى الجنة ، وإما أن يجرك إلى النار : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩- ٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩] .

وحفظ الوقت بالأعمال الصالحة من أهم المهمات ، أما الفراغ فهو باب المعاصي ، ومن لم يشتغل بالطاعة ، شغلته نفسه والشيطان بالمعصية: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

وقال تعالى:﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف:٥٣] .

قال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر:٦].

١٠- الخزانة العاشرة

فقه الأعمال الصالحة :

الإسلام كله أخبار وأوامر ، وخيرات وبركات ، وعلى قدر الهدف يكون الانطلاق ، والمشي ، والمسارعة .

ففي طلب العلم نطلب الزيادة من ربنا دائمًا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾[طه:١١٤] .

وفي طلب الرزق نمشي في الأرض ، وننتشر لطلب الرزق ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[الملك:١٥] .

وقال الله تعالى:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[الجمعة: ١٠] .

وفي طلب الصلاة ، والمسارعة إليها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الجمعة:٩] .

وفي جهد الهداية ، والدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله جعله الله مطلقًا في الزمان ، والمكان ، والحال ، فله كل الأوقات كما قال سبحانه : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ ﴾[الحج:٧٨] .

وقال الله تعالى:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل:١٢٥] .

وقال الله تعالى:﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

وقال الله تعالى: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥] .

وفي طلب الجنة نسارع إلى كل عمل صالح ، ونسابق للوصول إلى رضوان الله ﷻ والفوز بالجنة : ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد:٢١].

وأما إليه سبحانه ، فنفرُّ ونعجل إلى كل عمل يرضيه : ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [التوبة:٦٢] .

وقال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

وقال موسى ﷺ : ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه:٨٤] .

والموت ميقات العباد ، فليبادر كل إنسان إلى التوبة إلى الله ، وأداء الأعمال الصالحة ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨] .

• **فقه الدعوة إلى الله :**

الهداية أعظم شيء في خزائن الله ، وهي أول وأعظم سؤال في القرآن ، كما جاء في فاتحة الكتاب : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[الفاتحة: ١ – ٧]

وبسبب فكر الهداية يظهر الله الحق ، ويبطل الباطل ، وينصر أولياءه ، ويخذل أعداءه : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١] .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[غافر:٥١] .

وبسبب فكر الهداية القاتل والمقتول في الجنة ، وبسبب فكر الهداية يبذل الإنسان نفسه ليقتل في سبيل الله ، ويحيا الدين ، فجهد الهداية له كل الأوقات : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف:١٠٨] .

والقتال في سبيل الله له بعض الوقت ، فبفكر الهداية ينتشر الدين ، وبفكر الشهادة لا ينتشر الدين ، وحب الشهادة من ثمرات الهداية .

فأول عمل ، وأفضل عمل ، فكر الهداية قبل فكر الشهادة ، وبفكر الهداية من قاتلك قاتل معك ، فأبو سفيان ، وخالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعمرو بن العاص، هؤلاء كفار قاتلوا المسلمين، ثم قاتلوا معهم ، بسبب فكر الهداية ، لما هداهم الله .

والله تعبدنا بالمشي في الشوارع للدعوة إلى الله قبل المشي إلى الصلاة في المساجد والجوامع فقال :﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ ﴾[الفرقان:٦٣] .

والدعوة إلى الله من أول يوم ، أما الصلاة ففرضت في السنة العاشرة قبل الهجرة ، والصوم في السنة الثانية من الهجرة ، والزكاة في السنة الثانية ، والحج في السنة العاشرة ، والجهاد في السنة الثانية .

فبسبب فكر الهداية ، الله ﷻ يعطيك الشهادة ، فالله تعبدنا بجهد الدعوة أولًا ، لأنه أقوى عبودية ، وأكبر عبودية ، وأوسع عبودية : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

فالعابد فقط أخذ عناوين قليلة من الإسلام ، منها الوضوء والصلاة والصيام ، والزكاة والعمرة والحج وغيرها ، لكن الداعي أخذ هذه العناوين وأخذ أكبر العناوين ، في الدين ، فأخذ حياة النبي ﷺ ، وجهد النبي ﷺ ، وفكر النبي ﷺ ، يوم كيومه ، وأقوال وأعمال وأخلاق كأقواله وأعماله وأخلاقه ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب:٢١] .

فليس من يصرف أوقاته وأمواله في سبيل نشر الهداية ، كمن يصلي وينام ، ويصوم وينام ، ويتصدق وينام : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾[الحجرات: ١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١].

والله سبحانه ذكر موسى ﷺ وذكر مساوئ أصحابه ، وذكر محمدًا ﷺ ، ومجّد أصحابه فقال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة:١٠٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٥] .

وتعليق الآمال بالأعمال سنة الأنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

وتعليق الأعمال بالأسباب طريق الكفار والأشقياء : ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سبأ:٣٥] .

فحياة المسلم كلها عبادة ودعوة : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

والله سبحانه جعل فواصل كبيرة بين الصلوات الخمس ، ليقوم المسلم فيها بالدعوة إلى الله ، وتعليم شرع الله ، والإحسان إلى خلق الله ، ومن كانوا قبلنا كانوا يصلون خمسين صلاة في اليوم والليلة ؛ لأن هذه الأمة مكلفة بالدعوة والعبادة كالأنبياء ، فتعليق الآمال بالأموال والمناصب غرور ، وتعليق الآمال على الكبير المتعال عزة وفلاح ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾ [الطلاق:٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن:١٣] .

والله سبحانه أعطى أولياءه الأعمال الصالحة التي ينصرهم ويسعدهم بها ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[الجمعة: ٢]

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج:٤٠-٤١] .

وهناك أربع مهلكات للعبد : أنا ، ولي ، وعندي ، وبيدي ، وهذه كلها لله لا للعبد .

والنجاة أن ننتقل من أنا لهو ، وهو الله الذي بيده ملكوت كل شيء : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحشر:٢٢] .

وأنتقل من لي إلى له : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة:١٢٠] .

ومن عندي إلى وعنده : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩] .

وقال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر:٢١] .

وننتقل من بيدي إلى الله الذي بيده الملك : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] .

فالداعي غير المقاتل ، فالمقاتل يحتاج إلى سلاح يدفع به الشر عن نفسه ، ويدافع عن نفسه فقوته في سلاحه ، أما الداعي لا يحتاج إلى أسباب مادية فإن معه قوة الله التي لا يقف لها شيء : ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٣-٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة:٤٠] .

وقال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

فالدعوة قوة من غير سلاح ، وغنى من غير مال ، وعز من غير جاه ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون:٨] .

فاملأ قلبك الصغير ، ولسانك الصغير ، وعمرك القصير ، بما يحبه الله ويرضاه ، يملأ لك حياتك في الدنيا أمنًا وطمأنينة وسعادة ، ويملأ لك الجنة بكل ما تحبه وترضاه من ألوان النعيم ، ورضوان رب العالمين : ﴿ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد:٢٨-٢٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨] .

في مكة قبل الهجرة الصحابة يبيتون ، ليلاً ليهجدون ، ويمشون في الدعوة إلى الله ، فالليل دعاء بالهداية ، وبالنهار جهد الهداية على الكفار ، ليس فيه صلاة ولا صوم ولا حج : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان:٦٣-٦٤] .

وجهد الدعوة إلى الله أعظم مقوم للعبودية ، وامتثال أوامر الله في كل حال ، والمطلوب إيجاد حضارة الأعمال والأخلاق في البشرية ، لا حضارة الأموال ، والأشياء ، والشهوات : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢] .

وبهذه الأعمال والأخلاق تكون السعادة في الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

والدعوة إلى الله لها بذل وتضحية فمن أذل نفسه في سبيل الله ، ذلل الله له يوم القيامة فواكه الجنة ، ومن سقى وأطعم وأكرم من أجل هداية الناس ، سقاه الله من الرحيق المختوم ، وأطعمه الفواكه ، وأنواع الطعام ، وأكرمه برؤيته ، وأنواع النعيم : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[التوبة:٨٨] .

وقال الله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة:٢٢- ٢٣] .

فقه فعل الأسباب :

الأول : الدنيا لها أسباب ، والآخرة لها أسباب ، ودخول الجنة له أسباب من الإيمان والأعمال الصالحة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[الكهف:١٠٧] .

ودخول النار له أسباب : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٤] .

والأسباب كلها عبادة إذا كانت مشروعة ، وامتثلنا أمر الله فيها : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

فالدنيا دار الأسباب ، وفي الآخرة تنتهي الأسباب ، ونرى قدرة الله تفعيل مباشرة ، ونحن في الدنيا نفعل الأسباب بجوارحنا ، ونتوكل على الله بقلوبنا ، لأن الأمر كله لله ، والله قدّر الثواب والعقاب مربوطًا بأسبابه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[التغابن:١٣] .

وقال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

فالأخذ بالأسباب إسلام ، والتوكل على الله إيمان ، وترك الأسباب رهبانية ، والاعتماد على الأسباب يهودية ، وإنكار الأسباب إلحاد .

والله سبحانه شرع الأسباب لحكم عظيمة منها :

أولاً : إن الله سبحانه يريد بكثرة الأسباب تنويع العبودية لله في كل حال من حياة الإنسان ، كالأكل ، والشرب ، والصوم ، والصلاة ، وغير ذلك من الأسباب ، وكالبيع ، والشراء ، والزراعة ، والصناعة ، حتى في الذنوب فإذا ضعف الإيمان ، ثم وقع الإنسان في المعصية ، شرع له الاستغفار والتوبة ، وهي من الأسباب : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠] .

و قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لهمْ » . أخرجهُ مُسْلِمٌ[1] .

ثانيًا : أن الله سبحانه أحوج الخلق كلهم إليه ، في خلقهم وأرزاقهم ، وشرع لهم أسبابا لرضاه ، ليفتقر كل أحد إليه ، سواء كان غنيا أو فقيرا ، قادرًا أو عاجزًا ، ولو كان فينا من يرزق بغير الأسباب ، لتعلق الناس به ، وعبدوه من دون الله ، وصار فتنة للناس ، كما فُتن الناس بعيسى بن مريم ﷺ ، لمّا جاءهم ببعض الآيات; كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه ، والأبرص .

ثالثًا : أن الله ﷻ جعل الأسباب الدنيوية في مقابل الأوامر الشرعية ، فابتلى الله الناس بالأسباب ، لكي ينظر من يقدم الأسباب الدنيوية على أوامر الله الشرعية ، أو يقدم أوامر الله على الأسباب ، فطلب الرزق مشروع ، ولكن إذا جاء وقت الصلاة ، هل نتركه ونصلي ؟ وهذا هو محل الابتلاء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١١/ ٢٧٤٩).

ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾[الجمعة:٩-١٠] .

رابعًا : إذا تعارضت الأسباب مع أمر الله ، هل يلغي الإنسان السبب ؟ أم يترك أمر الله ، كما يدفع الإنسان الرشوة لإنجاز عمل أو حاجة له ، فهذا سبب حرام ، فإذا دفعها فقد عصى الله ، ومن تركها فقد نجح في الاختبار : ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥ ﴾[الأنبياء:٣٥] .

خامسًا : أن الله خلق الأسباب فتنة ، لينظر سبحانه من يتعلق به ، ممن يتعلق بغيره ، ومن يتوجه إليه ، ممن يتوجه إلى غيره : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾[العنكبوت:٢-٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥ ﴾[الأنبياء:٣٥] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٣٠-خزائن الأحكام العامة

القسم الأول

ويشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٣٠-خزائن الأحكام العامة

القسم الأول

١- الخزانة الأولى

في هذه الخزائن الكبرى بَيَّنا بفضل الله وحده الأحكام ، والأصول ، والعلم النفيس المتين من أحكام التوحيد ، والإيمان ، والعباداتِ ، والمعاملات ، وفقه القلوب ، وفقه الجوارح ، وجعلناها منوعة من جميع أبواب الشريعة ، لئلا تمل النفوس من نوعٍ واحد ، فهي أغذية طيبة للقلب والعقل ، يستنير بها المسلم ، ويتعبد لله بموجبها .

فهي بستان القلوب ، و العقول ، يقطف منها طالب العلم ما لذَّ وطاب من ثمرات العلمِ ، والهدى ، ويتعبد لله به ، ويتزين به ، ويُزين الناس به : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ [هود:١١٢] .

قال الله تعالى : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

فقه إحسان العمل :

والمؤمن بعد إيمانه يجب أن يعبد الله ﷻ بصفة الإحسان ، فإحسان العمل هو الذي خلق الله الخلائق من أجل الاختبار فيه كما قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[هود:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[الكهف:٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[الملك:١-٢] .

والطريق التي يصُح بها الإحسان ، ويكمن ، هو الواعظ الأكبر في القرآن الكريم ، وهو مراقبة الله ﷻ ، وعلم العبد أنه كأنه يرى وينظر إلى ربه جل وعلا حين يقف بين يديه في جميع أحواله ، وأنه إن لم يكن يراه فالله بلا شك يراه في جميع أحواله فإذا علم العبد أنه بين يدي جبار السموات والأرض ، وأنه بين يدي الرحمن الرحيم ، وأنه يراه ، أحبه وخافه ، ورجاه ، وأحسن عمله لربه كالآنبياء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

فإن من كان أمام ملكٍ جبار من ملوك الدنيا ، لابد أن يحُسن عمله أمامه ، ويطيعه بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ؛ ولهذا أرسل الله سبحانه جبريل إلى محمد ﷺ ليُبين للمسلمين الطريقة التي يصِحُ بها الإحسان حين سأله

عن الإيمان ، والإسلام ، ثم سأله عن الإحسان فقال : « الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » . متفق عليه[1] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ [النساء:١٢٤-١٢٦] .

وامتثال أوامر الله ورسوله في كل حال ، وطاعة الله ورسوله في كل أمر ، وحسُن الأدبِ مع الله ورسوله ، بكمال الإيمان ، والتقوى ، كل ذلك سببٌ لرحمة الله ، ومغفرته ، وتحقيقٌ لصفة الإحسان ، والله يحب المحسنين : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة:١٩٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

والدنيا دار الإيمان والعمل ، والآخرة دار الثوابِ والعقاب ، والآخرة لا تصلح للمفاليس ، لا تصلح للفقراء ؛ لأنه ليس فيها عارية ، ولا صدقةٌ ، ولا خُلةٌ ليس فيها للإنسان إلا ما قَدَّم من عمله : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم:٣٩-٤١] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥/ ٩).

وقال الله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[الأنعام:١٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[العنكبوت:٦] .

فاستبقوا الخيرات علمًا ، وعملًا ، وأخلاقًا ، وإخلاصًا ، وصدقًا وإحساناً : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

فقه الأحكام الشرعية

الحكم الشرعي : هو ما دَلَّ عليه خطاب الشرع المتعلق بأفعال المُكلفين من طلبٍ ، أو تخييرٍ ، أو وضع .

فالطلب نوعان :

فعلٌ .. وتركٌ .

فطلب الفعل: هو الواجب والمُستحب، وطلب الترك: هو المُحرم والمكروه، والتخيير : هو المُباح الذي يستوي فعله وتركه .

والوضع ما وضعه الشارع سببًا لشيء ، أو شرطًا له ، أو مانعًا له .

أقسام الأحكام الشرعية :

الأحكام الشرعية تنقسم إلى قسمين :

الأول : أحكامٌ تكليفية

الثاني : أحكام وضعية

والأحكام التكليفية خمسة أنواع :

١- الواجب .

٢- والمندوب .

٣- والمُحرم .

٤- والمكروه .

٥- والمُباح .

والأحكام الوضعية سبعة :

١-السببُ .

٢- والشرطُ .

٣- والمانعُ .

٤- والصحةُ .

٥- والفسادُ .

٦- والرخصةُ .

٧- والعزيمة .

وهذا بيانٌ للأحكام التكليفية :

١- **الأول** : الواجب ، والواجب : هو ما يُثاب فاعله امتثالًا ، ويستحق العقاب تاركه ، مثاله : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[البقرة:٤٣] .

وأقسام الواجب ثلاثة :

القسم الأول : باعتبار الوقت ، وهو قسمان :

الأول : واجب موسع : وهو ما كان وقته متسعاً له ولغيره من جنسه .

مثاله : أوقات الصلاة ، فإن أوقاتها مُتسعة للفرائض ، والنوافل .

الثاني : واجبٌ مُضيق : وهو ما كان وقته لا يتسع لغيره من جنسه .

مثاله: صوم رمضان فهو شهر واحد لصيام رمضان، لا يتسع لصيام آخر معه.

القسم الثاني : باعتبار المُكلف ، وهو قسمان :

الأول : واجب عيني : وهو ما طلب الشارع من كل واحدٍ من المُكلفين فعله بعينه ، مثل : الصلوات الخمس ، والصيام ، والحج ، والدعوة إلى الله ، ونحو ذلك فهذا يجب على كل فردٍ مُكلف أن يأتي به : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧].

الثاني : واجبٌ كفائي : وهو ما طلب الشارع من المُكلفين فعله ، وإذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقيين ، وإذا لم يقم به أحدٌ أثموا جميعًا .

مثاله : الجهاد في سبيل الله ، وتعليم الناس أمور دينهم ، وإفتاء الناس فيما يُشكِل عليهم ، والأذان ، والقضاء بين الناس ، ونحو ذلك ، فإذا قام بذلك من يكفي سقط الإثم عن الباقيين .

القسم الثالث : باعتبار المُكلف به ، وهو قسمان :

الأول : واجبٌ معين : وهو ما طلب الشارع من المُكلف فعله بعينه ، مثل : الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، ونحوها ، فهذه عبادات أمر الله المُكلف أن يأتي بها بعينها ، ولا يجوز أن يأتي ببدل عنها .

الثاني : واجب مخُيَّر : وهو ما طلب الشارع من المُكلف أن يأتي بأمر واحد من أمور معينة .

مثاله : كفارة اليمين ، وفدية الأذى ، ونحوهما ، فالواجب على المُكلف أن يأتي بواحدٍ من كفارة اليمين ، أو فِدية الأذى ، وتبرأ ذمته .

٢- الثاني : المندوب : وهو ما يُثاب فاعله امتثالًا ، ولا يُعاقب تاركه .

مثاله : كتابة الدين ، فإن الله أمر به ثم قال : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾[البقرة:٢٨٣] .

فدلَّ على أن الأمر بالكتابةِ للندب لا للوجوب .

٣- الثالث : المُحرم : وهو ما يُثاب تاركه امتثالًا ، ويستحق العقاب فاعله ، مثاله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الإسراء:٣٢] .

٤- الرابع : المكروه : وهو ما يُثاب تاركه امتثالًا ، ولا يعاقب فاعله .

مثاله : كراهة الشرب قائمة .

٥- الخامس : المُباح : وهو ما خيّر الشارع بين فعله وتركه ، مثل : إباحة الطيبات كما قال سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾[المائدة:٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾ [النساء:٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ ﴾ [المائدة:٢]

فهذا الأمر فيه للإباحة .

فهذه أقسام الأحكام التكليفية .

والأحكام الوضعية سبعة وهي :

السببُ ، والشرطُ ، والمانعُ ، والصحةُ ، والفساد ، والرُخصة ، والعزيمة ، وهذا بيان للأحكام الوضعية .

الحكم الوضعي : هو ما دلَّ عليه خطاب الشرع بجعل الشيء سببًا لشيء ، أو شرطًا له ، أو مانعًا له ، أو كونه صحيحًا ، أو فاسدًا ، أو رُخصةٌ ، أو عزيمة ، فالحكمُ يوجد بوجود سببه ، وتوفر شرطه ، وانتفاء مانعه ، وينتفي بضد ذلك .

أقسام الحكم الوضعي :

الحكم الوضعي سبعة أقسام :

الأول : السبب : وهو ما يلزم من وجوده الوجود ، ويلزم من عدمه العدم لذاته ، فإذا وجد السبب ، وجد الحُكم ، وإذا تخلف السبب بطل .

مثاله : الوقت فقد جعله الله سببًا لوجوب إقامة الصلاة ، فإذا دخل الوقت وجب إقامة الصلاة المفروضة ، وإذا لم يدخل الوقت لم يصح الفعل .

الثاني : الشرط : وهو ما يلزم من عدمه العدم ، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته .

مثاله : الطهارة للصلاة شرطٌ لصحتها ، فإذا انعدمت الطهارة لم تصح الصلاة ، وإذا وُجدت الطهارة لا يلزم من وجودها وجود الصلاة .

الثالث : المانع : وهو ما يلزم من وجوده العدم ، ولا يلزم من عدمه وجود .
ومثاله : الحدث مانعٌ من صحة الصلاة ، ولا يلزم من عدم الحدث وجود الصلاة .
الرابع : الصحة : وهو ما ترتبت آثار فعلية عليه ، سواءً كان في العبادات ، أو المعاملات .
فالصحيح من العبادات كل عبادة أداها المُكلف امتثالًا لأمر الشارع ، تامة الشروط ، منتفية الموانع .
مثاله : أن يؤدي المسلم صلاة المغرب في وقتها ، تامة الشروط ، والواجبات ، والأركان .
والصحيح من المعاملات ، والعقود ، ما ترتب الأثر المقصود من العقد عليه ، ولا يكون العقد صحيحًا إلا بتمام شروطه ، وانتفاء موانعه .
مثاله : أن يشتري بيتًا بماله ، فيُباحُ له التصرف فيه ، والانتفاع به .
الخامس: الفساد : وهو ما لا تترتب آثار فعله عليه في العبادات ، والمعاملات ، فالفاسد من العبادات كل عبادة أداها المُكلف على وجهٍ غير موافق للشرع .
مثاله : أن يصلي العصر في غير وقتها ، أو من غير وضوء ، أو لغير القبلة ، فلا تصح ، وعليه إعادتها بشروطها .
والفاسد من المعاملات والعقود كل ما لا يترتب الأثر المقصود من العقد عليه ، بأن يفعله غير تام الشروط ، أو مع وجود بعض موانع صحته .
مثاله : أن يشتري سيارة بغير رضا صاحبها ، فلا يصح البيع ، ولا يُباح له الانتفاع بها ، ويحرم على المسلم أن يفعل العبادات ، والمعاملات ،

والعقود الفاسدة ، لأن ذلك من تعدي حدود الله ، واتخاذ آيات الله هزوًا : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾[البقرة:٢٢٩] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ [الطلاق: ١] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء:١١٥] .

وعن عائشة رضي الله عنها « قَالَتْ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةً ، حَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ بَاطِلٌ ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ ، كِتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ ، وَشَرْطُ اللَّهِ أَحَقُّ » . متفق عليه[1] .

السادس : العزيمة : وهي الحُكم الشرعي الثابت بدليلٍ شرعي خالٍ عن معارض .

مثاله : الصلوات الخمس في أوقاتها ، وصوم رمضان للمُقيم ، وجواز البيع ، وتحريم الخمر ، ونحو ذلك .

والعمل بالعزيمة واجب ، لأنها الأصل : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر: ٧] .

السابع : الرُخصة : وهي ما ثبت على خلاف دليل شرعي، لمعارض راجح.

مثالها : قصر الصلاة الرباعية في السفر ، وإباحة أكل الميتة للمضطر ، وجواز المسح على الخُفين ، ونحو ذلك .

وأسباب الرُخصة سبعة :

الأول : السفر : كقصر الصلاة الرباعية في السفر .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٠٤٧)، ومسلم برقم: (٨/ ١٥٠٤)، واللفظ له.

الثاني : المرض : كالتيمم عند المرض .
الثالث : الإكراه : كالعفو عن التلفظ بكلمة الكُفرِ مع اطمئنان القلبِ بالإيمان عند الإكراه .
الرابع : الجهل : كمن شرب الخمر جاهلًا بحكمها ، يدرأ عنه عقوبتها جهله بحكمها .
الخامس : العُذر ، وعموم البلوى ، كالصلاة مع وجود نجاسة لا يمكن التخلص منها .
السادس : النسيان : كمن شرب أو أكل وهو صائم ناسيًا .
السابع : النقص : كعدم تكليف الصغير، والمجنون، لعدم البلوغ، والأهلية.
فقه المُطلق والمُقيد :
المُطلق : ما دلَّ على الحقيقة بلا قيد .
مثاله : الجمل ، الماء ، الكتاب ، ونحو ذلك .
والمقيد : ما دلَّ على الحقيقة بقيد .
مثاله : الجمل الأسود ، الماء الكثير ، الكتاب الأخضر .
أحوال المُطلق والمُقيد في الشريعة :
إذا ورد النص الشرعي مطلقًا في موضع، ومقيدًا في موضع فله أربعة أحوال:
الأول : أن يتحد الحكم والسبب ، فيجب حمل المُطلق على المُقيد .
مثاله : لفظ الدم ورد مُطلقًا في قوله سبحانه : ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ ﴾ [المائدة:٣] .

وورد مُقيدًا في قوله سبحانه : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ ﴾ [الأنعام:١٤٥] .

فالحُكمُ مُتحد ، وهو التحريم ، والسبب متحد وهو الضرر ، فيجب حمل المُطلق على المُقيد ، فيحرم الدم المسفوح دون الباقي في العروقِ ، والكيد ونحوهما بعد الذبح .

الثاني : أن يختلف الحُكم والسبب ، فلا يُحمل المُطلق على المُقيد .

مثاله : لفظ اليد ، وردت مُطلقة في السرقة في قوله : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾ [المائدة:٣٨].

ووردت مُقيدة في الوضوء في قوله سبحانه : ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾[المائدة:٦] .

فالحُكم مختلف ، ففي الأولى وجوب القطع ، وفي الثانية وجوب الغسل ، والسبب مخُتلف ، فالأولى في السرقة ، والثانية في الوضوء ، فلا يحُمل المُطلق على المُقيد ، وبَيَّنت السنة أن القطع من مفصل الكف .

الثالث : أن يتحد الحكم ، ويختلف السبب ، فيُحمل المُطلق على المُقيد .

مثاله : الرقبة في كفارة الظهار ، جاءت مُطلقة كما قال سبحانه : ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ﴾[المجادلة:٣] .

ووردت مُقيدة في كفارة القتل: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴾[النساء:٩٢]

فالحكم واحد ، وهو تحرير رقبة ، والسبب مخُتلف في الأولى في الظهار ، وفي الثانية في القتل ، فيُقيد المُطلق في كفارة الظهار بالمُقيد في كفارة القتل ، ويُشترط الإيمان في تحرير الرقبة .

الرابع : أن يتحد السبب ، ويختلف الحُكم ، فلا يحُمل المُطلق على المُقيد.

مثاله : غسل اليد ومسحها ، ورد مسح الأيدي مطلقًا في التيمم في قوله : ﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ ﴾[المائدة:٦] .

وورد مُقيد في آية الوضوء في قول ﷻ : ﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾[المائدة:٦] .

فالسبب مُتحد ، وهو التطهر ، والحكم مختلف ، ففي الأول تيمم ، وفي الثاني الوضوء ، فلا يحُمل المُطلق على المُقيد ، ويكون لكل حالة حُكمها.

فقه العام والخاص :

العام هو اللفظ المُستغرق لجميع أفراده بلا حصر .

مثاله : الرسول ، البر ، الرقبة ، وصيغ العموم مثل : كل ، جميع ، كافة ، عامة ، وأسماء الشرط مثل : مَنْ ، والأسماء الموصولة مثل : الذي ، اللذين ، إلى آخره ، والمُعرف ب ال ، والنكرة في سياق الشرط مثل : ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦ ﴾[التوبة:٦] .

وسياق النهي : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾[النساء:٣٦] .

والنفي مثل : ﴿ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ ﴾[الأنعام:١٠١] .

أقسام العام :

ينقسم اللفظ العام من حيث الدلالة إلى ثلاثة أقسام :

عامٌ يُراد به العموم مثل : ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ [هود:٦] .

الثاني : عامٌ يُراد به الخصوص مثل ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ [آل عمران:٩٧] .

فلفظ الناس عامٌ ، ومخصوص بغير المُكلفين : كالأطفالِ ، والمجانين .

الثالث : عامٌ ومخصوص : وهو العام الذي يقبل التخصيص ، وهذا غالب العمومات التي في الكتابِ ، والسنة ، ويجب العمل بلفظ العام ، حتى يثبت تخصيصه .

والخاص : هو تفرد الشيء بما لا يشاركه فيه غيره ، وهو كل لفظ وُضع لمعنى واحد على الانفراد ، مثاله : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[البقرة:٢٢٨] .

فالآية عامة خُصت بقوله سبحانه : ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾[الطلاق:٤] .

والتخصيص بالنص الشرعي له أربع حالات :

الأولى : تخصيص القرآن بالقرآن ، مثل : ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾[البقرة:٢٢١] .

خُصصِت بقوله سبحانه : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[المائدة:٥] .

فيجوز نكاح نساء أهل الكتاب .

الثانية : تخصيص القرآن بالسنة، مثل : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ [المائدة:٣] .

خُصصت بقوله ﷺ في البحر : « هو الطَّهُورُ مَاؤُهُ ، الحِلُّ مَيْتَتُهُ » . أخرجه الترمذي والنسائي بسندٍ صحيح[١] .

الثالثة : تخصيص السُنة بالسُنة ، مثل قول الرسول ﷺ : « فِيمَا سَقَتْ السَّمَاءُ الْعُشْرُ » . متفق عليه[٢] .

خُصَّ بقول النبي ﷺ :« لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ» . متفق عليه[٣] .

---

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٦٩)، والنسائي برقم: (٥٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٨٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٨٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١/ ٩٧٩).

الرابعة : تخصيص السنة بالكتاب ، مثل قول النبي ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله » . متفق عليه[1] .

فهذا عام خُصِصَّ بقول سبحانه : ﴿ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [التوبة:٢٩] .

فقه : الأمر والنهي :

الأمر : طلب الفعل ، والنهي : طلب الترك .

الأمر هو : استدعاء الفعل بالقول على جهة الاستعلاء .

وصيغة الأمر لها حالتان :

الأولى : أن يكون الأمر مقترنًا بما يدلُ على أنه للوجوب أو لغيره .

مثاله : الوجوب كقول سبحانه : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [النور:٥٦] .

والاستحباب أن يقترن الأمر بما يدل على أنه للاستحباب .

مثال : قوله ﷺ : « لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ » . متفق عليه[2] .

الثانية : أن يرد الأمر مطلقًا مجردًا من القرائن ، فهو الوجوب، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾ [الحشر: ٧] .

والنهي هو : القول الدال على طلب الكف الفعلي على جهة الاستعلاء .

وصيغ النهي مثل : لا تفعل، وأن يوصف الفعل بالتحريم، أو الحذر، أو القُبح، أو نفي الحل، أو الأمر الدال على الترك، وذم فاعله، أو يترتب على فعله عقاب ونحو ذلك .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٦/ ٢٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨٨٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٢/ ٢٥٢).

والنهي يقتضي التحريم ، والفساد ، إذا تجرد عن القرائن كما قال سبحانه : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[البقرة:٢٧٥] .

حكم القياس :

أدلة الشرع أربعة :

١- الكتابُ .

٢- والسنة .

٣- والإجماعُ .

٤- والقياس .

والقياس : إلحاق فرعٍ بأصلٍ لعلةٍ بينهما .

ومثال القياس: كقياس النبيذ على الخمر في التحريم، لعلة الإسكار، وقياس الأرز على البر في إخراج زكاة الفطر؛ لعلة القوت والادخار ، ونحو ذلك.

وأركان القياس أربعة :

١- الأصل المقيس عليه : كالخمر .

٢- والعلة الجامعة بينهما وهي : الإسكار .

٣- والفرع المقيس : كالنبيذ .

٤- وحكم الأصل ، وهي : التحريم .

والجامع بين الفرع والأصل ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : قياس العلة : كقياس الأرز على البر في زكاة الفطر ؛ لعلة القوتِ ، والطُعمِ ، والكيلِ ، والادخار .

الثاني : قياس الدلالة ، وضابطة أن يكون الجمع فيه بدليل العلة لا بنفس العلة : كإلحاق النبيذِ بالخمر بجامع الشدة المُطربة ، وقياس القتل بمثقلٍ

عمدًا على القتل بمحدد بجامع الإثم ، وقطع الجماعة في السرقة بالواحد كما يقتلون به بجامع وجوب الدية عليهم في غير العمد .

الثالث : قياس الشبة : كالعبد الرقيق ، لأنه متردد بين أصلين ، فهو يشبه المال ؛ لكونه يُباع ، ويُشترى ، ويوهب ، ويشبه الحر ؛ لكونه إنسانًا ينكح ، ويُطلق ، ويُثاب ، ويُعاقب ، لكن شبهه بالمال أكثر من شبهه بالحر ، فيلحق في الأحكام بالأموال ؛ لأنه يشبه المال في الحُكم ، والصفة .

والقياسُ هو : العدل والميزان الذي ذكره الله في كتابه بقوله : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥] .

والقياسُ ينقسم إلى قسمين :

الأول : قياسٌ صحيح ، وهو : الميزان الذي أنزله الله مع كتابه كما سبق .

الثاني : قياسٌ فاسد ، وهو : ما يُضاد القياس الصحيح ، كقياس الميتة على المذكاة ؛ لما يشتركان فيه من إزهاق الروح ، هذا بفعل الله ، وهذا بفعل الآدمي ، وقياس الربا على البيع ؛ لما يشتركان فيه من التراضي ، هذا كله قياسٌ باطل مذموم فاسد : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾** ﴾ [النساء:١١٥] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، و مسلم برقم: (١٧/ ١٧١٨)، واللفظ له.

فقه الغفلة

الغفلة ضد الذِكر ، والغفلة هي الشرود عن الشيء ، وخروجه عن الذهنِ ؛ للاشتغال بغيره ، وإذا غفل الإنسان فاته مطلوبه ، ووقع في الخطأ ، والله ﷻ لا يغفل أبدًا ، فعلمه محيط بكل خلقه : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[سبأ:٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود:١٢٣] .

فالله سبحانه سميعٌ بصيرٌ عليم ، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء لا يغفل عما يفعله الظلمة ، ولكنه يُمهل ولا يُهمِل ؛ لعلهم يتوبون أو ليزدادوا إثمًا ؛ ولتكون عقوبتهم أشد يوم القيامة كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[إبراهيم:٤٢] .

فكل ما يعمله الكُفار والظلمة والطغاة مدخره الله لهم ، ومجُازيهم عليه : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[النجم:٣٩-٤١]

وليس الله بغافل عما يعمله المسلمون من الخير والحسنات ، فهو مدخرة لهم ، ومجُازيهم عليه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

فجميع الأعمال خيرها وشرها ، تُحفظ عند الله ، ويجُازي بها أهلها يوم القيامة ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه : ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٣] .

وأعظم أنواع الغفلة : الغفلة عن الله جل جلاله ، والغفلة عن أوامر الله ، والغفلة عن اليوم الآخر : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [النساء:٨٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨]

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

٢- الخزانة الثانية

فقه القواعد الكلية الشرعية

القاعدة الأولى : اليقينُ لا يزول بالشك .

هذه القاعدة تدخل في جميع أبواب الفقه الإسلامي ، وتُعد مظهرًا من مظاهر اليُسر والرحمة في الإسلام ؛ لما فيها من رفع الحرج الذي ينشأ عن الوسواس خاصة في باب الطهارة ، والصلاة .

واليقين هو : العلم الجازم المستقر في القلب الذي لا يقبل الشك .

والشك هو : الأمر الذي استوي طرفاه في القلب ، فإذا ترجح أحدهما ولم يُطرح الآخر فهو الظن ، فإذا طرحه فهو غالب الظن ، وهو بمنزلة اليقين ، وإذا لم يطرحه فالمرجوحُ وهم .

واليقين أعلى مراتب الدين ، وهو ثمرة الفقه في الدين ، والدعوة إلى الله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤] .

حُكم الشك :

الشك هو : التردد بين أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر .

ومحل الشك : إما أن يكون في وجود الشيء وعدم وجوده ، وإما أن يكون في جنسه من أي جنس هو ، وإما أن يكون في بعض صفاته ، وإما أن يكون في سبب وجوده .

ومما له صلة بالشك : الاشتباه ، والوسوسة .

فالاشتباه : الالتباس في أمرٍ من الأمور ، وعدم اتضاحه : كعدم تيقن الحُكم كونه حلالًا أو حرامًا ، ويُعد الشك سببًا من أسباب الاشتباه .

والوسوسة مرضٌ في القلب ، بأن ينشغل القلب بفكرة تُسيطر على العقل ، فتحمله على أعمالٍ خرقاء خارجة عن المألوف .

أدلة قاعدة اليقين لا يزول بالشك :

اليقين لا يزول بالشك ؛ لأن اليقين أقوى من الشك ؛ لأن في اليقين حُكمًا قطعيًا جازمًا لا ينهزم بالشك ، والشك لا يقوى على إزالة اليقين ، فالعلم ضد الجهل ، واليقين ضد الشك ، وهذه القاعدة تستندُ إلى أدلة شرعية منها: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم:٢٣].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾[النجم:٢٨].

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا ، فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ أَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ لاَ ؛ فَلاَ يَخْرُجَنَّ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا » . أخرجه مسلم[1] .

أصولٌ عامة :

الأصل ما ثبت بدليلٍ شرعي يُعمل به ، ومن ذلك .

أولاً : الأصل في المياه الطهارة: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الفرقان:٤٨] .

ثانيًا : الأصلُ في الأرضِ وما تولد فيها الطهارة ، كما قال النبي ﷺ : « وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا » . متفق عليه[2] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٩/ ٣٦٢) .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٤٣٨) ، ومسلم برقم (٥٢١) .

وقال ﷺ: « الصَّعِيدَ طَهُورُ المُسْلِمِ، وَإِنْ لَمْ يجِدِ المَاءَ عَشْرَ سِنِينَ » . أخرجه البخاري[1] .

ثالثًا : الأصل في الذبائح التحريم إلا ما دل الدليل على حله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[الأنعام:١٢١] .

رابعاً : الأصلُ في الأبضاع ، والفروج التحريم إلا ما دل الدليل على حله ، كالنكاح وملك اليمين كما قال سبحانه : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾[النساء:٢٣-٢٤] .

خامساً : الأصلُ في دماء المسلمين ، وأعراضهم ، وأموالهم التحريم، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦/ ٣١٧).

يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾[المائدة:٣٣] .

وقال النبي ﷺ : « كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » . أخرجه الترمذي[1] .

سادسًا : الأصلُ في الطلاق التحريم إلا عند الضرورة والحاجة والمصلحة: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[النساء:٣٤] .

سابعًا : الأصلُ في المنافع : الحِل والإباحة : ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾**﴾[البقرة:٢٩] .

ثامنًا : الأصلُ في المضار التحريم .

قال الله تعالى : ﴿**لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ**﴾[البقرة:٢٣٣] .

وقال النبي ﷺ : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ ». أخرجه أحمد وابن ماجة[2] .

تاسعًا : الأصلُ في الميتة التحريم إلا السمك والجراد فهو جلال : ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ**﴾[المائدة:٣] .

---

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم: (١٩٢٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٨٦٧)، وابن ماجة برقم: (٢٣٤٠).

فروع قاعدة اليقين لا يزول بالشك :

يتفرع عن هذه القاعدة الكُبرى عدة قواعد منها :

أولًا : الأصل بقاء ما كان على ما كان ، فما كان حلالًا يبقى حلالًا إلا أن يرد دليلٌ على الحُرمة ، وما كان طاهرًا يبقى طاهرًا إلا أن يرد دليلٌ يُفيد النجاسة.

ثانيًا : الأصلُ براءة الذمة ، فالأصلُ في ذمم الناس فراغها من جميع أنواع التحمل إلا أن يثبت ذلك بدليل ، فالبينة على المُدعي ، واليمينُ على من أنكر .

ثالثًا : الأصل في الأمور العارضة : العدم ، فالصفات الطارئة على الشيء يحُكم بعدمها إلا أن يثبُت دليل الوجود : كالعيب في المبيع .

رابعًا : لا يُنسب إلى ساكتٍ قول ، لكن السكوت في معرض الحاجة بيان : كسكوت المُتصدق عليه ، وسكوت المدين عند إبراء الدائن له .

خامسًا : إضافة الحادث إلى أقرب أوقاته ، فإذا حصل اختلاف في زمن حدوث الشيء نُسِب إلى أقرب الأوقات للحال ؛ لأنه يقين ، ويُترك الأبعد لأنه شك .

سادسًا : لا حجة مع الاحتمال الناشئ عن دليل ، فكل حجة فيها احتمال مستند إلى دليل يجعلها غير معتبرة فهي باطلة ، فلا تُقبل شهادة الأصول والفروع بغضهم لبعض ؛ لتمكن التهمة الناشئة عن القرابة .

سابعًا : لا عبرة بالدلالة مع ، وجود التصريح ؛ لأن دلالة التصريح يقينية ، ودلالة القرائن محل شك ، فالتصريح مُقدمٌ على الدلالة عند التعارض ؛ لأنه أقوى منها .

القاعدة الثانية : قاعدة الضرر يُزال .

هذه القاعدة من أهم القواعد الفقهية ، ولعلها تدخل في نصف الفقه الإسلامي ؛ لأن الأحكام إما لجلب مصلحة ، أو لدفع مضرة ، ويدخل فيها ما يتعلق بالضروريات الخمس ، ويدخل فيها كثيرٌ من القواعد الفرعية : كالضرر يُزال بقدر الاستطاعة ، بقدر الإمكان ، والضرر لا يُزال بمثله ، والضرر الإخلال بمصلحةٍ مشروعة لنفسه أو لغيره ؛ تعديًا أو تعسفًا أو إهمالًا ، فيجب إزالته ورفعه عن النفس و الغير .

ويجب رفع الضرر قبل وقوعه وبعده، فإذا وقع وجبت إزالته، وترميم آثاره ، فشُرِع الجهاد في سبيل الله ؛ لدفع ضرر العدو ، ووجبت العقوبة ؛ للقصاص والحدود ، لقمع الإجرام ، وشُرعت الشُفعة ، لدفع ضرر الجار أو الشريك .

والضرر : إلحاق مفسدة بالغير مطلقة ، والضرار : إلحاق مفسدة بالغير على وجه المُقابلة .

تأصيل قاعدة الضرر يُزال :

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ﴾[البقرة:٢٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ ﴾[البقرة:٢٣٣] .

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » . أخرجه أحمد وابن ماجة[1] .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » . متفق عليه[1] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٢٨٦٧)، وابن ماجة برقم: (٢٣٤٠).

إعمال قاعدة الضرر يُزال :

يُشترط لإعمال هذه القاعدة ما يلي :

أولًا : أن يكون الضرر محُققًا في الحال أو المستقبل .

ثانيًا : أن يكون الضرر فاحشًا .

ثالثًا : أن يكون الضرر بغير حق ؛ بالتعدي ، والتعسف ، والإهمال .

رابعًا : أن يكون الضرر مخلًا بمصلحة مشروعة ، فيجب إزالة الضرر قبل وقوعه ، وإزالة الضرر بعد وقوعه ، فيجب سد الذرائع المؤدية إلى المضار ، وقاية من حصول الضرر ، كمنع السفيه من التصرف في ماله وتجب إزالة الضرر بعد وقوعه ؛ لأن الضرر ظلمٌ يجب إزالته .

أحوال إزالة الضرر :

إزالة الضرر لها ثلاث حالات :

الأولى: أن يكون بإزالة عينه: كالتنورِ، والمطحنةِ، والمدبغة التي تؤذي الجار.

الثانية : أن تكون بالتعوذ عنه وهو المُسمى بالضمان؛ حفظًا للحقوق، والأموال.

الثالثة : أن تكون بإيقاع العقوبة على الفاعل من قصاصٍ، وحدٍ، وتعزير .

فروع قاعدة الضرر يُزال :

أولًا : تصرف الإنسان في ملكه الخاص يجوز إذا لم يتضرر به غيره .

ثانيًا : تُقدم المصالح إذا كانت غالبة ، وتُقدم المفاسد إذا كانت غالبة ، ودرء المفاسد مُقدمٌ على جلب المصالح عند التساوي .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم(١٧٤١) ، ومسلم برقم (١٦٧٩) .

ثالثًا : إذا تعارضت مفسدتان أُرتُكِب أخفهما ضررًا .

رابعًا : تُرتكب المفسدة الخاصة ؛ دفعًا للمفسدة العامة ، ويُتحمل الضرر الخاص ، دفعًا للضرر العام .

خامسًا : الضرر يُدفَع بقدر الإمكان قبل وقوعه ، ويُدفع البعض إذا لم يمكن دفع الكل .

ضوابط قاعدة الضرر يُزال :

أولًا : الضرر لا يُزال بمثله ، أو أشد منه ، وإنما يُزال الضرر بغير إضرارِ بالغير إن أمكن ، وإلا بأخف منه .

ثانيًا : الضرر يُزال قديمًا كان أو حديثًا ، فلا ضرر ولا ضرار : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة:٢]

القاعدة الثالثة : قاعدة المشقة تجلب التيسير :

المشقة تجلب التيسير من أمهات القواعد الفقهية التي عليها مدار الفقه الإسلامي ، فهي أصلٌ للتخفيفات المُطلقة ، والرُخص الشرعية ، وهي مظهرٌ من مظاهر سماحة الإسلام ووسطيته ، وتكليف الناس بما يطيقون ، ورفع الحرج عنهم : ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] .

معنى القاعدة :

أولاً : المشقة هي : العُسرُ والعناء الخارجين عن حد العادة في الاحتمال ، ويتصل بالمشقة من الألفاظ : الحرج ، والضرورة ، والحاجة ؛ فالحرج ما فيه مشقة فوق المُعتاد ، فهو أشد من المشقة ، والضرورة : بلوغ الإنسان حدًا إن لم يتناول المحظور هلك أو قارب ، وهي أشد من المشقة ،

والحاجة ما تكون حياة الإنسان بدونه عسرة شديدة، فهي أدنى من الضرورة.

ثانيًا : التيسير هو : ما كان أيسر وأسهل على الناس ، ويتصل بالتيسير من الألفاظ : التخفيف ، والترخيص ، والتوسعة ، والتعزيم .

فالتخفيف : رفع مشقة الحُكم الشرعي بنسخٍ ، أو تسهيلٍ ، أو إزالة بعضه ونحو ذلك .

والترخيص : الحكم النازل باليُسر بعد العُسر ؛ لعذرٍ من الأعذار كسفر أو مرض .

والتوسعة هي : ما يكون به الشيء واسعًا مُيسرًا .

والتعزيم : الحُكم الوارد على فعلٍ غير منظورٍ فيه للعُذر : كوجوب الصلاة تامة في الأحوال العادية ، وتحريم أكل الميتة .

فالأحكام التي يكونُ فيها حرج على المُكلف في الشريعة تُخففها بما يستطيعه المُكلف دون عُسرٍ أو حرج : ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ** ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

مقصود القاعدة :

المشقة تجلب التيسير المقصود منها رفع الحرج عن العباد بتحقيق مصالحهم بحفظ الضروريات ، والحاجيات ، والتحسينات .

فالضروريات : حفظ النفس ، والعرض ، والعقل ، والمال ، والدين .

والحاجيات هي : التي يحتاجها الناس للتوسعة عليهم ، ورفع الحرج عنهم ، وتتمثل في تشريع الرُخص ، وإجازة المُضاربة ، والمُسابقات ، وغيرها من المعاملات بين الناس .

والتحسينات هي : ما يقتضيه الأدب الشرعي، وتتمثل في العادات الحسنة ، ومكارم الأخلاق : كالطهارة، وإزالة النجاسة ، وستر العورة ، ونحو ذلك .

تأصيل قاعدة المشقة تجلب التيسير :

ثبتت هذه القاعدة الشرعية بالكتابِ والسُنة بأدلةٍ كثيرة منها: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[البقرة:١٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء:-٢٨] .

وقال الله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح: ١ – ٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ ﴾[الحج:٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[المائدة:٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[الأعراف: ١٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [النساء:١٧١] .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَعَلَيْكُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَىْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ ». أخرجه البخاري[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِي النَّاسِ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَذَا الْحَاجَةِ » . أخرجه البخاري[2] .

أسباب وجود المشقة :

الأسباب التي يغلب معها وقوع المشقة كثيرة ومنها :

أولًا : السفر ، وهو : كل ما يسمى سفرًا في العُرف ، فيُشرع للمسلم الترخُص برخص السفر بعد مفارقة بنيان بلده في قصر الصلاة ، والفطر في رمضان ، ونحو ذلك .

ثانيًا : المرض ، وهو : عرض يطرأ على بدن الإنسان يضعفه عن القيام بالمطلوب على الوجه المُعتاد : ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ [النساء:٤٣] .

ثالثًا : الإكراه ، وهو : حمل الغير على ما يكرهه بالوعيد ، فمن أُكره على شيء بغير حق ، فله فعله ما لم يضر غيره : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل:١٠٦] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٧٠٣).

رابعًا : النسيان ، وهو : زوال المعلومة عن فكر المُكلف ، فإذا كان النسيان لا يتعلق بحقوق العباد ؛ لأن حقوق العباد لا تسقط بالنسيان ، ولم يكن الحق قابلًا للتدارك : كمن نسي الصلاة ، والزكاة ، أو الكفارة ، فهذه يجب الإتيان بها عند تذكرها .

فالنسيانُ سببٌ من أسباب رفع المشقة ، جالب للتيسير في حقوق الله .

قال النبي ﷺ : « مَنْ نَامَ عَنْ صَلاةً أو نَسِيَها فَلْيُصَلِّهَا إذَا ذَكَرهَا ، لا كَفَّارَةَ لهَا إلاَّ ذَلِكَ » . أخرجه مسلم (١) .

خامسًا : الجهل ، وهو : عدم العلم بالحُكم الشرعي ، وهو سببٌ في التيسير ، والتخفيف في حقوق الله ؛ لأن حقوق العباد مضمونة لا تسقط بالجهل .

سادسًا : العُسر ، وهو : عموم البلوى : كصحة الصلاة مع وجود النجاسة ، كمن به سلس البول .

سابعًا : النقص ، ويتعلق بثلاثة أمور : العقل ، والحُرية ، والذكورة .

فالنقص في العقل خمسة :

الجنون ، والعته ، والنوم ، والإغماء ، والسُكر .

والنقص الذي يعترض الحرية : الرق ، والنقص الذي يتعلق بالجنس : الأنوثة : كحيض المرأة .

ثامنًا : الخطأ ، وهو : ما ليس للإنسان فيه قصد ، وهو عُذرٌ إذا كان في حق الله، كما قال سبحانه : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة: ٢٨٦] .

فقال الله : قد فعلت : أخرجه مسلم(٢) .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٠٩/ ٦٨٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٠/ ١٢٦).

أنواع المشقة :

المشقة باعتبار تحمل الإنسان لها تنقسم إلى قسمين :

الأول : مشقة مُعتادة ، وهي التي يستطيع الإنسان تحملها دون ضرر، وهذه من مستلزمات التكاليف الشرعية :

كمشقة الوضوء، والغُسل في شدة البرد، والصوم مع طول النهار ، ومشقة الحج ، فهذه المشقة لا اعتبار لها في إسقاط العبادات والطاعات ؛ لأن المصالح كلها منوطةٌ بالتعب ، وعلى قدر التعب تكون الراحة والأجر .

الثاني : مشقة غير مُعتادة ، وهي الزائدة عن العادة ، فلا يتحملها الإنسان عادة ، وتُفسد على النفوس تصرفاتها ، وتُعطل البدن عن العمل غالبًا ، فهذه المشقة تجلب التيسير : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾ [الحج:٧٨] .

حكمة عدم التكليف بالمشقة :

الله ﷻ رءوف بالعباد ، والإسلام دين يُسر ، وشريعة سمحة ، لم يُكلف العباد بما يشق عليهم ؛ رحمةً بهم ، وخوفًا من الانقطاع في الطريق ، وبُغض العبادة ، و كراهة التكاليف ، وإدخال الفساد على جسم المُكلف ، وعقله ، وماله ، أو حاله ؛ لأن الله وضع الشريعة المُباركة حنيفية سمحة سهلة ، حفظ بها الخلق من كل شر ، فلو عملوا بخلاف السماحة واليُسر ، لأصابهم الضرر ، وخوف التقصير عن إكمال العمل .

أنواع الرُخصة :

رُخص الله ﷻ لعباده لإزالة المشقة عنهم ، كما يلي :

أولًا: رخصة تنقيص : كقصر الصلاة الرباعية في السفر .

ثانيًا: رخصة بدل : كإبدال الوضوء، والغُسل بالتيمم عند فقد الماء، أو العجز عند استعماله.

ثالثًا : رخصة اضطرار : كأكل الميتة للمضطر .
رابعًا : رخصة تغيير : كتغيير هيئة الصلاة عند الخوف في الجهاد .
خامسًا : رخصة تقديم : كتقديم العصر إلى الظهر، أو العشاء للمغرب عند السفر ، أو المطر، أو المرض .
سادسًا : رخصة تأخير : كتأخير الظهر إلى العصر ، أو المغرب إلى العشاء عند السفر، أو المرض، وتأخير صيام رمضان بسبب المرضِ ، أو السفر ، ونحو ذلك من الترخيصات، والتخفيفات التي جاءت بها الشريعة : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٨] .

فروع قاعدة المشقة تجلب التيسير :

لهذه القاعدة العظيمة فروعٌ منها :

أولًا : الضرورات تبيح المحظورات ، حالة الضرورة أو الحاجة الشديدة تُجيزُ ارتكاب المحظور شرعًا ، والضرورة تُقدر بقدرها ، وإذا زال العُذر زالت الإباحة ، وما جاز لعذرٍ بطل بزواله ، لكن لا يجوز للمضطر فعل ما يضرُ بغيره : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣] .
ثانيًا : الحاجة تُنزل منزلة الضرورة ، عامة كانت أو خاصة ، فالضرورة ، والحاجة كل منهما يستدعي ويُبيح فعل المحظور ، أو ترك الواجب ، لكن الضرورة أشد من الحاجة ؛ لأن الضرورة حالة مُلجئة تستدعي فعل المحظور ؛ لحماية الضرورات الخمس ، ولا يتخلص منها الإنسان إلا بارتكاب محظور ، أما الحاجة فهي تستدعي التسهيل ، ويسعُ الإنسان تركها لكن مع ضيقٍ ، وحرج .
ثالثًا : إذا تعذر الأصل صرنا إلى البدل ، فمن فقد الماء له أن يتيمم ويصلي .

رابعًا : الميسور لا يسقُط بالمعسور ، فمن كُلِف بالصلاة فقدر على بعض أركانها ، وعجز عن البعض ، فيأتي بما قدر عليه ، ويسقط ما عجز عنه كما قال النبي ﷺ : « صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ » . أخرجه البخاري [1] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦] .

وقال النبي ﷺ : « إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، ومَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ » . متفق عليه[2] .

القاعدة الرابعة : قاعدة العادةُ مُحَكمة

هذه القاعدة إحدى القواعد الشرعية التي ينبني عليها الفقه الإسلامي ، وهي العُرف الذي تدور عليه عجلة المعاملات بين الناس ، وهي مظهرٌ من مظاهر التيسير باعتبار ما ألفه الناس واعتادوه من الأمور الصالحة الموافقة للشريعة الإسلامية ، ومقاصدها .

معنى العادة مُحكمة :

العادة هي : ما استمر الناسُ عليه على حُكم العقول ، وعادوا إليه مرة بعد أخرى ، ويتصل بالعادة من الألفاظ : العُرف ، والسنة ، والدأب .

فالعُرف ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول ، وتلقته الطبائع بالقبول ، والعادة والعُرف مترادفان .

والسُنة هي : الطريقة المسلوكة بين الناس .

والفرق بين العادة والسُنة أن العادة ما يُديم الإنسان فعله متبع لنفسه ، والسنة الشرعية هي : التي جاء بها النبي ﷺ .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠٦٦).

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ، ومسلم برقم (١٣٣٧) .

والدأبُ : هي العادة المُستمرة دائمًا محُكمة هي المرجع عند الخلاف ، فالتعامل جار بين الناس حجة يجب الرجوع إليه ، والعمل به ما لم يخالف الشرع .

تأصيل قاعدة العادة محُكمة :

الأصل في السؤال والخطاب والأحكام أنه يمضي على ما عَمَّ وغَلَبَ إلا على ما شَذَّ ونذر ، ومستند العادة محُكمة : الكتاب والسُنة : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩] .

وقال الله تعالى :﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة:٢٣٣] .

وقال النبي ﷺ : « لا طَاعَةَ لمَخلوق فِي مَعْصِيَةِ ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ في المَعْرُوفِ » . متفق عليه[1] .

مقصود العادة محُكمة :

مقصودها رفع الحرج عن الناس ، وتيسير أمورهم ، وتحقيق مصالحهم بمراعاة عادات الناس ، وأعرافهم الصالحة النافعة .

أقسام العادة أو العُرف :

تنقسم العادة باعتبار الموضوع إلى قسمين :

الأول : العُرف القولي واللفظي وهو : أن يتعارف قومٌ إطلاق لفظٍ لمعنى بحيث لا يتبادر عند سماعه إلى غير ذلك المعنى : كلفظ البيت في بعض البلاد بمعنى الدار ، وفي بعضها بمعنى الغرفة .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٢٥٧) ، ومسلم برقم (١٨٤٠) .

الثاني : العُرف العملي وهو : ما جرى عليه عُرف الناس في معاملاتهم : كعادة الأكل ، والشرب ، واللباس ، والركوب ، والزراعة ، ونحوها ، وكأخذ أجرة معينة عند نقل الركاب من مكان إلى مكان ، ونحو ذلك من الأعراف .

وينقسم العُرف باعتبار العموم والخصوص إلى قسمين :

الأول : عرفٌ عام وهو : ما يشترك فيه غالب الناس في جميع البلاد : كالبيع بالكيلو، والتعامل بالأوراق النقدية من الريالات، والجنيهات، والدولارات، ونحو ذلك .

الثاني : عرف خاص : وهو ما يختصُ ببلدٍ أو فئة من الناس : كأرباب المهن : كتقسيم أجرة المحامي إلى مُعجل ومؤجل ، وتقسيم مهر الزوجة إلى مُعجلٍ ومؤجل ونحو ذلك .

وتنقسم العادة إلى قسمين :

عادة شرعية منصوص عليها ، وعادة ليس بها نص شرعي .

أولاً : العادات الشرعية ما أمر بها الشارع ، أو نهى عنها ، أو أذن فيها ، بنصٍ من الكتاب ، أو السنة ، وهذه العادات ثابتة أبدًا : كالأمر بالصلاة ، وستر العورة ، والبيع ، والإجارة ، والزواج ، والطلاق ، ونحوها .

ثانيًا : العادات الجارية مما ليس فيه نص شرعي ، وهي نوعان :

الأول : عادات جارية ثابتة للعموم ؛ لأنها تتعلق بفطرة الإنسان : كشهوة الطعام ، والشراب ، وميل الإنسان إلى ما يلائمه ، ونفوره مما لا يلائمه .

الثاني : عادات جارية بين الناس ، مُتبدلة بحسب الزمان أو المكان أو الحال مثل : كشف الرأس ، فإنه حسنٌ في بعض البلاد ، وقبيح لذوي المروءات

في بعض البلاد ، ومثل الأكل في الشارع فهو حسنٌ في بعض الديار ، وقادحٌ في العدالة في بعض البلاد .

اعتبار العادة في الأحكام الشرعية :

تحكم العادة لإثبات الحكم الشرعي ، فتُفسر بها النصوص المُطلقة التي لم يحددها الشرع ، ولا اللغة ، وتُبنى الأحكام الشرعية عليها فيما لم يرد فيه نص شرعي ، وإذا تغيرت العادة أو العُرف وجب تغيير الحُكم .

والعادة أو العُرف ليست دليلًا مستقلًا ، وإنما تُرد إليها الأحكام الشرعية بشروط منها : ألا تخالف العادة نصًا شرعيًا ، أو أصلًا قطعيًا : كالتعامل بالربا ، وأن تكون العادة مُطردة أو غالبة ، وأن تكون موجودة عند إنشاء التصرف .

تطبيقات العادة مُحكمة :

يُنظر إلى العادة في الحيض ، وثمن الأشياء من دينارٍ، أو درهمٍ، أو ريالٍ ، ونفقة الزوجة والأولاد حسب العُرف، والعقوبة التعزيرية حسب العادة التي تحصل بها المصلحة ، وتندفع المفسدة ، وإفتاء الناس حسب العادة والعُرف ، والقضاء بينهم حسب العُرف الجاري بينهم ما لم يخالف الشريعة .

فروع العادة مُحكمة :

من فروع هذه القاعدة ما يلي :

أولًا : المعروف عُرفًا كالمشروط شرطًا .

فما يتعارف الناس عليه في معاملاتهم لا يحتاج إلى ذكرٍ صريح في العقد ، لكن بشرط ألا يخالف نصًا شرعيًا .

مثالها : البيع بالتعاطي دون إيجابٍ ، وقبول باللفظ .

ثانيًا : الكتابُ كالخطاب : فيُصار إليه عند الحاجة ، ويُستدل به على مراد المُتكلم ، ويُعمل به سواء أن كان لفظًا ، أو إشارةً ، أو كتابًا ، فالكتاب من الغائب كالخطاب من الحاضر ، تُعقد به العقود ، وكل كتاب محرر على وجه المعروف الموثق يُعد حجة على كاتبه : كالنطق باللسان .

ثالثًا : تتغير الأحكام بتغير الأزمان ، والأحوال ، فما يتغير من العادات يتغير حكمه بتغير العُرف والعادة : كالنهي عن ادخار لحوم الأضاحي ، ثم لما زالت العلة أُبيح ذلك .

الأحكام التي تخضع للتغيير :

الأحكام الشرعية نوعان :

أولاً : أحكام مستندة إلى القرآن والسنة والإجماع ، فهذا لا يتغير أبداً : كحرمة المحرمات المطلقة ، ووجوب التراضي في العقود .

ثانيًا : أحكام مستندة إلى الاجتهاد أو القياس ، أو العُرف ، فهذا النوع محل التغيير والتبديل ، ويجب فيه تحقيق العدل ، وجلب المصلحة ، ودفع المفسدة .

أسباب تغير الزمان ؟ .

الزمان ظرفٌ يجمع عادات الناس ، وأحوالهم ، وعلومهم ، وحاجاتهم ، وهي عادات تختلف بحسب الزمان والمكان .

وأسباب تغير الزمان كثيرة أهمها : أولاً : فساد أخلاق الناس ، وضعف الوازع الديني .

ثانيًا : تغير العادات والأعراف التي هي مناط الحكم الشرعي .

ثالثًا : تطور الأوضاع ، والأساليب ، والوسائل التي تستدعي تغير الأحكام المبنية عليها .

رابعًا : حدوث ضرورات وحاجات تتطلبها الحياة المعاصرة مما يستدعي تغيير الأحكام : كأخذ الأجرة على الأذان ، وتعليم القرآن ، ونحو ذلك .

القاعدة الخامسة : قاعدة إعمال الكلام أولى من إهماله.

فالكلمات قوالب المعاني، واللسان مترجم لما في القلب ، ومطهر لما فيه .

أقسام الكلام :

ينقسم الكلام باعتبار المتكلم إلى قسمين :

الأول : كلام الله تعالى ، وهو أعظم الكلام ، وأفصحه ، وأبينه ، وأنفعه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام:١١٥] .

تمت صدقًا في الأخبار ، وعدلًا في الأحكام .

الثاني : كلام الناس ، وهو الكلام الذي ينطق به اللسان الذي خلقه الله تعالى وهو من أعظم نعم الله على الإنسان :﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرحمن:١-٤] .

والبيان إما إشاري ، أو كتابي ، أو نطقي باللسان .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النحل:١١٦-١١٧] .

وأعلى كلام البشر، وأفصحه ، وأبينه كلام النبي ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [النجم:١-٥] .

وينقسم الكلام باعتبار دلالته إلى : حقيقة ، ومجاز .

أولاً : الكلام الحقيقي : هو : اللفظ المُستعمل فيما وضع له ابتداءً ، سواء أن كان لغويًا : كالأسد ، أو شرعياً : كالصلاة ، أو عرفيًا : كالدابة .

ثانيًا : المجاز : وهو : اللفظ المُستعمل في غير ما وضع له لعلاقة بينهما مع قرينة مانعة من إيراد ما وضع له ومنه قول سبحانه : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[يوسف:٨٢] .

أي أهل القرية .

شروط قبول الكلام :

المتكلم هو الشخص الذي يصدر عنه الكلام ، ولا يُقبل كلام المتكلم ويُنفذ إلا **بثلاثة شروط هي :**

أولًا : البلوغ ، لكن يُقبل كلام الصبي المميز الذي يُدركُ ما يتلفظ به .

ثانيًا : العقل ، فلا يُقبل كلام المجنون وإقراره ، لزوال عقله .

ثالثًا : الاختيار ، فلا يُقبل كلام المُكره ، لأنه مسلوب الاختيار .

ويجب إعمال كلام العُقلاء ، وترتيب الحُكم الشرعي عليه .

والأصل في الكلام الحقيقة ، وإذا تعذرت الحقيقة يصار إلى المجاز ، وإذا تعذر إعمال الكلام أُهمل كما لو إدعى من له يدين على رجل آخر أنه قطع يديه ، وطالبه بالدية ، فهنا يقع الكلام لغوًا .

من فروع قاعدة إعمال الكلام أولى من إهماله :

أولًا : التأسيس أولى من التأكيد ؛ لأن التأسيس يفيد معنى جديدًا ، أما التوكيد فهو يكرر اللفظ لتقريره في ذهن المخاطب ، فيجب حمل الكلام على التأسيس ؛ لأن الإفادة خيرٌ من الإعادة .

ثانيًا : المُطلق يبقى على إطلاقه ، ما لم يكن دليل التقييد نصًا ، أو دلالة .

ثالثًا : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

رابعًا : ذكر بعض ما لا يتجزأ كذكر كله ، فما لا يقبل التجزئة يكون اختيار بعضه كاختيار كله ، وإسقاط بعضه كإسقاط كله ، كما لو نذر أن يصلي لله ركعة لزم أن يصلي ركعتين ؛ لأن أقل الصلاة ركعتان .

خامسًا : السؤال معادٌ في الجواب ، فالجواب بنعم ، أو بل ، أو أجل مشتملٌ على مضمون السؤال كما لو قال : هل أخذت من زيدٍ ألف ريال ؟ فقال : نعم .

القاعدة السادسة : الأمور بمقاصدها .

فأفعال العبد مترتبة على نيته صحة وبطلانا ، وقبولاً وردا .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء: ١١٤] .

٣- الخزانة الثالثة

أقسام القواعد الشرعية :

القواعد الشرعية قسمان :

الأول : القواعد الكُبرى ، وهي ست قواعد وهي :

١- اليقين لا يزول بالشك .

٢- الضرر يُزال .

٣- المشقة تجلب التيسير .

٤- العادة محُكمة .

٥- إعمال الكلام أولى من إهماله ، وقد تقدمت .

٦- الأمور بمقاصدها .

الثاني القواعد الشرعية الصُغرى ، وهي أقل شمولًا للمسائل من الكبرى ، وتدخل في مسائل كثيرة من أبواب الفقه ومنها :

القاعدة الأولى : التابع تبع ، والتابع يُطلق على عدة أمور :

الأول : ما اتصل بغير اتصالًا حقيقيًا بحيث يكون جزءًا منه : كالعضو من الحيوان ، والغصن من الشجرة .

الثاني : ما اتصل بغيره اتصالًا قابلًا للانفصال عنه : كالجنين من الأم ، والثمرة من الشجرة ، فذكاة الجنين ذكاة أمه .

الثالث : ما اتصل بغيره اتصالًا ضروريًا : كالمفتاح من القفل .

الرابع : ما اتصل بغيره اتصالًا عرضيًا : كالنقل ، والتفريغ في الأشياء المُباعة مثل : كرتون الفاكهة ، وصندوق الطماطم ، ويخضع ذلك للعادة والعُرف ، فمن ملك شيئًا ملك ما هو من ضروراته ، فمن ملك دارًا ملك ما هو من لوازمها كطريقها ، وفضائها ، وأعماقها .

والتابع يسقط بسقوط المتبوع ، فإذا سقط الأصل سقط الفرع ، والتابع لا يتقدم على المتبوع ؛ لأنه تابع له فلا يصح تقدم المأموم على إمامه للموقف ، ولا في تكبيرة الإحرام ، ولا الخروج من الصلاة ؛ لأنه إنما جُعل الإمام ليؤتم به .

قواعد كلية خاصة بالضمان :

الأولى : الخراج بالضمان ، فمن ضمن شيئًا ، فإنه ينتفع به في مقابة الضمان ، كما قال النبي ﷺ : « الخراج بالضمان » . أخرجه أبو داود[1] .

الثانية : الغُرم بالغنم ، فالمستفيد من شيء يتحمل خسارة ذلك الشيء .

الثالثة : إذا اجتمع مباشر ، ومتسبب كان الضمان على المباشر ، فمن حفر بئرًا لإنسان ليقع فيه ، فجاء آخر فألقاه فيه، فالضمان على الثاني؛ لأنه مباشر.

الرابعة : جناية العجماء جبار ، فإذا أتلف الحيوان شيئاً من تلقاء نفسه بغير تفريط من مالكه ، وليس معه أحد من سائق أو قائد ، فذلك غير مضمونٍ على صاحبه ، كما قال النبي ﷺ : « العجماء جرحها جبار ، والبئر جبار ، والمعدن جبار » . متفق عليه[2] .

فجناية البهائم من تلقاء نفسها لا ضمان فيها ، ولكن بشروط :

أن تكون الجناية صادرة من نفس الحيوان ، وأن تكون جناية الحيوان واقعة بدون تعد أو تفريط من مالكها .

قواعد كلية خاصة بالحلال والحرام :

الحلال هو : كل شيء لا يُعاقب عليه باستعماله ، وهو ما أطلق الشرع فعله من كل مباح أذن الشرع في فعله .

---

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم: (٣٥١٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٩١٢).

والحرام هو : الشيء الذي نهى الشارع عن فعله نهيًا جازمًا .

والتحليل والتحريم حق الله وحده ، والحلال والحرام متقابلان، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧ ﴾[النحل:١١٦-١١٧] .

ومن هذه القواعد :

القاعدة الأولى : قاعدة إذا اجتمع الحلال والحرام غُلب الحرام ، فالشرع حريص على اجتناب المنهيات ، أكثر من حرصه على الإتيان بالمأمورات .

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهَّ محَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » . متفق عليه[1] .

فإذا اجتمع الحلال والحرام في شيء ، واشتبه الأمر ، وعسر ترجيح أحدهما على الآخر ، غلبنا جانب التحريم .

أسباب الاشتباه :

أسباب الاشتباه ثلاثة :

الأول : تعارض الأدلة الظنية .

الثاني : الاختلاف في إنزال الحكم على الواقع .

الثالث : اختلاط الحلال بالحرام .

---

(١) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم: (١٠٧/ ١٥٩٩)، واللفظ له، والبخاري برقم: (٥٢).

والاختلاط قسمان :

القسم الأول: اختلاط امتزاج: كاختلاط المائعات من الدمِ والخمرِ والبولِ ، وهو نوعان :

الأول: أن يختلط حلالٌ بحرام ، ويظهر أثر الحرام في الحلال ، فيحرم تناول الحلال ؛ لأنه امتزج بالحرام ، كما إذا وقعت النجاسة في ماء طاهر ، وغيرت لونه ، أو طعمه ، أو ريحه ، فلاستبراء المسلم لدينه وعرضه يتركه .

الثاني : أن يختلط حرامٌ بحلال ، ويستهلك فيه دون أن يظهر له أثر في الحلال كما إذا اختلطت نجاسة بماء كثيرًا ، ولم يتغير أحد أوصافه ، فهذا الماء لا ينجس ، ويجوز استعماله .

القسم الثاني : اختلاط استبهام بحيث يمكن تمييز الأعيان عن بعضها ، لكن لا يمكن تمييز العين المُحرمة من العين الحلال ، فيُغلب جانب الحرام كما لو اختلطت شاة ميتة بعشر شياه مذكاة أو اختلطت رضيعة محرمة بعشر نسوة .

ويشترط لإعمال هذه القاعدة ما يلي :

أولًا : أن يعجز عن إزالة الاشتباه في المسألة .

ثانيًا : أن يتساوى الحلال والحرام بلا مرجح .

ثالثًا : أن يكون الحلال متعلقًا بالمباحات لا بالواجبات ، أما إذا تعلق الحلال بالواجبات كان اختلط واجب بمحرم ، فيُغلب الواجب على المحرم، كما إذا اختلطت جثث موتى المسلمين بجثث موتى الكفار ، وجب غسل الجميع والصلاة عليهم بنية المسلمين .

القاعدة الثانية من القواعد الصُغرى : ما حرم أخذه حرم إعطاؤه .

فكما يحرم أخذ الربا يحرم إعطاؤه، ويحرم إعطاء الرشوة كما يحرم أخذها.

القاعدة الثالثة : يحرم التصرف في ملك الغير بغير إذنه ، وإذن الشرع .

والتصرف في ملك الغير نوعان :

الأول : تصرفٌ فعلي : فإن تقدمه إذن سابق حلَّ وصحَّ ؛ لأنه توكيل ، وإن لم يسبقه إذن ، فإن كان غصبًا بوضع اليد فقط ، أو تصرفًا ، أو إتلافًا ، فإن كان غصبًا وجب رد العين ، والمال التالف .

وإن كان التصرف بإحداث فعلٍ ذي أثر في العين : كالحفر في ملك الغير بلا إذن ، ضمن النقصان ، وإن كان إتلافًا ضمنه بكل حال .

الثاني : التصرف القولي في ملك الغير : كبيع الفضولي وهبته وإجارته ، فإن كان قوليًا محضًا فهو موقوف على إجازة المالك ، وإن كان قوليًا يعقبه فعل : كالتسليم كالمتصرف غاصبًا بالتسليم ضمنه إلا أن يجيزه المالك ، والأمر بالتصرف في ملك الغير باطل ، فمن أمر غيره بإحراق مال زيد مثلًا فأحرقه وهو بالغ عاقل غير مُكره فالضمان على المأمور .

القاعدة الرابعة : لا يجوز لأحدٍ أن يأخذ مال أحد بلا سبب شرعي .

وأسباب التملك الشرعية أربعة :

الأول : إحراز المُباحات كحيازة الماء ، والكلأ ، وصيد البر ، والبحر ، ونحوها .

ثانيًا : عقود : كالبيع ، والإجارة ، والربا ، والوقف ، ونحوها .

الثالث : الخلفية وهي : حلول شخص محل شخص : كالإرث .

الرابع : التولد من المملوك : كمالك الأصل أو لفرعه ونتاجه من سواه ، كثمرة الشجرة ، ولبن الحيوان .

فالحيوان ولبن الحيوان مملوكٌ لصاحب الأصل ، وما سوى ذلك يُمنع التملك عن طريقه : كالتملك عن طريق الظلم والاستغلال : كالربا ،

والاحتكار ، والقمار ، والغصب ، والسرقة ، والغش ، والرشوة ، والإتجار بالمُحرمات : كالخمر ، والخنزير ، ونحو ذلك .

فمن أخذ مال غيره بوجه من الوجوه غير المشروعة لزمه رده ، فإن تلف ضمنه لصاحبه .

قواعد كلية شرعية خاصة بالقضاء :

القضاء : الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام .

القاعدة الأولى : قاعدة البينة على المدعي ، واليمين على من أنكر :

فعلى المُدعي إقامة البينة ، فإن عجز عنها وجب اليمين على المُدعى عليه إذا كان مُنكرًا للدعوى ، كما قال النبي ﷺ : « لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ ، لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ » . متفق عليه[1] .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، أن النبي ﷺ قال : « البينة على المدعي ، واليمين على المدعى عليه » . أخرجه الترمذي بسندٍ صحيح[2] .

فجانب المدعي ضعيف ؛ لأنه يقول بخلاف الظاهر ، فكل الحجة القولية هي البينة التي يقوى بها ضعف المُدعي ، أما المُدعى عليه فهو قوي ؛ لأن الأصل فراغ ذمته فاكتفي منه باليمين ، وهي حجة ضعيفة ؛ لأن الحالف يجلب لنفسه النفع ، ويدفع عنها الضرر .

شروط صحة الدعوى :

الدعوى : قول يطلب به الإنسان إثبات حقٍ على غيره ، وشروطها :

أولًا : ألا يسبق من المُدعي ما يناقض دعواه .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢٧٧)، ومسلم برقم: (١/ ١٧١١)، واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (١٣٤٢).

الثاني : أن يكون المُدعى به بما يحتمل الثبوت ، فلا يصح ادعاء ما هو مستحيل .
الثالث : أن يكون المُدعى به معلومًا .
الرابع : أن تكون الدعوى مُلزمةٌ بشيء على الخصم .
الخامس : أن تكن الدعوى في مجلس القضاء .
السادس : أن يكون المُدعى عليه معينًا في الدعوى .
السابع : أن تكون الدعوى محققة مجزوماً بها .
القاعدة الثانية : المرء مؤاخذ بإقراره ، فمن أقرَّ على نفسه بشيءٍ من غير إكراه لزمه ، فالإقرار حجة بالغة ، وهو سيد الأدلة ، وشروطه :
أولاً : أن يكون المُقر بها مميزًا عاقلًا مختارًا غير متهم في إقراره .
ثانيًا : أن يكون المقر له معينًا لأهليته للتملك ، مُصدقًا لما أقرَّ به المقر مستحق للمُقِر به .
ثالثًا : أن يكون المُقر به معلومًا غير ملك للمُقِر .
الرابع : أن تكون صيغة الإقرار جازمة منجزة غير معلقة على المستقبل .
القاعدة الثالثة : من القواعد الكلية الخاصة بالقضاء : البينة حجة متعدية ، والإقرار حجة قاصرة ، فالبينة حجة قوية إذا أقيمت على شخص كانت مُلزمة له ومُلزمة لغيره من الناس ، والإقرار حجة قوية ، لكنها قاصرة على من أقَرَّ على نفسه لا تتعداه إلى غيره .
القواعد الكلية الخاصة بالسياسة الشرعية :
السياسة الشرعية : هي تدبير أمور الأمة بما يحقق المصلحة ، ويدفع المفسدة ، حسب الشرع .

القاعدة الأولى : التصرف عن الرعية منوط بالمصلحة ، فمن كانت له ولاية على غيره فلا تكون تصرفاته نافذة على غيره إلا إذا كانت تحُقق المصلحة ، سواء كانت الولاية عامة : كالحاكم ، أو خاصة : كولي الأيتام ، ونحوها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ [النساء:٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥ ﴾ [الإسراء:٣٤-٣٥] .

وعَنْ ابْنِ عُمَر رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » . متفق عليه[1] .

وعن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ﷺ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ ، يَقُولُ : « مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ المُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الجَنَّةَ » . متفق عليه[2] .

الولاية العامة هي : سلطة تدبير المصالح العامة للأمة : كالملك ، والأمير ، والوزير ، والقاضي ، والولي ، والوصي ، ونحوهم .

أما الولاية الخاصة فهي : سلطة تمُكن صاحبها من التصرف عن الغير إما بمباشرة العقود عنه دون توقف على رضاه ، وإما بالتربية والرعاية للصغير : كالحضانة .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧١٣٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠/ ١٨٢٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٣١)، ومسلم برقم: (٢٢/ ١٤٢)، واللفظ له.

ويُشترط لإعمال هذه القاعدة ما يلي :

الأول : أن يتوفر في الولي شروط الوكيل .

ثانيًا : أن يتضمن التصرف منفعة للمُولى عليه ، ومناط الحكم ، وتحقيق المصالح ، ودفع المضار ، والمفاسد ، ومتى حصل ذلك نفذ التصرف ، وإن ترتب على التصرف مفسدةٌ ، أو مضرة ، أو ظلم ، أو محاباة ، ونحوها لم ينفذ التصرف .

القاعدة الثانية : قاعدة الولاية الخاصة أقوى من الولاية العامة ، فإذا اجتمع الولي والوصي مع السلطان أو الوالي ، فتُقدم الولاية الخاصة على العامة كالسلطان ، فليس للحاكم أو القاضي ممارسة صلاحيات البيع ، والشراء ، ونحوها مع وجود الوصي أو الولي .

القاعدة الثالثة : قاعدة من استعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه ، فإذا كان الشخص يستحق شيئًا بسببٍ لم يحن وقته فلم يصبر وعجل في حصوله بغير وجه حق ، عوقب بحرمانه : كمن قتل مورثه بغير حق ، فإنه يحُرم من الميراث كأن يقتله عمدًا ، ومن قتل الموصي بغير حق ، حُرم من الوصية .

القواعد الكلية الخاصة بالاجتهاد الفقهي :

الاجتهاد : استفراغ الفقيه وسعه لإدراك حُكم ظني شرعي ، ومن ذلك :

القاعدة الأولى : قاعدة لا اجتهاد مع النص ، فلا يجوز من فقيه الاجتهاد في قضية شرعية ورد فيها نصٌ صريحٌ بحكمها ؛ لأن الاجتهاد إنما يكون فيما لا نص فيه ، أو فيه نص ولكن معناه محُتمل : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[الأحزاب:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء:١١٥] .

أنواع الاجتهاد :

الاجتهاد نوعان :

الأول : اجتهاد في فهم النص من القرآن ، أو السنة ، وتطبيقه ، فإن كان النص قطعي الثبوت ، قطعي الدلالة ، وجب العمل به، كقوله سبحانه : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَٱلَّذِينَ ﴾ [النور: ٢]

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ ﴾: [المائدة:٣٨].

وإن كان النص ظني الدلالة ، قطعي ثبوت ، وجب الاجتهاد في فهم النص : كالقروء في قوله سبحانه : ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾ [البقرة:٢٢٨] .

هل المُراد بالقروء الطُهُر أو الحيض ؟ .

الثاني : اجتهاد في قياس حُكمٍ لا نص فيه ، على حُكمٍ منصوص عليه ، فالاجتهاد مع وجود النص الصحيح الصريح حكمٌ بغير ما أنزل الله : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[ص:٢٦] .

القاعدة الثانية : الاجتهاد لا يُنقض بمثله ، فإذا حكم المُجتهد في مسألة لم يرد فيها نصٌ قطعي ، ثم وقعت مسألة أخرى مشابهة ، فبدا له رأيٌ آخر ،

وعدل عن حكم المسألة الأولى بحكم مناقض ، فلا يبطل حُكمه الثاني حكمه في المسألة الأولى ؛ لأن ذلك يؤدي إلى عدم استقرار المعاملات ، والأحكام الشرعية .

فالاجتهاد حجة شرعية لا يتغير ، ولا يتبدل ، ولو تبدل رأي المُجتهد نفسه ، ويُعمل الرأي الجديد في المستقبل ، لا فيما مضى ؛ رفعًا للحرج ، والمشقة عن الناس .

شروط هذه القاعدة :

يُشترط لإعمال هذه القاعدة عدة شروط :

الأول : أن يكون الاجتهاد صادرًا فيما مضى .

الثاني : ألا يكون الاجتهاد السابق مخالفًا لنصٍ قطعي في القرآن ، والسنة الصحيحة ، أو الإجماع القطعي ، أو القياس الجلي .

الثالث : ألا يكون الاجتهاد السابق مبنيًا على خطأ بيِّن ، أو ظلم ، أو جور .

الرابع : ألا يكون الاجتهاد السابق متعلقًا بمصلحة عامة ، فللإمام تغييره .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[النساء:٥٩].

الفرق بين خطاب التكليف ، وخطاب الوضع :

أولاً : خطاب التكليف هو : المتعلق بفعل المكلف بإلزامه بما فيه كلفةٌ أو مشقة وأقسامه خمسة :

الواجب .. والمندوب .. والمحرم .. والمكروه .. والمباح .

ثانيًا : خطاب الوضع هو : الخطاب الوارد بأن هذا الشيء مانعٌ لغيره كالحيض للصلاة ، أو سببٌ لغيره كدخول الوقت للصلاة ، أو شرطٌ لغيره كالطهارة للصلاة .

وعلامة خطاب الوضع أمران :

أحدهما : أن لا يكون في طوق المكلف كالحيض ، ودخول الوقت للصلاة.

الثاني : أن يكون في طوقه لكنه لم يؤمر بتحصيله كنصاب الزكاة .

فخطاب الوضع معناه أن الله ﷻ وضع المنع من الصلاة عند حصول الحيض ، ووضع وجوب الصلاة عند عدم دخول وقت الصلاة .

فقه سد الذرائع :

سد الذرائع له ثلاث حالات :

الأولى : ما يجب سده بالإجماع : كتحريم سب الأصنام إذا كان ذلك يُفضي بعابديها إلى سب الله جل جلاله كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[الأنعام:١٠٨] .

وتحريم حفر الآبار في طرق الناس الذي هو وسيلةٌ لسقوطهم فيها .

الثانية : ما لا يجب سده بالإجماع وهو : ما كانت المصلحة فيه راجحةٌ على المفسدة، كغرس شجر العنب الذي هو وسيلة لعصر الخمر منه ، ثم شربه .

الثالثة : ما كان حلالًا في الظاهر ، لكن يجُعل وسيلةً إلى محرم ، فهذا يُمنع سدًا للذريعة .

ومثاله : لو باع الإنسان سلعةً بثمنٍ مؤجل ، ثم اشتراها بعينها بثمنٍ أقل من الأول نقدًا ، فالشراء الثاني مباحٌ في الظاهر ، لكنه وسيلةٌ إلى الربا المحرم ، فيُمنع سدًا للذريعة .

جزاء العمل :

كل إنسان مسلم أو كافر سيُجازى بما عمل من خيرٍ أو شر : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[النجم:٣٩-٤١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[الغاشية:٢٥-٢٦] .

فالكافر يرى جزاء عمله الحسن في الدنيا ، ولا حظ له في الآخرة : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[هود:١٥-١٦] .

لكن يكافئ بما عمل من حسناتٍ عملها في الدنيا ، من صحةٍ ، ورزقٍ ، وكثرة مالٍ ، وولد ونحو ذلك .

والمؤمن يرى جزاء عمله السيئ في الدنيا بالمصائب والأمراض والآلام كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى:٣٠] .

وأما في الآخرة فالمؤمن يرى كل ما قدم من خيرٍ وشر ، فيغفر الله له الشر أو يُعاقبه ، ثم يخرجه من النار ، ويُثيبه على ما فعل من الخير .

والكافر يرى كل ما قدم من خيرٍ وشر ، فيحبط الله ما قدم من خير كما قال سبحانه : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣] .

ويُعاقبه الله على ما فعل من شر ، ويحُاسبه على ما أعطاه من نعمة .

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٦-٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر: ١-٨] .

حكم الإسراف :

الإسراف تارةً يكون بالكفر ، فهذا إذا لم يتب الإنسان منه فهو في النار كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [غافر:٤٣] .

وتارةً يكون الإسراف في ارتكاب المعاصي التي دون الكفر ، فهذا إن مات ولم يتب فهو تحت مشيئة الله إن كان مسلمًا ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه في النار ثم أخرجه إلى الجنة ، وإن تاب قبل الموت قبل الله توبته كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر:٥٣] .

حكم تعارض المطلق والمقيد في الشريعة :

للمطلق والمقيد أربع حالات :

الأولى : أن يتحد حكمهما وسببهما معًا كتحريم الدم فقد جاء مطلقًا في ثلاث آيات في البقرة ، والمائدة ، والنحل ، كما قال سبحانه : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ [المائدة:٣] .

وجاء الدم مقيدًا بالدم المسفوح في سورة الأنعام ، كما قال سبحانه : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٥] .

فهنا يُحمل المطلق على المقيد ؛ لاتحاد السبب والحكم معًا ، فيكون المحرم فقط هو الدم المسفوح الخارج عند ذبح الذبيحة .

الثانية : أن يتحد الحكم ، ويختلف السبب، كعتق الرقبة في الكفارة ، فالحكم في آية التقييد ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ ﴾ [النساء:٩٢]

فهذا في كفارة قتل الخطأ جاءت مقيدة بمؤمنة ، والحكم في آية المطلق ككفارة الظهار كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المجادلة:٣] .

ففي كلٍ منهما كفارة ، قتل الخطأ ، وكفارة الظهار ، الحكم واحد ، وهو عتق رقبةٍ في كفارة ، والسبب مختلف ؛ لأن سبب المقيد قتل الخطأ ،

وسبب المطلق الظهار ، فيُحمل المطلق على المقيد كذلك ، فتكون الكفارة رقبةٌ مؤمنة .

الثالثة : أن يتحد السبب ، ويختلف الحكم ، ومثاله : كفارة الصيام والإطعام في الظهار ، فسببهما واحد ، وهو الظهار ، وحكمهما مختلف ؛ لأن أحدهما تكفيرٌ بصوم ، والآخر تكفيرٌ بإطعام ، وأحدهما مقيد بالتتابع وهو الصوم ، والثاني مطلقٌ عن التتابع وهو الإطعام ، فهذا لا يُحمل المطلق على المقيد ، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [المجادلة:٣-٤] .

الرابعة : أن يختلفا في الحكم والسبب معًا ، فهنا لا يُحمل المطلق على المقيد ، ويبقى المطلق على إطلاقه ، والمقيد على قيده ، ومثاله : قضاء رمضان جاء مطلقًا بقوله سبحانه : ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٤] .

وكفارة الصوم في الظهار جاء مقيدًا بالتتابع بقوله : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [المجادلة: ٤] .

وكفارة صوم المتمتع جاء مفرقًا بقوله : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦] .

فيبقى المطلق على إطلاقه ، والمقيد على قيده كما ورد في النص الشرعي : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٦-٢٨] .

وقال الله تعالى : ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩] .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . متفقٌ عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٩٧١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٨/ ١٠٣٧).

٤ - الخزانة الرابعة

فقه الشفاعة :

الشفاعة هي : طلب الخير للغير .

وأحوال الشفاعة ثلاثة :

أحدهما : الشفاعة إما أن تكون من المخلوق إلى الخالق .

الثاني : أو تكون من المخلوق إلى المخلوق .

الثالث : أو تكون من الخالق إلى المخلوق .

الأولى : شفاعة المخلوق إلى الخالق ، وهي نوعان :

شفاعةٌ في الدنيا .. وشفاعةٌ في الآخرة .

فالشفاعة إلى الله في الدنيا تكون بالدعاء للمشفوع له .

والشفاعة إلى الله في الآخرة تكون بدعاء الله ﷻ ، وسؤاله التجاوز عن المشفوع له ، أو رفع درجته ، وهذه الشفاعة ثابتةٌ للنبي ﷺ والمؤمنين والملائكة كما قال النبي ﷺ : « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا » . متفقٌ عليه[1] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ » . أخرجه أبو داود[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ » . أخرجه البخاري[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٣٦) مسلم برقم:٣٣٨/ ١٩٩، واللفظ له.

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (٢٥٢٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٩٩).

أما شفاعة الملائكة، فكما قال سبحانه : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[النجم:٢٦] .

وشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة سبعة أنواعه :

١- شفاعته ﷺ في أهل الموقف في الإراحة من هول الموقف ، والقضاء بينهم ، وهي الشفاعة العظمى .

٢- وشفاعة ﷺ في إدخال قومٍ الجنة بغير حساب .

٣- وشفاعة ﷺ في قومٍ حوسبوا فاستحقوا العذاب ألا يعذبوا .

٤- وشفاعة ﷺ في إخراج من أُدخل النار من العصاة أن يخرجوا منها .

٥- وشفاعة ﷺ في رفع الدرجات .

٦- وشفاعة ﷺ أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة .

٧- شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يُخفف عنه العذاب .

وطلب الشفاعة على أربعة أقسام :

الأولى : طلبها من الله ، فهذا طلبٌ من الله ، ودعاءٌ مشروع .

الثاني : طلبها من الشفيع يوم القيامة ، كما يطلبها الناس من الأنبياء يوم القيامة ليقضي الله بينهم ، فهذا جائز .

الثالث : طلبها في الحياة من المسلم الصالح الحي الحاضر ، وهذا طلبٌ مشروع .

الرابع : طلبها ممن مات وانتقل إلى عالم الغيب من الأموات ، وهذه لا تجوز ؛ لمِا تفضي إليه من الشرك .

الثانية : شفاعة المخلوق إلى المخلوق ، فهذه مشروعة ؛ لأنها من باب التعاون على البر والخير والتقوى ، إذا كان المشفوع إليه يملك التصرف

فيما طُلب منه ، وفيها أجرٌ وثواب: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة:٢]

وقال الله تعالى : ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ٨٥﴾[النساء:٨٥] .

الثالثة : شفاعة الخالق إلى المخلوق ، فهذه لا تجوز ؛ لأن الشفيع سائل ، والله مسئولٌ لا سائل ، فلا يُستشفع به على أحدٍ من خلقه ، وإنما يستشفع الفقير إلى الغني : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾[فاطر:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[البقرة:١٨٦] .

والناس يوم القيامة يصدرون للمحاسبة ، ورؤية الأعمال ، ثم الجزاء عليها كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾[الغاشية:٢٥-٢٦] .

ويصدرون أشتاتًا ، فبعضهم يذهب إلى الموقف راكبًا مع الثياب الحسنة ، وبياض الوجه ، وهم المؤمنون ، وهم درجات : ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾ [مريم:٨٥] .

وبعضهم يُذهب بهم حفاةً عراة ، سود الوجوه ، مقيدين في السلاسل والأغلال وهم الكفار ، وهم درجات ، فيذهب اليهودي مع اليهودي ، والنصراني مع النصراني ، وكل فريقٍ مع شكله : ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢﴾[الصافات:٢٢] .

وحسنات الكافر محبطةٌ بكفره ، وسيئات المؤمن مغفورةٌ إما ابتداءً ، وإما بسبب اجتنابه الكبائر : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾[النساء:٣١] .

وليس من مؤمنٍ ولا كافر عمل خيرًا أو شرًا إلا أراه الله إياه ، فأما المؤمن فيغفر الله سيئاته ، ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته ، ويُعذب بسيئاته: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٦-٨] .

وقال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾[القارعة:٦- ١١] .

وهذا هو الحق والعدل ، والكرم والإحسان ؛ لأن المعصية وإن قلت أو صغرت ففيها استخفافٌ بالملك الجبار ، والكريم لا يحتمله ، وفي الطاعة تعظيمٌ للملك ، فهذا التعظيم وإن قل فالكريم لا يضيعه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء:٤٠] .

وكل ذنبٍ مهما كان فهو في حق الله عظيم ؛ لأنه وقع في حق العظيم سبحانه ؛ ولأنه وقع في مقابلة نعم ربه العظيمة : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر: ٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[إبراهيم:٣٤]

حكم الاستغاثة :

الاستغاثة هي طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة ، وغياث المستغيثين هو الله تبارك وتعالى ، وقد أمر الله بالاستغاثة به في كل شدةٍ وكربٍ ومشقة .

والفرق بين الاستغاثة والدعاء :

أن الاستغاثة لا تكون إلا في الكرب والشدة .

أما الدعاء فيكون من المكروب وغيره فهو أعم .

ومن استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشركٌ كافر : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٣] .

ومن استغاث بالله مخلصًا أجابه كما قال سبحانه : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال/ ٩]

فضل التسبيح :

تسبيح الله ﷻ جاء في القرآن تارةً بمعنى التنزيه ، وتارةً بمعنى التعجب ، فالتنزيه عن الشريك والمثيل والشبيه ، وصفات العيب والنقص كما قال سبحانه : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [الزمر: ٤] .

وقوله ﷻ : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤] .

والتعجب من ترك عبادة العظيم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى المنعم على عباده بكل نعمة، كما قال سبحانه : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢] .

فإذا أردت أيها المسلم رضوان ربك فسبحه : ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [طه:١٣٠] .

وإن أردت الفرج من البلاء والكرب فسبحه كما قال يونس : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ – ٨٨] .

وإن أردت الخلاص من النار فسبحه كما قال سبحانه : ﴿ سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩١] .

وكن مع المسبحين ، فكل ما في الكون من الخلائق يُسبح بحمده من الذرات والدواب ، والحجر والرمال ، والجبال والشجر ، والليل والنهار ، والظلمات والنور ، والزمان والمكان ، والجنة والنار ، والأجسام والأرواح ، والقطرات والرياح : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: -٤٤] .

وقال سبحانه : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة: ١]

والله سبحانه ليس بحاجةٍ لأحد ؛ لأنه الغني عن كل ما سواه ، لكن إن ذكرته ذكرك : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢] .

والله ﷻ حمد نفسه قبل أن يحمده أحد ، وقبل أن يخلق الحامدين له ، فقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].

وقال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر:١] .

وقال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام:١] .

وقال سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾ [الكهف:١-٢] .

فسبحان ربنا الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور: ٤١].

وسبحان من بيده كل شيء : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك: ١] .

والرب الذي هذه صفاته أهل أن يعبد ويحمد ويشكر : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم:٦٥]

وقال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود:١٢٣] .

وقال سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام:٨٨] .

فقه الأعياد :

العيد اسمٌ لمِا يعود ويتكرر على وجهٍ معتاد .

والأعياد نوعان :

الأول : أعيادٌ شرعية ، وهي ما حوى عبادةً مشروعة ، وعادةً مُباحة ، فالعبادة كالصلاة والنُسك ، والعادة كالتزين باللباس واللعب المباح .

والأعياد الشرعية قسمان :

أولًا : أعيادٌ زمانية ، وهي ما يعود كل زمن ، ويُتقرب فيه إلى الله كعيد الفطر ، وعيد الأضحى ، والجمعة عيد الأسبوع .

ثانيًا : أعيادٌ مكانية وهي : ما يتكرر العود إليها كالمسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى ، ومشاعر الحج .

الثاني : أعيادٌ بدعية ، وهي : ما يعظمه الناس من مكانٍ أو زمانٍ لم يرد الشرع بتعظيمه ، كتعظيم يوم المولد النبوي ، وليلة النصف من شعبان ، والسابع والعشرين من شهر رجب ، وأعياد تولي السلاطين على الملك ، وعيد الاستقلال ، وعيد الاستيلاء على البلدان ونحوها من الأعياد المحدثة : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣] .

فهذه تحرم إقامتها وتعظيمها ؛ لأن الشرع لم يجعلها عيدًا فتبقى على أصل التحريم .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفقٌ عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧) مسلم برقم: (١٧/ ١٧١٨)، واللفظ له.

أقسام النذر :

النذر هو أن يوجب الإنسان على نفسه شيئًا لم يكن واجبًا عليه بأصل الشرع .

والنذر لله تعالى نوعان :

الأول : نذرٌ مأمورٌ به عند وجود سببه ، كهدي التمتع والقران والأضحية إذا عينها ، والعقيقة إذا عينها ، هذا نذرٌ عظيم ، ونسكٌ كريم ، وهو من أجل القرب كما قال سبحانه عن الحجاج : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحج:٢٩] .

الثاني : نذرٌ لا يؤمر بابتدائه ، وإنما يؤمر بالوفاء به بعد عقده ، وهو نذر الطاعة ، وهو الذي قيل فيه : أنه لايأتي بخير ، وقد مدح الله المؤمنين بالوفاء به بعد عقده بقوله سبحانه : ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الإنسان:٧] .

حكم السرقة والرشوة :

السرقة والرشوة كلاهما سُحت ، وأقبح شيءٍ يأكله الإنسان ما أخذه برشوةٍ أو سرقةٍ أو ربا ، لكن المرتشي أخس من السارق ؛ لأن السارق يأخذ المال بغير حق ، مع علمه أن فعله خبيثٌ خسيسٌ منهيٌ عنه ، ولكن غلبته نفسه وشهوته فمد يده إلى الحرام ، ولو انتظر لجاءه رزقه طيبًا من ربه : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود:٦] .

أما المرتشي ، فإنه يأكل أموال الناس بالباطل ، وهو يزعم أن هذا من دين الله وشرعه ؛ لمِا يراه من قضاء حاجات الناس .

ومن أعظم أنواع الرشوة خطرًا ارتشاء القاضي ، ليحكم بغير الحق ، وبغير ما أنزل الله ، لأجل عرضٍ من الدنيا كما يفعله اليهود والذين اتبعوهم من الذين يأكلون أموال الناس بالباطل فهؤلاء أخس خلق الله كما قال سبحانه : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[مريم:٥٩] .

فكل قاضٍ أو مسئول يأكل الرشوة ، ويغير أحكام الله من أجلها ، ويدعي أن الله يغفر له ذلك ، فهذا كله من الجهل ، والجرأة على الله وكتابه وشرعه ؛ لأن الله قد لا يغفر للمُصرين على أكل الرشوة ، لمِا هم عليه من انتهاك حرمات الله ، وزعمهم أن الله يغفر لهم ، فهذا كله من الغرور ، وصاحبه أخو اليهود في أكل أموال الناس بالباطل : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

وقال الله تعالى:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

أقسام المستحيل :

المستحيل أقسام :

الأول : المستحيل عقلًا ، بأن يُكلف الإنسان بالجمع بين الضدين كالبياض والسواد ، أو الجمع بين النقيضين كالعدم والوجود .

الثاني : المستحيل عادة كتكليف المقعد بالمشي ، وتكليف الإنسان بالطيران ونحو ذلك .

فمثل هذا وما قبله لا يقع التكليف به شرعًا إجماعًا : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾[البقرة: ٢٨٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾[الحج:٧٨] .

حكم التصوير :

التصوير هو التخليق والتكوين ، والتشكيل والتزيين .

والمصور من أسماء الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحشر: ٢٤] .

والتصوير صفته سبحانه كما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾[آل عمران:٦] .

والمصور سبحانه هو الذي خص كل مخلوق بما يميزه عن غيره من المخلوقات من جمادٍ ونباتٍ ، وحيوانٍ وإنسانٍ ، وبما تحصل به مصلحته .

والصورة هي : ما يتميز بها الشيء عن غيره .

والمصور هو الله وحده ؛ لأنه صور المخلوقات على غير مثالٍ سابق .

والمصورون من أشد الناس عذابًا ؛ لأنهم ينازعون الله في أسمائه وصفاته وأفعاله بعملهم ما يُشابه خلقه ، فكانوا بذلك أظلم الناس ؛ لتعديهم على سلطان الربوبية ، وتعديهم على خصائص الإلهية ، وإساءة الأدب مع الله .

فالمصور لما صور الصورة على مثل ما خلق الله ، صار مضاهيًا لخلق الله ، فكان أشد الناس عذابًا يوم القيامة ، فإذا اخترع صورةً على غير مثال صار متعديًا على جناب الربوبية بتصوير ما لم يُسبق إليه ، والله وحده هو الخالق البارئ المصور ، فالمصورون من أشد الناس عذابًا يوم القيامة .

عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَشَدِّ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا المُصَوِّرُونَ » . متفقٌ عليه[1] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله ﷻ : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ شَعِيرَةً » . متفقٌ عليه[2] .

والتصوير كله محرم ، سواء كان لجمادٍ أو نباتٍ أو حيوان ، لما فيه من مضاهاة خلق الله ، ولمِا فيه من تعدي حدود الله .

وأشد أنواعه تصوير ذوات الأرواح ، وما صوره المصور من ذي روح يُعذب به يوم القيامة ، حتى يُكمل خلقه بنفخ الروح فيه ، وليس بنافخ ، فيكون ذلك أطول لعذابه .

والتصوير من أعظم وسائل الشرك ، فأول شركٍ وقع في الأرض في قوم نوح، بسبب التصوير، فصوروا صالحيهم ، وجعلوهم في مجالسهم ومساجدهم؛ ليتذكروا عبادتهم، ثم في النهاية عبدوهم من دون الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾ [النور: ٢١] .

والتصوير لذوات الأرواح من المحرمات ، بل من كبائر الذنوب ، سواءً كان لها ظل أو لم يكن لها ظل ، وسواءً كانت ثابتة أو متحركة كالصور على الجدران والألواح والملابس والنقود والأوراق ، وصور الفيديو ، والتصوير

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠)، ومسلم برقم: (٢١٠٩)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠١/ ٢١١١).

بآلات التصوير المختلفة ، فتصوير كل ذي روح محرم ، بل هو من كبائر الذنوب ، وله أثره البالغ المشين في إفساد الدين والخلق قديمًا وحديثًا .

فقديمًا التصوير هو سبب أول كفر وقع في الأرض ، وهو تصوير بعض الصالحين من قوم نوح ، وهم ود وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسراً بقصدٍ حسن ، ليراهم الناس ، ويتذكروا عبادتهم ، فينشطوا للعبادة ، ثم طال الزمن فعبدوهم من دون الله .

فأول جناية شركية على التوحيد في الدنيا إنما كانت بسبب التصوير الذي كان في قوم نوح .

وحديثًا التصوير الآن سبب فساد الدين، وضياع الأخلاق، وانتشار الرذيلة، والقضاء على مكارم الأخلاق بتصوير النساء عاريات متبرجات، وعرضهن أمام غرائز الرجال؛ ليفسدوا دينهم وأخلاقهم ، وقد عم البلاء وطم حتى صار كأنه مباح ، بل كأنه مشروع ، وهذه أعظم جناية على الدين والأخلاق: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾[النساء:١١٥] .

ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وما أفضى إلى المحرم فهو محرم، فكيف إذا كان هو محرمٌ ، ثم أفضى إلى محرم .

وكيف وقد لعن الله المصورين .

وكيف وقد توعد الله المصورين بأشد العذاب .

وكيف وفاعله مخالف لأمر الله ورسوله ؟ :

قال الله تعالى : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ ﴾[النور:٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٤] .

وقد محى النبي ﷺ الصور التي في جدران الكعبة عام الفتح بالماء، وما ذلك إلا لأنها محرمة، ووسيلةٌ إلى المحرم ، بتعلق قلوب الناس بها من دون الله : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾[الحشر: ٧] .

وقد ورد في تحريم التصوير أكثر من أربعين نصًا ، ست آيات ، وأربعة وثلاثين حديثًا عامتها وأكثرها في الصحيحين أو في أحدهما .

فسبحان الله كيف تجرأ كثيرٌ من المسلمين على التصوير ، وقد لعن الله المصورين ، وكيف وقد توعد الله المصورين بأشد العذاب ، وكيف وفاعله مخالف لأمر الله ورسوله ؟ : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء: ١٤] .

وكيف إذا كان التصوير في بيت الله الحرام ، وفي مسجد نبيه ﷺ من الرجال والنساء كما هو حاصل الآن ؟ : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة: ٧٤] .

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ». أخرجه مسلم[1] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِّ ﷺ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تمَاثِيلُ ، فَلَمَّا رَآهُ هَتكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ ، وَقَالَ يَا عَائِشَةُ :

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩٩/ ٢١١٠).

أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهَّ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقَطَعْنَاهُ ، فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ » . متفقٌ عليه[1] .

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ » . متفقٌ عليه[2] .

والتصوير ، والرسم باليد ، والتصوير بالآلة ، أو الفيديو ، كل ذلك عملٌ محرم ، بل هو من الكبائر .

فالتصوير بالآلة أعظم من التصوير باليد ؛ لسهولته وكثرة انتشاره بين الناس ، وإفساده الأخلاق بين الرجال والنساء كما هو حاصلٌ عيانًا .

والتصوير باليد أعظم واخطر ، لمِا فيه من مضاهاة خلق الله ، فالله هو المصور الذي يصور كيف يشاء : ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [غافر:٦٤] .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَشَدِّ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا المُصَوِّرُونَ » . متفقٌ عليه[3] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله ﷻ : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ شَعِيرَةً » . متفقٌ عليه[4] .

وإذا كانت قد جاءت النصوص القطعية بتحريم التصوير، وأنه من الكبائر، فيجب على المسلم ان يُطيع الله ورسوله : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٤٧)، ومسلم برقم: (٩٢/ ٢١٠٧)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٦٣)، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٢١١٠)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠) مسلم برقم:٢١٠٩، واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠١/ ٢١١١).

وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء:١٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

فحذار من اتباع خطوات الشيطان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة:٢٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور: ٢١] .

حكم الإقسام على الله :

الإقسام على الله أن يحلف الإنسان على الله أن يفعل كذا .

والإقسام على الله له حالتان :

الأولى : حال التألي والتكبر والعُجب بالنفس .

فهذا فيه تزكيةٌ للنفس ، وغمطٌ للناس ، كأن يُقسم بأن الله لا يُعطي فلانًا أو لا يغفر له ، فهذا محرم ؛ لأنه يُنافي كمال التوحيد ، ولِما فيه من التحكم على الله ، والتألي عليه ، والحجر عليه بلا برهان ؛ ولهذا أحبط الله عمل من قاله كما قال النبي ﷺ في الذي قال : « وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ ، فَقَالَ اللهُ : وَجَلَّ قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَك » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٣٧/ ٢٦٢١).

الثانية أن يُقسم على الله معتقدًا حُسن ظنه بربه ، أو محُسنًا للظن بربه ، راجيًا لطفه وفرجه ، مفتقرًا إليه سبحانه ، طامعًا في فضله ورحمته، لحسن ظنه به ، وهذا جائز كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ مِنْ الناس مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ » . أخرجه أبو داود[1] .

أصول الاقتصاد الإسلامي أربعة :

الأول : اكتساب المال الحلال .

الثاني : صرفه في مصارفه الشرعية .

وكل واحدٍ من هذين الأصلين لابد له من أمرين :

الأول : معرفة حكم الله فيه ؛ لأن الله سبحانه، لم يبح اكتساب المال بأي طريق ، بل أباح بعض الطرق ، وحرم بعضها كما قال سبحانه : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[البقرة:٢٧٥] .

ولم يبح سبحانه صرف المال في كل شيء ، بل أباح بعض الصرف ، وحرم بعضه ، فقال في الصرف الحلال : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[البقرة:٢٦١] .

وقد وسع الله ﷻ أبواب الإنفاق الشرعي ، ومدح المنفقين ، فقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾[البقرة: ٢٦٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٤] .

---

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم: (٤٥٩٥).

وقال سبحانه في الصرف الحرام : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[الأنفال:٣٦] .

فمن لم يعلم حكم الله في الكسب والصرف ، قد يكتسب المال من وجهٍ حرام ، ويصرفه في حرام .

الثاني : معرفة الطرق الكفيلة باكتساب المال ؛ ليحصل له الربح ، وحسن النظر في أوجه الصرف ، ليحصل للناس النفع والخير .

فإذا كان جواز الصرف في طرق الخير معلومًا ، فإيقاع الصرف على وجه المصلحة لا يعلمه كل الناس ، ومن جمع المال في غير هذه الأصول فلا خير في ماله ، ولا بركة في تجارته ، كما قال سبحانه : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾[البقرة:٢٧٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة:١٠٠] .

والشركاء في المال ثلاثة :

الأول : القدر ، فأنت ومالك عرضةً للفناء والهلاك .

الثاني : الوارث ، ينتظر أن توضع في القبر ، ثم يسوقه إليه وأنت ذميم .

الثالث : أنت ، فقدم من دنياك ما ينفعك في أخراك : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران:٩٢] .

فقه المُلك :

أعظم المُلك مُلك النبوة والرسالة ، والنبوة أعظم مراتب المُلك ؛ لأن الأنبياء والعلماء لهم أمرٌ عظيمٌ على بواطن الخلق ، والجبابرة لهم أمرٌ على ظواهر الخلق : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ

ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾[النساء:٥٤ -٥٥] .

والملك أنواع :

مُلك النبوة ، ومُلك العلم ، ومُلك العقل ، ومُلك الصحة ، ومُلك الأخلاق الحسنة ، ومُلك المال ، ومُلك القدرة ، ومُلك البلاد ، وجميع أنواع المُلك بيد الملك الواحد الأحد ملك الملوك سبحانه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾[آل عمران:٢٦] .

وقال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك:١].

وقال الله تعالى : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرِۢ ﴿١٤﴾ ﴾[فاطر :١٣-١٤] .

وأعظم مُلكٍ يُكرم الله به عبده أن يملك نفسه ، ويقهرها عن شهواتها ، ويحملها على طاعة الله ﷻ : ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

وأعظم مُلكٍ في الآخرة أن تكون بجانب وبقرب ملك الملوك :﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾[القمر:٥٤-٥٥] .

وأن تكون في ملكٍ عظيم في الآخرة ، بعد ان نفذت أوامر العظيم سبحانه في الدنيا ، فيكرمك الله بالقصور الملكية العظيمة : ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا

وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان:٢٠-٢٢] .

فقه المحبة :

المحبة أربعة أنواع :

الأول : محبة الله تعالى ، وهي محبة الله لذاته وجلاله وجماله ، وإحسانه وإنعامه ، محبةً توجب توحيده وعبادته وحده لا شريك له ، والذل له .

وهذه المحبة أصل الإيمان ، وثمرتها توحيد الله ﷻ ، والإيمان به ، وإخلاص العبودية لله ، وبكمالها يقوي الإيمان ، ويزيد العمل الصالح ، وبنقصها ينقص .

وهذه المحبة حقٌ لله وحده ، لا يجوز صرفها لغيره ، وصرفها لغيره شركٌ أكبر مخرجٌ من الملة : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [البقرة:١٦٥-١٦٦] .

الثاني : محبةٌ في الله ، وهي : محبة كل ما يحبه الله من الأقوال ، والأعمال ، والأخلاق ، والأشخاص ، والأماكن ، والأزمان .

فالأقوال كذكر الله وحمده ، والدعوة إليه ، وتعليم شرعه ، وتلاوة كتابه .

والأعمال كسائر أنواع العبادات والطاعات ، والأخلاق كالأخلاق الحسنة .

والأشخاص كالمؤمنين والمتقين والمحسنين، والأماكن كبيت الله الحرام ، ومساجد الله ﷻ في أرضه .

والأزمان كأوقات الصلوات الخمس، وشهر رمضان، وأشهر الحج .

فهذه المحبة عبادةٌ لله ، وهي أثرٌ من آثار محبة الله ، وهي مكملة ومقوية لمحبة الله ، فنحن نحب الله ونحب كل ما يحبه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج:٣٢] .

فالدنيا دار تكميل محبوبات الرب ، والأخرة دار تكميل محبوبات العبد .

الثالث : المحبة مع الله ، وهي : محبة المشركين لمعبوداتهم مع الله ، وتسويتها بالله في المحبة .

وهذه المحبة شركٌ أكبر ، مخرجٌ من الملة ، وصاحبها مخلدٌ في النار، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [البقرة:١٦٥-١٦٦] .

وقال ﷻ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام:١] .

وقال سبحانه عن الكفار أنهم قالوا : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨] .

الرابع : المحبة الطبيعية ، كمحبة الإنسان لوالديه وزوجته وأولاده ، وكمحبة المال والجمال ونحو ذلك مما يلائمه ، فهذه المحبة مباحة ما لم تحمل على ترك واجب ، أو فعل محرمٍ من غير إكراه ، فإن حملت على ترك واجب ، أو فعل محرمٍ من غير إكراه ، صارت شركًا أصغر يُنقص كمال الإيمان ويعرض صاحبها للوعيد كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ

كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة:٢٤] .

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات:٧-٨] .

والله سبحانه يحب من عباده أن يتصفوا بالصفات التي يحب ، فالله تواب يحب التوابين ، والله محسنٌ يحب المحسنين ، والله مؤمنٌ يحب المؤمنين : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

والصفات التي يحبها الله والتي اشترى أهلها بسبب اتصافهم بها هي : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢] .

فنتخلق بالصفات التي يحبها الله ، ونتعبد لله بالاتصاف بها : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠] .

٥- الخزانة الخامسة

فقه التوحيد :

المخلوقات كلها في العالم العلوي والعالم السفلي ، وفي الدنيا والآخرة ، لا تكون إلا من خالق واحد : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

والأرزاق لا تكون إلا من الرزاق : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود:٦] .

فالأرزاق مقسومة كميةً ونوعيةً ، ومكانًا وزمانًا : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف:٣٢] .

والصور لا تكون إلا من مصور واحد : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾[آل عمران:٦] .

والنعم لا تكون إلا من المنعم وحده لا شريك له : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣] .

وهذا الكون العظيم لا يكون إلا من الله الذي خلق كل شيءٍ وكونه : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[يس:٨٢-٨٣] .

وكل شيءٍ لا يكون في هذا الكون إلا بمشيئة الله ، ومشيئة الإنسان تحت مشيئة الله : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[التكوير:٢٨-٢٩] .

ومن ظن أن له مشيئةً من دون الله فيُقال له : أخلقك الله كما شئت أو كما شاء ؟ : ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾[التين:٤-٦] .

ويُقال له : أخلقك الله لمِا شاء أو لمِا شئت ؟ : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

ويُقال له : يوم القيامة : تأتيه أيها العبد بما شئت أو بما شاء ؟ : ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[النجم:٣٩-٤١]

فإذا مات الإنسان رجع أهله وماله ، وبقي عمله يقدم به على ربه يوم القيامة : ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٦-٨] .

فقه الطاعة :

جاءت الطاعة في القرآن الكريم على ثلاثة أضرب :

الأول : أن يتحد المطاع ، وهو الله والرسول في أمرٍ من الأمور كقوله سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[آل عمران:٣٢] .

الثاني : أن يأتي الأمر من الله إجماليًا ، ويأتي الرسول ﷺ ليفصله فيقول : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[النساء:٥٩].

الثالث : أن يفوض الله الخلق بطاعة الرسول ﷺ كقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

فإذا قال الله ﷻ وأطيعوا الله والرسول ، فهذا أمرٌ جاء عن الله ، وأكده الرسول ﷺ ، كالتأكيد على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ونحو ذلك .

وإذا قال : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فهذا نطيع الله فيما أمر به إجمالًا ، ونطيع الرسول ﷺ فيما فصله كأحكام الصلاة والزكاة ونحوهما .

وإذا قال : وأطيعوا الرسول ، فهذا فيما جاء به الرسول ﷺ فقط .

أنواع الطاعة : الطاعة الواجبة قسمان :

الأول : طاعةٌ مطلقة ، وهي طاعة الله ورسوله كما قال سبحانه : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران:١٣٢] .

الثاني : طاعةٌ مقيدة ، وهي طاعة ما سواهما من الوالدين أو غيرهم .

وهذه الطاعة مقيدةٌ بأمرين :

الأول : الاستطاعة : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦] .

الثاني: المعروف، فإذا أُمرت بما لا تستطيع سقط الأمر ، وسقط الوجوب، وإذا أُمرت بما تستطيع، لكنه حرام سقط وجوب الطاعة، إنما الطاعة في

المعروف، فالطاعة بالمعروف ، ولا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان: ١٤-١٥] .

حكمة النكاح الشرعي :

من حكمة الله ﷻ أن جعل في الرجل الماء الذي يُرسل ، وفي المرأة الفرج الذي يستقبل ، فإن كان الزواج شرعيًا جاء الولد طيبًا ، وكل ما سوى هذا خبيثٌ وضار ومحرم .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [المعارج:٢٩-٣١] .

لهذا جعل الله ﷻ الأكل والشرب سببًا للحياة ، وقرن الله حفظ النوع بالمتعة بالنكاح الشرعي ، فإذا اكتفى الرجل بالرجل ، أو اكتفت المرأة بالمرأة ، أو جعلت المرأة وعاءها إناءٌ لمياهٍ متعددة من رجالٍ أجانب ، جاء الفساد والضرر والفناء .

ولهذا حرم الله اللواط والسحاق والزنا ، وجعل لذلك عقوباتٍ بحسب نوع الجريمة من لواطٍ أو سحاقٍ أو زنا .

فالزواج الشرعي يحقق حفظ النوع ، وقضاء الشهوة ، واللواط والسحاق والزنا فيه المتعة القذرة ، وهلاك النوع .

فالمرأة الشاذة تُحبس في البيوت حتى تموت أو تتوب وتتزوج ، منعًا للفساد.

أما الرجال فهم معدون للإرسال ، والنساء للاستقبال ، فإن دخل إرسالٌ على استقبالٌ شرعي حصل النوع الطيب من الرجال والنساء .

وإن خالف ذلك حصل الفساد ، فإن حصل إرسالٌ على غير استقبالٍ شرعي جاء الضرر والفساد في الأمة .

فالنكاح الشرعي نعمةٌ أنعم الله بها على عباده ، وهي آيةٌ من آياته : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم: ٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾[النساء:٣] .

وقال الله ﷻ في المخالطة الشاذة بين امرأتين : ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾[النساء:١٥] .

وقال سبحانه في المخالطة الشاذة بين رجلين في فاحشة اللواط : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾[النساء: ١٦] .

وقال سبحانه في المخالطة الشاذة بين رجلٍ وامرأة : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾[النور:٢-٣] .

فهذه أربعة أقسام بينها الله في القرآن في العلاقة بين الرجل والمرأة ، وكلها محرمة إلا الأخيرة وهي النكاح الشرعي : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ

مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾ [النساء:٣] .

فالبكر مع البكر حده الجلد ، والثيب مع الثيب حده الرجم ، والبكر مع الثيب أو عكسه ، لكلٍ حكمه ، والأمة عليها نصف العذاب وهو الجلد بكرًا أو ثيبًا : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣] .

فليحذر العبد من مخالفة أوامر الله ورسوله ، وليعلم أن الله يراه إن تحرك ويسمعه إن تكلم ، ويعلم بما في قلبه إن أضمر : ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك:١٣-١٤] .

واقتحام تلك المعاصي من لواطٍ ، أو سحاقٍ ، أو زنا ، استهانةٌ بأمر الخالق جل جلاله ، وسوء أدبٍ مع من أنعم عليه وأكرمه ، وبين له وجوه الحلال : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

والشيطان يجر الإنسان إلى وجوه الحرام : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر:٦].

فعلى العبد أن يخاف من ربه ، ومن عقوبته ، ومن عذابه : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن:٤٦] .

لمن خاف مقام ربه من الجن جنة ، ومن الإنس جنة ، أو جنتان لكل مسلم من الجن والإنس ؛ لأن المسلم يرث منزل الكافر في الجنة ، مع الجنة التي أعدها الله له ، أو جنتان جنة معرفة الله بأسمائه وصفاته ودينه وشرعه في الدنيا وجنة النعيم في الآخرة ، أو جنتان للسابقين من ذهب ، وجنتان للأبرار

من فضة : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة:٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥] .

أقسام الحيوانات :

الحيوانات من حيث جواز قتلها خمسة أقسام :

الأول : ما يُباح قتله وصيده في الحِل دون الحرم أو المحرم ، وهو الصيد البري المأكول ، وصيد البحر .

الثاني : ما يُستحب قتله للمحرم وغيره ، وهي الحيوانات المأمور بقتلها من كل مؤذٍ كالسباع والحية والعقرب والفأرة والبعوض والحدأة والأسد ونحوها .

الثالث : ما فيه نفعٌ ومضرة كالعقاب والصقر ، فهذه إن آذت تُقتل ، وإن لم تؤذِ فلا تقتل .

الرابع : ما لا يظهر فيه نفعٌ ولا ضرر كالخنافس والجعلان والذباب ، فهذه إن آذت قتلت ، وإن لم تؤذِ لا تقتل ؛ لأن الله ﷻ خلق هذه المخلوقات لتدل على عظمته ، وعظمة أسمائه وصفاته، وجميعها تُسبح بحمد ربها :﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤] .

الخامس : ما نهى الشرع عن قتله كالنملة والنحلة ونحوهما ، فهذه لا تقتل في الحِل ولا في الحرم .

والحيوانات التي لا يحرم على المحرم قتلها أو ذبحها هي الحيوان الإنسي المأكول كالإبل والبقر والغنم ، وصيد البحر ، ومحرم الأكل كالسباع والحيات ونحوها ، ودفع الصائل منها .

فقه العبادات :

أصل العبادة الطاعة ، وكل عبادةٍ لها معنىً قطعًا ، ومعنى العبادة قد يفهمه الإنسان وقد لا يفهمه .

فالحكمة في الصلاة إظهار التواضع، والخشوع لله، وإظهار الافتقار له سبحانه.

والحكمة في الصوم كسر النفس ، وقمع الشهوات .

والحكمة في الزكاة تدريب النفس على البذل والعطاء ، ومواساة المحتاجين الفقراء .

والحكمة في الحج إقبال الحاج أشعث أغبر على مولاه من مسافةٍ بعيدة ، كإقبال العبد إلى مولاه ذليلًا ، والخروج من زينة الدنيا وملذاتها ، وتدريب النفس عى المسالمة مع الغير ، ولو كان جمادًا أو نباتًا أو حيوانًا ، وتذكير الإنسان بما هو عليه من النقص إذا رأى غيره .

والحج درسٌ عملي للمساواة بين الناس ، ومعرضٌ عظيم يظهر فيه أثر التوحيد والإيمان والطاعة والأخلاق العالية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧ ﴾ [الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

وقال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

وأحكام الله ﷻ التي جاء بها الأنبياء والرسل مبنيةٌ على الظاهر ، فأحكام شرائعهم مبنيةٌ على الظواهر ، والله يتولى السرائر .

أما الخضر فأحكامه ليست مبنيةً على الظاهر ، بل على الأسباب الحقيقية في باطن الأمر ، كما في قصة موسى ﷺ مع الخضر في المسائل الثلاث : وهي خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وبناء الجدار .

شريعة موسى ﷺ أنه يحرم إفساد الشيء ، وقتل النفس من غير سبب ظاهرٍ يُبيح ذلك ، وإقامة الجدار من غير سبب ظاهر مع التعب الشديد أمرٌ صعبٌ على النفس ، وهذا يدل على أن هذا العالم أعطاه الله قدرة أشرف بها على بواطن الأمور ، فمرتبته في العلم اللدني كانت فوق مرتبة موسى ﷺ : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾[يوسف:٧٦].

وقال الله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[الكهف:٦٥].

والمسائل الثلاث مبنيةٌ على أصلٍ واحد ، وهو أنه عند تعارض الضررين يجب تحمل الأدنى لدفع الأعلى ، وهو ما فعله الخضر في المسائل الثلاث ، لكنه مبنيٌ على معرفة بواطن الأمور ، وقد أعطاه الله ﷻ معرفة

ذلك كما قال سبحانه : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[الكهف:٦٥].

ولهذا لما كملت مرتبة موسى ﷺ في علم الشريعة بعثه الله إلى الخضر ؛ ليتعلم ويضيف إلى علم الشريعة المبني على الظواهر ، علوم الباطن المبنية على حقائق الأشياء ، ببناء الأحكام على تلك الأحوال الباطنة ، فلهذا ظهر التفاوت بينهما ، والله حكيمٌ عليم : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[فاطر: ٢٨] .

فقه الطواغيت :

الطغيان مجاوزة الحد ، والطاغوت هو كل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ بذلك، كالشيطان والسحرة والكهان وفرعون وهامان؛ لأنهم راضون بذلك.

والطواغيت كثيرون ، ورؤوسهم خمسة :

الأول : الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله كما قال سبحانه : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يس:٦٠- ٦٢] .

الثاني : الحاكم الجائر المغير لأحكام الله ﷻ كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾[النساء:٦٠] .

الثالث : كل من حكم بغير ما أنزل الله كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[المائدة:٤٤] .

الرابع : كل من ادعى علم الغيب من دون الله كما قال سبحانه :﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[النمل: ٦٥] .

الخامس : كل من عُبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة كما قال سبحانه : ﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأنبياء:٢٩] .

ما يثبت به الإسلام :

يُحكم للشخص بالإسلام بواحدةٍ من ثلاث :

الأولى : نطقه بالشهادتين كما قال النبي ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ الله ، وَأَنَّ مُحَمَّدا رَسُولُ اللهّ » . متفقٌ عليه[1] .

الثانية : الولادة لأبوين مسلمين كما قال النبي ﷺ : « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ » . متفقٌ عليه[2] .

الثالثة : الصلاة ، فمن صلى حكمنا بإسلامه كما قال النبي ﷺ : « الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ » . أخرجه الترمذي والنسائي[3].

وقال النبي ﷺ : « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ » . أخرجه مسلم [4] .

حكم النذر :

النذر إلزام المكلف نفسه شيئًا لم يكن واجبًا عليه بأصل الشرع ، فيصبح بنذره واجبًا عليه .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٦/ ٢٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٥٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٢/ ٢٦٥٨).

(٣) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢١) ، والنسائي برقم (٤٦٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٨٢) .

والنذر عبادة من العبادات لا يكون إلا لله ، فينعقد ، ويلزم الوفاء به : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [البقرة:٢٧٠] .

وعن ابن عمر أن عمر قال : « يَا رَسُولَ اللهَّ ، إنِّي نَذَرْتُ فِي الجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ . قَالَ : أَوْفِ بِنَذْرِكَ » . أخرجه البخاري(١) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَّ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ » . أخرجه البخاري(٢) .

أما النذر المشروط كأن يقول المسلم: لله علي إن شفى الله مرضي أو ربح مالي أن أذبح أو أتصدق أو أصوم، فهذا النذر مكروه إلا أنه يجب الوفاء به؛ لقوله ﷺ: « إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ ، إِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ الْبَخِيلِ». متفقٌ عليه(٣) .

والنذر لغير الله شرك ؛ لأنه عبادةٌ للمنذور له ، والنذر لغير الله لا ينعقد إطلاقًا ، ولا تجب فيه كفارة ، بل هو شرك يجب التوبة منه : ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات:١١] .

وأما نذر المعصية فينعقد ، لكن لا يجوز الوفاء به ، كمن نذر ألا يزور أباه أو أمه ، فهذا عليه كفارة يمين ، فكل من حلف على محرمٍ فإنه ينعقد ، وفيه كفارة يمين .

ومن نذر لغير الله من الأصنام والقبور والشمس والقمر ، فعليه أن يتوب ، ويستغفر الله من فعله : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٦٩٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم:٦٦٩٦.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٩٤)، ومسلم برقم: (١٦٤٠)، واللفظ له.

حكم زيارة القبور :

زيارة القبور تنقسم إلى قسمين :

الأول : الزيارة الشرعية ، وهي زيارة القبور من أجل تذكر الآخرة والاعتبار ، والسلام على أهلها المؤمنين ، والدعاء لهم ، وحصول الأجر المترتب على فعل السُنَّة .

الثاني : الزيارة غير الشرعية وهي أقسام :

الأول : الزيارة المحرمة ، وهي التي تتضمن شيئاً من المناهي الشرعية ، ولم تصل إلى درجة البدعة ، وإن كانت من الكبائرً كلطم الخدود ، والنياحة والجزع وغير ذلك مما يوحي بالتسخط على قدر الله .

الثاني : الزيارة البدعية ، وهي أن يزور قبرًا من أجل أن يدعو الله عنده ، أو يصلي عنده ، أو يقرأ القرآن عنده أو نحو ذلك .

الثالث : الزيارة الشركية ، وهي أن يدعو فيها المقبور من دون الله ، ويطلب منه قضاء الحوائج ، وتفريج الكرب ، ودفع المكروه ، أو يصلي له ، أو يذبح له ، ليقضي حاجته ونحو ذلك : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

حكم الرقية :

الرقية الشرعية هي ما كانت بكتاب الله ، أو بما ورد من سُنَّة رسول الله ﷺ ، فهذه رقية جائزة .

عن عوف بن مالك ﷺ قال : كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله : ما تقول فِي ذَلِكَ فَقَالَ : اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ » . أخرجه مسلم[1] .

وعن جابر قال : كَانَ خَالِي يَرْقِي مِنَ الْعَقْرَبِ ، فَلَمَّا نَهَى رَسُولُ اللهَّ ﷺ عَنْ الرُّقَى أَتَاهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى ، وَإِنِّي أَرْقِي مِنَ الْعَقْرَبِ ، فَقَالَ : مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ » . أخرجه مسلم[2] .

فقه الإمامة الكبرى :

تثبت الإمامة بأحد ثلاث طرق :

الأولى : النص من الإمام الأول على الثاني كما نص النبي ﷺ على خلافة أبي بكرٍ بالإشارة ، ونص أبو بكر ﷺ على خلافة عمر ﷺ بالتعيين .

الثانية : النص على جماعة كما فعل عمرﷺ بأن اختار ستة من كبار الصحابة ليختاروا واحدًا منهم ، فاختاروا عثمان بن عفان ﷺ .

الثالثة : إجماع أهل الحل والعقد، فإذا مات الإمام الأول ، ولم يستخلف أحدًا فلأهل الحل والعقد من العلماء والوجهاء وذو الرأي السديد ، أن يختاروا إمامًا صالحًا يكون خليفةً عليهم ، وعلى أهل الآفاق السمع والطاعة له .

وإن وثب على الإمامة من يصلح للإمامة من غير مشورة ولا اختيار ، وبايع له الناس تمت له البيعة .

وإن وثب عليها من ليس أهلًا لها من الفساق ، وأخذها بالقهر والغلبة ، فلا طاعة له ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٤/ ٢٢٠٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٦٢/ ٢١٩٩).

شروط الإمامة :

يُشترط في الإمام الذي يخُتار لإمامة المسلمين ما يلي :

أولًا : أن يكون من صميم قريش ؛ لأن الأئمة من قريش ما أقموا الدين .

ثانيًا : أن يكون مسلمًا .

ثالثًا : أن يكون حرًا لا عبدًا .

رابعًا : أن يكون بالغًا .

خامسًا : أن يكون عاقلًا .

سادسًا : أن يكون عدلًا لا فاسقًا .

سابعًا : أن يكون عالمًا مجتهدًا ، لئلا يحتاج إلى غيره في أكثر مسائل الشرع.

ثامنًا : أن يكون ذا خبرةٍ ورأيٍ حصيف بأمور الحرب ، وتدبير أحوال الأمة ، وتدبير الجيوش ونحو ذلك .

تاسعًا : أن يكون قويًا لا تلحقه رقة في إقامة الحدود الشرعية ، ولا فزعٌ من ضرب الرقاب ، وقطع الأطراف .

عاشرًا : أن يكون ذكرًا .

الحادي عشر : أن يكون سليم الأعضاء .

ويجوز نصب الإمام المفضول مع وجود الفاضل ، إذا خيفت الفتنة ، وعدم استقامة الأمور؛ دفعًا للهرج والفساد ، وتعطيل الأمور ، وتمزيق الأمة ، وسفك الدماء .

وإذا نُصب الإمام ثم فسق خلعت إمامته بالفسق الظاهر .

ويجب على الإمام أن يخلع نفسه إذا وجد في نفسه نقصًا يؤثر في الإمامة .

ولا تجوز متابعة إمامين معاً ، وإذا بويع لخليفتين فيُقتل الأخر منهما ، درءاً للفتنة والشقاق ، ومن خرج على إمام عدل وجب على الناس جهاده ودفعه بما يكف شره : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ ﴾ [المائدة: ٢] .

حكم الاستعاذة :

الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والاستعاذة به من شر كل ذي شر : ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ [الفلق:١-٥] .

وحقيقة الاستعاذة الهرب من شيءٍ تخافه إلى من يعصمك منه .

فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه القادر على كل شيء ، وفر إليه ، والتجأ إليه ، واستجار به ، واعتصم به ، وألقى نفسه بين يديه .

فالاستعاذة بالله حق : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٦ ﴾ [فصلت: ٣٦] .

والاستعاذة بغير الله شرك : ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦ ﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦] .

أقسام الاستعاذة :

الاستعاذة تنقسم إلى قسمين :

الأول : استعاذةٌ بالله ﷻ ، وهذا عبادةٌ من العبادات : ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ۝١٠٠ ﴾ [النحل:٩٨-١٠٠] .

الثاني : استعاذةٌ بغير الله ، وهي قسمان :

الأول : استعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه ، وهذا ليس من الشرك ، إلا إذا تعلق القلب بالمخلوق ، فتكون من الشرك الأصغر ، مثل تعلق القلب بالطبيب أو بقائد الطائرة ونحو ذلك .

الثاني : استعاذةٌ بغير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وهذه تنقسم إلى قسمين :

الأول : ما يقدر عليه الإنسان في العادة ، ولكنه يطلبه من غائبٍ أو ميت .

الثاني : ما لا يقدر عليه الإنسان أصلًا في العادة كشفاء المرضى ونحو ذلك.

فهذان النوعان كلاهما من جنسٍ واحد ، وهما من الشرك الأكبر ؛ لأنها صرفٌ للعبادة لغير الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر:٦٤-٦٦] .

٦ - الخزانة السادسة

أحكام شرعية عامة

أحكام الطهارة :

أقسام المياه :

الماء قسمان :

مطلق .. ومقيد .

فالمطلق كماء العيون والآبار ، والسيول والبحار ونحوها ، وهذا الماء طاهرٌ في نفسه ، مطهرٌ لغيره ويُسمى الماء الطهور .

والماء المقيد كماء الورد ، وماء العنب ، وماء الرمان فهذا يسمى طاهرًا ولا يسمى طهورًا ، ولا يحصل به التطهير من الأحداث والنجاسة .

ماء زمزم السُنَّة الشرب منه ؛ لأنه طعام طعم ، وشفاء سُقم .

ويجوز الوضوء منه ، ويجوز الاستنجاء به ، ويجوز الغُسل به من الجنابة إذا دعت الحاجة إلى ذلك .

الكولونيا عطرٌ مشتمل على الكحول المسكر ، فيحرم على الرجال والنساء استعماله .

يجوز للمرأة التطيب إذا كان خروجها لمجمع نسائي لا تمر في الطريق إليه على رجال .

الرطوبة التي تخرج من فرج الرجل أو المرأة إن كانت مستمرة في غالب الأوقات كالمستحاضة ومن به سلس البول ، فهذا يتوضأ لكل صلاة إذا دخل الوقت ، فإن شق عليه توضأ قبل الوقت بقليل .

وإن كانت الرطوبة تعرض في بعض الأحيان ، وليست مستمرة ، فهذه حكمها حكم البول تنقض الوضوء ، فيتوضأ من ذلك للصلاة .

صفة الغسل :

الغُسل من الجنابة ، ومن الحيض ، ومن النفاس ، يجُزئ عن الوضوء إذا توضأ مرتبًا ، ونوى رفع الحدثين الأصغر والأكبر ، والأفضل أن يستنجي بالماء ، ثم يتوضأ مرتبًا ، ثم يُكمل الغسل اقتداءً بالنبي ﷺ .

وغُسل الجمعة يبدأ بعد طلوع الفجر ، وغُسل الجمعة ، أو غُسل التبرد ، أو غُسل النظافة لا يجزئ عن الوضوء ولو نوى ذلك لعدم الترتيب وهو من فروض الوضوء ، بل لابد من الوضوء بشروطه قبله أو بعده .

صفة التيمم :

أن يضرب بيديه التراب، ثم يمسح بهما وجهه وكفيه، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وحد الوجه في التيمم كالوضوء يمسح وجهه بالتراب من أعلى الجبهة إلى اللحية، ومن الأذن إلى الأذن، ويمسح يديه ظاهرهما بباطنهما من مفصل الكف إلى أطراف الأصابع .

مدة الطهر والحيض ليس لها حدٌ محدود ، لكن الغالب أن مدة الحيض للنساء كل شهرٍ ستة أو سبعة ايام، ومدة الطهر ثلاثةٌ وعشرون يومًا أو أربعةٌ وعشرون يومًا، وبعض النساء يأتيها الحيض في السنة مرة، وبعضهن في الشهرين مرة، وبعضهن كل ستة أشهر مرة .

إذا أسقطت المرأة ما تبين فيه خلق الإنسان من رأسٍ أو يدٍ أو رجلٍ ونحوها فهي نُفساء لها أحكام النفاس .

وإن أسقطت ما لم يتبين فيه خلق الإنسان بأن كان لحمًا لا تخطيط فيه ، فهي مستحاضة لها حكم المستحاضة لا حكم النفساء ، ولا حكم الحائض .

إذا بلغت المرأة خمسين سنة فإن بقيت عادتها على حالها لم تتغير فلها أحكام الحائض، وإن تغيرت باختلاف الدم أو استمراره أو عدم انضباطه فهو دم فساد له حكم المستحاضة .

التخليل بين الأصابع سُنَّة عند الوضوء يُفعل أحيانًا ، ويُترك أحيانًا ؛ لأن النبي ﷺ ما كان يداوم عليه ، ومثله تخليل اللحية الكثيفة .

الأصل في العبادات الحظر والمنع إلا ما جاء عن الله ورسوله ؛ لأنها توقيفية.

والأصل في البيوع والمعاملات الحِل والإباحة إلا ما جاء الشرع بتحريمه .

والأصل في الأبضاع الحظر والتحريم إلا ما جاء الشرع بإباحته .

والأصل في الأواني الإباحة إلا آنية الذهب والفضة ، فإنها محرمةٌ على الرجال والنساء إلا الضبة اليسيرة من الفضة .

أحكام الصلاة :

من ترك الصلاة عن نسيانٍ أو نومٍ أو شبهه ، قضاها كما كانت ؛ لقول النبي ﷺ : « مَنْ نَامَ عَنْ صَلاَةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا لاَ كَفَّارَةَ لهَا إِلاَّ ذَلِكَ » . متفق عليه[1] .

ومن ترك الصلاة متعمدًا ثم تاب فليس عليه قضاء ؛ لأن تركها عمدًا حتى خرج وقتها أخرجه من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر ، والكافر لا يقضي ما ترك حال كفره .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٧٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣١٤/ ٦٨٤).

لا يُشرع للنساء آذانٌ ولا إقامة سواءٌ كن في الحضر أو السفر ؛ لأن الآذان والإقامة من خصائص الرجال لا النساء .

المرأة يُشرع لها أن تجهر بالقراءة في الركعتين الأوليين من المغرب والعشاء ، وكذلك الفجر كالرجل ، والواجب أن تُسمع نفسها .

الأبكم والأصم إذا بلغ الحُلم فهو مكلفٍ بأنواع التكاليف ، ويُعلم الأحكام بالكتابة والإشارة .

أوقات الصلوات الخمس :

أولًا : صلاة الظهر ، كل وقتها اختياري تجوز الصلاة فيه ، من زوال الشمس إلى أن يصير ظل كل شيءٍ مثله ، لكن الأفضل تقديمها إلا في شدة حر فتؤخر .

ثانيًا : صلاة العصر ، وقتها الاختياري من أول الوقت إلى أن تصفر الشمس ، ووقتها الاضطراري من اصفرار الشمس إلى غروب الشمس ، فلا يجوز تأخيرها عن ذلك .

ثالثًا : صلاة المغرب كل وقتها اختياري من غروب الشمس إلى أن يغيب الشفق الأحمر ، وتقديمها في أول الوقت أفضل .

رابعًا : صلاة العشاء وقتها الاختياري من مغيب الشفق الأحمر إلى منتصف الليل ، ووقتها الاضطراري من منتصف الليل إلى طلوع الفجر ، فلا يجوز تأخيرها لما بعد منتصف الليل إلا لمضطر .

خامسًا : صلاة الفجر كل وقتها اختياري من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، لكن الأفضل تقديمها في أول الوقت ، والغالب أن من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ساعة ونصف تقريبًا .

قراءة الفاتحة في حق المأموم ليست ركنًا ، ولكنها واجبة تسقط بالسهو والجهل وعدم إدراك الركعة .

الإشارة في الصلاة لمصلحة لا بأس بها ، ولا حرج فيها ، ولا تبطل بها الصلاة ، وقد فعل ذلك سيد الخلق ﷺ .

الالتفات في الصلاة بالرأس للتعوذ من الشيطان الرجيم عند الوسوسة لا حرج فيه، بل هو مستحب عند شدة الحاجة إليه بالرأس فقط، والالتفات لغير سببٍ مكروه .

السُنَّة للإمام والمأموم والمنفرد الجهر بالأذكار التي بعد كل صلاة فريضة جهرًا متوسطًا ، ليس فيه تكلف ، كل واحدٍ يذكر الله وحده بنفسه وحده كما ورد شرعًا .

من دخل المسجد يُسلم على المصلين والقراء ، ويرد عليه المصلي بالإشارة .

السجود للسهو يجوز أن يكون قبل السلام ، أو بعد السلام ، لكن الأفضل أن يكون السجود للسهو قبل السلام إلا في صورتين :

الأولى : إذا سلم عن نقص ركعة فأكثر فيسجد للسهو بعد السلام اقتداءً بالنبي ﷺ .

الثانية : إذا شك في صلاته ، فلم يدري كم صلى ثلاثًا أم أربعًا ، وغلب على ظنه أحد الأمرين النقص أو التمام ، فإنه يسجد بعد السلام .

إذا قام المصلي لقضاء ما فاته بعد سلام الإمام ، ثم سجد الإمام للسهو فالسُنَّة أن يسجد معه ، ثم إذا سلم قام ، وإن أكمل صلاته ثم سجد للسهو بعد إكمالها فلا بأس عليه .

إذا سلم المأموم سهوًا قبل الإمام ، فإنه يرجع إلى نية الصلاة ، ثم يسلم بعد إمامه ولا شيء عليه .

صلاة التطوع :

تحية المسجد سُنَّةٌ لا تقضى ، وتكفي عنها السُنَّة الراتبة ، وصلاة الفريضة ، إذا دخل والناس يصلون .

السُنَّة أن يصلي المسلم سُنَّة الفجر في البيت ، ثم يخرج إلى المسجد ، ثم يصلي تحية المسجد إذا دخل .

السُنن الرواتب تسقط إذا فات وقتها ، إلا سُنَّة الفجر ، فإنها تُقضى بعد الصلاة ، أو بعد طلوع الشمس ، وهو الأفضل .

النوافل المطلقة مشروعة في السفر والحضر ، وهكذا ذوات الأسباب كسُنَّة الوضوء ، وسُنَّة الطواف، وصلاة الضحى، وتحية المسجد ، والتهجد.

سجود التلاوة والشكر

لا تشترط لهما الطهارة من الحدثين، فيجوز للجنب والحائض وغيرهما سجود التلاوة والشكر .

إذا دخل المسلم مع الإمام في صلاة العشاء ، وقد صلى ركعة ، والداخل قد نوى المغرب ، فإنه يجزئه عن صلاة المغرب ما أدركه مع الإمام .

الواجب على من صلى جالسًا على الأرض ، أو على الكرسي ، أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ، والسنة أن يجعل يديه على ركبتيه حال الركوع.

أثناء خطبة الجمعة لا يشرع تشميت العاطس؛ لوجوب الإنصات للخطبة.

من حضر صلاة العيد، ساغ له ترك الجمعة ، إن وافق العيد الجمعة ، ويصلي ظهرًا فردًا أو جماعة ، وإن صلى الجمعة مع الناس ، فهو أفضل وأكمل .
قاتل نفسه يغسل ، ويصلى عليه ، ويدفن مع المسلمين ، لأنه عاص ليس بكافر .

أحكام الجنائز :

الرجل الميت يكفن بثلاثة أثواب بيض ، ليس فيها قميص ولا عمامة والمرأة تكفن في خمس قطع : إزار وقميص وخمار ولفافتين .
لا حرج في السفر للصلاة على الميت ؛ لأنه من تشييع الجنازة وإتباعها .
كانت زيارة القبور أولًا منهيًا عنها للجميع ، ثم رخص فيها للجميع ، ثم خصص النساء بالمنع ، ولا يشرع للمرأة إذا مرت بسور المقبرة أن تدخلها ، لكن تدعو للأموات في مكانها من غير زيارة ودخول .

أحكام الزكاة :

كل فقير له قريب ينفق عليه لا يستحق الزكاة مادام قريبه ينفق عليه وكل من عرف أنه من بني هاشم ، لا تجوز له الزكاة .

أحكام الصوم :

من صام في بلده ثم سافر لبلد آخر أو العكس ، أفطر وصام مع البلد الذي سافر ، إليه ولو زاد عن الثلاثين يومًا ، فإن صام ثمانية وعشرين يومًا ، أفطر معهم ، وأكمل الصوم بعد العيد .
المرأة إذا طهرت من الحيض أثناء نهار رمضان ، فعليها الإمساك ، لزوال العذر الشرعي ، وعليها قضاء ذلك اليوم .

المسافر إذا أفطر في نهار رمضان ، ثم قدم بلده نهارًا ، فعليه الإمساك ، لزوال العذر مع قضاء ذلك اليوم .

من مات وعليه صيام ، صام عنه أقرباؤه ، فإن لم يصوموا عنه أطعموا عنه من تركته عن كل يوم مسكينًا ، وإن لم يكن له تركة ، فلا شيء عليه .

من مات وعليه صيام كفارة ، ككفارة القتل الخطأ ، أو الجماع في نهار رمضان ، أو كفارة الظهار ، صام عنه واحد من أقاربه شهرين متتابعين ، ولا يجوز تقسيمها على جماعة .

من أراد اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، دخل معتكفه بعد الفجر من اليوم الحادي والعشرين اقتداءً بالنبي ﷺ ، ويخرج بعد غروب الشمس من آخر العشر ، ونهاية الشهر .

الأعمال الصالحة تضاعف في الحرمين الشريفين ، مضاعفة لا يعلمها إلا الله، أما الصلاة فقد جاء مقدار مضاعفتها في المدينة بأفضل من ألف صلاة ، وفي مكة بأفضل من مائة ألف صلاة .

أحكام الحج والعمرة :

أفضل أوقات العمرة في شهر رمضان ، والعمرة في رمضان تعدل حجة مع النبي ﷺ ، ثم يليها العمرة في ذي القعدة ؛ لأن عمر النبي ﷺ كانت كلها في ذي القعدة ، ثم يليها بقية أيام العام .

والحج والعمرة أفضل من الصدقة بنفقتها لمن أخلص لله القصد ، وجاء بذلك على الوجه المشروع ، وقد سئل النبي ﷺ : « أي العمل أفضل ؟ وفيه ؛ ثم حج مبرور » . متفق عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥١٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٥/ ٨٣).

ومن مات ولم يحج وهو قادر ، وجب الحج عنه من التركة أوصى بذلك أو لم يوصِ .

العبادات التي ورد الشرع بالنيابة فيها عن الغير هي :

الحج ، والعمرة ، والصوم الواجب ، وقضاء الصوم ، والصدقة ، والدعاء ، أما غيرها فلا ؛ لعدم ورود الدليل .

أشهر الحج هي شوال وذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة ، هذه هي الأشهر التي يهل بها الحاج بالحج .

ومن اعتمر في أشهر الحج ، ثم رجع إلى بلده ، ثم أحرم بالحج مفردًا ، فليس عليه دم التمتع ، أما إن سافر إلى غير بلده كالمدينة وجدة والطائف ثم رجع محرمًا بالحج ، فهو متمتع عليه دم التمتع .

الزعفران طيب فلا ينبغي للمحرم استعماله في القهوة وغيرها .

من لبس المخيط جاهلًا أو ناسيًا قبل أن يقصر ، وجب عليه خلعه ، ولبس الإحرام ، ثم يحلق أو يقصر في مكة أو غيرها ولا شيء عليه:﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[البقرة: ٢٨٦] . فقال الله : قد فعلت : أخرجه مسلم[1] .

إذا دخل المحرم إلى مسجد الكعبة قطع التلبية قبل أن يشرع في الطواف .

النبي ﷺ قبل الحجر الأسود واستلمه في طوافه ، ومسح الركن اليماني ، واستلم جدران الكعبة من الداخل لما دخل الكعبة ، وألصق صدره وذراعيه وخده في جدارها ، وكبر في نواحيها ودعا ، أما في خارجها فلم يفعل شيئًا من ذلك .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٠/ ١٢٦).

من لم تطهر من الحيض أو النفاس قبل يوم التروية وهى محرمة بالعمرة ، أحرمت بالحج من مكانها الذي هي مقيمة فيه ، وصارت قارنة ، وأدخلت الحج على العمرة ، وأكملت نسكها .

يجوز الجمع في منى للحاج كما يجوز القصر ، ولكن الاقتصار على القصر دون الجمع هو السنة وهو الأفضل ؛ لأنه فعل النبي ﷺ .

السنة صلاة الظهر والعصر في الحج يوم عرفة بعرنة خارج عرفة ولو صلاها في عرفة لشدة الزحام ، وحصول المشقة ، فلا بأس بذلك .

حصى الجمار فوق الحمص ، ودون البندق أقل من بعر الغنم قليلًا .

الحج أكمل من العمرة ، وإذا أحرم أحد بهما في وقت قريب للحج ، فالأفضل أن يقصر رأسه للعمرة ، ويجعل الحلق للحج ؛ لأن الحج أكمل من العمرة ، فيكون الأكمل للأكمل وهو الحلق .

إذا حاضت المرأة أو نفست قبل طواف الإفاضة ، بقى عليها الطواف حتى تطهر ولو تأخرت إلى المحرم أو صفر ، فتؤديه ولا دم عليها ، فإن شق عليها البقاء ، ولم يتيسر لها من يبقى معها ، والرفقة لا ينتظرونها ، فهي معذورة تتلجم بخرقة ، وتطوف للإفاضة والوداع معًا طوافاً واحداً ، ثم تغادر إلى بلدها .

من رمي الجمرات جاهلًا أو ناسيًا بدون ترتيب ، صح رميه ، لأنه معذورٌ بالجهل أو النسيان ، وقد حصل المقصود ، فإن ذكر قبل فوات الوقت لزمه رمي الثانية ، ثم العقبة ، ليحصل الترتيب .

من طاف للوداع قبل تمام الرمي ، لم يجزئه الوداع ؛ لأن الوداع يكون بعد إتمام مناسك الحج كلها .

ليس على المفرد هدي ، وإن أهدي فهو أفضل ، ومن ذبح هديه خارج الحرم كعرفات ، لم يجزئه ولو وزعه داخل الحرم .

السنة أن تذبح العقيقة في اليوم السابع ولو سقط ميتًا ، ومن السنة أن يسمى يوم ولادته ، لأن النبي ﷺ سمى ابنه إبراهيم يوم ولد .

النبي ﷺ أهل بالحج بذي الحليفة ، لما ركب القسواء ، ولما استوت به راحلته في البيداء ، أعاد الإهلال وكرره ، لتعليم الناس ، وأما رواية أنه أهل في مصلاه فضعيفة .

أعلى مكة يقال له كدا بالفتح والمد ، وأسفل مكة ، يقال له كُدَي بالضم والقصر ، فافتح وأدخل مكة ، واضمم وأخرج منها .

يوم عرفة ليلته بعده ، ويوم العيد يوم النحر ليلته بعده ، وليلة الثاني عشر تابعة لليوم الحادي عشر ، وليلة الثالث عشر تابعة لليوم الثاني عشر ، وأما ليلة الرابع عشر ، فليس فيها رمي ؛ لأن الرمي ينتهي بغروب الشمس من اليوم الثالث عشر .

٧- الخزانة السابعة

حكم التقليد :

التقليد في مسائل الأحكام مع وضوح الدليل من الكتاب والسنة لا يجوز ؛ لأن التقليد في منزلة أكل الميتة يحل عند الضرورة فقط ، أما مع وجود لحم مذكى فلا نأكل الميتة ، فكذلك لا يجوز للعالم بالدليل من الكتاب والسنة ، أن يقلد أحدًا ، ولهذا لم يأمرنا الله ﷻ بسؤال أهل العلم إلا عند عدم العلم كما قال سبحانه : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[النحل:٤٣-٤٤] .

فإذا كنا نعلم بالبينات والزبر فلا نسألهم ، ونأخذ من البينات والزبر : ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩] .

أقسام الإرادة :

إرادة الله نوعان :

الأول : إرادة كونية قدرية بمعنى المشيئة ، ويلزم منها وقوع المراد ، سواء كان مما يحبه الله ، أو مما لا يحبه الله كما قال سبحانه : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾[الأنعام:١٢٥] .

وقال سبحانه : ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] .

الثاني : إرادة دينية شرعية ؛ بمعنى المحبة ، ولا يلزم منها وقوع المراد ، ولا تتعلق إلا فيما يحبه الله كما قال سبحانه : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ

وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[النساء:٢٧-٢٨] .

أقسام المعية :

معية الله تنقسم إلى قسمين :

الأول : المعية العامة ، وهي المعية الشاملة للخلق كلهم ، وتقتضي الإحاطة بهم علمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا وغير ذلك من معاني الربوبية ، كما قال سبحانه : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴿٤﴾﴾[الحديد:٤] .

وقال سبحانه :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢].

الثانية : المعية الخاصة ، وهى المقيدة بوصف أو شخص .

فالمقيدة بوصف كقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[النحل:١٢٨] .

والمقيدة بشخص كقوله سبحانه لموسى وهارون : ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[طه: ٤٦] .

وقوله سبحانه عن محمد ﷺ : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾[التوبة:٤٠] .

أقسام الهجر :

الهجر له معنيان :

هجر عام : وهو هجر كل ما حرم الله ﷻ كما قال النبي ﷺ : « الْمُهَاجِرُ مِنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ » . أخرجه أبو داود والنسائي بسند صحيح[1] .

الثاني : هجر خاص : وهو أن يهجر مسلم بلده لله ، فيهاجر منه من أجل إقامة دين الله وحماية نفسه من الزيغ والأذى كما قال النبي ﷺ : « إِنَّمَا

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٤٨١)، والنسائي برقم: (٤٩٩٦) .

الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلى الله وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » . متفق عليه(١) .

والهجرة من أجل الله ، ومن أجل دينه ، عبادة أثنى الله على أهلها بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾[البقرة:٢١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[التوبة:١٠٠] .

حكم القتال في الأشهر الحرم :

الأشهر الحرم أربعة ، ثلاثة سرد ، وواحد فرد ، وهى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[التوبة: ٣٦] .

والقتال في الشهر الحرام حرام ، فلا يجوز ابتداء الكفار بالقتال في الأشهر الحرم ، لكن إن اعتدوا علينا ، وتألبوا علينا ، ندافعهم وتقاتلهم حتى في الشهر الحرام ، كما قاتل الرسول ﷺ ثقيفًا في شهر ذي القعدة ، وهو شهر حرام ، وكما غزا الروم في تبوك في رجب ، وهو شهر حرام ، فهؤلاء وهؤلاء تجمعوا لقتال المسلمين فخرج الرسول ﷺ إليهم مع أصحابه ليدافعهم : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ وَصَدٌّ عَن

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، ومسلم برقم: (١٥٥/ ١٩٠٧)، واللفظ له.

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾[البقرة:٢١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾[البقرة:١٩١] .

حكم تكرار الطلاق :

السنة في الطلاق أن يطلق الزواج المرأة في طهر لم يجامعها فيه ، أو يطلقها وهى حامل قد تبين حملها ، فيطلقها طلقة واحدة ، وله أن يراجعها مادامت في العدة ، فإن طلقها الطلقة الثانية ، فله أن يراجعها مادامت في العدة : ﴿**فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾**﴾[البقرة:٢٣٠].

والطلاق المكرر بلفظ واحد لا يتكرر به الطلاق ، فلا يقع إلا واحدة ، كأن يقول لزوجته : أنت طالق طالق طالق ، أو أنت طالق ثلاثاً ، فلا تطلق بهذا الطلاق ثلاثاً ؛ لأنها طلقت الطلقة الأولى واحدة ، فإذا قلت ثانية : أنت طالق ، فقد أوقعت طلاقًا على مطلقة ، والطلاق لا يقع إلا على من كانت زوجة غير مطلقة ، لهذا لا يقع طلاق على طلاق ، ولا يتكرر إلا على زوجة غير مطلقة ، ولا يتكرر الطلاق إلا إذا راجعها ، أو عقد عليها عقدًا جديدًا ، فالطلاق مرتان أي مرة بعد مرة .

فلابد أن يقع على زوجة غير مطلقة ، فمن طلق ثلاثًا بكلمة واحدة أو كلمات فلا تطلق إلا واحدة ؛ لأن الطلاق لا يقع إلا على زوجة في عصمته

إما المطلقة فلا يقع عليها طلاق : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ ﴾[البقرة: ٢٢٩ -٢٣١] .

حكم المال المحرم :

المال المحرم لكسبه كالربا إن أنفقه الإنسان للتقرب به إلى الله، لم ينفعه ، ولم يسلم من إثمه ؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا .

وإن أراد الصدقة به للتخلص منه ، والبراءة من إثمه ، نفعه ، فسلم من إثمه ، وصار له أجر التوبة منه ، لا أجر الصدقة به .

وإن أراد أن يبني بالمال الربوي مسجدًا ، فبناه ، فالصلاة فيه صحيحة ، أما ثواب بناء المسجد ، فإن قصد التقرب إلى الله بذلك المال ، لم يقبل منه ، ولم يسلم من إثمه ، وإن قصد التخلص من ذلك المال ، سلم من الإثم وأثيب لا ثواب بناء المسجد ، ولكن ثواب التائب إلى الله ﷻ : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[المائدة: ٣٩] .

والإنفاق الموافق للشريعة ابتغاء مرضاة الله ، ما كان موافقاً للشرع في الكم والنوع والصفة ، فالكم كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان:٦٧] .

والنوع كما قال سبحانه : ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج:٣٤-٣٥] .

والصفة كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٤] .

صفة التخلص من المال الحرام :

المال الحرام له حالتان :

الأولى : إن أخذه صاحبه بغير اختيار صاحبه كالمغصوب والمسروق ، فإنه يرده على صاحبه ، فإن كان ميتًا رده على ورثته ، فإن لم يكن له ورثة رده على بيت المال ، فإن تعذر ذلك تصدق به عن من هو له .

الثانية : إن أخذ المال الحرام باختيار صاحبه كالربا ومهر البغي ، وحلوان الكاهن ، فهذا لا يرده عليه ، وإنما يتصدق به ؛ ليتخلص منه ، ويسلم من إثمه وله أجر التوبة لا أجر الصدقة ، هذا حكم من كان عالمًا بالتحريم .

أما إن كان حين اكتساب المال جاهل بالتحريم ، فلا يجب عليه أن يتصدق به لقوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٥-٢٧٦] .

أقسام الأحكام الشرعية :

تنقسم الأحكام إلى قسمين :

الأول : عبادات : وهى ما تكون بين العبد وربه كالطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والأذكار والأدعية ونحوها .

الثاني : معاملات : وهى ما يكون بين الإنسان وغيره من الخلق ، **وهى أربعة أقسام :**

الأول : معاملات مالية : كالبيع والإجارة والشركة ونحوها كالزكاة والميراث .

الثاني : معاملات بدنية : كالنكاح والصداق والطلاق والعدة ونحوها .

الثالث : معاملات جنائية : كالقصاص والحدود ونحوها .

الرابع : معاملات قضائية : كالقضاء والفصل في المعاملات ونحوها .

قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

وأعظم قواعد المعاملات أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن يعامله بما يحب أن يعامله به ؛ لأنه بذلك يقوم بعبادة الله ﷻ من بيع وشراء أو تأجير ونحو ذلك ممتثلًا في ذلك أمر ربه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

﴿ ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧] .

وقال النبي ﷺ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » . متفق عليه[1] .

فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، والمؤمن للمؤمن كاليدين ، تغسل إحداهما الأخرى ، فيجب التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان كما قال سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢]

فقه الحكم :

الحكم إثبات أمر لشيء أو نفيه عنه ، والحكم ثلاثة أنواع :

الأول : حكم شرعي : وهو المستند إلى أدلة الشرع من قرآن وسنة .

الثاني : حكم عادي : وهو المستند على العادة والتجربة .

الثالث : حكم عقلي : وهو المستند على العقل .

فالحكم العقلي كقولنا : الواحد نصف الاثنين ، والحكم العادي والحسي كقولنا : السماء فوق الأرض ، والحكم الشرعي كأحكام الله الشرعية التي بينها الله في كتابه ، وبينها الرسول ﷺ في سنته .

حكم العمل :

الله ﷻ غني عن العالمين ، وعن أعمالهم : ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦] .

ولا يقبل الله عملًا من العبد إلا إذا كان مشروعًا خالصًا لوجه الله وحده .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٣) ، ومسلم برقم (٤٥).

ولعمل المسلم ثلاث حالات :

الأولى : أن يكون العمل مشروعًا ، والقصد موافقًا ؛ كمن يصلي الظهر قاصدًا وجه الله ، فهذا عمله مقبول ، وفاعله مأجور .

الثانية : أن يكون العمل مشروعًا ، والقصد مخالفًا ؛ كمن يصلي العشاء وقصده الرياء والسمعة ، فهذا العمل غير مقبول ، ولا أجر لفاعله .

الثالثة : أن يكون العمل مخالفًا ، والقصد موافقًا ؛ كمن يحدث بدعة المولد ، يقصد بها التقرب إلى الله ﷻ ، فهذا عمله مردود عليه ، ولا يقبله الله ﷻ منه .

قال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذا ما لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . متفق عليه[1] .

وعن عمر رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى » . متفق عليه[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٧/ ١٧١٨)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، ومسلم برقم: (١٥٥/ ١٩٠٧)، واللفظ له.

٨- الخزانة الثامنة

حكم تغيير النية في الصلاة :

النية في الأصل تسبق العمل ، لأن النية روح العمل : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢- ٣] .

ومن دخل في صلاة ثم أراد الانتقال من نية إلى نية فله ثلاث حالات :

الحالة الأولى : أن ينتقل من مساوٍ إلى مثله، كمن دخل في صلاة بنية الظهر، ثم تذكر أنه صلاها ، فنوى العصر ، فهذا لا يصح ؛ لأن النية تسبق العمل .

الثانية : أن ينتقل من الأعلى إلى الأدنى ، كمن دخل في صلاة الظهر مثلًا ، ثم تذكر أنه صلاها فنوى النافلة ، فهذا يصح ، وتقع منه نافلة .

الثالثة : أن ينتقل من الأدنى إلى الأعلى، كمن دخل في النفل، ثم تذكر أنه لم يصلي الصبح، فنوى بها صلاة الصبح، فهذا لا يصح؛ لأن النية تسبق العمل.

عن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى » . متفق عليه[1] .

والأصل صلاة الفرائض جماعة ، وصلوات النوافل وحدها إلا ما شرع الله له الجماعة كالتراويح ونحوها ، فإن صلى قيام الليل جماعة أحيانًا فلا بأس بشرط ألا يتقصد ذلك دائماً .

والأصل في الأذكار الإسرار بها إلا ما ورد في الشرع الجهر به ، كالتلبية والأذكار بعد السلام ونحوهما .

لا تصح الصلاة إلا بوضوء ، ومن فقد الطهورين الماء والتيمم يصلي حسب حاله :﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن:١٦] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١)، ومسلم برقم: (١٥٥/ ١٩٠٧)، واللفظ له.

وقال النبي ﷺ : « إذا أَمَرْتُكُمْ بِأمر فَآتوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ و مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ ». متفق عليه[1].

أحكام عامة :

إذا خرج المني من الرجل بعد الغسل منه فعليه الوضوء لا الغسل .

إذا مرت الحائض أو النفساء بالميقات وجب عليها إن نَوت العمرة أو الحج أن تغتسل وتُحرم من الميقات ؛ لحديث أسماء بنت عميس أن النبي ﷺ قال لأبي بكر : « مرها فلتغتسل ، ثم لتهلّ بالحج » . أخرجه مسلم[2] .

إذا وقعت النجاسة في الماء ، وغيرت لونه أو طعمه أو ريحه حرم التطهر به ، سواء كان الماء قليلًا أو كثيرًا ، وإن لم تغير النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه ، فهو طاهر يجوز التطهر به ، سواء كان الماء قليلًا أو كثيرًا ؛ لقول النبي ﷺ : « الماء طهور لا ينجسّه شيء » . أخرجه الترمذي والنسائي [3].

وإذا تغير الماء بطاهر فهو طاهر ، وإن تغير بنجس فهو نجس ؛ فالماء يأخذ حكم ما غيره من طاهرٍ أو نجس .

والكلب يطلق على كل سبع ضار ، سواء كان كلبًا أو ذئبًا أو أسدًا ؛ لقوله سبحانه : ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾[المائدة:٤] .

فإذا ولغ في الإناء يغسل سبعًا ، ويعفر الثامنة بالتراب .

وإذا صاد الكلب شيئا من الصيد بعد إرساله جاز أكل صيده ، ولا يجوز اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع ، والكلاب نجسة ما خالطته نجسته ، وما كان نجسًا لا يجوز بيعه ولا أكله ، لكن يعفى عن أثره في الصيد ؛ لأنه من باب الرخصة كالرخصة في أكل الميتة للمضطر .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٨) ، ومسلم برقم (١٣٠/ ١٣٣٧) .

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١٠/ ١٢١٠).

(٣) صحيح / أخرجه الترمذي برقم: (٦٦)، والنسائي برقم: (٣٢٧).

والأصل غسل النجاسة ثلاث مرات كغسل اليدين عند الاستيقاظ من النوم، ويستثنى من ذلك غسل ما ولغ فيه الكلب سبع مرات لورود النص به .

من اقتنى الكلاب لغير صيد أو ماشية أو زرع ينقص من أجره كل يوم قيراطان ، ومن اتخذه في البيوت فقد ارتكب محرمًا ؛ لأن « الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة » . متفق عليه[1] .

أحكام البيع :

الثمن هو المبلغ النقدي الذي يدفع مقابل السلعة كالريال والدولار مثلا .

والسلعة هي ما يعرض في السوق من السلع والبضائع كالسيارات والأواني ونحوها .

والعوض هو كل ما ينتفع به الإنسان مباشرة بلا ثمن ، فيعطي مثلًا قمحا ، ويأخذ ثوبًا ، وهذا هو المعروف قديمًا . وقد يكون عندك شيء تريد بيعه لأحد ، والآخر لا يريده ، فاخترعوا شيئًا تبادل المنافع والسلع ، وهو الأثمان مقابل السلع كالريال ونحوه .

فقه التقوى :

والتقوى أن تجعل بينك وبين صفات الجلال لله وقاية ، فإن لم تفعل في مقام افعل ، وفعلت في مقام لا تفعل ، فقد عصيت الله ؛ فستأخذ صفة الجلال لله منك حقها بعزة الربوبية والملك والقدرة والجبروت : ﴿ **لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾** ﴾ [النساء:١٢٣] .

وإن فعلت في مقام افعل ، وتركت في مقام لا تفعل ، فقد أطعت الله ﷻ ، فستعطيك صفة الجمال لله ﷻ ثواب ذلك العمل من الكريم المحسن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١٤٤)، ومسلم برقم: (٢١٠٦)، واللفظ له.

الرحمن الرحيم : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

وقال ﷻ : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء:١١٥] .

نعمة اللباس :

الله ﷻ بمنه وكرمه أنزل على عباده لباسين :

لباسٌ يستر البدن ، وهو الثياب .

ولباسٌ يستر الروح ، وهو الدين كما قال سبحانه : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[الأعراف:٢٦] .

والشيطان يجتهد على الإنسان ليعريه من هذا وهذا كما قال سبحانه : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الأعراف:٢٧] .

أنواع اللباس :

تختلف أنواع اللباس من بلدٍ إلى بلد، وأسماء الملابس التي يلبسها الرجال هي على النحو التالي :

الإزار : هو الملحفة، والملحفة هي الملاءة، والملاءة هي الريطة، والريطة قطعةٌ واحدة من القماش .

النقبة : هي الوزرة والتنورة ، أعلاها كالسراويل، وأسفلها كالإزار، وهي سراويلٌ في أعلاها حجزةٌ أو تكة تمسكها .

النطاق : هو ما يشد به وسط الثوب من قماشٍ ونحوه .

الدثار : هو اللباس الذي تستدفئ به من فوق الشعار من غير خياطة .
الشعار : هو الثوب الذي يلي كل البدن وهو الثوب .
الإزار : ما يستر أسفل البدن من غير خياطة .
الرداء : ما يستر أعلى البدن من غير خياطة .
والشعار والدثار أعم من الرداء والإزار .
السراويل : ما يستر أسفل البدن له نقبتان لكل رجل .
التبان : سروالٌ صغير مقدار شبرٍ يستر العورة المغلظة فقط .
القباء : ثوبٌ واسع له أكمام ، مفتوحٌ من الأمام ، ومثله البشت والعباءة .
الجُبّة : كل ثوبٍ جُب فيه موضع إخراج الرأس .
الدرع : ثوبٌ مشقوق المقدم تلبسه النساء .
البرنس : كل ثوبٍ رأسه منه ملتصقٌ به .
النقاب : هو غطاء الوجه الذي لا يبدو منه إلا العينان وهو البرقع .
القميص : ثوبٌ يفصل على البدن يغطي أعلى البدن و أسفله .
النعال : هي ما يقي أسفل القدم من الأرض .
الخفاف : هي ما ستر أسفل القدم و أعلاه .
الرداء : قطعةٌ واحدة من القماش ليست مخيطة ، ولا مفصلة على قدر البدن ولا على قدر أعلاه .
فالرداء والإزار والوشاح واللحاف والريطة والملاءة كلها لباسٌ يصلح أن يكون لأعلى البدن أو أسفله ، ويسمى الرداء والإزار ثوبا .
والمحرم بالحج أو العمرة مأمورٌ بكشف القدمين ، فعليه لبس النعلين ؛ لأن ظهور القدمين مقصودٌ في الإحرام . ولا يجوز للرجل المحرم أن يغطي

رأسه ووجهه ، أما المرأة فتغطي رأسها ، وتكشف وجهها إلا إذا كانت بحضرة رجال أجانبٍ فتغطيه .

بيوت الله ﷻ :

بيوت الله التي يتعبد بها الخلق ثلاثة :

الأول : العرش العظيم الذي تطوف به الملائكة : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾[غافر:٧] .

الثاني : البيت المعمور ، فوق السماء السابعة ، والذي هو مُتعبد أهل السماوات : ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ ﴾[الطور:١- ٤] .

الثالث : بيت الله ، وهو الكعبة في الأرض : ﴿ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

فالكعبة بيت الله ، باختيار الله ومساجد الأرض بيوت الله باختيار خلق الله ، وهذا وهذا كله مسجدٌ للسجود لله ﷻ ؛ ولهذا كان بيت الله وهو الكعبة باختيار الله قبلة لبيوت الله التي بناها خلق الله في الأرض : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ۝١٨ ﴾[الجن:١٨] .

فالذي يصلي أمام الكعبة قبلته الكعبة ، والذي يصلي خارج المسجد قبلته المسجد الحرام ، والذي يصلي في جهات الدنيا قبلته جهة المسجد الحرام في مكة كما قال سبحانه : ﴿ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ ﴾[البقرة:١٤٤] .

أنواع الأحكام :

لله ﷻ : سننٌ كونية .. وسننٌ شرعية .

فالسنن الشرعية هي الدين ، وهو مجموعٌ في خمسة أمور :

إيمانيات .. عبادات .. معاملات .. معاشرات .. أخلاق .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] .

والسنن الكونية نوعان :

الأول : سننٌ كونيةٌ ثابتة لا تتغير أبدا ، مثل طلوع الشمس من المشرق وغروبها في المغرب ، ومثل ظهور النبات في الأرض ، ومثل خروج الكلام من اللسان ونحو ذلك : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[المعارج:٢٣] .

الثاني : سننٌ كونية متغيرة :

فالماء ينزل بقدرة الله من السحاب ، وأحيانًا لا ينزل؛ لأن الله ﷻ لم يشأ نزوله، فالرياح لم ترفعه إلى منطقةٍ باردة في السماء ليتكثف ثم يمطر ، فالماء ينزل من السحاب بأمر الله، والملائكة تدبر الريح بأمر الله، فإذا لم ينزل الماء نستغيث بالله ، ونستسقي ، فيأمر الله الملائكة بالسقيَ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الشورى : ٢٨]

وقال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[الأعراف:٥٧] .

أقسام الناس :الناس اثنان :

تقيٌ .. وفاجر .

فالفاجر هو الذي يفجر ، ويفسد في الأرض ، فيقتل أو يزني أو يسرق ونحو ذلك ، فالذي يستحق السجن هو المنحرف الذي ضر نفسه أو ضر غيره ، فهذا يستحق العقوبة بإبعاده وعزله عن الناس .

والسجن نوعان :

الأول : سجنٌ و إبعادٌ تأديبي ، بترك المنحرف حرًا طليقًا في المجتمع لا يكلم أحد ، ولا يكلمه أحد .

الثاني : سجن المجتمع عنه ، فلا يكلمه أحد ، كالثلاثة الذين خُلفوا حيث أمر الرسول ﷺ بهجرهم ؛ ليعيش المنحرف حالة عزلةٍ وشدة ، ليعرف مقدار ذنبه ، فيتوب إلى ربه .

الثاني : سجن المنحرف بعزله عن الناس ، حتى لا يضرهم ، كما في السجن لمن قتل أو سرق أو زنى أو شرب الخمر ، حتى يتم الحكم عليه .

فالسجن الأول لمن عنده قوة الإيمان والعلم بالأحكام ، والثاني لمن عنده ضعف الإيمان ، مع علمه بالأحكام .

وأعظم السجون هو سجن الإنسان عن الإيمان بالله ، وعن طاعته ، وعن عبادته وحده لا شريك له ، فالشيطان يجر الناس إلى المعاصي ، ثم إلى نار جهنم : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يس:٦٠-٦٢] .

والخير كله بحذافيره في الجنة ، والشر كله بحذافيره في النار ، والدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر، كما قال النبي ﷺ: « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » . أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١/ ٢٩٥٦).

٩- الخزانة التاسعة

فقه استلام الحجر الأسود :

استلام الحجر الأسود عند ابتداء الطواف ، وفى أول كل شوط ، سُنة مشروعة ، ولا يشرع استلام الحجر الأسود في غير الطواف بالكعبة .

ولاستلام الحجر الأسود مراتب :

الأولى : استلام الحجر باليد ، ثم تقبيله بالفم .

عن ابن عمر ﷺ قال : « رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله » . أخرجه البخاري[١] .

الثانية : استلامه باليد ، ثم تقبيل اليد .

عن نافع قال : رأيت ابن عمر استلمه بيده ، وقبل يده ، واخبر أنه رأى رسول الله ﷺ يفعله . أخرجه مسلم[٢] .

الثالثة : استلام بعصا ونحوه ، ثم تقبيل طرف ذلك العصا الذي استلم بها الحجر .

عن أَبَى الطُّفَيْل قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَيَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ مَعَهُ ، وَيُقَبِّلُ المِحْجَنَ » . أخرجه مسلم[٣] .

الرابعة : الإشارة إليه باليد اليمني أو بشيء دون تقبيل .

عن ابن عباس ﷺ قال : رأيت رسول الله ﷺ طاف بالبيت على بعير كُلَّمَا أَتَى الرُّكْنَ أَشَارَ إِلَيْهِ بِشيءٍ كَانَ عِنْدَهُ وَكَبَّرَ » . أخرجه البخاري[١] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٦١١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٣/ ٦٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧/ ١٢٧٥).

حكم سجود الشكر :

سجود الشكر من أعظم ما يشكر به العبد ربه على نعمة ؛ لما فيه من الخضوع لله ؛ ولما فيه من شكر الله بالقلب واللسان والجوارح .

وسجود الشكر مشروع في الأحوال الآتية :

إذا حصلت للمسلمين نعمة عامة ، أو اندفعت عنهم نقمة .

وإذا حصلت للمسلم نعمة خاصة ، أو اندفعت عنه نقمة .

سواء تسبب في ذلك أو لم يتسبب ، ولا يسجد المسلم للشكر أثناء الصلاة ، كما أنه يشرع سجود الشكر عند رؤية مبتلى في دينه أو بدنه أو ماله . وسجود الشكر لا يشترط له ما يشترط الصلاة من الطهارة ، وستر العورة ، واستقبال القبلة وغيرها ، بل يسجد حسب حاله، لكنه مع تلك الأمور أولى.

وسجود الشكر ليس له تكبير في أوله ، ولا في آخرة ، وليس له تشهد ولا تسليم ، وإنما يشرع للساجد أن يقول ما يقال في سجود الصلاة ، وما يناسب المقام من حمد الله وشكره واستغفاره .

وسجود الشكر سجدة واحدة ، وهو مشروع للقائم والقاعد ، والماشي والراكب ، ويجوز قضاء سجود الشكر إذا لم يتمكن من أدائه في وقته بعذر من جهلٍ أو نسيان ونحوهما .

والسجود المفرد من غير سبب تقربا إلى الله من البدع المحرمة ، لأنه لم يرد في كتاب ولا سنة .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٦١٣).

عن أبي بكر ﷺ أن رسول الله ﷺ :« كانَ إذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ أَوْيُسَرُّ بِهِ خَرَّ سَاجِداً شُكْراً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى » . أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند حسن[1] .

حكم الصلاة داخل الكعبة :

تجوز صلاة الفريضة و النافلة داخل الكعبة ، وقد صلى النبي ﷺ في جوف الكعبة صلاة النافلة ، وما صح في النفل صح في الفرض .

ويحرم المرور بين يدي المصلى ، ويجوز في حال الضرورة ، وفى حال الحاجة الملحة المرور بين يدي المصلي مطلقًا ، كما هو الحال عند الزحام في الطواف بالكعبة في مناسبات الحج أو العمرة ، ولا إثم على المار ؛ لأن الضرورات تبح المحذورات .

ويجوز المرور بين أيدي المأمومين في المسجد الحرام وغيره ، لكن الأولى ألا يمر إلا عند الحاجة ، لئلا يشوش على المصلين .

ويحرم المرور بين يدي الإمام والمنفرد داخل المسجد الحرام وغيره ، في غير حال الضرورة والحاجة .

الفرق بين المرأة البكر والثيب :

المرأة البكر هي التي لم يمسها أحد ، والثيب من زالت بكارتها بنكاح صحيح ، أو شبهة نكاح ، أو ملك يمين، وهى التي جربت النكاح ومارسته . أما من زالت بكارتها بزنا أو غصب ، فهذه لم تمارس النكاح ، فلها حكم البكر ، وإذا طلقها أو مات عنها ولم يجامعها ، فهي في حكم البكر .

---

(١) حسن/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٧٧٤)، وابن ماجة برقم: (١٣٩٤).

ومن زالت بكارتها بغير جماع كمن زالت بكارتها بوثبة أو أصبع ونحو ذلك ، فحكمها حكم البكر ، لأنها بكر حقيقة ، ولأنها لو زنت أقيم عليها حد البكر ، إلا إنها ليست عذراء .

حكم تزويج البكر والثيب :

أولا : لا يجوز للأب أو لغيره من الأولياء تزويج الثيب البالغة إلا برضاها ، وإذنها لا يكون إلا بالنطق .

ثانيًا : لا يجوز للأب أن يزوج ابنته الصغيرة الثيب ولا غيره إلا برضاها .

ثالثا : يجوز للأب تزويج ابنته الصغيرة البكر التي لم تبلغ تسع سنين ، ولا خيار لها إذا بلغت ، إذا زوجها من رجل كفء .

ويجوز للولي غير الأب تزويج البكر الصغيرة إذا بلغت تسع سنين بإذنها ، ولا خيار لها ، وليس له تزويجها قبل ذلك .

وقد زوج أبو بكر الصديق رضي الله عنه الرسول ﷺ عائشة وهى بنت ست سنين .

والمرأة إذا زوجت بغير إذنها ، وهي ممن يجب استئذانها ، فإن العقد موقوف على إجازتها .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا ، وَالْبِكْرُ يَسْتَأْذَنُهَا أَبُوهَا فِي نَفْسِهَا ، وَإِذْنُهَا صماتها » .

أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٧/ ١٤٢١).

أقسام الأحكام الشرعية :

الأحكام الشرعية تنقسم إلي قسمين :

الأول : العبادات : وهي أركان الإسلام الخمسة ، وما يتبعها من الآداب والأذكار والأدعية وغيرها من الفرائض والنوافل .

الثاني : المعاملات : وهي أربعة أنواع :

الأول : المعاملات المالية كالبيع والإجارة والشركة ونحوها .

الثاني: المعاملات الشخصية، كالنكاح، والطلاق، والظهار، ونحوها، كالمواريث .

الثالث: معاملات القضاء، كالإقرار، والأيمان، والشهادة، ونحوها، من المعاملات .

الرابع : معاملات القصاص والجنايات ، والحدود كحد الزنا والسرقة ونحوهما .

والواجبات الشرعية إما فرض عين ، أو فرض كفاية .

والفرق بين فرض العين ، وفرض الكفاية ، أن الأمر إذا تعلق بالفاعل فهو فرض عين كالصلاة والصوم ونحوهما ، وإذا تعلق بالعمل فهو فرض كفاية كالأذان والإفتاء ونحوهما .

مقدار وليمة النكاح :

أولم النبي ﷺبحيس حين تزوج صفية ، وأولم بشاة حين تزوج بزينب بنت جحش ، وأولم بأكثر من شاة حين تزوج ميمونة في مكة ، فليس للوليمة حد معين ، فيكون بحسب العرف ، وبحسب اليسر والعسر ، وبحسب كثرة الناس وقلتهم ، بلا إسراف ولا مباهاة .

ووقت الوليمة المسنون بعد الدخول بالزوجة ؛ لأنه المنقول من فعل النبي ﷺ ، والأمر فيه سعة من حين العقد إلى انتهاء أيام العرس .

أنواع الطلاق :

الطلاق على أربعة أوجه :

وجهان حلال وهما :

الأول : أن يطلق المرأة في طهر لم يجامعها فيه .

الثاني : أو يطلق زوجته حاملا قد استبان حملها .

ووجهان حرام وهما :

الأول : أن يطلق زوجته وهي حائض .

الثاني : أو يطلقها في طهر جامعها فيه ، وهذا كله في طلاق المدخول بها .

أما من لم يدخل بها فيجوز طلاقها طاهرا أو حائضا .

ومن الطلاق المحرم أن يطلقها ثلاثاً بكلمة واحدة أو كلمات ، وهذا الطلاق لا يقع إلا واحدة ؛ لأن الطلاق إنما يقع على زوجة في عصمته لا مطلقه ، وهى تطلق هنا من الطلقة الأولى .

أقسام الإحداد :

الإحداد على الميت ينقسم إلى قسمين :

الأول : الإحداد الشرعي وهو إحداد المرأة على زوجها المتوفى عنها أربعة أشهر وعشرا .

الثاني : إحداد المرأة على غير زوجها ثلاثة أيام .

فقه المشتبهات :

الحلال بيّن ، والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات ، والمشتبهات هي المشكلات ، وهي كل ما يحتمل أن يكون من الحلال البيّن أو الحرام البيّن.

والمشتبهات أنواع كثيرة :

الأول : ما تعارضت فيه الأدلة الشرعية وهو قسمان :

أحدهما : ما لم يترجح لدى المجتهد حِله ، ولا تحريمه .

الثاني : وما يترجح لديه حِله ، لكن عنده بعض التردد في حكمه ، لقوة الدليل المعارض له .

الثاني : ما اختلف فيه العلماء ، وأشكل عليه معرفة الأقرب للصواب .

الثالث : أن يشتبه الشيء الذي أصله مباح من جهة واقعه ، والحالة التي هو عليها ، هذا حكمه أنه باقٍ على أصله ، لكن الورع اجتنابه من أجل هذه الشبهة ، **ومن هذا النوع** :

اختلاط الحرام بالحلال كأموال السراق والفساق ، فإن الورع ترك معاملة هؤلاء ، وعدم قبول هداياهم ، وعدم الأكل من موائدهم ، ولا يحكم بتحريم شيء من ذلك ؛ لأن الأصل في الأموال الحل ، ولا يحرم منها إلا ما تيقن العبد حرمته بعينه .

الرابع : الاشتباه في وجود الصفة التي أنيط بها الحكم الشرعي .

الخامس : ما حصل فيه التردد ، هل هو مباح أم لا ؟ .

السادس : ما ورد في النهي عنه حديثٌ ضعيف .

السابع : ما ثبت حكمه بالقياس الذي اختلف فيه أهل العلم .

الثامن : ما ورد في النهي عنه نص عام ، وكانت هذه الصيغة من الصيغ التي اخُتلف في دلالاتها على العموم .

التاسع : المباح إذا كان يفضي أحيانًا إلى الوقوع في المحرم ، مثل الإكثار من الأكل من الطيبات التي تفضي إلى كثرة الاكتساب والبطر ، والانشغال بها عن العبادة .

وحكم المشتبهات أنها مباحة ، لكن الأولى والورع تركها ، والبعد عنها ، فيجب على كل مسلم أن يكون بيعه وشراؤه ، وطعامه وشرابه ، وسائر معاملاته على السنة البينة الواضحة ، فيأخذ الحلال البيّن ، ويتعامل به ، ويجتنب الحرام البيّن ، ولا يتعامل به ، أما المشتبه فينبغي تركه ؛ حماية لدينه وعرضه ، وصيانةً له من الوقوع في الحرام .

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الحْلاَلَ بَيِّنٌ وإِنَّ الحْرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحْرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِْمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللهَّ محَارِمُهُ ، ألا وَإِنَّ فِي الجْسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجْسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجْسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ الْقَلْب ». متفق عليه[1].

أحكام العيد :

العيد اسم لما يعود ويتكرر مرة بعد أخرى .

وهو تعظيم زمن لذات الزمن ، وليس في الإسلام إلا ثلاثة أعياد :

عيد الفطر ، وعيد الأضحى كل عام ، والجمعة عيد الأسبوع .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، ومسلم برقم: (١٠٧/ ١٥٩٩)، واللفظ له.

أما أعياد الموالد والزواج والتعيين على الوظائف وغيرها فهي بدعة ، لما فيها من تعظيم الزمن ، سواء كان ذلك احتفالًا ، أو طعاماً أو تهنئة عند مرور ذلك الزمان : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وعن عَائِشَةَ أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدّ » . متفق عليه[1] .

حكم الإحداد الجاهلي :

الإحداد الشرعي ينقسم إلى قسمين :

إحداد على الزوج أربعة أشهر وعشرة أيام ، وهذا واجب .

وإحداد على غيره ثلاثة أيام ، وهذا جائز .

أما الإحداد الجاهلي ، وهو كل إحداد يخالف الإحداد الشرعي ، ومنه الإحداد الجاهلي المعاصر، وهو الإحداد العام في الدول على موت رئيس، أو عظيم أو حلول مصاب عام .

ومن مظاهره الجاهلية في هذه المناسبات : تنكيس الأعلام ، وإيقاف الأعمال ، وتغيير برامج الإعلام ، وهذا كله من البدع المحدثة : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣].

فقد تُوفي سيد الخلق ﷺ ، وتوفي الخلفاء الراشدون فلم يفعل الصحابة شيئًا من ذلك ، وهذا الإحداد إنما أخذه بعض المسلمين عن الكفار ، ومن تشبه بقوم فهو منهم : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، و مسلم برقم: (١٧/ ١٧١٨)، واللفظ له.

١٠- الخزانة العاشرة

فقه اليمين :

اليمين هو القسم بالله ، أو اسم من أسمائه ، أو صفة من صفاته ، على أمر من الأمور ؛ لتأكيده ومن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك .

قال النبي ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ ».أخرجه الترمذي وأبو داود [١].

أقسام اليمين :

الأيمان أربعة أقسام ، يمينان يكفران ، ويمينان لا يكفران .

اليمينان اللذان يكفران كأن يقول الإنسان : والله لأ أفعل كذا وكذا ، ويفعل .

أو يقول : والله لأفعلن كذا وكذا ، فلا يفعل .

واليمينان اللذان لا يكفران كأن يقول: والله ما فعلت كذا وكذا، وهو قد فعل، أو يقول والله لقد فعلت كذا وكذا، وهو لم يفعل، فهذه وما قبلها هي اليمين الغموس، وفاعلها آثم ، ولا كفارة لها؛ لأنها أغلظ إثمًا من أن تكفرها كفارة اليمين .

واليمين الغموس من أعظم الكذب ؛ وهي تغمس صاحبها في النار .

---

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (١٥٣٥) ، وأبو داود برقم (٣٢٥١) .

حكم اليمين :

يخرج الحالف من عهدة اليمين بواحد من ثلاثة أشياء :

الأول : إبرارها ، بفعل ما حلف عليه .

الثاني : الكفارة ، وهي جائزة قبل الحنث وبعده ؛ فإن كانت الكفارة قبله فهي محللة ، وإن كانت بعده ، فهي مكفرة .

الثالث : الاستثناء بنحو : إن شاء الله ، كأن يقول : والله سوف أسافر إن شاء الله .

ومن فعل المحلوف عليه ناسيًا أو جاهلًا فلا حنث عليه ؛ لأنه معذورٌ بجهله أو نسيانه والله يقول : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة: ٢٨٦] .

فقال الله : قد فعلت : أخرجه مسلم[1] .

وقال الله تعالى : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[الأحزاب:٥] .

ولا ينبغي الإكثار من الحلف في كل مناسبة : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾[القلم:١٠-١١] .

أما قول الإنسان في كلامه اليومي : لا والله ، وبلى والله ، فهذا من اللغو ولا يؤاخذ عليه لكن الأولى البعد عنه ، وعدم فعله :﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٠/ ١٢٦).

أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[المائدة:٨٩] .

الفرق بين الناسي والمخطئ :

الناسي ، أن يفعل الشيء المنهي عنه ناسيًا ، كمن قتل الصيد في الحرم ، أو الإحرام ناسيًا أنه في الحرم ، أو ناسيًا أنه محرم .

والمخطئ أن يفعل ما له فعله فيصيب ما لم يقصده ، كأن يرمي غرضًا فيصيب إنساناً فيقتله من غير قصد قتله ، ولا إثم على المخطئ والناسي كما قال سبحانه : ﴿ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ ﴾[الأحزاب:٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾[البقرة: ٢٨٦] . فقال الله : قد فعلت : أخرجه مسلم[1] .

لكن إذا تعلق الخطأ أو النسيان بإتلاف مال أو دم فعليه ضمانة أو ديته .

حكمة النسخ :

النسخ في الشريعة يكون في الأحكام لا في الأخبار .

ويجوز نسخ الأخف بالأثقل ؛ لأنه أكثر أجرًا كنسخ التخيير بين الصيام والإطعام في صيام رمضان بإيجاب صوم رمضان كما قال سبحانه : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾[البقرة:١٨٥] .

ويجوز نسخ الأثقل بالأخف ؛ لأنه أسهل منه ، كنسخ إعتداد المتوفي عنها زوجها بسنة إلى أربعة أشهر وعشرا .

---

(١) أخرجه مسلم برقم:٢ (٠٠/ ١٢٦).

أما النسخ بالمثل فكالنسخ للقبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام في مكة ، **وفي هذا النسخ حكم منها :**

أولًا : أنه سقط به احتجاج كفار مكة ، حيث قالوا للنبي ﷺ : تزعم أنك على ملة إبراهيم ، ولا تستقبل قبلته .

ثانيًا : سقطت به حجة اليهود حيث قالوا للنبي ﷺ : تعيب ديننا وتستقبل قبلتنا ، وقبلتنا من ديننا .

وسقطت به حجة علماء اليهود الذين عندهم في التوراة أنه ﷺ يؤمر باستقبال بيت المقدس ، ثم يؤمر بالتحول عنها إلى استقبال الكعبة :﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[البقرة:١٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾[البقرة:١٤٩-١٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾[البقرة:١٠٦-١٠٧].

فضل الرجال على النساء :

خلق الله ﷻ الذكور والإناث ، وجعل لكل منهما خصائص ينفرد بها عن الآخر : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم:٢٠-٢١] .

وفضّل الله الرجال على النساء في أصل الخلقة والطبيعة ، فالمرأة الأولى وهي حواء خُلقت من ضلع الرجل الأول وهو آدم ﷺ ، فهي جزء منه ، والرجل أكمل وأقوى من المرأة، والعقل يقضي بأن الناقص الضعيف يلزم أن يكون تحت الكامل القوي في خلقته ؛ ليجلب له ما ينفعه ، ويدفع عنه ما يضره .

قال النبي ﷺ: « الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ».أخرجه مسلم(١).

لهذا جعل الله الرجل هو المسئول عن المرأة في جميع أحوالها كما قال سبحانه﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[النساء:٣٤-٣٥] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٤/ ١٤٦٧).

وخص سبحانه الرجال بالرسالة ، والنبوة ، والخلافة ، دونها كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ [يوسف: ١٠٩] .

وملَّك الله الرجل الطلاق دونها ، وجعلها للولي في النكاح دونها ، وجعل انتساب الأولاد إليه لا إليها ، وجعل شهادة الرجل في الأموال بشهادة امرأتين ، وجعل شهادته في الحدود والقصاص دونها ، وجعل له مثل حظ الأنثيين من الميراث ؛ لأنه ينفق عليها ، وجعل ديتها نصف دية الرجل لعظم المصيبة بفقد الرجل .

فسبحان العليم الخبير بأحوال خلقه .

حكمة إباحة تعدد الزوجات :

أباح الإسلام تعدد الزوجات إلى أربع ، لمن قدر على العدل ؛ لحكم عظيمة منها أن المرأة الواحدة تحيض وتمرض وتنشغل بالولادة ونحوها من الأعذار المانعة من أخص لوازم الزوجية ، والرجل مستعد ومطالب بزيادة نسل الأمة ، فلو حُبس عليها في حال أعذارها ؛ لتعطلت منافعه .

ومنها أن الرجال أقل عددًا من النساء ، فلو قصر الرجل على واحدة ؛ لبقي عدد كبير من النساء محرومٌ من الزواج ، ومن ثَم يقع في الفاحشة ، وتكثر الفاحشة بين الرجال والنساء .

ومنها أن النساء كلهن مستعدات للزواج ؛ لأنه لا عائق لهن ، وكثير من الرجال يعوقهم الفقر عن الزواج ، فلو قُصر الزواج على واحدة لضاع كثير من المستعدات للزواج ؛ لعدم وجود أزواج ، فيقعن في الفاحشة .

فالتعدد مباح في الكتاب والسنة؛ لمصلحة المرأة في عدم حرمانها من الزواج ولمصلحة الرجل في عدم تعطل منافعه في حال قيام العذر بالمرأة الواحدة، ولمصلحة الأمة بتكثير نسلها الذي يعبد الله، ويقاوم عدوها : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ [النساء:٣] .

فقه الوكالة :

أولاً : لا يجوز التوكيل إلا في شيءٍ تصح النيابة فيه ، فلا تصح في فعل محرم ؛ لأن التوكيل من التعاون على البر والتقوى ، ولا يجوز التعاون على الإثم والعدوان كما قال سبحانه : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة:٢]

ولا تصح الوكالة في عبادة محضة كالصلاة والصوم ونحوها ؛ لأن ذلك مطلوب من كل أحدٍ بعينه ، لكن يجوز قضاء الصوم الواجب عن الميت .

ثانيًا : يجوز التوكيل في المطالبة بالحقوق ، سواءً كان الموكل حاضرًا أو غائبًا ، وسواءً كان مريضًا أو صحيحًا ، فإن كان الموكل معروفًا بالظلم والجبروت ، والإدعاء بالباطل ، فلا يُقبل منه التوكيل لقوله سبحانه : ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء:١٠٥] .

وتجوز الوكالة بعوضٍ ، وبدون عوض .

فقه هلاك الأمم :

قدر الله مقادير الخلائق مربوطًة بأسبابها كما قال النبي ﷺ : « قدر اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وكان وَعَرْشُهُ عَلَى المْاءِ » . أخرجه مسلم [1] .

فقدر سبحانه مقادير الخلائق مربوطة بأسبابها ، فإذا أراد الله ظهور ما قدره ، وإهلاك من سبق في علمه أن يُهلكه ، أمر الناس بطاعة الله ، وتصديق رسله وإتباعهم فخرجوا عن طاعة ربهم ، وعصوا رسله ، وكذبوهم ، فحق عليهم القول بالتدمير فأهلكهم إهلاكًا مُستأصلًا : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[هود:١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[الإسراء:١٦] .

فالله لا يأمر بالفحشاء ، ولا يأمر بالفسق ثم يُعذب على ذلك : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾[الإسراء:٤٣] .

فالله يأمر بالعدل والإحسان، ولا يأمر بالفواحش والمنكرات، بل ينهى عنها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[النحل:٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦/)٢٦٥٣.

تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الأعراف:٢٨-٣٠] .

حكم أهل الفترة :

أهل الفترة معذورون في الدنيا ، لكن الله يوم القيامة يمتحنهم ، فمن أطاع دخل الجنة ، ومن عصى دخل النار ، فيأمرهم سبحانه في عرصات القيامة باقتحام النار ، فمن اقتحمها دخل الجنة ، وهو الذي كان يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا ، فينكشف علم الله فيه بسابق السعادة ، ومن امتنع عن اقتحامها دخل النار ، وهو الذي كان يُكذب الرسل لو جاءته في الدنيا، فينكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾[الأنبياء: ١٠١] .

فالله وحده هو الذي يعلم ما كانوا فاعلين لو جاءتهم الرسل ، ويلحق بهم كل مجنون ، ومعتوه ونحوهما من أهل الأعذار .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[الإسراء:١٥] .

نقص الأرحام ، وزيادتها :

الله ﷻ وحده هو العليم بكل شيء ، هو عالم الغيب، والشهادة، والله ﷻ وحده يعلم بالحمل من بدايته، ويعلم زيادته، ونقصه كما قال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾[الرعد:٨-١٠] .

فالله جل جلاله عالم بما تنقصه الأرحام ، وما تزيده ، فالغيض هو النقص الذي يشمل نقص العدد ، ونقص العضو من الجنين ، ونقص جسمه إذا حاضت عليه أمه فتقلص ، ونقص مدة الحمل .

أما ما تزيد الأرحام فيشمل زيادة العضو كاليد أو الأصبع ونحوهما ، وزيادة العدد ، وزيادة الجسم إذا لم تحض وهي حامل ، وزيادة مدة الحمل عن المعتاد .

وأقل مدة الحمل ستة أشهر ، وغالبه تسعة أشهر ، ولا حد لأكثره .

والحامل لا تحيض وما تراه من الدم دم فساد ، وأكثر مدة النفاس أربعون يومًا وقد تصل إلى ستين يومًا ، ولا حد لأقله .

فسبحان العليم بكل شيء القادر على كل شيء الذي لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[لقمان : ٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام:٥٩] .

فسبحان ربنا العظيم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، والذي جميع مخلوقاته في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، مسبحة بحمده وشاهدة بوحدانيته ، ومستجيبة لمشيئته ، ومسرعةٌ إلى إرادته ، وخاضعة لأمره ، ومنقادة له ، ومتصاغرة لكبريائه : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾[هود:٥٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[الإسراء:٤٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٣٠-خزائن الأحكـام العامة

القسم الثاني

ويشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٣٠-خزائن الأحكـام العامة

القسم الثاني

١- الخزانة الأولى

أسباب وجوب النفقة :

أسباب وجوب النفقة ثلاثة :

الزوجية .. والقرابة .. والملك .

والفرق بينها أن سبب الزوجية معاوضة ، فالنفقة في مقابلة الاستمتاع والرضاع لأولاده ؛ ولهذا لا تسقط بإعسار الزوج ، ولا بمضي الزمان بخلاف نفقة الأقارب والمماليك .

والأقارب أصول ، وفروع ، وحواشي .

فالأصول من تفرعت منهم من آباء وأمهات ، والفروع من تفرعوا منك من بنين وبنات ، والحواشي من تفرعوا من أصولك ، فيدخل فيهم الإخوة والأعمام والأخوال .

وذوي الأرحام من الأصول كل ذكرٍ بينه وبين المنفق أنثى مثل أبي الأم ، وأم أبي الأم .

وذوي الأرحام من الفروع كل ذكرٍ بينه وبين المنفق أنثى مثل ابن البنت ، وبنت البنت .

فذوي الأرحام من الأصول والفروع تجب لهم النفقة بشروطها ، ولا نفقة مع اختلاف دين ؛ لانقطاع المولاة والمناصرة ، ولكن تجب الصلة بحسب

القرابة ، والصلة غير النفقة : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾[الممتحنة:٨] .

شروط وجوب النفقة :

شروط وجوب النفقة على الإنسان أربعة :

الأول : غنى المنفق .

الثاني : حاجة المنفق عليه .

الثالث : اتفاق الدين .

الرابع : أن يكون المنفق ورثًا للمنفق عليه بفرض أو تعصيب أو رحم إلا في عمودي النسب فلا يشترط ذلك .

حكم إرضاع الولد :

أولًا : إن كانت الزوجة في عصمة الزوج ، وجب عليها إرضاع ولدها ؛ لأن لها النفقة مقابل الاستمتاع والرضاع .

ثانيا : إذا تراضى الزوجان بأن يرضعه غيرها جاز .

ثالثًا : إذا اختلف في الرضاع فقال الزوج : أُريد أن يرضع إبني من اللبن الصناعي ، وقالت هي : أُريد أن أُرضعه أنا مني ، فالحق للزوجة .

رابعًا : إذا كانت الأم في غير حبل الزوجية كالمطلقة فلها أن تطلب من أبيه أجرة المثل ، مقابل الرضاع : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾[الطلاق: ٦] .

حكم الحضانة :

الحضانة هي حفظ الطفل ونحوه عما يضره ، والقيام بمصالحه .

وتجب الحضانة لثلاثة :

١- الصغير .

٢- والمعتوه : وهو مختل العقل .

٣- والمجنون : وهو مسلوب العقل بالكلية .

والحضانة حق للحاضن ، لا حق عليه ، فمن أراد أن يتخلى عنها فله ذلك ، وتنتقل إلى من بعده إلى أن تصل إلى الحاكم .

ويُقدم في الحضانة الأقرب مطلقًا ، سواءً كان الأب أو الأم ، أو من جهة الأب أو من جهة الأم ، فإن تساويا في القرب كأم ، وأب ، قُدمت الأنثى ، وهي الأم ، فإن كان ذكرين أو أنثيين فإنه يقرع بينهما ، إذا كان في جهة واحدة ، فأم وجد تُقدم الأم ؛ لأنها أقرب ، وأب ، وجدة يقدم الأب ؛ لأنه أقرب ، وأم وأب تُقدم الأم ؛ لأنهما تساويا في القرب ، فتُقدم الأنثى ، وجد وجدة تُقدم الجدة ، والخال والخالة تُقدم الخالة وهكذا ، وجدة من جهة الأب ، وجدة من جهة الأم ، تُقدم الجدة من جهة الأب ، فإذا كان في جهة واحدة تكون قرعة ، وإذا كان في جهتين قدمنا جهة الأبوة .

شروط الحاضن :

يُشترط في الحاضن ما يلي :

الإسلام .. والحرية .. والعدالة .. والبلوغ .. والعقل .. والقدرة على الحضانة .. وأن يكون محرمًا لمن بلغت سبع سنين .

حكم النفقة على الزوجة :

النفقة واجبة على الزوج لزوجته ، وله أن يعطيها ما شاء ، وإذا حصل بينهما نزاع فالمعتبر حال الزوج ، حسب استطاعته .

فإن كان غنيًا أُلزم بنفقة غني ، وإن كان فقيرًا أُلزم بنفقة فقير، كما قال سبحانه : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الطلاق:٧] .

مكان المحضون :

اولاً : إذا بلغ الغلام سبع سنين عاقلًا خُير بين أبويه ، فكان مع من اختار منهما ، فإن لم يختر أُقرع بينهما ، فإن اختار أمه كان عند أبيه نهارًا ؛ ليتدرب ويتعلم ، وعند أمه ليلًا ، وإن اختار أبيه كان عنده ليلًا ونهارًا ، ولا يمنعه من زيارة أمه .

ثانيًا : الأنثى تكون عند أمها حتى يتسلمها زوجها ؛ لأن الأم أشفق من غيرها حتى من الأب ؛ لأن الأب سيخرج لمصالحه ، وتبقى البنت في البيت محرومة من أمها .

ثالثًا : يكون الذكر بعد الرشد حيث شاء .

رابعًا : لا يقر المحضون بيد من لا يصونه ، ولا يؤدبه ، ولا يحفظه كالفاسق ونحوه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢] .

شروط التأديب :

التأديب هو التقويم والتهذيب والتربية .

ويشترط للتأديب خمسة شروط :

الأول : أن يكون المؤدَب مستحقًا للتأديب .

الثاني : أن يكون المؤدَب قابلًا للتأديب .

الثالث : أن يقصد المؤدِب التأديب لا الانتقام لنفسه .

الرابع : أن تكون للمؤدِب ولاية التأديب ، سواءً كانت ولايةً عامة كالسلطان ، أو ولايةً خاصة كما لو أدب الرجل ولده ، أو المعلم طلابه .

الخامس : عدم الإسراف في التأديب .

والإسراف مجاوزة الحد كميةً أو كيفية ، لأن المقصود من الحضانة التأديب لا التعذب : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل:٩٠].

فمن أدب من هؤلاء بهذه الشروط لم يضمن ما تلف به ، لأنه مأذونٌ له شرعا ، وكل ما ترتب على المأذون فليس بمضمون ، وما ترتب على غير المأذون فهو مضمون ، فإن اختل شرطٌ من هذه الشروط ضمِن ، وإن تعدى إلى الغير ضمِن كما لو أدب حاملًا فأسقطت ما في بطنها ضمِن .

فقه صلاح الأمة :

صلاح الناس في كل زمان ومكان بطاعة الله ورسوله ، والتحاكم إلى شريعة الله في كل شيء .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾[فصلت:٣٠-٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[النساء:٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢] .

وفساد أحوال الناس بمقدار بعدهم عن شريعة الله :﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦] .

ومن البلاء العظيم ، والفهم السقيم ، أن يظن بعض الناس أن ما حصل في الأمة من فساد الأحوال ، واضطراب الأمور ، بسبب تمسكهم بالدين ، فيوغلون في الإعراض عن دين الله ، ويتحاكمون إلى الطاغوت ، فيخرجون من النور إلى الظلمات ، ومن السعادة إلى الشقاء ، ويخسرون الأمن والطمأنينة ، والعزة والنصر: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء:٦٠-٦١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر:٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يونس:٦٢-٦٥] .

فقه الحدود :

يطلق الحد في الشريعة الإسلامية على عدة أمور :

الأول : تطلق الحدود على الواجبات كما قال سبحانه : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا** ﴾[البقرة:٢٢٩] .

فقد حدد الله الصلوات المفروضة ، وحدد مقادير الزكاة ، وهكذا سائر الواجبات لها حدٌ ووقت معلوم : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾** ﴾[النور: ٦٣] .

ثانيًا : وتطلق الحدود على المحرمات كما قال سبحانه : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ ﴿١٨٧﴾** ﴾[البقرة:١٨٧] .

فالله حرم الزنا والربا ، والخمر والسرقة : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾** ﴾[البقرة:١٨٧] .

هذا في المحرمات .

وقال الله تعالى : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا** ﴾[البقرة:٢٢٩] .

هذا في الواجبات .

ثالثًا : وتطلق الحدود على الواجبات المقدرة شرعًا في معصية ، لتمنع من الوقوع في مثلها ، وتكفر ذنب صاحبها كالحدود الشرعية الواجبة ، كالزنا والسرقة والقذف ونحو ذلك .

رابعًا : ويطلق الحد على ما يحصل به التعريف للشيء ، فيقولون الحد هو الوصف المحيط بموصوفه ، المميز له عن غيره ، مثل حد الطهارة ، حد الصوم ، حد الزكاة أي تعريفه المميز له عن غيره .

خامسًا : ويطلق الحد على المراسيم ، وهي العلامات التي تفصل بين جارين فيقال هذه حدود أرض فلان .

سادسًا : ويطلق الحد على النصيب المقدر لكل وارث ، كما قال الله سبحانه في ختام المواريث : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النساء:١٣-١٤] .

حكم الصغير والمجنون :

الصغير، والمجنون، والنائم ، مرفوع عنه القلم؛ لأن هؤلاء غير مكلفين، وكلٌ من الصغير والمجنون ناقصٌ في التصور، وناقصٌ في التصرف؛ لعدم صحة القصد التام منه، فإذا اتلفوا شيئًا من الأموال ضمنوه ؛ لأنه حقٌ للآدمي، ولا تلزمهم الواجبات؛ لأنهم غير مكلفين .

ومن سرق أو فعل الفاحشة من الصغار فلا يُقام عليه الحد؛ لأنه غير مكلف، لكن يعزره الإمام بما يردعه، ومن فعل ذلك من المجانين ، فلا يُقام عليه الحد ؛ لأنه غير مكلف ، فليس له قصدٌ تامٌ يعرف به ما ينفعه وما يضره، فهذا لا يعزر، ولا يُترك يُفسد في الأرض ، وإنما يُمنع عن ذلك بالحبس عند وليه، أو في الحبس العام منعًا للفساد الذي لا يحبه الله : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[القصص:٧٧] .

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثة : عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يفيق ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يبلغَ يُفِيقَ ، وعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ » . أخرجه أبو داود والترمذي بسندٍ صحيح[1] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٤٠٣) ، والترمذي برقم (٤٤٢٣) .

حكم العلم بالحكم :

من لم يبلغه الشرع بأن هذا الفعل مُكفرٌ أو محرم ، فإنه لا يؤاخذ به ، ولا إثم عليه ، لكن يضمن ما أخذ أو أتلف للآدمي ؛ لأن عدم المؤاخذة في رفع الإثم ، لا في الضمان :﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[الإسراء:١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾[التوبة:١١٥] .

المحرمات في النكاح :

جميع أقارب الرجل من النسب حرامٌ عليه إلا أربع هي :

بنات عمه .

٢- بنات عمته .

٣- بنات خاله .

٤- بنات خالته .

بخلاف الأصهار ، فإن كل نساء الصهر حلالٌ له إلا أربع هن :

١- حلائل الآباء .

٢- حلائل الأبناء .

٣- أمهات النساء .

٤- بنات الزوجات .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾[النساء:٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى

حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ۞ [النساء:٢٣-٢٤] .

حكم الضيافة :

الضيافة أن يكرم الإنسان من قدم إليه ، ويُنزله بيته ، ويقدم له ما يليق به من الأكل والشرب ونحو ذلك .

والضيافة من محاسن الإسلام ، ومن سُنن الأنبياء والمرسلين ، والضيافة واجبة ، إكرام الضيف واجب ، وإكرامه من كمال الإيمان .

قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ۞ [الذاريات:٢٤-٢٨] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » . متفقٌ عليه[1] .

صفة إكرام الضيف :

إكرام الضيف بما جرت به العادة يختلف باختلاف الضيف والمُضيف .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٨)، ومسلم برقم: (٧٤/ ٤٧)، واللفظ له.

فأما المُضيف فيُكرم بحسب حاله ، غنيًا كان أو فقيرًا .
فإذا نزل به فقيرٌ وهو فقير أكرمه بما تيسر من غير تكلف، وإذا نزل به غنيٌ وهو فقير أكرمه بما قدر عليه .
وإن كان المضيف غنيًا أكرم الناس بما وسع الله عليه ، كلٌ على حسب حاله.
أما الضيف فالضيوف يختلفون ، فليسوا على حدٍ سواء كل شخصٌ له إكرامٌ وضيافةٌ تليق به، فالصاحب له إكرامٌ يليق به، والضيف الكبير عند الناس في ماله أو علمه أو سلطانه له إكرامٌ يليق به، والشخص العادي من الناس له إكرامٌ يليق به، فليُنزل الناس منازلهم .

حد الضيف :

الضيف الذي تجب ضيافته هو المسافر الذي مر بك مجتازًا ، لا المقيم ولا المسافر الذي ينوي الإقامة يومين فأكثر ، وكل ما سوى ذلك من الضيوف فتُستحب ضيافته ولا تجب .
ومدة الضيافة الواجبة أكثرها يومٌ وليلة ، وما فوقها صدقة ، ولا يجوز للضيف أن يحرج المضيف بطول البقاء إلا إن لم يحرجه فله أن يبقى عنده .
عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلة ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ ، وَلَا يحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يحْرِجَهُ » . متفقٌ عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦١٣٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٥/ ٤٨).

٢- الخزانة الثانية

صفة اليمين :

اليمين : هي تأكيد المحلوف عليه بذكر معظم ، وهي القسم بالله أو باسم من أسمائه أو صفةٍ من صفاته .

وحروف القسم خمسة :

الواو .. والباء .. والتاء .. والهاء الممدودة .. والهمزة الممدودة .

والمشهور منها ثلاثة :

الواو .. والباء .. والتاء .

فالأم هي الباء ؛ ولهذا تدخل على المقسَم به مقرونةٌ بالفعل مثل : أقسم بالله ، وتدخل على جميع الأسماء مثل : أقسم بالرحمن ، فهي أوسع أدوات القسم .

والواو أكثر استعمالًا من الباء ، ولكنها لا تقترن مع فعل القسم ، كأن تقول : والله لاشترين هذه السيارة .

والتاء لا تدخل إلا على لفظ الجلالة فقط مثل : ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٧] .

والهاء الممدودة يقسم بها أحيانًا مثل : هالله لأدخلن .

والهمزة الممدودة مثل : أالله لأفعلن .

والهاء والهمزة لا تدخلان إلا على لفظ الجلالة فقط .

حكم اليمين :

اليمين تنقسم إلى خمسة أقسام :

فقد تكون واجبة ، أو مستحبة ، أو محرمة ، أو مكروهة ، أو مباحة .

والأصل في اليمين أن تركها أولى وأسلم ، فعلى المسلم ألا يُكثر منها ؛ لقوله سبحانه : ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾[المائدة:٨٩] .

وقوله ﷻ : ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١﴾[القلم:١٠-١١] .

فتكون اليمين واجبة إذا كان المقصود بها إثبات حق ، أو في دعوى عند القاضي ، ليدفع بها الظلم عن غيره ونحو ذلك .

وتكون مستحبة إذا توقف عليها فعلٌ مستحب .

وتكون محرمة إذا كانت على فعل محرم ، أو ترك واجب ، كأن يقول والله لا أصلي مع الجماعة ، أو تالله لأشربن الخمر .

وتكون مكروهة إذا توقف عليها فعلٌ مكروه .

وتكون مباحة إذا توقف عليها فعلٌ مباح .

كفارة اليمين :

الأصل وجوب البر باليمين، ولكن الله ﷻ رحيمٌ بعباده، رخص لهم في الحنث من باب التخفيف، وأوجب الكفارة على من حنث، والكفارة تدل على أن هناك ذنبًا يحتاج إلى تكفير، وهذا الذنب هو انتهاك حرمة المُقسم به بالحنث.

والحنث فعل ما حلف على تركه ، أو ترك ما حلف عليه ، كأن يقول : والله لا أشرب الحليب ، ثم شربه ، فهذا يُسمى حانثًا ، أو يقول والله لأزورن زيدًا اليوم ، ثم ذهب اليوم ولم يزره ، هذا يحنث ؛ لأنه ترك ما حلف على فعله .

واليمين التي تجب بها الكفارة إذا حنث هي الحلف بالله ، أو باسمٍ من أسمائه أو صفةً من صفاته ، كأن يقول : أقسم بالله ، أو يقول : ورب الناس لأدخلن ، أو يقول : أقسم بمجيء الله للفصل بين عباده ، أقسم بوجه الله ،

أقسم بعظمة الله ، أقسم بآيات الله ، فهذه أيمانٌ منعقدة إن بر بها فلا شيء عليه ، وإن حنث فعليه الكفارة : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المائدة:٨٩] .

حكم الحلف بغير الله :

الحلف بغير الله شرك ، والشرك أعظم من الكبيرة ، فسيئة الشرك وإن صغرت أعظم من سيئة المعصية وإن كبرت ، كأن يحلف بنبي أو ملك أو رسول أو ولي أو بالشمس أو بالقمر أو الجبل أو السماء أو الأرض أو غيرها من المخلوقات ، فالحلف بغير الله محرمٌ وشرك ، ولا تجب به الكفارة ؛ لأنه يمينٌ غير شرعي ، وما ليس بشرعي لا يترتب عليه أثره ، فهو مردودٌ على صاحبه ، وصاحبه آثمٌ بالحلف به .

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ » . متفقٌ عليه[1] .

وَعَنْ عَبْدِ اللهَّ أن النبي ﷺ قال : « مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللهِّ أَوْ لِيَصْمُتْ » . متفقٌ عليه[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عليه أمرُنا هذا فهو رَدٌّ » . أخرجه مسلم[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦٤٨) واللفظ له، ومسلم برقم: (١٦٤٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٧٩) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٣/ ١٦٤٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٨/ ١٧١٨).

أما الله عز وجل فيقسم بما شاء من خلقه كقوله : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ ﴾ [الطارق: ١] .

حكم إبرار القسم :

الحنث يقع من المقسم ، وكذا إبرار القسم والوفاء به ، اما إذا حلف على شخص كأن يقول لأخيه : والله لتدخلن بيتي ، فهذا الأفضل أن يبر بيمينه ما لم يكن عليه ضرر ؛ لأن إبرار القسم من حق المسلم على المسلم ، فإن كان فيه ضررٌ على المقسم عليه فلا يبر بيمينه ، كأن يقول له : أقسم عليك بالله أن تخبرني كم مالك ؟ وكيف تُعاشر زوجتك ؟

والكفارة تجب على الحالف ، لا على الحانث ؛ لأن الكفارة تتعلق بالحالف المتسبب .

ومن قال لغيره : والله لتدخلن قبلي ، وقصده الإكرام له لا الإلزام ، فلا تلزمه الكفارة إذا حنث ، أما إذا قصد الإلزام وحنث فعليه الكفارة .

ويُخير من لزمته كفارة يمين بين إطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم ، أو عتق رقبة ، فإن لم يجد صام ثلاثة أيامٍ متتابعة وهو الأفضل أو متفرقة .

والإطعام له كيفيتان :

الأولى : أن يصنع طعامًا يكفي عشرة مساكين غداءً أو عشاءً ، فيطعمهم إياه.

الثانية : أن يُعطي عشرة مساكين عشر كيلو من أرزٍ ونحوه مع ما يتبعه من لحمٍ ونحوه ، أو يعطي كل مسكين كيلو ونصفٍ من الأرز .

والإطعام له أربع حالات :

تارةً يُقدر المدفوع ، دون المدفوع إليه مثل : زكاة الفطر صاع .

وتارةً يُقدر المدفوع إليه دون المدفوع مثل : إطعام كفارة اليمين لعشرة مساكين .

وتارةً لا يُقدر المدفوع ، ولا المدفوع إليه كالصدقة .
وتارةً يُقدر المدفوع والمدفوع إليه كالزكاة للفقراء والمساكين ونحوهم من أهل الزكاة .

أنواع اليمين :

اليمين التي تصدر من المسلم أنواع :

الأول : اليمين بالله كأن يقول : والله لأفعل كذا .

الثاني : اليمين بالنذر كأن يقول: إن فعلت هذا فلله علي نذر أن أصوم شهراً .

الثالث : اليمين بالطلاق كأن يقول : إن فعلت كذا فزوجتي طالق .

الرابع : اليمين بالتحريم كأن يقول : إن فعلت كذا فزوجتي علي حرام .

واليمين المشروعة للحالف والمُحلِف هي اليمين بالله ؛ لقول النبي ﷺ : « مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ » . متفقٌ عليه[1] .

ولا يجوز للقاضي أن يحُلِفَ بالطلاق ، أو بالتحريم ؛ لأن اليمين المشروعة هي اليمين بالله ﷻ أو باسم من أسمائه ، أو صفةٍ من صفاته .

حكم التسمية على الذبيحة :

يجب على المسلم عند الذبح أن يقول : بسم الله ، والتسمية شرطٌ لحِل الحيوان ، ولا تسقط التسمية لا سهوًا ولا جهلًا ولا عمدًا ، فإذا فقدت التسمية لم تحِل الذبيحة ؛ لأن التسمية شرطٌ لحِل الحيوان المذبوح .

والشروط الثبوتية الوجودية لا تسقط بالسهو ولا بالجهل ، والذي ترك التسمية ناسيًا أو جاهلًا لا إثم عليه ، لكن لا يلزم من انتفاء المؤاخذة صحة

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٦٧٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٣/ ١٦٤٦).

العمل ، فلا نأكل مما لم يذكر اسم الله عليه ؛ لأن الله يقول : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام:١٢١] .

ومن أكل مما لم يذكر اسم الله عليه ناسيًا أو جاهلًا فلا إثم عليه ؛ لقوله سبحانه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] . فقال الله : قد فعلت : أخرجه مسلم[1] .

والأصل في الفعل الصادر من أهله الصحة ، حتى يقوم دليل الفساد ، فمن ترك التسمية ناسيًا ، فلا إثم عليه ، لكن ذبيحته لا تحِل ؛ لأنه لم يذكر اسم الله عليها ، ومن صلى بغير وضوء ناسيًا فلا إثم عليه ، لكن يجب عليه إعادة الصلاة ؛ لأنه لم يتوضأ ، والصلاة لا تصح بغير وضوء .

فقه أعمال الحج :

أعمال الحج ثلاثة أقسام :

منها ما يختص بالحج وحده كالوقوف بعرفة ، ومزدلفة ، والمبيت بمنى ، ورمي الجمار والهدي .

ومنها ما يشترك في الحج والعمرة كالإحرام ، والطواف ، والسعي، والحلق، والتقصير ، والتلبية .

ومنها ما يُشرع منفردًا عن الحج والعمرة ، وهو الطواف تطوعاً بالبيت العتيق الذي يُشرع للمحرم والمحِل على حدٍ سواء

والوقوف بعرفة ، والطواف بالبيت هما أعظم أعمال الحج .

الأول : من جنس السكون .

والثاني : من جنس الحركة .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٠/ ١٢٦).

ومن مر بالمواقيت يريد الحج أو العمرة ، أو يريد مكة لتجارة وزيارة ونحوهما مما لا يتكرر ، فينبغي له أن يدخل مكة محرمًا ، والنبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون لم يدخل أحد منهم مكة إلا محرمًا ، إلا عام الفتح من أجل القتال ، وليس لأحدٍ أن يقف بعرفة في موسم الحج إلا مكشوف الرأس محرمًا إلا من كان معذورًا .

أقسام الحيلة على الربا :

الحيلة على أكل الربا ثلاثة أقسام :

الأول : ما يكون من طرفٍ واحد كما إذا باعه سلعةً نسيئة ، ثم اشتراها منه نقدًا بأقل من ثمنها .

الثاني : ما يكون من اثنين كما إذا جمع مع القرض بيعاً أو إجارة أو نحو ذلك .

الثالث : ما يكون من ثلاثة بأن يدخل بينهما محلل للربا ، فيشتري السلعة منه آكل الربا ، ثم يبيعها لمعطي الربا إلى أجل ، ثم يعيدها إلى صاحبها الأول بنقص دراهم يستعيدها المحلل .

حكم اختلاط الرجال بالنساء :

يجب على ولي الأمر أن يمنع اختلاط الرجال بالنساء في المدارس ، وأماكن العمل ، ومجامع الرجال ؛ لعظيم الفتنة التي تحصل بذلك ، فاختلاط الرجال بالنساء أصل كل بلية وشر ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة والخاصة ، كما أنه من أسباب فساد أمور الأمة ، وانتشار الزنا والفواحش ، والموت العام والطواعين المتصلة : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] .

عن أُسامَةَ ﷺ أن النبي ﷺ قال : « مَا تركْتُ بعْدِي فِتْنَةً أَضَرُّ عَلَى الرِّجالِ مِنَ النِّسَاءِ » . متفقٌ عليه[1] .

فاختلاط الرجال بالنساء من أعظم الفتن التي تجر على الأمة الويلات والفساد ، فما أعظم عقوبة من دعا إلى ذلك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾[البروج:١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[النور:١٩-٢٠] .

واختلاط الرجال بالنساء في أماكن العمل ، وفي المدارس والجامعات وأمثالها ، كل هذا يجر به الشيطان الرجال والنساء إلى الفتنة ، حتى يقعوا في الفاحشة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[النور: ٢١] .

اختياراتٌ فقهية :

حمل التراب من أجل التيمم بدعةٌ لم يفعلها أحدٌ من السلف .

والوضوء من الحدث الدائم كسلس البول ونحوه واجبٌ لكل صلاة .

والقصاص في إتلاف الأموال غير مشروع ؛ لأنه إفساد كأن يهدم داره فيهدم داره ، وإنما يضمنه بمثله أو قيمته .

والإطعام في كفارة اليمين ونحوها مقدرٌ بالعرف لا بالشرع ، فيطعم أهل كل بلد من أوسط ما يطعمون أهليهم قدرًا ونوعًا .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٠٩٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٩٧/ ٢٧٤٠).

وصدقة الفطر جاريةٌ مجرى صدقة الأبدان كالكفارات ، لا صدقة الأموال ، فسببها البدن لا المال ، فلا تُصرف إلا لمن يستحق الكفارة ، وهم الآخذون لحاجة أنفسهم من الفقراء والمساكين .

وصدقة الفطر تتبع الإنسان حيث كان في بلده أو غير بلده .

والإمام في صلاة التراويح إذا أوتر ، مخيرٌ في وصل الوتر وفصله ، وفي القنوت وتركه ، ويكون الفصل أكثر ، فيصلي ركعتين ، ثم يوتر بواحدة ، ويكون ترك القنوت أكثر .

وقراءة الفاتحة في صلاة الجنازة سُنَّة ، وإن لم يقرأ بل دعا جاز .

ومن كان مداومًا على قيام الليل ، أغناه عن المداومة علي صلاة الضحى كما كان النبي ﷺ يفعل .

ومن كان ينام عن قيام الليل ، فصلاة الضحى بدل قيام الليل أفضل له ، والأفضل والأحسن والأكمل أن يداوم على هذا وهذا ، طلبًا للأجر والثواب.

والجمع والقصر في السفر مشروع ، والجمع بين الصلاتين لا يفتقر إلى نية ، ولا تُشترط الموالاة في الجمع بين الصلاتين .

ويُستحب للجُنُب إذا أراد أن يأكل أو يشرب أن يتوضأ ، ويكره له النوم إذا لم يتوضأ ، كراهية أن تقبض روحه وهو نائم ، فلا تشهد الملائكة جنازته ، ووضوء الجُنب يرفع الجنابة الغليظة .

وصلاة الاستسقاء صلاة رغبةٍ ورجاء ، وصلاة الكسوف صلاة رهبةٍ وخوف ، وبقية الصلوات صلاة رجاءٍ وخوف ، وقد أمر الله عباده أن يدعوه خوفًا وطمعًا كالأنبياء : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠] .

ويجوز الوقوف بعرفة راكبًا وماشيًا وقاعداً ، والفضل يختلف باختلاف الناس ، فإن كان ممن إذا ركب رآه الناس لحاجةٍ إليه كعالمٍ يُفتيهم ، أو كان يشق عليه ترك الركوب كمريض وقف راكبًا ، والنبي ﷺ وقف راكبًا .

وهكذا الحج فمن الناس من يكون حجه راكبًا أفضل ، ومنهم من يكون حجه ماشيًا أفضل ، والأفضل ما يحضر فيه قلبه .

والحاج يقطع التلبية إذا وصل إلى عرفة ، ثم إذا أفاض من عرفة إلى مزدلفة لبى ، وإذا أفاض من مزدلفة إلى منى لبى حتى يرمي جمرة العقبة ، ولا تُشرع التلبية وقت الوقوف بعرفة ومزدلفة ، وإنما تُشرع في السير بينهما .

وليس على المفرد والقارن إلا سعيٌ واحد ، أما المتمتع فقد أدى نُسكين بإحرامٍ مستقل ، فعليه للعمرة سعي ، وعليه للحج سعي .

وإذا كان بين اثنين ما لا يقبل القسمة كحيوان ، وطلب الشريك البيع وقسمة الثمن ، أُجبر الآخر على ذلك .

وتُشرع الصلاة على الغائب الذي لم يصلى عليه ، وبعض الناس يُصلي كل ليلة على جميع من مات من المسلمين ، وهذه بدعة لم يفعلها أحدٌ من السلف : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

ومن ميقاته الجحفة كأهل الشام ومصر ، إذا مروا على المدينة فالأولى أن يحرموا من ذي الحليفة ، ويجوز لهم أن يحرموا من ميقاتهم ويؤخروه فيحرموا من الجحفة التي هي ميقاتهم .

والدم والقيء ونحوهما من النجاسات الخارجة من غير المخرج المعتاد لا تنقض الوضوء ولو كثرت، فإن خرجت من أحد السبيلين نقضت الوضوء .

ويجوز التيمم للخوف من فوات صلاة الجنازة ، وفوات صلاة العيد ، وفوات الجمعة .

والإمام إذا أخطأ في الصلاة كان خطؤه عليه لا على المأموم .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ : قَالَ : « يُصَلُّونَ لَكُمْ فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ » . أخرجه البخاري[1] .

فقه الأولويات :

أفضل العبادات في وقت الجهاد ، الجهاد في سبيل الله ، وإن آل إلى ترك بعض الأوراد والسُنن : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[التوبة:٤١] .

والأفضل وقت الآذان ترك الأوراد ، وقراءة القرآن ، والاشتغال بإجابة المؤذن ؛ لأن إجابة المؤذن عبادةٌ تفوت بفوات الآذان .

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس المبادرة إليها ، وإيقاعها في أوقاتها على أكمل الوجوه : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾[البقرة:٢٣٨].

وقال ﷻ : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[الأعلى:١٤-١٥] .

والأفضل في أوقات السحر الاشتغال بالصلاة ، وتلاوة القرآن ، والذكر والدعاء ، والاستغفار : ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الذاريات:١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[السجدة:١٥-١٧] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٩٤) .

والأفضل في وقت قراءة القرآن جمع القلب على تدبره وفهمه حتى كأن الله يخاطبك : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

والأفضل وقت حاجة المحتاج ، وضرورة المضطر ، الاشتغال بمساعدته ، وإغاثة لهفته : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤] .

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد والتضرع بالدعاء والذكر والاستغفار .

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة الإكثار من التعبد ، لاسيما التكبير والتحميد والتهليل ؛ لقول النبي ﷺ : « مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ ».أخرجه البخاري والترمذي [1] .

ومن تنوعت أعماله الصالحة ، تنوعت كراماته في الجنة ، وارتفعت درجاته.

والأفضل في العشر الأخيرة من رمضان لزوم المسجد فيها ، والخلوة ، والاعتكاف ، والصلاة ، والأذكار والإكثار من الدعاء وتلاوة القرآن : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ [القدر: ١ – ٥]

وذلك لمداومة النبي ﷺ على ذلك .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٢٦) ، والترمذي برقم (٧٥٧) .

والأفضل وقت مرض أخيك المسلم عيادته ، وعند موته شهود جنازته ، وتعزية أهله .

والأفضل وقت الجهل ، وظهور البدع ، تعليم الناس أمور دينهم : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

والأفضل وقت حضور الضيف القيام بحقه وإكرامه ، كما قال النبي ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » . متفقٌ عليه[1] .

والأفضل وقت انتشار الكفر والمعاصي الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢] .

والدعوة إلى الله لها كل الأوقات ماعدا الفرائض والواجبات : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

والأفضل في كل وقتٍ وحال ، إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت ، والقيام بواجب ذلك الوقت ، وتلك الحال : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣] .

اللهم فقهنا في الدين واجعلنا من ورثة سيد المرسلين .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٤/ ٤٧).

٣- الخزانة الثالثة

فقه الأحكام الشرعية :

حرم الله بعض الأشياء إما تحريمًا مطلقًا كتحريم الزنا ، والربا ، والغيبة ، والنميمة ونحو ذلك من المحرمات التي تضر الفرد وغيره .

أو تحريمًا مقيدًا إلى أن يتغير حالٌ من الأحوال كتحريم نكاح المطلقة ثلاثًا على زوجها حتى تنكح زوجًا غيره ، وتحريم نكاح المحرم حتى يحِل .

وأوجب الله ﷻ أشياء معلقةً بأسباب إما لله كالزكاة إذا بلغ المال النصاب ، أو حقًا للعباد كالشفعة .

وشرع الله أسبابًا تُفعل لتحصيل مقاصد ، كما شرع العبادات لابتغاء فضله ، وكما شرع عقد البيع لنقل الملك بالعوض ، وكما شرع عقد القرض لإرفاق المقترض ، وكما شرع عقد النكاح للألفة والسكن بين الزوجين ، وكما شرع الخلع من الزوج ، لافتداء المرأة نفسها من رق بعلها ونحو ذلك : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[الجاثية:٣٦-٣٧] .

وكما خضعنا لربوبيته سبحانه في خلقنا ، فيجب أن نخضع لإلوهيته في أفعالنا وحركاتنا : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

حكم الحيل :

الحيلة أن يقصد الإنسان سقوط الواجب ، أو حِل المحرم ، بفعلٍ لم يشرعه الله عز وجل .

والحيل محرمةٌ بالكتاب والسُنَّة وإجماع سلف الأمة ، لما فيها من خداع الله ، والاستهزاء بآيات الله ، والتلاعب بحدود الله ، وتغيير الأحكام الشرعية بالحيل الإبليسية .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء:١٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [البقرة:٦٥] .

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا » . متفقٌ عليه[1] .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » . متفقٌ عليه[2] .

أفضل البلاد :

أفضل البلاد في حق كل شخص حيث كان أبر وأتقى لله ﷻ ، كما أن أكرم الخلق عند الله أتقاهم ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم:٢٢٢٣، واللفظ له، ومسلم برقم:١٥٨٢.

(٢) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم:١٥٥/ ١٩٠٧، واللفظ له، والبخاري برقم:١.

فأفضل البلاد في حق كل شخص حيث كان أبر وأتقى لله عز وجل ، سواءٌ كان هذا في مكة أو المدينة أو بيت المقدس أو الثغور وغيرها .

وعلى وجه العموم المرابطة في الثغور حال الخوف من العدو أفضل من المجاورة في الحرمين .

ومقام النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار في المدينة أفضل من مكة ؛ لأنهم مهاجرون ، ومجاهدون ، ومرابطون ، بخلاف مكة ، وأفضل الأعمال بعد الإيمان الرباط والجهاد في سبيل الله ، والإيمان لا يتم إلا بالجهاد : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥] .

وأعظم الجهاد وأعلاه هو الدعوة إلى الله ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان:٥١-٥٢] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: « إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ حَجٌّ مَبْرُورٌ » . متفقٌ عليه[1] .

وقصر الصلاة في السفر سُنَّةٌ نبوية ، ورخصةٌ شرعية ، وقصر العدد سُنَّة السفر ، وقصر العمل سُنَّة الخوف ، وإذا اجتمع الأمران الخوف والسفر شُرع القصر المطلق كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء: ١٠١].

فقه كمال الدين :

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥١٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣٥/ ٨٣).

نصوص القرآن والسُنَّة محيطةٌ بجميع أحكام العباد الدينية والدنيوية والأخروية ، فقد بين الله ﷻ في كتابه الكريم ، وبين الرسول ﷺ في سُنَّته ، جميع ما أمر الله به ، وجميع ما نهى الله عنه ، وجميع ما أحله ، وجميع ما حرمه ، وبهذا أكمل الله الدين مفصلًا بإنزال الكتاب والميزان ، ولكن قد يقصر فهم كثيرٍ من الناس عن فهم ما دلت عليه النصوص الشرعية ؛ لأنهم متفاوتون في الأفهام والعقول .

أما الدين فهو كامل ، والنبي ﷺ ترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، ولله سبحانه حكمةٌ ورحمة في كل ما خلق وأمر : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة:٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الإسراء:١٢] .

ومن أعرض عن دين الله ، وحكم بغير ما أنزل الله ، فقد ضل سواء السبيل ، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [المائدة : ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر:٦٤-٦٥] .

وقال الله تعالى مثنيًا على نفسه بإكمال هذا الدين : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧].

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة:٤٩-٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥] .

فقه علو الله ﷻ :

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم: ٢٧] .

وصفات الرب جل جلاله ليست كصفات خلقه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١] .

فالله ﷻ مستوٍ على العرش العظيم ، وليس مفتقرًا إليه ، واستواء الله على عرشه ليس كاستواء الملك المخلوق على سريره ، فإن الملك المخلوق مفتقرٌ إلى سريره ؛ ليحمله ، ولو زال سريره لسقط .

أما الله ﷻ فهو الغني عن كل ما سواه ، غنيٌّ عن العرش ، وكل ما سواه ، بل العرش مفتقرٌ إلى ربه في خلقه وبقائه .

وهو سبحانه خالق العرش ، وحملة العرش ، فالله خلق المخلوقات عاليًا وسافلًا ، وجعل العالي غنيًا عن السافل ، كما جعل الهواء فوق الأرض ، وليس محتاجًا إليها ، وجعل السماء فوق الهواء وليست مفتقرةٌ إليه

ليحملها ، فالله ﷻ في علوه أعظم وأجل من أن يحتاج إلى من دونه من خلقه من العرش وغيره:﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِيُّ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[يونس:٦٨-٧٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾[البقرة: ١١٦-١١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر : ١٥] .

فقه تكليف الثقلين :

أولاً : الثقلان هما الجن والإنس ، وقد ثبت بالكتاب والسُنَّة أمر الثقلين ، بالإيمان بالله وعبادته وحده لا شريك له ، فقال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾[الأنعام:١٣٠-١٣١] .

ثانيًا : ثبت بالكتاب والسُنَّة أن محمدًا ﷺ رسولٌ إلى الجن والإنس معًا في سورة الرحمن ، وفي سورة الأحقاف كما قال سبحانه في سورة الأحقاف : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأحقاف:٢٩-٣٢].

وقال الله تعالى في سورة الجن : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾[الجن:١-١٥] .

وَعَنْ عَلْقَمَةُ قال : أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهَ ﷺ لَيْلَةَ الجِنِّ قَالَ لاَ ، وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ فَقُلْنَا : اسْتُطِيرَ أَوِ اغْتِيلَ ، قَالَ : فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ ، قَالَ : فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهَ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ ، فَقَال : « أَتَانِى دَاعِى الجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ » .

قَالَ : فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ : « لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهَ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لحَمًا ، وَكُلُّ بَعَرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ » .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهَ ﷺ : « فَلاَ تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ ».أخرجه مسلم[1].

والبشر منهم الأنبياء والرسل ، والجن منهم النُذر .

ومن لوازم التكليف الثواب والعقاب :

عقاب الكافر والعاصي ، وثواب المؤمن والمطيع ، ويُبعث الجن والإنس يوم القيامة جميعًا ، وكذلك البهائم والوحوش تُبعث ثم يُقتص لبعضها من بعض ، ثُم يُقال لها كوني تُرابًا .

والمعاد يوم القيامة للروح والبدن ، ينعمان ويعذبان بحسب العمل ، وكلٌ سوف يحُاسب على عمله من الجن والإنس ، ثم بعد ذلك يكون الثواب والعقاب ، فيدخل المؤمنون من الإنس والجن الجنة بإيمانهم وأعمالهم الصالحة ، فضلًا من الله ورحمة .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٥٠/ ٤٥٠).

ويدخل الكفار والعصاة من الجن والإنس النار ، فيعاقبون فيها ، فيُخلد الكفار ، ويخرج العصاة بعد تطهيرهم :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ١٠٨ ﴾[الكهف:١٠٧-١٠٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ١٤ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٥ ﴾[الجن:١٤-١٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢ ﴾[مريم:٧١- ٧٢] .

ومن لم يكلف في الدنيا من الأطفال والمجانين ، ومن مات في الفترة ، هؤلاء يمتحنون يوم القيامة ، فمن أطاع دخل الجنة ، ومن عصى دخل النار.

أما أطفال المؤمنين فهم مع آبائهم في الجنة .

٤ - الخزانة الرابعة

حكم زيارة القبور :

زيارة القبور مشروعة سواءً كان الميت مسلمًا أو كافرًا .

لكن يُفرق بينهما في الزيارة كما يلي :

أولًا : الكافر ، يُزار قبره للعظة والاعتبار ، وتذكر الموت ، ولا يجوز الدعاء له بالرحمة ، ولا الاستغفار له ، لأنه مات كافراً .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ ، فَقَالَ : « اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لي ، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ المُوْتَ » . أخرجه مسلم[1] .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لحُومِ الأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَأَمْسِكُوا مَا بَدَا لَكُم » . أخرجه مسلم[2] .

ثانيًا : المؤمنون ، تُزار قبورهم للاعتبار ، وتذكر الموت ، والدعاء لهم بالرحمة والاستغفار لهم عند الدفن ، وبعد الدفن .

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ : كان رَسُولُ اللهَّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إذا خَرَجُوا إلى المَقابِرِ فكَانْ قَائِلُهُم يَقُولَ : « السَّلامُ عَلَيكُمْ أَهْل الدِّيارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُّ للاحقُونَ ، أَسْأَلُ اللهَّ لَنَا وَلَكُمُ العافِيَةَ » . أخرجه مسلم[3] .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ». أخرجه مسلم[1] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠٨/ ٩٧٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠٦/ ٩٧٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٤/ ٩٧٥).

ثالثًا : الدعاء حين زيارة الميت المسلم من جنس الدعاء في صلاة الجنازة كل ذلك حقٌ للميت ، وعملٌ صالحٌ من الحي .

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلا قَالَ الْمَلَكُ : وَلَكَ بمثل ذَلِكَ » . أخرجه مسلم[٢] .

وَعَنْ أم الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ : آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ » . أخرجه مسلم[٣] .

رابعًا : دعاء الأموات ، والسجود عند قبورهم ، وسؤالهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، كل ذلك من جنس الشرك بالله ، فلا يجوز لأحدٍ فعله : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر:٦٥- ٦٦] .

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قَالَ : « لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتخَّذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، قالت : وَلَوْلاَ ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ ». متفقٌ عليه[٤].

فضل الصلاة على الجنازة وإتباعها حتى تُدفن :

السُنَّة إتباع الجنازة إيمانًا واحتسابًا ، حتى يُصلى عليها ، ويُفرغ من دفنها ، وإتباع الجنائز سُنَّةٌ للرجال دون النساء .

أما الصلاة على الجنائز فسُنَّةٌ للرجال والنساء معًا .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيَفْرُغَ مِنْ دَفْنِهَا فَإِنَّه يَرْجِعُ مِنْ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠٦/ ٩٧٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٨٦/ ٢٧٣٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٨٨/ ٢٧٣٣).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٣٠)، ومسلم برقم: (١٩/ ٥٢٩)، واللفظ له.

كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ » . متفقٌ عليه[1] .

ولا يجوز للنساء زيارة القبور ، ولا إتباع الجنائز .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أن رَسُولُ اللهَّ ﷺ لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ .أخرجه الترمذي وابن ماجة بسندٍ حسن [2].

لكن إذا مرت المرأة بالمقبرة بدون قصد زيارة ، فيُسن أن تسلم على أهل القبور ، وتدعو لهم بما ورد من غير أن تدخلها ، كما وصى النبي ﷺ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهَا بذلك حيث قال : « قُولِي : السَّلامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنْ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ ، وَيَرْحَمُ اللهُّ المُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالمُسْتَأْخِرِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُّ بِكُمْ لَلاحِقُونَ » . أخرجه مسلم[3] .

فقه الشهادات :

شهادة النساء تنقسم إلى قسمين :

الأول : نوعٌ يُقبل فيه شهادة النساء منفردات كالرضاع ، والاستهلال ، والولادة ، والحيض ونحو ذلك مما تراه بعينها أو تلمسها بيدها ونحو ذلك مما يخص النساء .

الثاني : نوعٌ لا يُقبل فيه شهادة النساء إلا مع الرجال ، وهو جميع الأحكام ، إلا القصاص والحدود ، فيُقبلن مع الرجال في الأموال ، والنكاح ، والطلاق ، والوصية وغيرها ، ويُقبلن منفردات فيما لا يطلع عليه إلا النساء كالحيض ونحوه .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥٢/ ٩٤٥).

(٢) حسن/ أخرجه الترمذي برقم: (١٠٥٦)، وابن ماجة برقم: (١٥٧٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٣/ ٩٤٧).

حكم شهادة الفاسق :

لا تُقبل شهادة الفاسق وخبره لأمرين :

أحدهما : عدم الوثوق به ، إذ يحمله فسقه وعدم وقار الله في قلبه على الكذب .

الثاني : هجره على إعلانه بفسقه ، ليرتدع عنه .

والعدالة شرطٌ في الشهادة ، ولكن العدالة تتبعض ، فيكون الرجل عدلًا في شيء ، فاسقًا في شيء، فإذا تبين للقاضي أنه عدلٌ فيما شهد به قبل شهادته ، ولم يضره فسقه في غيره ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [الحجرات:٦] .

وإن كان الناس كلهم فُساقًا إلا القليل قُبلت شهادة بعضهم على بعض ، ويُحكم بشهادة الأمثل فالأمثل من الفُساق .

حكم شهادة الكافر :

شهادة الكافر لها حالتان :

إما أن تكون على كافر .. وإما أن تكون على مسلم .

أولاً : فشهادة الكفار بعضهم على بعض تجوز للحاجة ، سواءً كان يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا ، وقد أمر الله ﷻ بالحكم بينهم إذا جاءوا إلينا ، فإذا تجاحدوا وقامت البينة منهم ، ولم يحضرهم أحدٌ من المسلمين ، حكمنا بينهم بالعدل ؛ ليصل إلى كل ذي حقٍ حقه ، وإذا لم نحكم بينهم أدى ذلك إلى تظالمهم ، وضياع حقوقهم ، وفي ذلك فسادٌ عظيم لهم ولغيرهم كما قال سبحانه : ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٤٢ ﴾ [المائدة: ٤٢] .

وليس في قبول شهادتهم إكرام لهم ؛ لأن الحكم بينهم مقصوده دفع شر بعضهم عن بعض ، وعن المسلمين ، وإيصال الحق إلى صاحبه بقول من يرضونه ، ومن كان منهم معروفًا بالكذب لا نقبله ، ولا نلزمهم بشهادته .

عَنْ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَال : أُتِيَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ بِيَهُودِيٍّ وَيَهُودِيَّةٍ ، قَدْ أَحْدَثَا جَمِيعًا ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا تَجِدُونَ فِي كِتَابِكُمْ ، قَالُوا : إِنَّ أَحْبَارَنَا أَحْدَثُوا تَحْمِيمَ الْوَجْهِ وَالتَّجْبِيهَ ، قَالَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ سَلَامٍ : ادْعُهُمْ يَا رَسُولَ اللهَّ بِالتَّوْرَاةِ ، فَأُتِيَ بِهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سَلَامٍ : ارْفَعْ يَدَكَ فَإِذَا آيَةُ الرَّجْمِ تَحْتَ يَدِهِ : فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَرُجِمَا . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَرُجِمَا عِنْدَ الْبَلَاطِ ، فَرَأَيْتُ الْيَهُودِيَّ أَجْنَأَ عَلَيْهَا » . متفقٌ عليه[1] .

ثانيًا : تُقبل شهادة الكفار على المسلمين في السفر والحضر عند الضرورة إذا لم يُوجد غيرهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٧ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨ ﴾[المائدة:١٠٦-١٠٨] .

فتُقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض ، وفي شهادتهم على المسلمين مع أيمانهم إذا عُدِم المسلمون .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨١٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٦/ ١٦٩٩).

عموم العقوبة :

كل من شارك أهل البغي والعدوان ، وأهل الباطل ، فإنه يكون معهم في الإثم والعقوبة ، والعقوبة إذا وقعت تعم الصالح والطالح ، والبار والفاجر ، والمؤمن والكافر ، ولا تترك أحدًا ، ثم يوم القيامة يُبعث الناس على نياتهم ، ولا يسلم إلا من كان قائمًا بأمر الله ، آمرًا بالمعروف ، ناهيًا عن المنكر :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال:٢٤- ٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام:٤٤-٤٥] .

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قالت : قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرضِ يخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وآخِرِهِمْ . قَالَتْ : قلتُ : يَا رَسُولَ الله ، كَيْفَ يخْسَفُ بأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ؟! قَالَ: يخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيّاتِهِمْ ».متفقٌ عليه[1].

فقه كمال النية :

تكمل النية في كل عمل بثلاثة أشياء :

الأول : نية العبادة كالصلاة ونحوها .

الثاني : نية الإخلاص بأن تكون لله وجل .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢١١٨) ، واللفظ له، ومسلم برقم (٨/ ٢٨٨٤) .

الثالث : نية أنه قام بها امتثالًا لأمر الله .

فمثلًا تنوي صلاة الظهر ، وتنوي أنك تُصلي لله لا لغيره ، وتستحضر أنك تصلي امتثالًا لأمر الله حيث قال : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾﴾[طه:١٤] .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾[البينة: ٥] .

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ». متفقٌ عليه [1].

حكم السفر إلى بلاد الكفار :

السفر المشروع الذي جاء عن النبي ﷺ هو السفر للحج والعمرة ، والجهاد في سبيل الله ، والدعوة إلى الله .

ولا يجوز السفر إلى بلاد الكفر إلا بثلاثة شروط :

الأول : أن يكون عند المسافر علمٌ يدفع به الشبهات .

الثاني : أن يكون عنده دينٌ وتقوى وورعٌ يحميه من الشهوات المحرمة .

الثالث : أن يكون محتاجًا إلى السفر لمرضٍ ، أو تجارة ، أو طلب علم ليس عند المسلمين ، وهم محتاجون له ونحو ذلك .

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

أما السفر للدعوة إلى الله ، فواجبٌ على المستطيع ؛ لإبلاغ دين الله لقول الله ﷻ : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري ربقم (٥٤) ، ومسلم برقم (١٩٠٧) .

وقول الله ﷻ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

وقد ابتلي كثيرٌ من المسلمين بالسفر إلى بلاد الكفار ، والاختلاط بهم ، ورؤية المنكرات ، وجرهم الشيطان إلى تلك الديار ؛ ليتأثروا بأحوالهم ، ويقلدوهم في صفاتهم ، ثم يرجعون إلى بلادهم يحدثون بما رأوا من أحوال الكفار وصفاتهم وديارهم .

ونتج من ذلك تقليد اليهود والنصارى وسائر الكفار في عاداتهم ولباسهم وطريقة حياتهم ، كما قال النبي ﷺ : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ . قَالُوا : الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : فَمَنْ ؟ ». متفقٌ عليه [1].

فليحذر العبد من ذلك ، وليلزم بيئة المؤمنين ، ولا يدخل بيئة الكفار إلا لضرورة ، وإلا للدعوة إلى الله : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨] .

وكل إنسانٍ مسئولٌ عن شبابه فيما أبلاه ، وعن عمره فيما أفناه ، وعن علمه ماذا عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن وقته ماذا عمل به؟ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣] .

---

(١)متفق عليه ، أخرجه البخاري ربقم (٣٤٥٦) ، ومسلم برقم (٢٦٦٩) .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[هود:١١٢-١١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[النساء:٦٦-٧٠] .

وليعلم كل مسلم ومسلمة أن الله ﷻ قد خلقه وهداه واشتراه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾[التوبة:١١١] .

فهو مسئول بين يدي ربه عن عشرة أمور :

فيُسأل في قبره من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟

ويُسأل يوم القيامة عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن وقته ماذا عمل به ؟ .

ويُسأل كذلك في عرصات القيامة، كما قال سبحانه : ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[القصص: ٦٥] .

وقال سبحانه : ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[النمل: ٨٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم:٣٠] .

٥- الخزانة الخامسة

حكم الغيبة والنميمة :

الغيبة والنميمة محرمتان ، فالغيبة محرمة ، لما فيها من الضرر العظيم على الأمة ، وأعظم الغيبة غيبة العلماء والدعاة إلى الله ؛ لأن غيبة غيرهم من الناس غيبةٌ شخصية لا تضر إلا الذي اغتاب ، والذي قيلت فيه الغيبة ، لكن غيبة العلماء والدعاة إلى الله تضر الإسلام كله ؛ لأن العلماء حملة لواء الإسلام ، فإذا سقطت الثقة بأقوالهم سقط لواء الإسلام .

وإذا كانت لحوم الناس كما يأكل الميتة ، فإن لحوم العلماء ميتةٌ مسمومة ؛ لما فيها من الضرر العظيم على الأمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢-١٣] .

فالغيبة محرمة ، بل هي من الكبائر .

والغيبة ذكرك أخاك بما يكره ، والنميمة نقل الكلام بين الناس .

فالغيبة محرمة بل هي من كبائر الذنوب ، ولاسيما إذا كانت الغيبة في العلماء والدعاة وولاة الأمور ، فغيبة هؤلاء أشد من غيبة سائر الناس ؛ لأن غيبة العلماء تقلل من شان العلم ، وغيبة الأمراء والحكام تقلل من هيبة شأن السلطان ، ومن ثَم لا يقبل الناس من العلماء ، ولا يخضعون للأمراء ، فيتمردون عليهم .

وإذا استهان الناس بالعلماء ، وتمردوا على الأمراء فلا تسأل عن الفوضى ، واضطراب الأمور : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج: ١٠] .

حكم الصرع :

الصرع هو المس ، وهو صرع الجن للإنس .

والصرع ينقسم إلى قسمين :

الأول : صرع سببه تشنج الأعصاب ، وهذا مرضٌ عضوي يمكن أن يُعالج كغيره من قِبل الأطباء بدواء يسكنه أو يُزيله .

الثاني : صرعٌ سببه تسلط الجني على الإنسي فيصرعه ، ثم يغمى عليه من شدة الصرع ، ثم يتكلم الجني على لسانه .

وقد ثبت هذا النوع بالقرآن والسُنَّة والواقع : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾[البقرة:٢٧٥] .

وهذا النوع يُعالج بالقراءة من الإنسان نفسه ، بقراءة الفاتحة والمعوذات وغيرها من القرآن والسنة كما ورد في الرقية الشرعية ، أو يُعالج بالقراءة من أهل العلم والتقوى .

فإذا وقع مثل هذا فيدفع الإنسان ذلك عن نفسه بالأوراد الشرعية صباحًا ومساءً ، وبالرقية الشرعية التي جاءت في القرآن والسُنَّة .

حكم تمني الموت :

لا يجوز للإنسان أن يتمنى الموت لضرٍ نزل به، فربما يكون الموت شرًا عليه ، وربما إذا بقي يتوب ويرجع إلى الله، فتمني الموت يدل على ضجر صاحبه ، وعدم صبره على قضاء الله، والأحسن أن يكل أمره إلى الله الذي هو أرحم بالإنسان من نفسه .

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ أَحْيِنِى مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِى إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي » . متفقٌ عليه[1] .

وأما تمني الموت على صفةٍ يرضاها الله ﷻ فهذا جائز ، كأن يتمنى أن يتوفاه الله على الإسلام والإيمان والإخلاص ، وهو راضٍ عنه ، كما في دعاء يوسف ﷺ : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف:١٠١] .

فقه الكسوة :

كل إنسان محتاجٌ إلى كسوة تستر عورته حسًا ، ومحتاجٌ إلى إيمانٍ وعملٍ صالح يستر عورته معنى ؛ لأن التقوى لباس القلب ، والقماش لباس الجسد ، وكلٌ منهما لازم ، وكلٌ منهما نعمة من الله وحده .

فالطعام كسوة البدن باطنًا من عُري الجوع ، والكسوة ستر البدن ظاهرًا ، والهداية ستر القلوب والنفوس من عيوب الذنوب والأخلاق :: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف:٢٦] .

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي : « يَا عِبَادِي : إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ محُرَّمًا ، فَلَا تَظَالمُوا يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، يَا عِبَادِي : إِنَّكُمْ تخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٣٥١)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠/ ٢٦٨٠).

جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي : إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي ، فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي ، فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي ، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ، يَا عِبَادِي : إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » . أخرجه مسلم[1] .

فستر الأبدان بالثياب حسن ، وستر القلوب بالتوحيد والإيمان والأعمال الصالحة أحسن : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾[الأعراف:٢٦] .

حكم الديون :

تحمل الديون عظيم يُولد الهم والفرقة ، وسداد الديون ثقيل على النفوس ؛ لهذا لا ينبغي للإنسان أن يستدين إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، فلا يستدين لزواج ، ولا لبناء بيت ، ولا شراء أشياء لا حاجة لها ضرورية ، كل هذا من السفه ، والحل أن يستعفف الإنسان حتى يرزقه الله:﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾[النور:٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢ ﴾[النور:٣٢] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٥/ ٢٥٧٧).

فإذا كان هذا في النكاح الذي يعف الإنسان به نفسه عن الوقوع في فاحشة الزنا ، فما بالك بما هو دونه .

ومن أخذ أموال الناس يريد أداءها أداها الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله .

والدَّين هو كل ما ثبت في الذمة من ثمن بيع أو قرضٍ أو أجرة او غير ذلك :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

حكم إجابة الدعوة :

من حق المسلم على أخيه إذا دعاه أن يجيبه ، إذا كان الداعي مسلمًا ، ولم يكن مجاهراً بالمعصية ، ولم تكن الدعوة مشتملةٌ على معصية لا يستطيع إزالتها ، ولم يكن ثَم مانعٌ لديه يمنعه من الحضور .

وتجب إجابة الدعوة في العرس خاصة .

فإن كان الداعي غير مسلم فلا تجب الإجابة ، وتشرع إجابة دعوة الكافر لمصلحة كرجاء إسلامه ، أو تأليف قلبه ؛ لأن النبي ﷺ أجاب دعوة يهودي في المدينة .

وإن كان الداعي مسلمًا مجاهراً بالمعصية كحلق اللحى وشرب الدخان علنًا أو غير ذلك من المحرمات ، فإن إجابته ليست بواجبة ، وإن كان في إجابته مصلحة أجابه ، وإن كان ليس في إجابته مصلحة فلا يجبه .

وإن كان ليس في إجابته مصلحة نظرت ، فإن كان في عدم إجابته مصلحة ، فلا تجبه لعل الله أن يهديه ، وإن كان لا فائدة من ذلك فأنت بالخيار .

وإن كان في الدعوة منكر ، فإن كان الإنسان قادراً على التغيير وجب عليه الإجابة ؛ لإزالة المنكر ، وإجابة دعوة أخيه ، وإن كان المنكر لا تستطيع تغييره كالأغاني وشرب الدخان ونحو ذلك من المعاصي الظاهرة ، فلا تجوز إجابته ؛ لأن حضور المحرم ولو مع كراهة الإنسان له بقلبه يكون فيه الإنسان مشاركًا للفاعل كما قال سبحانه : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء:١٤٠] .

وفي مثل هذه المجامع العامة كالأعراس والحفلات يجمع الشيطان بين الناس ؛ لينشر بينهم الفاحشة ، ويأمرهم بالفحشاء والمنكر إلا من رحم ربك :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور:٢١] .

أقسام العورة :

العورة تنقسم إلى قسمين :

عورةٌ حسية .. وعورةٌ معنوية .

العورة الحسية هي ما يحرم النظر إليه كالقبل والدبر وما أشبه ذلك .

والعورة المعنوية هي العيب والخلق السيئ قوليًا أو عمليًا ، كالظلم والجهل والفسوق ونحو ذلك .

فالإنسان إما أن يرتكب الخطأ عن عمد فيكون ظالمًا ، وإما أن يرتكب الخطأ عن جهل فيكون جهولًا ، هذه حال الإنسان إلا من عصم الله ﷻ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا

وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢-٧٣] .

ولما كان الإنسان من طبيعته النقص والتقصير والعيب، فالواجب على المسلم نحو أخيه أن يستر عورته، ولا يشيعها إلا من ضرورةٍ أو مصلحةٍ راجحة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن النَّبِيُّ ﷺ قال : « لَا يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . أخرجه مسلم(١) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن النَّبِيُّ ﷺ قال : « لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . أخرجه مسلم(٢) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن النَّبِيُّ ﷺ قال : « أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟ قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ، قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ » . أخرجه مسلم(٣) .

حكم الستر على الإنسان :

الستر ينقسم إلى قسمين :

الأول : سترٌ محمود ، وهو ستر الإنسان الذي لم يجري منه عدوان أو فاحشة إلا نادرًا ، هذا ينبغي أن يُستَر ويُنصَح ، ويُبين له أنه على خطأ ليتركه: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة : ٢] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧١/ ٢٥٩٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٢/ ٢٥٩٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم : (٧٠/ ٢٥٨٩).

وقال النبي ﷺ : « المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ». متفق عليه[1].

الثاني : سترٌ مذموم ، وهو ستر الإنسان المستهتر المتهاون في الأمور ، الفاسق الشرير الذي يعتدي على الناس ، هذا لا يُستَر ، بل المشروع أن يُبين أمره لولاة الأمر ؛ ليردعوه عما هو عليه ، ويكفوا شره عن الناس ، وحتى يكون نكالًا لغيره : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ ﴾ [المائدة: ٢] .

فالستر يتبع المصالح ، فإن كانت المصلحة في الستر فهو أولى ، وإن كانت المصلحة في الكشف فهو أولى ، وإن تردد الأمر بين هذا وهذا فالستر أولى، والله ستير يحب الستر وأهله .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ ، كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً ، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ، سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . متفقٌ عليه[2] .

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « حق المسلم على المسلم خمس ، رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ المَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ ».متفق عليه[3] .

حكم إنظار المعسر :

يجب إنظار المعسر ، ومن كان له غريمٌ معسر ، فإنه يحرم عليه أن يطلب منه الدين ، أو أن يطالبه به ، أو يرفع أمره إلى الحاكم ، بل يجب عليه إنظاره ، ولا يجوز للحاكم حبسه ، ومن طالب معسرًا فهو آثم .

---

(١)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦) ، ومسلم برقم (٦٥/ ٢٥٨٥) .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) ، واللفظ له، ومسلم برقم (٣٢/ ٢٥٦٤) .

(٣) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (١٢٤٠) ، ومسلم (٢١٦٢) .

ومن ضيق على أخيه المسلم المعسر فإنه يوشك أن يضيق الله عليه في الدنيا، أو في الآخرة أو فيهما معًا ، ويوشك أن يُعجل له بالعقوبة ، ومن العقوبة أن يستمر في مطالبة أخيه المعسر ؛ ليزداد إثمًا : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٠-٢٨١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد:١٩-٢٤] .

٦- الخزانة السادسة

فقه الشفاعة بين الناس :

الشفاعة ؛ هي التوسط للغير في جلب منفعة ، أو دفع مضرة ، كان يتوسط لشخص ، ليحصل على عمل ، أو يشفع لشخص عند آخر ليسامحه ويعفو عن مظلمته .

والشفاعة أقسام :

الأول : شفاعة محرمة ، وهي الشفاعة في الحدود ، بعد بلوغها الإمام ، لما في ذلك من تعطيل حدود الله التي بها تصلح أحوال الناس .

عن عائشة رضي الله عنها : أن امرأة من بني مخزوم سرقت فقالوا : مَنْ يكلمُ فيها رسولَ الله ﷺ ؟ فلم يجترئ أحدٌ أن يكلمَه ، فكلمَهُ أسامةُ بنُ زيدٍ ، فقال : إنَّ بَنِي إسرائيلَ كَانَ إِذَا سَرَقَ فيهمُ الشريفُ تركوهُ ، وإِذَا سَرقَ فيهمُ الضعيفُ قَطعوهُ ، لو كانت فاطمةُ لقطعتُ يدَها » . وفي رواية « أَتَشْفَعُ في حَدٍّ من حُدُود اللهّ ؟ » . متفق عليه[1] .

الثاني : أن يشفع في شيء محرم ، كان يشفع أحد لإنسان معتدٍ على أخيه ، أو يشفع لرجل على امرأة مخطوبة ، فهذا لا يحل له أن يشفع ؛ لأن الخطبة على الخطبة محرمه ، والشفاعة في المحرم تعاون على الإثم والعدوان والله ﷻ يقول : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة:٢]

أو يشفع في شراء محرم من خمر ودخانٍ أو قرض ربا ونحو ذلك فهذا كله لا يجوز ، لأنه من التعاون على الإثم والعدوان :﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٧٣٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١/ ١٦٨٩).

يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٌ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء: ٨٥] .

الثالث : الشفاعة في شيء مباح ، فهذه مشروعة ، وللإنسان فيها أجر ، كأن يريد شخصٌ شراء بيتٍ فتشفع له عند صاحبه في إنقاص الثمن ، أو تأجيل بعضه ، هذه الشفاعة حسنة ؛ لأن فيها إحسان إلى الغير :﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٌ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾[النساء:٨٥] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ ، أَوْ طلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ ، قَالَ : اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا ، وَيَقْضِيَ اللهُّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ » . متفق عليه[1] .

حكم شهادة الزور :

شهادة الزور من أكبر الكبائر ، لما فيها من الظلم والضرر العظيم .

فشاهد الزور أساء إلى نفسه ، وأساء إلى من شهد له ، وأساء إلى من شهد عليه .

أما إساءته إلى نفسه ، فإنه قد أتى كبيرةً من أكبر الكبائر ، وأما كونه أساء إلى من شهد له ، فلأنه سلطه على ما لا يستحق ، وسهل له أكل المحرم والباطل ، والشاهد يظن أنه محسنٌ لمن شهد له ، وأما كونه أساء إلى المشهود عليه فلأنه ظلمه ، وكذب عليه:﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾ ﴾[النحل:١١٦-١١٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٤٣٢) ، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٢٦٢٧).

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦] .

وعن أبى بكر قال ، قال رسول الله ﷺ : « أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَكَانَ مُتَّكِئًا ، فَجَلَسَ ، أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ : لا يَسْكُتُ » . متفق عليه[1] .

وعن أنس بن مالك قال : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكَبَائِرَ أَوْ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ فَقَالَ : « الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، فَقَالَ : أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ قَالَ : قَوْلُ الزُّورِ أَوْ قَالَ : شَهَادَةُ الزُّور » . متفق عليه[2] .

فقه صلة الرحم :

الأرحام ؛ هم الأقارب ، وصلة الأرحام تكون بما جرى به العرف ؛ لأن الله ﷻ لم يذكر في الكتاب ، والرسول ﷺ لم يبين في السنة، نوعها ، ولا جنسها ، ولا مقدارها ، فما جرى به عرف المسلمين أنه صلة فهو صلة ، وما تعارفوا عليه أنه قطيعة فهو قطيعة .

وصلة الأرحام فضلها عظيم ، فمن أراد أن يصله الله فليصل رحمه ، ومن أراد أن يقطعه الله فليقطع رحمه جزاء وفاقا ، وكلما كان الإنسان لرحمه أوصل كان الله له أوصل ، وكلما وصل أو قصر جاءه من الثواب بقدر ما عمل : ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنفال:-٧٥] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٦)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٣/ ٨٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٧٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٨).

وعن أنس بن مالك ﷺأن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأُ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » . متفق عليه[1] .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ اللهَّ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحِمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ فَهُوَ لَكِ ، قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد:٢٢] . » . متفق عليه[2] .

وعن أبى هريرة ﷺ إن النبى ﷺ قال : « إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ اللهَّ : مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُه » . متفق عليه[3] .

وعن عائشة رضى الله عنها وزج النبى ﷺ عن النبى ﷺ قال: « الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ ، فمَنْ وَصَلَها وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَها قَطَعْتُه » . متفق عليه[4] .

صفة الواصل للرحم :

الواصل ؛ هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها ، فتكون صلة لله لا مكافأة لعباد الله ، ولا من أجل أن ينال بذلك مدحًا عند الناس ، فليس الواصل بالمكافئ الذي إذا وصله أقاربه وصلهم .

عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : « لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ ، وَلَكِنْ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا ». أخرجه البخاري[5].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٨٦)، ومسلم برقم: (٢١/ ٢٥٥٧)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٨٧)، ومسلم برقم: (١٦/ ٢٥٥٤)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٨٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٥٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٨٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٥٥).

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٥٦٤٥).

والمؤمن يبتغي الأجرَ من الله ، ويختار الأخلاق الحسنة ، ومن ضمنها العفو والوصل لمن أساء إليه ، فالمؤمن يعطي من حرمه ، ويعفو عمن ظلمة ، ويصل من قطعة ، ويحسن إلى من أساء إليه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران : ١٣٣-١٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

اغفر لنا : امحوا عنا ذنوبنا حتى لا ندخل النار ، وارحمنا : اقبل طاعتنا حتى ندخل الجنة ، ولا أحد أرحم بعباده من ربهم أرحم الراحمين : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾ [البقرة:١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ ﴾ [الحشر:٢٢] .

اللهم فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين .

ولا يمكن لأحد أن يفوز بالجنة ، وينجو من النار ، إلا بفضل الله ورحمته ومغفرته : ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾ [يونس:٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾ [النحل : ٥٣] .

وقال النبى ﷺ : « لَا يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ الجْنَّة عَمَلُهُ قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ : وَلا أنا ، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُّ بِرَحْمَتِهِ مِنْه و فَضْلِ » . متفق عليه[1].

فقه الوصية :

الوصية ؛ هي عهد الإنسان بعد موته إلى شخص بشيء يملكه .

والوصية أنواع :

منها أن يوصي لفلان أن ينتفع بشيء من ماله بعد موته كالثلث أو الربع ونحوهما ، أو يعهد لشخص بالنظر على أولاده الصغار ، أو يوصي فلاناً بتفريق ثلث المال، أو يوصي فلانًا بقضاء ديونه وغير ذلك من أنواع الوصية.

حكم الوصية :

الوصية ثلاثة أقسام :

واجبة .. ومحرمة .. وجائزه .

أولاً : الوصية الواجبة

أن يوصي الإنسان بما عليه من الحقوق الواجبة من زكاة أو ديون للناس ، لئلا يجحدها الورثة ، خاصة إذا لم يكن عليها بينة ، وكذا الوصية لأقاربه غير الوارثين إذا كان له مال كثير : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١ ﴾ [البقرة:١٨٠-١٨١] .

وعن سعد بن أبى وقاس ﷺ قال : جَاءَ النَّبِىُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالْأَرْض الَّتِى هَاجَرَ مِنْهَا قَالَ : يَرْحَمُ اللهُّ ابْنَ عَفْرَاءَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهَّ أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ قَالَ : لَا ، قُلْتُ : فَالشَّطْرُ قَالَ لَا قُلْتُ : الثُّلُثُ ،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧١/ ٢٨١٦).

قَالَ فَالثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ ». متفق عليه[1] .

ثانيًا : الوصية المحرمة :

كان يوصي لأحد الورثة بمال من بين سائر الورثة ، و الوصية لأحد الورثة لا تجوز مطلقا ، ومن أوصى بذلك فالحق للورثة ، إن شاءوا نفذوا ، وإن شاءوا ردوها ، والوصية لغير وارث بأكثر من ثلث لا تجوز .

قال النبى ﷺ : « إِنَّ اللهَّ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ ».

أخرجه الترمذي وابن ماجة [2].

ثالثًا : الوصية المباحة :

كأن يوصى الإنسان بشيء من ماله لا يتجاوز الثلث لغير وارث ، والوصية بما دون الثلث أفضل كالربع أو الخمس ، والحد الأعلى الثلث ، فلا يزاد عليه ، أما الوصية للوارث فلا تجوز مطلقًا ، ولابد أن تكون الكتابة للوصية معلومة إما بخط يده ، أو بخط شخص معتمدٍ يشهد عليها .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: « مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ».متفق عليه[3].

أما إن كان المال قليلًا ، والورثة محتاجون ، فترك الوصية أولى ؛ لأن ورثته أولى من غيرهم بمال أبيهم .

فقه الرضاع المحرم :

يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، وذلك بثلاثة شروط :

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٥/ ١٦٢٨).

(٢) صحيح / أخرجه ابن ماجة برقم: (٢٧١٣)، والترمذي برقم: (٢١٢٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٧٣٨)، ومسلم برقم: (١/ ١٦٢٧)، واللفظ له.

الأول : أن يكون اللبن من آدمية ؛ لقوله سبحانه : ﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ ﴾[النساء:٢٣] .

الثاني : أن تكون الرضعات خمسًا فأكثر ، فلا تحرم المصة ولا المصتان .

الثالث : أن يكون الرضاع في زمن الرضاع ؛ وهو ما قبل الفطام في الحولين ، فالرضاع بعد الحولين لا يحرم .

قال النبي ﷺ : « فإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنْ المُجَاعَةِ » . متفق عليه [1].

وإذا ثبت الرضاع بهذه الشروط ، ثبت التحريم ، وإذا ثبت التحريم ، فإنه ينتشر على المرتضع وذريته فقط ، ولا ينتشر على إخوانه وأخواته ، وآبائه وأمهاته ، فالتحريم إنما ينتشر على الراضع وفروعه ، وهم ذريته فقط .

فأما أصول الراضع ، وهم آباؤه وأمهاته ، وحواشيه من إخوة وأخوات ، وأعمام وأخوال وأبنائهم ، فلا تأثير لهم في الرضاع ، فيجوز لأخ الراضع من النسب أن يتزوج أخت أخيه من الرضاعة أو أمه أو عمته ؛ لأن التحريم لا يشمله وإذا رضع طفل أو طفلة من امرأة فزوجها أبوه ، وعمها عمه ، وخالها خاله ، وبناتها وأبناؤها إخوته .

فقه علة الأحكام :

ذكر الحكمة مقرونةٌ بالحكم له فائدتان :

الأولى : بيان سمو الشريعة ، وأنها مبنيةٌ على جلب المصالح ، ودرء المفاسد ، فكل ما أمر الله ورسوله به ، فالخير في وجوده ، وكل ما نهى الله ورسوله عنه ، فالخير في تركه ، وما أمر الله بشيء إلا أعان عليه ، ولا نهى عن شيء إلا أغنى عنه ، وبيان علة الحكم ترغب في فعله كما قال سبحانه :

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٢٦٤٧) ، وسلم برقم (١٤٥٥) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾[البقرة:١٨٣] .

فجعل الحكمة من الصيام حصول التقوى .

الثانية : زيادة اطمئنان النفس ، فذكر الحكمة يزيد العبد إيمانًا ، ويزيده يقينًا وينشطه لفعل المأمور ، وترك المحظور : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

وقد يكون عدم ذكر الحكمة ، أقوى في التسليم لأمر الله ، والاستجابة إليه .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] .

فالتعبد لله بأحكام نعرف حكمتها ، وبأحكام لا نعرف حكمتها أقوى في التسليم ، فعلينا أن نسلم بهذا وهذا؛ لأن الله حكيمٌ لا يأمر إلا بما فيه حكمة.

ومما لا نعرف حكمته : الوضوء من لحم الإبل ، وتقبيل الحجر الأسود ، ورمي الجمار في الحج ونحو ذلك .

حكم السلام :

السلام سنة ، ورده واجب ، لقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[النساء:٨٦] .

والفريضة أفضل من النافلة ؛ لأنها أحب إلى الله من النافلة ، وابتداء السلام أفضل من الرد ، وإن كان الرد فرضًا ، وبدء السلام سنة ، لكن لما كان الفرض مبنياً على هذه السنة ، كانت السنة أفضل من هذا الفرض ؛ لأنه مبنيٌ عليه .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِىَّ ﷺ أَيُّ الْإِسْلَام خَيْرٌ ؟ فقَالَ : « تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » . متفقٌ عليه[1] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُون الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تحَابُّوا ، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ » . أخرجه مسلم[2] .

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُون الْجَنَّةَ بسَلام » . أخرجه الترمذي وابن ماجه بسندٍ صحيح[3] .

حكم إتيان الكهان :

الكاهن هو الذي يخُبر عن الغيب فى المستقبل بإعانة الشياطين .

والكهان رجالٌ تأتيهم الشياطين بما يسمعونه من خبر السماء ، فيحدثون الناس بما أخبرت به الشياطين من الحق ، ويضيفون إلى الخبر الحق أشياء كثيرة من الكذب والباطل ؛ ليأكلوا أموال الناس ، ويتخذونهم حكامًا لهم .

واتخاذ الكهان له ثلاث حالات :

الأولى : أن يأتى الإنسان إلى الكاهن فيسأله ، ولا يصدقه ؛ فهذا لا تُقبل له صلاة أربعين يومًا .

الثانية : أن يأتيه فيسأله ، ويصدقه ؛ فهذا كافر ؛ لأن تصديقه يتضمن تكذيب القرآن الذي بين أنه لا يعلم الغيب إلا الله ، والكاهن يخُبر عن الغيب في :

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٣٦)، ومسلم برقم: (٦٣/ ٣٩)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٩٣/ ٥٤).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم: (٢٤٨٥)، وابن ماجة برقم: (١٣٣٤).

﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ ﴾ [النمل: ٦٥] .

وقال النبى ﷺ : « مَنْ أَتَى كَاهِنًا ، أَوْ عَرَّافًا ، فَصَدَّقَهُ بمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بمَا أُنْزِلَ عَلَى محُمَّدٍ » . أخرجه مسلم[1] .

الثالثة : أن يأتيه ويسأله ، ليفضحه ويكشف كذبه وحاله للناس ، فهذا لا بأس به ، وقد يكون محمودًا ، لما فيه من إبطال الباطل ، كما سأل النبى ﷺ ابن صياد عما أضمره وفيه : « اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ » . متفقٌ عليه[2] .

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (٩٣٥٢)، والترمذي برقم: (١٣٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٣٥٤)، ومسلم برقم: (٩٥ / ٢٩٣٠)، واللفظ له.

٧- الخزانة السابعة

أفضل نساء الرسول ﷺ :

خديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت أبي بكر ، رضي الله عنهما ، أفضل زوجات الرسول ﷺ ، وأحب نسائه إليه .

فخديجة رضي الله عنها أول امرأةٍ تزوجها الرسول ﷺ ، ولم يتزوج عليها أحدًا حتى ماتت ، وولدت له بناته الأربع ، وأولاده القاسم وعبد الله .

وكانت امرأةً عاقلةً تقيةً ذكيةً حكيمةً لها مآثر طيبة معروفة .

وعائشة أم المؤمنين ، كانت امرأةً تقيةً ذكيةً ، ولم يتزوج ﷺ بكرًا غيرها .

ولكل واحدةٍ منهما مزية تختص بها ، ولا تشاركها فيها الأخرى .

فخديجة لها في أول الرسالة من مناصرة الرسول ﷺ ونصيحتها بنفسها ومالها ما ليس لعائشة ، وعائشة رضي الله عنها لها في آخر الرسالة ، وبعد موت النبي ﷺ من نشر العلم والشريعة ما ليس لخديجة ، فلكلٍ منهما مزيةٌ تختص بها ، أما الفضيلة فكفى لهما فخرًا أنهما أحب نساء النبي ﷺ إليه .

حكم الاستخارة والاستشارة :

الاستخارة هي طلب خير الأمرين من الله .

والاستشارة : مشاورة أهل الرأي والصلاح في أمرٍ من الأمور .

فالاستخارة تكون مع الله ، والاستشارة مع أهل الرأي والصلاح .

فالإنسان خُلق جهولاً ضعيفًا ، وقد تُشكل عليه الأمور ، وقد يتردد ولا يهتدي إلى الأصوب ، ولابد للإنسان من جهلٍ أو تقصير ؛ فلأجل هذا شرع الله الاستخارة والمشاورة فيقدم الاستخارة ويكررها ثلاثًا ؛ لأنها دعاء ،

ومن عادة النبي ﷺ أنه إذا دعا دعا ثلاثًا ، فإذا لم يتبين الأمر ، فاستشر لتصل إلى الرأي السديد ، فرأي الاثنين أقوى وأفضل من رأي الواحد .

فمن هَمَّ بسفر أو زواج أو بيع أو شراء أو أي عملٍ وهو متردد فله طريقان :

الأول : استخارة رب العالمين الذي يعلم ما كان وما يكون وما سوف يكون، فيصلي ركعتين ثم يسلم، ثم يدعو بدعاء الاستخارة كما ورد في السنة .

الثاني : ثم استشارة أهل الرأي والصلاح والأمانة ، وما أشاروا به فهو الخير إن شاء الله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[الشورى:٣٨] .

وعن جابرٍ ﷺ قال : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كالسُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يقول إِذَا هَمَّ أَحدكم بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يقول : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ : فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاقْدُرْهُ لِي ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ : فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي ، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي قَالَ وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ » . أخرجه البخاري[1] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٨٢).

فقه النوم :

النوم آيةٌ من آيات الله الدالة على كمال قدرته ورحمته وحكمته .

وهو نعمةٌ من نعم الله تعالى على العبد ؛ لأنه يستريح فيه الإنسان من تعبٍ سابق ، وينشط فيه لعملٍ لاعق ، وهو من كمال الدنيا ؛ لأن الدنيا ناقصة فتُكمل بالنوم ، لأجل الراحة ، أما في الآخرة فلا نوم فيها ؛ لأن النوم أخو الموت : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الروم:٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ ﴾[النبأ: ٩] .

فسبحان الحي القيوم الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نوم : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

أحسن السلام :

ينبغي للمسلم إذا سلم عليه أحد أن يرد عليه بأحسن منه ، وهو الأفضل ، وأدنى الدرجات أن يرد عليه بمثل ما سلم عليه

والأحسن ثلاثة أنواع :

الأول : الأحسن نوعًا ، فإذا قال له : السلام عليكم ، رد عليه بقوله : وعليكم السلام ورحمة الله ، ولا يكتفي بأهلًا أو مرحبًا ، وإنما يقول ذلك بعد السلام ، بعد رد التحية .

ثانيًا : الأحسن كمية ، فإذا قال له : السلام عليكم ، رد عليه بقوله : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

ثالثًا : الأحسن كيفية فإذا سلم عليك أحدٌ بصوتٍ واضح مرتفع رد عليه بمثل ذلك ، وإذا سلم عليك أحد وقد أقبل إليك بوجهه ، فرد عليه كذلك ، ولا تصعر خدك له: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[النساء:٨٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[لقمان:١٨-١٩] .

أقسام الرؤيا :

ما يراه الإنسان في منامه ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يرى خيرًا ، ويستبشر به ويفرح ، فهذا لا يحُدث به إلا من يحب ؛ لأن الإنسان له حسادٌ كثيرون ، ربما يكيدون له كيدًا يحول بينه وبين ما رأى من الخير ، كما كان إخوة يوسف معه : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾[يوسف:٤-٥] .

وعن أبى قتادة ﷺ قال : سمعت الرسول ﷺ يقول : « الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ مِنْ اللهَّ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهَّ مِنْ شَرِّهَا ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ ، وَلْيَتْفِلْ ثَلَاثًا ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ ». متفقٌ عليه [1].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٠٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١/ ٢٢٦١).

وعن أبى سعيدٍ ﷺ أنه سمع الرسول ﷺ يقول : « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّهَا مِنَ اللهَّ فَلْيَحْمَدِ اللهَّ عَلَيْهَا » . أخرجه البخاري[1] .

الثاني : رؤيا شر تزعجه وتخوفه ، فهذه لا يخبر الناس بها ، لا يخبر الإنسان بها أحدًا لا صديقًا ولا عدوًا ، لكن إذا قام من النوم تفل عن يساره ثلاثًا ، ثم يقول : أعوذ بالله من شر الشيطان ، ومن شر ما رأيت .

ولا يخبر بها أحدًا ، وإن أراد أن يواصل النوم انقلب عن الجنب الذي رأى فيه الرؤيا إلى الجنب الآخر ، فإذا فعل هذا فإنها لا تضره بإذن الله .

الثالث : رؤيا أضغاث أحلام ، ليس لها رأسٌ ولا قدم ، وهي من تلاعب الشيطان ، فهذه لا يحُدث بها أحدًا ، ولا يهتم بها .

عن جابر ﷺ قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله رَأَيْتُ فِي المَنَام كَأَنَّ رَأْسِى قُطِعَ ، قَالَ : فَضَحِكَ النَّبِىُّ ﷺ وَقَال : إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ ، فَلاَ يحُدِّثْ بِهِ النَّاسَ ». أخرجه مسلم [2].

صفة الفجور في الخصومة :

الفجور في الخصومة قسمان ، كلاهما محرم :

الأول : أن يجحد الإنسان ما كان عليه .

الثاني : أن يدعي ما ليس له .

فمن فجر أمام القاضي ، وكذب وجاء بالبينة ، وحكم له القاضي ، فهذا قد فجر في الخصومة ، وهذا من علامات النفاق .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٠٤٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم : (١٦/ ٢٢٦٨).

حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » . متفقٌ عليه[1] .

حكم التصوير :

الله سبحانه هو المصور الذي يصور ما يشاء وحده لا شريك له ، فندع التصوير للمصور وحده : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤] .

والصور نوعان :

الأول: صورٌ مجسمة، بأن يصنع الإنسان تمثالًا على صورة إنسانٍ أو حيوانٍ. فهذا محرم ، سواءٍ كان لغرضٍ محرم ، أو غرضٍ مباح ، بل هو من كبائر الذنوب ؛ لما فيه من المضاهاة لخلق الله ؛ لأن النبي ﷺ لعن المصورين ، وبين أن أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله .

عن بن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَتعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ » . أخرجه مسلم[2] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لى بِقِرَام فِيهِ تمَاثِيلُ ، فَلَمَّا رَآهُ هَتكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ ، وَقَالَ: « يَا عَائِشَةُ : أَشَدُّ النَّاس عَذَابًا عِنْدَ اللهَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهَّ » .

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقَطَعْنَاهُ ، فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْن . متفقٌ عليه[3] .

الثاني : صورٌ ملونة يعني ليست بجسم ، إنما هي رقمٌ وتلوينٌ على القماش أو الورق أو الجدار ونحوها ، وهذا كالذي قبله محرم إذا كان لذي روح ؛

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٤)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٦/ ٥٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٩٩/ ٢١١٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٢٣٤٧)، ومسلم برقم: (٩٢/ ٢١٠٧)، واللفظ له.

لأن الذي يرقم باليد صورة يحاول أن يكون مبدعًا مشابهًا لخلق الله ، وهذا محرم ، لما فيه من مضاهاة خلق الله .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ » . متفق عليه [1] .

وعَنْ ابنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنّ من أَشَدّ النّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَاباً المُصَوّرُونَ » متفق عليه . [2]

وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تَعالَى : ومَن أظلم ممَّن ذهب يخَلق كخَلْقي ، فلْيَخْلُقُوا ذرةً ، ولْيخلُقُوا حبةً ، أو لِيَخْلُقُوا شعيرةً » . متفقٌ عليه[3] .

وأما التقاط الصور بآلة التصوير ، فهذا التقط الصورة التى صورها الله ، وطبعها على ورقة ، أو على الفيديو ، ولم يُضاهي بها خلق الله ؛ لأن الذي بالورقة من الصورة خلق الله لا خلق الإنسان ، فهذا كذلك محرم ، لما فيه من الفتنة ، فتنة الرجال بالنساء ، وفتنة النساء بالرجال ، كما يحصل في الصور التي تُرى في الشاشات من المغنيات والمذيعات والمذيعين والمذيعات وغيرهم ، وما أفضى إلى المحرم فهو محرم ، ودرء المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح .

وكم حصل بالتصوير من الفتن والفساد ، والاتصال المحرم ، فتصوير كل ذي روح محرم ، بل هو من الكبائر ، وله أثره البالغ المشين في إفساد الدين والخُلق قديمًا وحديثًا .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٦٣)، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٢١١٠)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠)، ومسلم برقم: (٢١٠٩)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٥٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠١/ ٢١١١).

فقديمًا : التصوير هو سبب أول كفرٍ وقع في الأرض ، وهو تصوير بعض الصالحين من قوم نوح، ليراهم الناس، ويتذكروا عبادتهم، فينشطوا للعبادة ، ثم طال الزمن فعبدوهم من دون الله ، وهكذى خدع الشيطان هؤلاء .

فأول جنايةٍ شركية على التوحيد في الدنيا إنما كانت بسبب التصوير .

وحديثًا : التصوير الآن سبب فساد الدين ، وضياع الأخلاق ، وانتشار الرذيلة ، والقضاء على مكارم الأخلاق ، كما في ظهور الرجال والنساء في أحسن زينة في الشاشات والقنوات ، وفتنة هؤلاء بهؤلاء ، وقد عم هذا البلاء في كل مكان .

وهذه أعظم جنايةٍ على الدين والأخلاق، ولا شك أن ما أفضى إلى المحرم، فهو محرم فكيف إذا كان هو محرم ، ثم أفضى إلى محرم : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٤] .

وعَنْ ابن مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنّ أَشَدّ النّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوّرُونَ ». متفق عليه[1] .

والتصوير لذوات الأرواح كله محرم ، ولا يُستثنى منه شيء إلا ما كان للضرورة ، وغرضٍ صحيح كالتصوير لاستخراج البطاقة الشخصية أو الرخصة أو الجواز وما شابه ذلك ، فهذا لا بأس به للحاجة ، وهو من باب الضرورة التي أباحها الله تعالى للمضطر ، فإن كان المصور ليس له روح كالنجوم والشمس والأشجار والجبال فهذا مباح ، والورع تركه .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٩٥٠)، ومسلم برقم: (٢١٠٩)، واللفظ له.

فصارت الأقسام في التصوير خمسة :

الأول : ما فيه روح ، فهذا لا يجوز أن يصور ، سواء كان مجسمًا ، أو ملونًا باليد ، أو بالفيديو .

الثاني : ما كان من خلق الله ، وليس ينمو كالشمس والقمر والجبال ونحو ذلك ، فهذا لا بأس به ، والورع تركه .

الثالث : ما كان من خلق الله ، ولكنه ينمو ، كالزرع والنبات والشجر ونحو ذلك ، فهذا لا بأس به ، والورع تركه .

الرابع : ما يصنعه الإنسان بيده مما ليس فيه روح كالسيارات والأبواب والقصور ونحو ذلك ، فهذا لا بأس به .

الخامس : التقاط الصور بآلة التصوير ، فهذا كذلك حرام ، ولا يُستثنى منه إلا ما سبق ، والسلامة لا يعدلها شيء ، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء:١١٥] .

وعن عَائِشَةَ أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدّ ». متفق عليه [1] .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم(٢٦٩٧) ، ومسلم برقم (١٧/ ١٧١٨) ، واللفظ له.

٨- الخزانة الثامنة

حكم الإحداث في المدينة :

الإحداث في المدينة نوعان :

الأول : إحداث البدعة ، فكل من ابتدع فيها بدعةً ، فقد أحدث فيها ما لم يشرعه الله في المدينة ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

هذا استحق أن يلعنه كل لاعن ؛ لأن المدينة مدينة السنة ، والبدعة مضادةٌ للسنة : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال:١٣- ١٦].

الثاني : إحداث الفتنة ، فمن أحدث في المدينة فتنةً بين المسلمين ، سواء أدت إلى إراقة الدماء ، أو أدت إلى العداوة والبغضاء ، أو أدت إلى الفرقة والخلاف فمن فعل هذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج: ١٠] .

أما من أحدث معصيةً في المدينة ، فهو آثم ، لكن لا ينطبق عليه هذا الحكم ، عن علي بن أبي طالب ﷺ عن النبي ﷺ قال : « المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَائِرٍ إِلَى كذا ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا ، أَوْ آوَى مُحْدِثًا ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ

وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْل » . متفقٌ عليه[1] .

حكم الصلاة في المساجد التي فيها قبر :

بناء المساجد على القبور ، ثم الصلاة فيها ، من كبائر الذنوب ، وقد لعن النبي ﷺ اليهود والنصارى ؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

ومن بنى المسجد على القبر ، وصلى فيه ، فهو ملعون ، سواءً كان من اليهود أو النصارى أو ممن يدعي أنه مسلم ، وإذا بُني المسجد على القبر ، وصلى الإنسان فيه لله ، فإن صلاته باطلة ومحرمة ، فيجب عليه إعادتها ، وهذا المسجد الذي بُني على القبر يجب هدمه ، ولا تجوز الصلاة فيه .

أما إذا كان المسجد قائمًا ثم دُفن فيه رجل صالح أو غيره ، فإنه يجب نبش القبر ، ودفن رفاته في مقابر المسلمين ؛ لأن المسجد لم يُبنى ليُقبر فيه الأموات ، إنما بُني للأحياء للصلاة فيه ، وقراءة القرآن ، وذكر الله ، وعبادة الله ، ومن صلى فيه لا نلعنه ، لكن نعظه حتى لا يصلي فيه .

أما قبر النبي ﷺ فلم يُبنى عليه المسجد ؛ لأنه ﷺ دُفن في بيته ، ولم يُدفن في المسجد ، ولم يُبنى عليه المسجد ، لكنهم احتاجوا لزيادة المسجد فوسعوه من جهة القبلة ، فبقي القبر قي مقصورةٍ منفصلة عن المسجد ، وبينهما جدارٌ فاصلٌ كما هو معلوم .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت : قال رسول الله ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لم يقم منه : « لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْاجِد ، قَالَتْ : فَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أنه خُشَي أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا » . متفقٌ عليه[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٨٦٧)، ومسلم برقم:٤٦٩/ ١٣٧١، واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١٣٣٠)، ومسلم برقم: (١٩/ ٥٢٩)، واللفظ له.

حكم أذية المسلم :

كلما كان الإنسان أحق بالإكرام ، كانت أذيته أعظم ، وأكبر إثمًا ، وأشد عقوبة ، فسباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر .

والأذى سواء كان بالقول أو الفعل يختلف بحسب الأذى والمؤذي .

فأذية ولي الأمر ، والعالم ، والعابد الزاهد ، ليست كأذية عامة الناس ؛ لما تسببه من الشر والفساد والفتنة .

وأذية القريب ليست كأذية البعيد ، وأذية الجار أشد من أذية غير الجار ، وأذية من له حق عليك ليست كأذية من لا حق له عليك .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٨] .

وعن ابْنِ مَسْعودٍ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ : « سِبَابُ المُسْلِم فُسُوقٌ وَقِتالُهُ كُفْرٌ » . متفقٌ عليه[1] .

فقه أحكام الخمر :

الخمر ، كل ما أسكر فهو خمر ، سواء كان من العنب أو التمر أو الشعير أو غير ذلك .

والإسكار هو تغطية العقل على وجه اللذة والطرب .

أما تغطية العقل بالبنج من أجل العمليات الجراحية ، هذا تخديرٌ لا سُكر ، حتى لا يشعر المريض بالألم ، فالتخدير تغطية العقل حتى لا يدري ولا يشعر المريض بما حصل له .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : سُئل رسول الله ﷺ عن البتع وهو شراب العسل فقال رسول الله ﷺ : « كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ » . متفقٌ عليه[1] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٦/ ٦٤).

مراحل تحريم الخمر :

تحريم الخمر مر بأربع مراحل :

الأولى : الإباحة كما قال سبحانه : ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل:٦٧] .

الثانية : التعريض بالتحريم، كما قال سبحانه : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة:٢١٩] .

الثالثة : النهي عن قربان الصلاة وقت السُكر ، وإباحته في غير وقت الصلاة كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ﴾ [النساء:٤٣] .

الرابعة : التحريم الصريح البات كما قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة:٩٠ - ٩١] .

عقوبة الخمر :

لما كانت بعض النفوس تميل إلى الخمر وشربها ، جعل الرسول ﷺ رادعًا يردع عن شربها ، وهو العقوبة التعزيرية ، ولم يقدر فيها الرسول ﷺ شيئًا ، فعقوبة الشارب ليست عقوبةٌ حدية ، ولكنها تعزيرية ، بما يدفع شرها ، ويؤدب شاربها .

وفي عهد عمر بن الخطاب ﷺ انتشر شرب الخمر ، لما كثرت الفتوحات ، فشاور الصحابة ، فأشار عبد الرحمن بن عوف ﷺأن يكون الجلد ثمانين

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٥٨٥)، ومسلم برقم: (٦٧/ ٢٠٠١)، واللفظ له.

كأخف الحدود وهو القذف ، فرفع عمر ﷺ عقوبة شارب الخمر إلى ثمانين جلدة ؛ ليرتدع الناس ، وهذا صريحٌ في أن عقوبة شارب الخمر ليست حدًا ، وشارب الخمر يجُلد ، ولكن إذا كثر شرب الخمر في الناس ولم ينتهي الناس عنه ، فإنه يُقتل الشارب في المرة الرابعة درءًا للشر والفساد .

عن أبى هريرة ﷺأن الرسول ﷺ قال : « لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَسْرِقُ السارق حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ« متفقٌ عليه[1] .

وعن أنس ابن مالك ﷺ أن النبي ﷺ: ضَرَبَ فِي الْخَمْرِ بِالْجَرِيدِ ، وَالنِّعَالِ وَجَلَدَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ » . متفقٌ عليه[2] .

وعَنْ عُقْبَةَ بْن الحَارِثِ ، قَالَ : جِيءَ بِالنُّعَيْمَانِ أَوْ بِابْن النُّعَيْمَانِ شَارِبًا ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ كَانَ بِالْبَيْتِ أَنْ يَضْرِبُوهُ ، قَالَ : فَضَرَبُوهُ ، فَكُنْتُ أَنَا فِيمَنْ ضَرَبَهُ بِالنِّعَالِ » . أخرجه البخاري[3] .

و عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ ﷺ قال : « أتى النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُل قَدْ شَرِبَ ، قَالَ : فاضْرِبُوهُ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : أَخْزَاكَ اللهُ ، قَالَ : لَا تَقُولُوا هَكَذَا ، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ » . أخرجه البخاري[4] .

وعن السائب بن يزيد قال : كُنَّا نُؤْتَى بالشَّارِب علىَ عَهدِ رسولِ الله ﷺ وإمْرَةِ أبي بكرٍ ، وصَدرًا مِن خِلافَةِ عُمَرَ ، فنقُومُ إليه بأيْدينا ونِعالِنا وأرْديَتِنا ،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٧٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٠٠/ ٥٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٧٣)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٣٥/ ١٧٠٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٧٧٤).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٦٧٧٧).

حتى كان آخِرُ إمْرَةِ عُمَرَ ، فجَلَدَ أرْبَعينَ ، حتى إذا عَتَوْا وفسَقُوا جلَدَ ثَمانينَ » . أخرجه البخاري[1] .

حكم موالات الكفار :

يحرم على المسلمين أن يتخذوا اليهود والنصارى وجميع الكفار والمشركين أولياء ، لأنهم أعداء الله ورسوله ، وأعداء دينه ، وعباده المؤمنين ، ولا يمكن أن يرضوا عن المسلمين إلا إذا تهودوا أو تنصروا أو كفروا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الممتحنة : ١ – ٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٩ – ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة:١٢٠] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٧٧٩).

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ ﴾ [المائدة:٥١-٥٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ٥٨ ﴾ [المائدة:٥٧-٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧ ﴾ [البقرة:٢١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١ ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

٩- الخزانة التاسعة

حكم قول هلك الناس :

من قال : هلك الناس إعجابًا بنفسه ، واستصغارًا لغيره من الناس ، وارتفاعًا عليهم ، فهذا محرم ؛ وبقوله هذا يكون هو أهلك الناس ، لأنه أحبط عمله وهو لا يشعر ، وزكَّى نفسه ، وقدح في غيره بقوله : ضل الناس ، ضاع الناس ، فسق الناس ، فسد : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾[النساء:٤٩] .

وقال ﷻ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾[النجم:٣٢].

وأما تزكية النفس بالتوحيد والإيمان والتقوى ، فهذا أمر مطلوب شرعًا ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[الشمس:٧-١٠] .

وقال ﷻ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[الأعلى:١٤-١٥] .

وأما من قال : هلك الناس ، لما يرى في الناس من نقصٍ في دينهم ، وقاله حزنًا عليهم وعلى الدين ، فلا بأس به ، لما فيه من تذكير الناس والعلماء بهذا النقص ؛ ليتداركوه ويبادروا بطاعة ربهم .

عن أبي هريرة ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ : هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ » . أخرجه مسلم[1] .

فمن قالها إعجابًا بنفسه ، فهو أشد الناس هلاكًا على رواية الضم « أَهْلَكُهُمْ »، وعلى الرواية الثانية « أَهْلَكَهُمْ » . بالفتح يكون المعنى أن قول هذا يسبب هلاكهم ، وترك نصحهم ، فيعظم فسادهم وهلاكهم .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٣٩/ ٢٦٢٣).

فالواجب نصحهم ، وعدم اليأس منهم : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الحجر:٥٦].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[يوسف:٨٧].

وقال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢]

وعن تميم الداري ، أن النبى ﷺ قال : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنَا : لمِنْ يَا رَسُولَ اللهَّ ؟ قَالَ : للهَّ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » . أخرجه مسلم[1] .

حكم الوسائل :

الوسائل لها أحكام المقاصد ، فالأفعال التي تؤدي إلى المقاصد يختلف حكمها باختلاف حكم المقاصد ، فإن كان المقصود واجبًا فوسيلته واجبة ، وإن كان محرمًا فوسيلته محرمة ، وإن كان مُستحبًا فوسيلته مستحبة ، وإن كان مكروهًا فوسيلته مكروهة ، وإن كان مباحًا فوسيلته مباحة .

فوسائل الطاعات والقربات واجبة أو مستحبة ، ووسائل المعاصي والمحرمات محرمة أو مكروهة .

المقاصد لا تحصل إلا بالوسائل ، والغايات لا تتحقق إلا بأسباب تُوصِّل إليها ، وتلك سُنة الله في خلقه وأمره وحكمه ، والحصول على الشيء دون مباشرة سببه ضرب من العبث ، يستحق صاحبه الملامة ؛ لكن يجب الاعتماد على الله لا على السبب ، فنفعل الأسباب بجوارحنا ، ونتوكل على

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩٥/ ٥٥).

الله بقلوبنا : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [التغابن:١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة: ٢٣] .

لهذا أمر الله عبادة بمباشرة الأسباب ، واتخاذ الوسائل ، لبلوغ الغايات والمقاصد ، فقال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك:١٥] .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ومباشرة الوسائل من حيث الجملة فطرةٌ إنسانية ، كما هي سُنة كونية ، وفريضة شرعية : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة:١٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون:٥١] .

حكم أخذ الربا :

إذا أودع المسلم أمواله فى بنوك ربوية ، فهذا لا يجوز ، بل هو من الكبائر ، ثم إذا أعطوه فوائد ربوية على ماله ، فلا يجوز له أخذها ، ولا يجوز له التصدق بها ، لأنها كسبٌ خبيث ، والله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا .

فلا يليق بالمسلم أن يلوث يده بالنجاسة ، ثم يذهب ويغسلها ، فلا يجوز أن يأخذ المسلم الربا مهما بلغ ، لأن شرعنا يحُرِّم الربا قليلًا كان أو كثيرًا ، وإذا تركته لهم ثم صرفوه في محُرَّم ، أو في حرب المسلمين ، فأنت لم تأمرهم بذلك ، ولم تعطهم إياه ، لأنك لم تملكه ، فلا إثم عليك ، والحل أن تتركه ولا تأخذه كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة : ٢٧٨-٢٨١] .

فقه محق الربا :

محق الربا له صورتان :

الأولى : محقٌ حسِّي ، بأن يسلط الله على مال المرابي آفةٌ تفنيه ، أو جائحة تتلفه ، أو يمرض صاحبه ويحتاج إلى دواء ومعالجات ، أو يمرض أهله ، أو يُسرَق ماله ، أو يُنهَب ، أو يحترق ماله ونحو ذلك من عقوبات الدنيا .

الثاني : محقٌ معنوي ، فيكون ماله كثيرٌ جدًا ، لكنه لا ينتفع به ، بل يكنزه ويدخره لورثته ، أما هو فلا ينتفع به : ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٦] .

أما الملعونون في الربا فقد لعن رسول الله ﷺ في الربا خمسة :

آكله .. وموكله .. وشاهديه .. وكاتبه .

فآكله هو آخذ الربا ، وموكله هو الذي يعطي الربا ، وهو ملعون مع أنه مظلوم من المرابي الظالم ؛ لأنه أعانه على الإثم والعدوان ، والشاهدان

والكاتب ليس لهما مصلحة ولا منفعة ، لكن أعانوا على تثبيت الربا ، وأعانوا على الإثم والعدوان ، فهؤلاء الخمسة كلهم ملعونون على لسان محمد ﷺ ، وما أقرب الإجابة فيمن لعنه الرسول ﷺ : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة:٢]

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ [النساء:١١٥] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : لَعَنَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ : « هُمْ سَوَاء » . أخرجه مسلم[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِّ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللهِّ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلَّا بِالحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ » . متفق عليه[2] .

حكم الألعاب :

الألعاب ثلاثة أقسام :

الأول : ألعاب مشروعة .

الثاني : وألعاب ممنوعة .

الثالث : وألعاب مسكوت عنها .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠٦/ ١٥٩٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٨٥٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٤٥/ ٨٩).

القسم الأول : الألعاب المشروعة ، وهي نوعان :

الأول : ألعاب نصت عليها الشريعة كالرماية ، والمسابقة ، والمصارعة ، ونحو ذلك مما يعين على الجهاد في سبيل الله ، فهذه جائزة ، يقول النبي ﷺ : « لَا سَبْقَ إِلَّا فِي نَصْلٍ ، أَوْ خُفٍّ ، أَوْ حَافِرٍ ». أخرجه أبو داود والترمذي سندٍ صحيح[1] .

الثاني : ألعاب لم تنص عليها الشريعة ، إلا أنها مما يُستعان بها في الجهاد في سبيل الله ، وهذا داخل في النوع الأول من باب القياس ، وربما كان أولى ، لا سيما مع تطور آلات الجهاد كما هو الآن من دبابات وطيارات وصواريخ ونحوها من العُدد الحربية ، فالمسابقة على هذا وما قبله جائزة بعِوض وبدون عِوض ؛ لأن الله أمر بإعداد القوة ، ولما فيها من حسن إعداد الجندي المسلم وتدريبه على حمل السلاح والرمي به .

القسم الثاني : الألعاب الممنوعة ، وهي ثلاثة أنوع :

الأول : ألعاب نصت الشريعة الإسلامية على تحريمها كالميسر ، والقمار ، والنرد ، والشطرنج ، والتحريش بين البهائم ، واتخاذها غرضًا ، ونحو ذلك مما حرمته الشريعة ، لما في ذلك من الظلم ، والصد عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، وشغل القلب بها ، وإلهاء الإنسان عن أوامر الله بها ، وإيقاع العداوة والبغضاء بسببها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة:٩٠- ٩١] .

---

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم: (٢٥٧٤)، والترمذي برقم: (١٧٠٠).

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

الثاني : ألعاب لم تنص الشريعة على تحريمها ، لكن حرمتها لاقترانها بمحظور شرعي خارج عن أصلها ، لما اقترن بها من أضرار ، أو سبٌّ ، أو عداوة ، أو صد عن ذكر الله ، أو إشغال عما هو أفضل وأولى ، مثل اللعب بكرة القدم ، أو غيرها مما يسبب العداوة .

وإذا كان يحرم تعلم العلوم المفضولة إذا زاحمت العلوم الفاضلة ، فكيف باللعب بالكرة التي أكلت أموال الناس وأوقاتهم ، وأوقعت بينهم العداوة والبغضاء ، وأشعلت العصبيات فيما بين أصحاب تلك الفرق ؟ .

الثالث : ألعاب ليس فيها إعمال للعقل والتفكير ، بل هي قائمة على التخمين والحظ ، فهذه محرمة ؛ لأنها قمارٌ تؤكل من غير إعمال فكر أو بذل جهد ، فهي من الميسر الذي حرمه الله .

القسم الثالث : ألعاب سكتت عنها الشريعة :

وهو القسم المباح من الألعاب ، فهذا القسم إذا لم يحصل به ضرر ، أو يقترن بمحظور شرعي ، أو أشغل عن فرض ، فيبقى على أصل الإباحة ؛ لأنه لابد لبعض النفوس من استجمام ، خاصةً النساء والأطفال ، ولكن لا يليق بالإنسان الإكثار منه ، فهذا لا إثم فيه ولا أجر ، فإن العبد مأمور بأن يقوم بأوامر الله في حياته كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢]

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾ [الحج:٧٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة:٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

حكم أخذ العِوض في الألعاب :

السَبْق : هو المال الذي يأخذه السابق .

والسَبَق : هو بلوغ الغاية قبل غيره .

والرهان : هو عقد بين متعاقدين يقتضي الالتزام بدفع المال المشروط .

والرهان محرم؛ لأنه قمار، والقمار نوع من الميسر ، والميسر حرام، والفرق بين الرهان والقمار، أنهما يتفقان في أن حق المتعاقد يتوقف على واقعة غير محققة، ويفترقان في أن المقامر يقوم بدورٍ فعلي في محاولة تحقيق الواقعة غير المحققة، أما المُراهِن فلا يقوم بدور في تحقيق صدق قوله .

فالذين يتسابقون على الخيل مثلًا لغرض شرعي على جُعل ، هؤلاء مقامرون ، والذين يتراهنون على الفرس السابق يسمون مراهنين ، فالمسابق يبذل جهدًا لتحقيق الواقعة ، والمراهن لم يبذل جهدًا ، وكلاهما محرَّم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة:٩٠ - ٩١] .

وأما أخذ العوض في الألعاب الرياضية فحكمه كما يلي :

أولًا : الألعاب المشروعة نوعان :

الأول : منصوص عليه كالرماية ، والسباق في الخيل والإبل ، فهذا يجوز أخذ العوض عليه .

الثاني : ما يستعان به على الجهاد مما لم ينص عليه ، فهذا يجوز أخذ العوض عليه كالتدرب على الدبابات والطائرات والبنادق ونحوها مما يستعان به على نصرة الدين .

فالمغالبة الجائزة تحل بالعوض إذا كانت مما يعين على الدين كما في مراهنة أبي بكر الصديق ﷺ على أن الروم سوف تغلب الفرس .

ثانيًا : الألعاب الممنوعة ، وهي ثلاثة أقسام :

الأول : الميسر ، والقمار ، والنرد ، والشطرنج ، فهذه يحرم اللعب بها ، وأخذ العوض عليها كما سبق .

الثاني : ألعاب حلال في أصلها ، لكن اقترن بها محظور شرعي خارج عن أصلها ، كما لو اقترن بها إضرارٌ ، أو سب ، أو عداوة ، أو صد عن ذكر الله ، أو إشغال عما هو أولى كاللعب بالكرة ونحوها ، فهذه يحرم أخذ العوض عليها .

الثالث : ألعاب تعتمد على التخمين والصدفة والحظ مثل اليانصيب ، فهذه يحرم أخذ العوض عليها .

ثالثًا : الألعاب المباحة :

وهي كل ما لا يستعان به على الجهاد، ولم يشغل عن فرض، ولم يتسبب في ضرر، فهذا جائز، تستجم به النفوس، وتستريح به ، لكن يحرم أخذ العوض عليه، لئلا يتخذ حرفة للكسب، ويلهي عن المصالح الدينية والدنيوية.

أحوال اللعب والسبق :

اللعب والسبق لا يخرج من أربعة أقسام :

الأول : أن يكون مما يعين على الجهاد ، فهذا محبوب مرضي لله تعالى ، فيجوز السَبْق به ، ويباح وقد يستحب بذل العوض فيه .

الثاني : أن يكون اللعب قائمًا على التخمين والحظ ، فهذا يحرم مطلقًا ، ويحرم أخذ العوض عليه .

الثالث : أن يكون اللعب لا يقوم على التخمين ، ولا يعين على الجهاد ، لكن فيه تقوية للبدن كالسباحة ، هذا تجوز المسابقة فيه ، لكن يحرم بذل العوض فيه .

الرابع : أن يكون اللعب فيه ضرر مؤكد ، أو يصد عن ذكر الله ، وعن الواجبات الشرعية ، وعما هو أفضل منه ، فهذا يحرم اللعب به ، ويحرم أخذ العِوض فيه .

واللعب بالكرة لا يخرج عن القسم الثالث والرابع ، فهي لا يستعان بها على الجهاد ، بل هي مجرد لهو ولعب ، مع اشتمالها على محاذير ومحرمات ، من إضاعة الأوقات والأقوال ، وكشف العورات .

وأما الرابعة فلاشتمال اللعب بالكرة على ضرر مؤكد ، وفعل محرم ، وصد عن واجب : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة:٢]

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ ﴾ [المؤمنون:١١٥]

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ ﴾ [النساء : ١١٥]

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾ [الحشر : ٧] .

١٠- الخزانة العاشرة

حكم مناصحة ولاة الأمر :

يجب على المسلم مناصحة ولاة الأمر ، لأن الدين النصيحة ، وتعظم النصيحة ، ويكثر ثوابها ، بقدر ما يحصل بسببها من خيرٍ ، ودفع شر ، كمناصحة ولاة الأمر الذين تخفى عليهم كثير من الأمور .

فيجب على المسلم إذا دخل على ولاة الأمور ، من الحكام والأمراء والوزراء وغيرهم أن ينصح لهم ، ويبين الحقيقة والواقع ، سواء كان الناس على استقامة ، أو على اعوجاج، ولا يجوز غش ولاة الأمر بالكذب عليهم ، كأن يقول لهم : الناس بخير ، الناس في أمن ، الناس في رغد من العيش ، وهو كاذب ، فهذا حرام وخداع لولاة الأمر وخداع للأمة ، لأنه كذب خلاف الواقع ، ومن فعل هذا فهو عاصٍ غادر خائن كذاب :﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النساء:٥٨].

فيجب على المسلم الصادق أن ينصح لله ورسوله ولكتابة ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ويحذر من النفاق والمداهنة ، وليس هذا النصح والبيان من الغيبة ، لأنه من أجل النصح والإصلاح ، لا من أجل الهوى والإفساد .

قال رسول الله ﷺ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : للهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » . أخرجه مسلم [١] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٩٥/ ٥٥).

وقال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢]

عقوبة الرياء :

من عمل عملًا صالحًا ، ليراه الناس ، ويمدحوه عليه ، فإن الله يرائي به ، ويبين عيبه للناس ، ويفضحه .

ومن سمَّع فقال قولًا يتعبد به لله من علم أو ذكر ، ورفع صوته به ؛ ليقال فلان كثير الذكر ، كثير القراءة ، فهذا يُسمِّع الله به ، فيفضحه ويكشف أمره ، ويبين عيبه للناس ، فالمرائي مهما اختفى وأخفى ، فلابد أن يتبين أمره ، لأن الله تعالى تكفل بهذا ، فيفضحه ويكشف أمره في الدنيا والآخرة : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢ – ٣] .

وعن جندب ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « مَنْ سَمّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِه » . متفق عليه[1] .

حكم تعلم العلم الشرعي :

تعلم العلم الشرعي من أعظم العبادات ، لما فيه من النفع العظيم له ولغيره : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

وكل علم يُبتغى به وجه الله ، فهو عبادة مندوبٌ إليها ، وفيه أجر كبير ، ومن طلب العلم الشرعي لا يريد به إلا أن ينال عرضًا من الدنيا ، لم يجد عُرف الجنة أي رائحتها : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

وأما العلوم التي لا يبتغي بها وجه الله من علوم الدنيا كعلم الحساب ، والهندسة والبناء ، فلا شيء على الإنسان أن يتعلمها ، لينال بها عرضًا من

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٤٩٩)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٧/ ٢٩٨٦).

الدنيا ، ليكون مصدر رزقه : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف:٣٢] .

فهذه العلوم مما يعين الناس على تحقيق مصالحهم الدنيوية .

ومن تعلم العلم الشرعي ، لينال الشهادة العالية ، لينال بها المرتبة والوظيفة فقط ، فهذا أراد عرضًا من الدنيا ، وإن أراد بذلك أن يتبوأ منصبًا ، لينفع الناس ، ليكون مدرسًا أو مديرًا ، فهذا خير لا بأس به ، لأن نيته طيبة ، وإن كان يعطى مقابل شهادته وظيفة ، لأن الناس اليوم يقدرون الإنسان بشهادته لا بعلمه .

عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبى ﷺ قال : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » . متفق عليه(١) .

وهذه العلوم الدنيوية تعلمها فرض كفاية ، إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين ، وذلك لحاجة المسلمين إليها ، وينبغي ألا تشغل الإنسان هذه العلوم الدنيوية عن العلوم الأخروية والأعمال الصالحة، كما قال سبحانه : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم:٦-٧] .

فعلى المسلم والمسلمة واجبات يومية لابد له من أدائها ، والقيام بها وهي :

أولاً : عبادة الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج:٧٧] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم(١) مسلم برقم: (١٥٥/ ١٩٠٧)، واللفظ له.

ثانيًا : الدعوة إلى الله ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف:١٠٨] .

ثالثًا : تعليم القرآن والسنة، لمن عنده قدرة على ذلك، كما قال سبحانه : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩].

رابعًا : الإحسان إلى الناس ، كما قال سبحانه :﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

حكم النظر إلى المرأة الأجنبية :

النظر إلى النساء الأجنبيات محرم ، وهو سهم من سهام إبليس ، يوقع الإنسان في الزنا ، ويخطو به إلى الفواحش ، والنساء حبائل شيطان ، وكل إنسان مسئول عن سمعه وبصره وفؤاده ، والله عليم بالمنظور والمستور ، ويجازي من فعل ذلك بحسب ذلك في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر:١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور:٣٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ ﴾ [النور: ٣١] .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا محَالَةَ ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ ،

وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ » . متفق عليه[1] .

حكم نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي :

يجب على المرأة أن تغض بصرها عمن ليس بمحرم لها، ويجوز للمرأة أن تنظر إلى الرجل الأجنبي ، لكن بغير شهوة، ولا استمتاع أو تلذذ، بل يكون نظرًا عاديًا كما يحصل في الطريق، وعند البيع والشراء، وعند سؤال العالم، وعند الطواف ونحو ذلك .

أما الرجل فيحرم عليه أن ينظر إلى المرأة الأجنبية نظر شهوة ، وللطبيب أن ينظر إلى المرأة عند الحاجة لعلاجٍ ونحوه .

حكم الخلوة بالمرأة الأجنبية :

المرأة الأجنبية هي التي ليس بينك وبينها محرم مثل بنت العم ، بنت الخال ، وبنت العمة ، وبنت الخالة ، وزوجة الأخ والعم والخال وما أشبه ذلك .

والخلوة بالمرأة الأجنبية حرام لا يجوز ، سواء كانت في البيت أو الدكان أو السيارة أو العمل .

قال النبي ﷺ « مَا خَلَا رَجُلٌ بِامْرَأَة إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا ». أخرجه الترمذي[2].

وإذا أراد الرجل منها شيئًا سألها من وراء حجاب ، لئلا تحصل الخلوة .

ودخول أقارب الزوج إلى بيت الزوج أخطر من دخول الأجانب ، لأن هؤلاء يدخلون باعتبارهم أقارب فلا يستنكرهم أحد ، ولا يشك فيهم أحد ،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٦١٢)، ومسلم برقم: (٢١/ ٢٦٥٧)، واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢١٦٥).

ثم تقع الفتنة بهذا الدخول ، وقد حذر النبي ﷺ من دخول حمو الزوج على زوجته ، وحمو الزوج هم أقاربه كالأخ ، والعم ، والخال وغيرهم من الحواشي ، فهؤلاء ليسوا بمحارم ، فيحرم عليهم الخلوة بمرأة الرجل .

ويحرم خلوة السائقين بزوجة الرجل ، أو بنته ، أو أي امرأة أجنبية من السائق ، والخلوة في السيارة أشد من الخلوة في البيت ، لأنه يخلو بها ، ويذهب بها ، إلى ما شاء ، فيقع ما حرم الله من الفاحشة ، وقد ابتليت الأمة بمثل هذا ، فنسأل الله أن يحفظ الجميع :﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٣-٥٥] .

وقال النبي ﷺ : « لَا تُسَافِرْ المَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي محَرَم » . متفق عليه[1] .

وقال النبي ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ قَال : الحَمْوُ المَوتُ » . متفق عليه[2] .

حكم تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال :

خلق الله ﷻ الرجال والنساء ، ومَّيز بعضهم عن بعض في الخلق والقوة واللباس، فمن حاول أن يجعل النساء كالرجال أو عكسه ، فقد ضاد الله في قدره وشرعه، وحاد الله في قدره وشرعه ، لأن الله له حكمة فيما خلق وشرع

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٨٦٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤١٧/ ٨٢٧).

(٢)متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٢٣٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٠/ ٢١٧٢).

وقدر، ولهذا جاءت النصوص الشرعية بلعن من تشبه من النساء بالرجال وعكسه في أي شيء ، واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، فمن فعل ذلك من الرجال أو النساء فهو ملعون على لسان رسول الله ﷺ .

وذلك يشمل التشبه بالأقوال ، واللباس، والهيئات، والمشيات ونحو ذلك .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « لَعَنَ اللهُ المُتَشَبِهِينَ مِنَ الرّجالِ بالنّسَاءِ، وَالمُتشبِهاتِ مِن النّسَاءِ بالرّجَالْ » . أخرجه البخاري[1] .

حكم التشبه بالشيطان والكفار :

يحرم على المسلم والمسلمة التشبه بالشيطان والكفار ؛ لأن الشيطان رأس الكفر ، والكفار هم أولياء الشيطان وأتباعه : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٧] .

والتشبه بالشيطان أو الكفار ، أن يعمل الإنسان أعمالهم ، أو يتخلق بأخلاقهم ، أو يلبس لباسهم ، سواء قصد التشبه أو لم يقصد .

فيحرم على المسلم أن يأكل أو يشرب بشماله، أو يأخذ أو يعطي بشماله، لما فيه من التشبه بالشيطان عدونا وعدو الله ﷻ، وعدو رسله ، ولا يحل له فعل ذلك إلا لضرورة كأن تكون اليد اليمنى مشلولة أو مكسورة ونحو ذلك .

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٨٨٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٠٥/ ٢٠٢٠).

وقال النبي ﷺ : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ».أخرجه أبو داود وأحمد [1] .
وأقل درجاته التحريم .

حكم التنجيم :

المُنَجِّمُون هم الذين يمتهنون علم النجوم للاستدلال به .

وعلم النجوم ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : جائز لا بأس به ، وهو ما يسمى بعلم سير النجوم ، يُستدل به على المكان والزمان ، وعلى الفصول ، وعلى طول النهار والليل ، وقصرهما ؛ فهذا لا بأس به ، لأن الناس يهتدون به لمصالحهم الدنيوية ، والدينية ، ومن ذلك علم جهات النجوم كالقطب الشمالي الذي يسمى الجَدْي يُستدل به في أي مكان على الجهات ، وعلى القبلة في البر والبحر والجو .

قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ ﴾[النحل:٣]

وقد خلق الله ﷻ النجوم لثلاث :

زينة للسماء كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥ ﴾[الملك:٥] .

الثانية : أنها رجومًا للشياطين .

الثالثة : علاماتٍ يُهتَدَى بها : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ ﴾ [النحل:٣]

القسم الثاني : محُرَّم ، وهو علم التأثير ، بأن يعتقد أن ما حصل في الأرض من حوادث سببه طلوع النجم الفلاني ، كما كانوا يقولون في الجاهلية : مُطرنا بنوء كذا وكذا ، فهذا محرم .

---

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم: (٤٠٣١)، وأحمد برقم: (٥١١٤).

لأن النجوم و غيرها لا دخل لها فيما يحدث في الكون ، وإنما يقع كل شيء بقضاء الله وقدره:﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[الملك: ١] .

و قال الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف:٥٤] .

حكم التَّطَيُّر :

التطير هو التشاؤم بمرئيٍ أو مسموعٍ ، أو زمانٍ أو مكانٍ أو غيرها .

وسمي تطيرًا ، لأن العرب يتشاءمون في الجاهلية بالطيور ، فغلب الاسم على كل تشاؤم ، فمن العرب من كان يتشاءم بالطير إذا طار يسارًا أو رجع إليه ، و يتفاءل إذا طار يمينًا أو إلى الأمام .

ومنهم من يتشاءم بنوع الطير كالغراب والبوم ونحوهما .

ومنهم من يتشاءم بالزمان كالزواج في شوال أو السفر يوم الثلاثاء والأربعاء ، ومنهم من يتشاءم بشهر صفر ، وهذا كلُّه محرم لا يجوز ، ولا دخل لهذه الأشياء في قدر الله .

ولا يجوز أن نعالج البدعة ببدعة ؛ فنقول : شوال الخير، أو صفر الخير مثلًا؛ لأن البدعة تُزال بالسُّنَّة فقط .

ومن أصابه شيءٌ من التطير والتشاؤم فليعرض عنه وليقل: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك.

حكم سَبِّ الريح :

الرياح من آيات الله العظيمة في إرسالها ، وتصريفها ، وكيفيتها ، فلا يقدر أحدٌ أن يُصَرِّف هذه الرياح إلا الله ﷻ وحده : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنعام:١٠٢].

والريح تنقسم إلى قسمين :

الأول : ريحٌ عادية لا تخُيف ، ولا يُسَن لها ذكرٌ معين .

الثاني : ريحٌ عاصفة شديدة ، فإذا عصفت هذه الريح فلا يجوز سَبُّها ، لأن الذي خلقها وأرسلها هو الله ، ومن سَبَّها فقد سبَّ الله الذي أرسلها .

ولكي يحصل للإنسان خير الريح ، ويزول عنه شرها ، يُسَنُ للمسلم أن يدعو بهذا الدعاء حين تعصف ، فيقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ » . أخرجه مسلم[1] .

والرياح خلقها الله ﷻ وأرسلها لحكم عظيمة : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[الأعراف:٥٧] .

وقال النبي ﷺ : « لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ » . أخرجه الترمذي وأحمد[2] .

حكم الحديث بعد صلاة العشاء الآخرة :

الحديث بعدها ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : حديث محرم ؛ كالحديث في الغيبة ، والنميمة ، والقيل والقال ، وقول الزور ، والاستماع إلى اللهو ، والغناء ، ومشاهدة ما لا يحل من الأفلام وغيرها ، فهذا حرامٌ في كل وقت ، ويزداد إثمًا وكراهةً وتحريمًا إذا كان بعد العشاء الآخرة ، لأنه في وقتٍ يُكرَه فيه الكلام المباح ، فكيف بالمحرم ، والمكروه ؟ قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر: ٧] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٥/ ٨٩٩).

(٢) صحيح / أخرجه الترمذي برقم: (٢٢٥٢)، وأحمد برقم: (٢١١٣٨).

الثاني : حديث مباح ؛ ليس محرمًا ولا مكروهًا ولا مندوبًا ، وهو كلام فعله وتركه سواء ، فهذا أكثر كلام الناس ، وكان النبي ﷺ يكرهه بعد صلاة العشاء ، لأنه يطول به المجلس ، ثم يتأخر نومه ، فيكسل عن قيام الليل ، وصلاة الفجر : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر : ٧] .

وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا » . متفق عليه[1] .

الثالث : حديث مُستحب ؛ كالحديث في الخير ، كمذاكرة العلم حفظًا ومطالعة ، وحكايات الصالحين ، ومكارم الأخلاق ، والحديث مع الضيف ، وصاحب الحاجة ، والحديث مع الأهل ، ليؤلف قلوبهم ، ويدخل السرور عليهم ، فهذا جائز لا كراهةَ فيه ، بل هو مستحب لما يحصل به من الخير ، وكذلك الحديث لعذرٍ وعارضٍ لا كراهة فيه ، بل هو مستحب ، كما كان النبي ﷺ يحُدِّث أصحابه بعد صلاة العشاء وينصحهم ، ويسمُر أحيانًا مع بعض أصحابه .

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْمُرُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ فِي الأَمْرِ مِنْ أَمْرِ المُسْلِمِينَ وَأَنَا مَعَهُمَا . أخرجه أحمد والترمذي بسند صحيح[2] .

وَعَنِ عَبْد اللهِّ بْن عُمَرَ قَالَ : « صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ الْعِشَاءَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ : أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ » . متفق عليه[3] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥٦٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٣٥/ ٦٤٧).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم: (١٧٥)، والترمذي برقم: (١٦٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١)، ومسلم برقم: (٢١٧/ ٢٥٣٧)، واللفظ له.

موسوعة خزائن العلوم الإسلامية

٣٠-خزائن الأحكـام العامة

القسم الثالث

ويشتمل على ما يلي:

١- الخزانة الأولى

٢- الخزانة الثانية

٣- الخزانة الثالثة

٤- الخزانة الرابعة

٥- الخزانة الخامسة

٦- الخزانة السادسة

٧- الخزانة السابعة

٨- الخزانة الثامنة

٩- الخزانة التاسعة

١٠- الخزانة العاشرة

٣٠-خزائن الأحكام العامة

القسم الثالث

١- الخزانة الأولى

حكمة العالمِ :

ينبغي للعالمِ الذي يُعلِّم الناس الخير ، إذا ذكر لهم الأبواب الممنوعة ، أن يفتح لهم الأبواب الجائزة ، حتى يخرج الناس من هذا إلى هذا ، ويُشتغل الناس بالحلال عن الحرام، وهذه طريقة القرآن والسُّنَّة في الحلال والحرام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾[البقرة:١٠٤] .

وقال الله تعالى : ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الشعراء:١٦٥-١٦٦] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهَّ عَنْهَا : أَنَّ قَوْمًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللهَّ : إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا بِاللَّحْمِ ، لَا نَدْرِي أَذَكَرُوا اسْمَ اللهَّ عَلَيْهِ أَمْ لَا ؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : سَمُّوا اللهَّ عَلَيْهِ وَكُلُوهُ » . أخرجه البخاري[1] .

حكم قول الله ورسوله أعلم :

إذا سُئل الإنسان عما لا يعلم من الأمور الشرعية ، فالواجب أن يقول : الله ورسوله أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٠٥٧).

مثاله : أن يُسأل هل هذا حلالٌ أو حرام ؟ فيقول الله ورسوله أعلم .

وإذا سُئل الإنسان عن ما لا يعلم من الأمور الكونية القدرية في المستقبل، فهذا لا يقول : الله ورسوله أعلم، لأن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب، إلا ما عَلَّمه الله ، بل يقول : الله أعلم .

مثاله : أن يقال له ؛ هل تظن أن ينزل المطر غدًا ؟ فيقول الله أعلم ، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله : ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[النمل: ٦٥] .

وظيفة اللسان :

يجب على الإنسان أن لا يتكلم إلا بخير ، والخير نوعان :

الأول : خيرٌ لذاته ؛ كأن يتكلم الإنسان بالذكر ، والدعاء ، وتلاوة القرآن ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتعليم العلم ، والدعوة إلى الله ونحو ذلك : ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤] .

الثاني : خيرٌ لغيره ؛ كأن يتكلم الإنسان بكلام طيب ومباح ، يريد أن يبسط إخوانه ، ويزيل عنهم الوحشة ، ويؤلف قلوبهم ، فهذا من الخير ؛ كما قال النبي : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ».متفق عليه[1].

حكم الهبة والعطية :

الهبة هي التبرع بالمال حال الحياة، والعطية هي التبرع بالمال حال مرض الموت ، وتطلق كل واحدةٍ على الأخرى، والهبة مُستحبة بالنسبة للواهب ،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠١٨)، ومسلم برقم: (٧٤/ ٤٧) .

لما فيها من المصالح، والإحسان ، وتأليف القلوب ، وكان ﷺ يُهدِي ويُهدَى إليه .

والسُّنَّة للموهوب له أن يقبل الهدية ولا يَرُدَّها، ولكن لقبول الهدية شروط :

الأول : أن لا يعلم انه أَهدَى إليه حياءً وخجلًا .

الثاني : ألا يتضمن قبولها محظورًا شرعيًا ، كأن تقع موقع الرشوة ، أو مقابل السكوت عن حق ، أو الدفاع عن باطل .

الثالث : ألا تكون محرمة لعينها كالخنزير ، والخمر ونحوهما .

الرابع : أن لا تكون الهدية حقًا للغير كالمسروق ، والمغصوب ونحوهما .

أما المُحرَّم لكسبه فيجوز قبوله لأن النبي ﷺ قَبِلَ هدية اليهودية وهي الشاة المسمومة ، وهو يعلم أنهم يأكلون الربا .

حكم المكافأة على الهدية :

الهدية في الأصل لا تقتضي ثوابًا ، فلا يلزم من أُهديَ إليه شيئًا أن يثيب من أهداه ، والأولى قبول الهدية ، مع الإثابة إن تيسر ، لأن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ، ويُثيب عليها ، وكل ذلك عبادة .

حكم التسوية بين الأولاد في الهبة :

يجب على الأب التسوية بين الأولاد في الهبة ، على حسب ميراثهم منه ، ذكورًا كانوا أم إناثًا ، وكذا الزوج يجب عليه أن يسوي بين زوجاته في النفقة ، والكسوة ، والسكن ، والقسم .

وإذا فَضَّلَ الأب أحد أولاده بشيء ، فيلزمه واحد من ثلاثة :

الأول : الرجوع في الهبة التي وهب .

أو يعطي البقية مثلما أعطى الأول ، أو يأخذ العطية ويقسمها بينهم .

أو يستحلهم فيحللوه عن رضًا وقناعة .

فهو مخير بين هذه الأمور الثلاثة ؛ وإن مات قبل التسوية رُدَّت إلى التركة ، أو يعطى بقية الأولاد مثل ما أخذ من أعطي قبل قسمة التركة .

الفرق بين النفقة والعطية :

النفقة أن يعطي الإنسان أولاده ما يحتاجونه قليلًا كان أو كثيرًا؛ فمن تلزمه نفقةٌ لزواج، أو علاج، أو تفرغ لطلب علم ونحو ذلك، فيعطيه بحسب حاجته .

أما العطية فهي تبرع محض تجب فيها التسوية بين الأولاد حسب ميراثهم منه ، لأنه لا قسمة أعدل من قسمة الله ﷻ ، وكل ما كان لدفع الحاجة فالتسوية فيه أن يعطى كل إنسان ما يحتاجه ، أما إذا كان تبرع محض فلا بد من العدل بين الأولاد ، للذكر مثل حظ الأنثيين .

الفرق بين العطية والوصية :

أولًا :الأمور التي تجوز فيها العطية والوصية .

أولًا :العطية هي التبرع بالمال حال مرض الموت، فإن كانت بالثلث فأقل فهي جائزة، وإن كانت بأكثر من الثلث ، فلا بد من إجازة الورثة لها بعد الموت .

ثانيًا : العطية ؛ لا تجوز لوارث إلا بإجازة الورثة كالوصية .

ثالثًا :العطية إذا وقعت دفعةً واحدة فتتزاحم في الثلث كالوصية ، لكن لو أَعطى اليوم واحدًا ، وفي اليوم الثاني أَعطى الثاني ، فالعطية من الثلث للمتقدم بخلاف الوصية .

رابعًا : أن قضية العطية والوصية ناقصة ، فالصدقة حال الصحة أفضل من الصدقة حال الموت .

ثانياً : الفرق بين العطية والوصية :

أولًا : أن العطية لا يجوز فيها الرجوع بعد القبض ، أما الوصية فيجوز للموصي الرجوع فيها .

ثانيًا : أن الوصية يسوى فيها بين المتقدم والمتأخر ، أما العطية فيُقَدَّم الأول فالأول إذا ضاق الثلث .

ثالثًا : أن العطية يكون قبولها عند وجودها ، أما الوصية فيكون القبول بعد الموت .

رابعًا : الوصية تكون في المال والتصرفات، أما العطية فتكون فقط في الأموال .

خامسًا : أن الوصية تكون واجبة إذا كان عليه حقوق ، أما العطية فهي مستحبة ، لا واجبة .

وهذه هي أهم الفروق بين العطية والوصية .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وزدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تُهنا ، وارفعنا ولا تضعنا يا ذا الجلال والإكرام .

والهدية هي ما قصَد الإنسان بها إكرام شخصٍ ، إما لمحبة أو قرابة أو صداقة أو طلب حاجه ، وذلك مُستحب ، وقبول الهدية من السُّنَّة ويُكرهُ رَدُّها .

أما هدايا العمال فحرام ، لأن ما يُهدى للعمال وأهل المناصب رشوة وليس بهدية ، فلولا العمل لم يُهدى إليه ، لكن إن كانت الهدية للإنسان لا من أجل الوظيفة والعمل ، كأن يكون بينهما رحم أو قرابة أو جوار أو صداقه فلا بأس بذلك.

حكم الإحداد :

الإحداد : هو اجتناب المرأة ما يدعو إلى نكاحها .

ولا يجوز الإحداد على ميت أكثر من ثلاثة أيام ، إلا على زوجٍ أربعة أشهر وعشرًا .

وكانوا في الجاهلية إذا مات لهم أحد تركوا الزينة والطيب ، وحادُّوا عليه مدةٍ يقدرونها بأنفسهم .

ولما كانت النفوس ضعيفةٌ لا تطيق الصبر ، لاسيما مع عِظَم المصائب ، رَخَصَّ النبي ﷺ في الإحداد ثلاثة أيام لمن مات له قريبٌ ، أو صديق وحَزِنَ عليه ، أن يبقى في بيته ثلاثة أيام ، من رجلٍ أو امرأة ، لكن الرجل يشهد صلاة الجماعة مع المسلمين .

لكن السُّنَّة والأفضل والأرفق والأوفق والأحسن أن يصبر المصاب على من مات له ، ويحتسب الأجر عند الله ، وأن تجري الأمور على ما هي عليه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[التغابن:١١]

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الزمر: ١٠] .

فالأفضل له الصبر، ولا يحُِد على أحدٍ مات له ، إلا المرأة تحُِد على زوجها أربعه أشهرٍ وعشرًا، لأن الأمر لله ﷻ ، وهو المحمود على كل حال، فيصبر، ويحتسب، ويحزن، لكن لا يُغيِّر شيئًا من أمور دنياه بسبب المصيبة ، ولمن مات له أحد أن يحُِد عليه ثلاثة أيام فما دونها، لكن الأفضل عدم الإحداد .

عَنْ أُمِّ عَطِيَّة رَضِيَ اللهُ عَنهَا أَنَّ الرسُولَ ﷺ قال : « لا تحُِدُّ اِمْرَأَة عَلَىَ مَيِّتٍ فَوقَ ثَلاثٍ، إِلَّا عَلَىَ زَوجٍ أَربَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشرًا، وَلاَ تَلبَسُ ثَوبًا مَصبُوغًا إِلَّا

ثَوبَ عَصَبٍ، وَلَا تَكتَحِلُ، ولَا تمَسُّ طِيبًا إِلَّا إِذَا طَهُرَت نُبذَةً مِن قِسْطٍ، أَو أَظفَارٍ » . متفق عليه[1] .

صفة إحداد المرأة :

الإحداد بالنسبة للنساء اجتناب الأشياء التالية وقت العِدَّة من الوفاة .

والإحداد والعِدَّة عبادةٌ من العبادات ، فيجب على المرأة التي تحُِدُّ أن تحتسب الأجر عند الله ، وأن تتعبَّد لله بإكمال العِدَّة ، وتحقيق الإحداد .

والمرأة في العِدَّة تجتنب ما يلي :

الأول : الطيب بجميع أنواعه ؛ دهنًا ، أو بخورًا ، أو شمًا ، إلا شيئًا يسيرًا من الطيب عند الطهارة من الحيض .

الثاني : الحُليِّ بجميع أنواعه ؛ فلا تلبس الحُليِّ لا في الكفين ، ولا في الرقبة ، ولا في الأذنين ، ولا على الرأس ، ولا على الصدر ، ولا على القدمين .

الثالث : لباس الزينة ؛ فلا تلبس ثوبًا يُعَدَّ ثوب زينة ، أما الثياب العادية فتلبس ما شاءت من أي لون .

الرابع : عدم الخروج من البيت ؛ إلا لضرورة ، كمراجعة طبيب ونحوه ، وزيارة أبٍ أو أمٍ مريضٍ ، أو جلب طعامٍ لحاجةٍ ونحو ذلك .

الخامس : عدم التحسن ، و التجمل ، والتكحل ، والتزين وما أشبه ذلك ، مما يدعو إلى نكاحها .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣١٣)مسلم برقم: (٦٦/ ٩٣٨)، واللفظ له.

وللمرأة المحادَّة أن تكلم محارمها وغير محارمها في حاجتها ، لكن لا تخضع بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ ﴾[الأحزاب:٣٢] .

والمرأة المحادَّة على زوجها تَعتَدُّ في بيت زوجها ، أو في بيت أبيها ، وتختار ما تأمن فيه على نفسها ، سواءً كان بيت زوجها ، أو بيت أهلها ، وتبقى فيه حتى تخرج من العِدَّة .

حصول الموت :

الموت إما أن يطلبك أو يلاقيك ، فلا مفر منه : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

فالموت يطلب كل إنسان ، في أي مكانٍ أو زمان ، فلا نجاة منه، كما قال سبحانه : ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾[النساء:٧٨] .

الموت يلاقيك و يلاحقك ، فلا فرار منه ، وهذا أشد وأبلغ .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾[الجمعة:٨] .

فلا نجاة لأحدٍ من الموت أبدًا ، فكل حيٍ لا بد أن يموت ، إلا الحي القيوم جل جلاله : ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ ﴾[الرحمن : ٢٦ – ٢٧] .

فالموت إما أن يطلبك فيدركك ، وإما أن يقابلك فيظفر بك : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾[آل عمران : ١٨٥] .

وإذا نزل الوباء في أرضٍ فلا نَقدُم عليها ، وإذا وقع ونحن فيها ، فلا نخرج منها فرارًا منه ، ولو خرجت فرارًا منه فلن تفر من قدر الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [البقرة : ٢٤٣] .

٢- الخزانة الثانية

حكم الانتماء إلى غير أبيه :

يجب على الإنسان أن ينتسب إلى أبيه ، ولا يجوز له أن ينتسب إلى غير أبيه وهو يعلم أنه ليس أبيه ، كأن ينتسب إلى رجلٍ من قبيلة أشرف من قبيلته ؛ لأجل أن يزيل عن نفسه مذمة قبيلته ؛ لأنه غير راضٍ بحسبه ونسبه ، فهذا عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وفعله كفر ، ولا يُقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا ؛ لأن الله ﷻ يقول : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الأحزاب : ٥] .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ يدَّعَي إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ » . أخرجه البخاري[١] .

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « لا تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكِمْ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبيهِ فَهُوَ كُفْرٌ » . متفقٌ عليه[٢] .

وعن أبي ذر ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : « لَيْسَ مِنْ رَجُل ادَّعَى لِغَيْرِ أَبيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ كَفَرَ ، وَمَنِ ادَّعى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ نَسَبٌ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . متفقٌ عليه[٣] .

حكم القيام للشخص :

القيام ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

قيامٌ للشخص .. وقيامٌ عليه .. وقيامٌ إليه .

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٣٢٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٧٦٨)مسلم برقم: (١١٣/ ٦٢)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٥٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١١٢/ ٦١).

فالقيام له أن تقوم إذا دخل عليك رجلٌ إجلالًا له وإكرامًا ، والقيام إليه أن تقوم إليه وتخطو خطواتٍ لاستقباله وإكرامه ، فهذا جائزٌ لقول النبي ﷺ للأنصار : « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » . متفقٌ عليه[1] .

والقيام على الشخص أن تقوم على رأس الكبير أو الرئيس تعظيمًا له ، هذا لا يجوز إلا إذا كان في ذلك إغاظة للمشركين ؛ لأن النبي ﷺ نهى أن نقوم على غيرنا كما تقوم الأعاجم على ملوكها .

أما إذا كان في ذلك حراسه له ، وإغاظة للمشركين ، فهذا محمود كما قام المغيرة بن شعبة على رسول الله ﷺ ، وقريش تراسله في صلح الحديبية .

حكم السلام على الكفار :

لا يجوز أن نبدأ الكفار بالسلام ؛ لأن السلام دعاءٌ وإكرام ، وهم لا يستحقونه .

فإن سلموا وجب الرد عليهم ، ولا يجوز لنا السلام عليهم .

ولا يخلو سلام الكفار علينا من أحوال :

فإن كان صريحًا ، كالسلام عليكم ، نرد عليهم بقولنا : وعليكم السلام ، أو وعليكم ، وإن صرحوا بقولهم : السام عليكم ، فنرد عليهم بقولنا : وعليكم، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء:٨٦] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « لاَ تَبْدَؤوا اليَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بالسَّلامِ ، فإذَا لَقِيْتُم أحَدَهُم فى الطَّريق ، فَاضْطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ » . أخرجه مسلم[2] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٦٢) مسلم برقم: (٦٤/ ١٧٦٨)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٣/ ٢١٦٧).

وعن أنس ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ ، فَقُولُوا : وَعَلَيْكُم » . متفقٌ عليه[1] .

وإذا كانت هناك مصلحة من جلب خير ، أو دفع شر ، كأن يُرجى إسلامه أو اتقاء شره ، فيجوز أن نبدأه ، ونقول له : كيف أصبحت ؟ ، كيف أمسيت ؟ ، كيف حالك ؟ ؛ لأن النبي ﷺ نهى المسلمين عن بداءة الكفار بالسلام .

فقه أحكام الشريعة :

بين النبي ﷺ لأمته أربعة أمور عظيمة :

الأول : أن الله تعالى فرض فرائض فلا يجوز تضييعها ، وأعظم الفرائض التوحيد والإيمان، توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيد الله بالعبادة ، وتوحيد الرسول ﷺ بالإتباع ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ثم الصلوات الخمس ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، والواجبات سواءً كانت فرض عين أو فرض كفاية : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل:٨٩] .

الثاني : أن الله تعالى حد حدودًا ، فلا يجوز تعديها ، فجعل للأحكام حدودًا في مقدارها وأوقاتها وصفتها ، لا يجوز تعديها كالصلوات، وأنصبة الزكاة ، والصيام ، والحج وغيرها ، وجعل للمعاصي حدودًا لا يجوز تعديها كحد الزنا ، وحد السرقة ، وحد القذف وغيرها : ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾** ﴾ [البقرة: ٢٢٩] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٢٥٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٦/ ٢١٦٣).

الثالث : أن الله حرم أشياء ، فلا يجوز انتهاكها ، فحرم سبحانه الظلم والبغي والفواحش ، وحرم الشرك والقتل بغير حق ، والسحر والقذف ونحو ذلك من الكبائر : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

الرابع : أن الله سكت عن أشياء رحمةً بنا ، فلا يجوز البحث عنها .

فسكت سبحانه عن أشياء لم يوجبها علينا ، ولم يحرمها علينا ، رحمةً بنا ، ولو شاء لأوجب علينا ما شاء ، وحرم ما شاء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

والله يتكلم بما يشاء ، ولكننا لا نعرف كيف يتكلم ، ولا متى يتكلم ، ولا بم لا يتكلم ، والله مستوٍ على عرشه ، ولكننا لا نعلم عن كيفية الاستواء ، وينزل سبحانه إلى السماء الدنيا كل ليلة ، ولكننا لا نعلم كيفية النزول ، وسكت سبحانه عن أشياء لولا رحمته لألزمنا بها :﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص:١-٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه:٨] .

فالله ﷻ بين أشياء يجب أن نفعلها ، ونهى عن أشياء يجب أن نجتنبها ، وسكت عن أشياء فلا نسأل عنها ، ولا نبحث عنها : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧].

حد المعاملات الممنوعة :

المعاملات الممنوعة شرعًا مبناها على ثلاثة أشياء :

الربا .. والظلم .. والغرر .

فكا معاملة اشتملت عل ه احد م هذه الثلاثة فالشء قد ح مها ، وما عدا ذلك فهو حلال ؛ لأن الأصل في المعاملات الحل والإباحة : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف:-٣٢] .

وينبغى للمسلم فى باب المعاملات ، أن يُغلب الحل ، حتى يتبين له دليل التحريم ؛ لأن تحليل المحرم أهون من تحريم الحالال ؛ لأن تحليل المحرم فى المعاملات مبنيٌ على أصل ، وهو أن الأصل في الأشياء والمعاملات الإباحة : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[البقرة:٢٩] .

أما تحريم الحلال فمبنيٌ على غير أصل ، وفيه تضييقٌ على العباد بغير برهانٍ من الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[النحل:١١٦-١١٧] .

ما تُحفظ به الحقوق :

الأشياء التى تُحفظ بها الحقوق أربعة :

الشهادة .. والضمان .. والكفالة .. والرهن .

فالشهادة يُستوفى بها الحق ، والضمان والكفالة والرهن يُستوفى منها الحق إذا تعذر الوفاء .

جائز التصرف :

جائز التصرف من الناس من جمع أربعة أوصافٍ هي :

البلوغ .. والعقل .. والحرية .. والرشد .

فالصغير والمجنون ، والعبد والسفيه ، لا يُمكن من التصرف .

والرشد هو إحسان التصرف ، وهو فى كل موضع بحسبه .

فالرشد فى الدين استقامة الإنسان على الدين ، والرشد فى باب الولى فى النكاح معرفة الكفء، ومصالح النكاح، والرشد فى المال إحسان التصرف فيه بيعًا وشراءً ونحو ذلك، والرشيد فى العبادات من قام بالواجبات، وترك المحرمات ، والرشيد فى الأخلاق من تحلى بالخلق الجميل، وتخلى عن الخلق القبيح، والرشيد في العقل والرأي من يُحكم الأمور، ويحُسن التصرف.

والمرفوع عنه القلم من التكليف والإثم :

الصغير والمجنون ، والنائم والسفيه ، فهؤلاء مرفوع عنهم القلم باعتبار حق الله ، ولهذا لا يأثم المجنون والصغير ، والسفيه والنائم ، ولكن يلزمهم الضمان إذا أتلفوا شيئًا للآدمى ؛ لأن حقوق العباد مبنيةٌ على المشاحة ، وحقوق الله مبنيةٌ على المسامحة .

والإتلاف يستوي فيه الصغير والكبير ، والمتعمد والمخطئ ، والعاقل والمجنون، فلو جنى هؤلاء على نفس أو مال لزمهم أرش الجناية ؛ لأن حق الآدمى لا يُفرق فيه بين المكلف وغير المكلف ، فلابد من ضمانٍ لصاحبه ؛ فإن كانت دية فالدية على عاقلته ، وإن كانت دون ثلث الدية فهى على نفسه ، فإذا بلغ الصغير ، وعقل المجنون ، واستيقظ النائم ، ورشد السفيه ،

صاروا مكلفين كغيرهم : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

حكم الوكالة :

الوكالة استنابه جائز التصرف مثله فيما تدخله النيابة .

والوكالة جائزةٌ بالنسبة للموكل ، سنةٌ بالنسبة للوكيل ، لما فيها من الإحسان لأخيه ، وقضاء حاجته .

وتصح الوكالة بكل قولٍ يدل عليها كسائر العقود ، ويصح التوكيل بالقول أو الفعل أو الكتابة فى القليل والكثير .

وتصح الوكالة مؤبدة ومؤقتة ، ومطلقة ومقيدة ، ويصح قبولها على الفور والتراخى ، وقد وكل النبى ﷺ فى العبادات والمعاملات ، ووكل علياً أن ينحر له بقية الهدي فى الحج ، ووكل رجلًا أن يشتري له أضحية .

ما يوكل فيه الإنسان غيره :

كل من له التصرف فى شىء فله أن يوكل فيه ، وله أن يتوكل .

ويصح التوكيل فى كل حقٍ تدخله النيابة من العبادات .

وحق الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : قسمٌ يدخله التوكيل مطلقًا ، وهى العبادات المالية كالزكاة والصدقة والكفارة فيجوز التوكيل فى إحصائها وتوزيعها .

الثانى : ما لا تدخله النيابة مطلقًا كالصلاة والوضوء ونحوهما ، فهذا لا تدخله الوكالة مطلقًا ، فلا يجوز أن يوكل من يتوضأ عنه أو يصلي عنه ؛ لأن الوضوء والصلاة عبادة تتعلق بالبدن .

الثالث : العبادات التى تصح فيها الوكالة على التفصيل : كالحج ، فيجوز التوكيل في فرض الحج لمن لا يستطيع أن يحج ، والأصل في حقوق الله

أنها لا تصح فيها الوكالة ؛ لأن حقوق الله المقصود بها التعبد لله ، والتوكيل فيها يفوت المقصود منها ، وهو التعبد والتذلل لله ﷻ ، لكن يُقتصر على ما ورد فيه الوكالة كالحج والعمرة .

والحج وردت النيابة فيه عن صنفين من الناس :

الأول : من مات قبل أداء الفريضة ، فإنه يحج عنه .

الثانى : من كان عاجزًا عن الفريضة عجزًا لا يُرجى زواله ، فهذا يحج عنه كما ورد فى السنة .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كَانَ الفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِّ ﷺ ، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ ، فَجَعَلَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ النَّبِىُّ ﷺ ، يَصْرِفُ وَجْهَ الفَضْل إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِّ إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِّ عَلَى عِبَادِهِ فِى الحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِى شَيْخًا كَبِيرًا ، لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ » . متفقٌ عليه[1] .

حكم التوكيل فى الخصومات :

من يريد التوكيل لا يخلو من أحوالٍ ثلاثة :

الأول : أن نعلم أنه محق ، لكن خصمه خصم جدل .

فهذا يجوز أن نقبل منه الوكالة فى الخصومة ، بل قد يجب أو يستحب ، لما فيه من إنقاذ حق أخيك ونصرته ، بإيصال الحق إليه ، ونصرة الظالم لمنعه من الظلم كما قال النبى ﷺ :« انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قِيلَ: كَيْفَ نَنْصُرُهُ إذا كان ظَالِمًا؟، قَالَ: أن تحجزه أو تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ ».أخرجه البخاري[2].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١٥١٣)، والفظ له، ومسلم برقم: (٤٠٧/ ١٣٣٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٩٥٢) .

الثاني : أن نعلم أن الموكل مبطل ، فهذا لا يجوز له أن يوكل غيره ، ولا يجوز لأحدٍ أن يتوكل عنه ، لما فيه من التعاون على الإثم والعدوان : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ ﴾ [المائدة:٢] .

الثالث : أن نتردد ، فلا نعلم أمحق هو أم مبطل ؟ فهنا السلامة لا يعدلها شيء ، فمن اتقى الشبهات فقد إستبرأ لدينه وعرضه .

قال النبى ﷺ : « إن دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وأعراضكم حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِى شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » . متفقٌ عليه(١) .

حكم المحاماة :

المحامى من الناس له حالتان :

الأولى : إن كان يحامى عن شخص عاجز عن دفع الظلم عن نفسه فيتوكل عنه لأخذ حقه ، ودفع الظلم عنه، فهذا خير ؛ لأنه من التعاون على البر والتقوى وهو دائرٌ بين الوجوب والاستحباب ، ولو كان بعوض : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ ﴾ [المائدة: ٢] .

الثانية : أن يحامى من أجل أن يحصل على المال ، سواء كان الموكل له محقًا أو مبطلًا ، فهذا لا يجوز ، فإن علم أنه مبطلٌ صار ذلك أشد تحريمًا ، وأعظم إثمًا ، وعلى هذا فيجوز التوكيل فى الخصومة إذا علم وتبين له أن موكله محقٌ وعاجز ؛ لأن الأصل فى المعاملات الحل ، فأي إنسانٍ يطالب بدليل أي معاملة فيُقال له : الدليل عليك أنت ، هات الدليل على التحريم ، وأنا أعمل به .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٧٣٩) ، ومسلم برقم(٢٩/ ١٦٧٩) ، واللفظ له.

أما العبادات فالأصل أنه لا عبادة إلا بدليل شرعي من قرآنٍ أو حديثٍ صحيح .

عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال : » . : مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدّ ». متفق عليه[1].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ، ومسلم برقم: (١٧/ ١٧١٨).

٣- الخزانة الثالثة

أقسام الحكم الشرعى :

الحكم الشرعى قسمان :

الأول : الحكم التكليفي ، وهو ما يترتب عليه الثواب والعقاب .

الثانى : الحكم الوضعى ، وهو ما يترتب عليه الصحة والفساد .

فقولنا : جائزٌ فى الحكم الوضعى نعنى به ضد اللازم يعنى يجوز فسخه بدون رضا الآخر ، فالوكالة مثلًا عقد جائز ، فلكل منهما فسخها ، وضده اللازم كالبيع والإجارة ونحو ذلك .

وقولنا : جائزٌ فى الحكم التكليفى نعنى به ضد المحرم لا إثم فيه ، فالبيع عقد جائز ، والربا عقدٌ محرم والنكاح عقدٌ جائز وهكذا .

فقه الصحيح والمحرم :

كل صحيح فهو جائز ؛ لأن الصحة فرعٌ عن الجواز فى الحكم الشرعى لا الوضعى ، وليس كل محرم غير صحيح ، منتظر فإن عاد التحريم إلى ذات الشىء كالجهالة والغرر فى البيع أو الربا أو الظلم ، فهو غير صحيح ، وإن عاد التحريم إلى أمرٍ خارج ، فإنه صحيح ، ولكنه آثم .

فتلقى الركبان محرم ، والشراء من الركبان محرم ، لكن البيع صحيح ، لكنه لا يعود إلى جهالة المبيع ولا إلى الربا ، وإنما يعود إلى تغرير البائع ، ولهذا له الخيار إذا قدم البلد ودخل السوق ، وكل عقدٍ محرم لا تترتب عليه آثاره ، فالبيع الفاسد لا يملك المشتري السلعة ، ولا البائع الثمن .

حكم الإجارة :

الإجارة هي عقدٌ على منفعةٍ معلومة ، أو على عمل معلوم .

فالمنفعة المعلومة كسكن الدار بأجرة سنة مثلًا ، والعمل المعلوم كأن يستأجر بناء ليبنى له جدارًا أو بيتًا ، وهى نوعٌ من البيع ؛ لأنها بيع منافع ولهذا تحرم بعد نداء الجمعة الثاني ، ويحرم عقد الإجارة في المسجد كالبيع .

والإجارة عقد جائز، فإذا تم الاستئجار صارت لازمة ، ولا تصح الإجارة إلا بأربعة شروط :

الأول : معرفة المنفعة كسكنى الدار ، وخدمة آدمي .

الثانى : معرفة الأجرة .

الثالث : إباحة نفع العين ، فلا تصح على نفعٍ محرم كالزنا وسقي الخمر ونحوهما .

الرابع : أهلية المؤجر والمستأجر ، بأن يكون جائز التصرف .

حكم تأجير الزوجة نفسها :

لا يجوز للزوجة أن تؤجر نفسها فى تعليم أو تمريض ونحوهما إلا بإذن زوجها ؛ لأن المرأة إذا تزوجت إنسانًا ملكها ، فالزوجة عوان أي أسيرة عند زوجها مملوكة ، ونفعها مملوكٌ للزوج ، فوقتها مملوكٌ للزوج ، ولهذا لا تصوم تطوعًا إلا بإذن الزوج ، وإذا طلبت من الزوج أن تعمل فى التدريس مثلًا وأذن لها جاز ، ويجوز لوليها أن يشترط عند العقد أن تؤجر نفسها ؛ لأن المسلمين على شروطهم .

وإن استؤجرت على عمل مشترك كخياطة ثوب أو خصف نعل ، فهنا لم تؤجر نفسها ، وإنما استؤجرت على عمل ، فهنا إن كان هذا يشغلها عن

حقوق الزوج لم يجز لها ذلك إلا بإذن الزوج ، وإن كان لا يشغلها عن حقوق الزوج ، ولم يضر بسمعة الزوج فلا بأس بذلك .

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَا أَنْفَقَتْ مِنْ نَفَقَةٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ يُؤَدَّى إِلَيْهِ شَطْرُهُ » . متفقٌ عليه[1] .

حكم الغناء :

الغناء هو تلحين الكلام أو القصيدة بصوتٍ جميلٍ مؤثر .

والغناء ثلاثة أقسام :

مباحٌ .. ومكروهٌ .. ومحرم .

فالغناء المحرم يدور على شيئين :

الأول : أن يكون موضوع الأغنية فاسداً ، كوصف النساء والمردان والخمر وما أشبه ذلك من المحرمات ، فهذا محرمٌ لذاته .

الثانى : أن يكون موضوع الأغنية غير محرم ، ولكنه مصحوبٌ بآلة لهو محرمة ، كآلات العزف والموسيقى والعود ونحوها ، فهذا حرامٌ لما صاحبه من الآلات المحرمة أو الرقص .

أما الغناء المباح فمثل حداء الإبل ، أو الغناء على الأعمال المباحة يستعان به على التعب ، إذا اشتمل على مصلحةٍ شرعية ، أو غرضٍ صحيح كبناء المسجد أو الدار ، أو رصف الطريق ، أو إذا اشتمل على الخير والشجاعة وكان بعيدًا عن الفحش والخناء كما كان الصحابة ينشدون وهم يبنون المسجد مع النبي ﷺ ، وكانوا يقولون وهم ينقلون الصخر ، وهم يرتجزون

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٥١٩٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٨٤/ ١٠٢٦).

والنبي ﷺ معهم وهو يقول : « اللَّهُمَّ لَا خير إِلَّا خير الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ للْأَنْصَارِ والمهاجرة » . متفقٌ عليه[1] .

وأما الغناء المكروه فمثل ما أشغل عن فعلٍ مستحب ، وليس فيه ضررٌ أو فتنة .

فقه الأحكام :

إذا نص الشرع على شيءٍ له فائدة وقت الرسالة ، ثم عدمت فائدته أو منفعته التى كانت فى وقت الرسالة كالشعير والإقط فى زكاة الفطر ، ففى وقتنا فى بلاد الحرمين ليسا قوتًا ، وفي زمن الرسالة هما قوتٌ للناس ، وكالسباق على الخيل ونحو ذلك .

فهنا يُنظر للمنفعة والمصلحة ، ويُنظر للمعنى والعلة التي شرع الله ذلك من أجلها .

فإذا كان الشعير غير قوتٍ للناس فلا يُجزيء ، وإذا كان السباق على الخيل للتجارة لا للتدرب على الكر والفر من أجل الجهاد فى سبيل الله ، والسباق على الأقدام إذا كان للتجارة لا للتدريب ، فلا يجوز ذلك ؛ لئلا ينشغل الناس بها ويتخذونها تجارةً تلهيهم عن ما هو أهم منها : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

تبعيض الأحكام :

الأحكام أحيانًا تتبعض ، فإذا وجدنا ما يثبت أحدهما من وجه دون الآخر ، حكمنا بالوجه الثابت ، وتركنا الذي لم يثبت ، فإذا ادعى شخصٌ مثلًا على

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٤٢٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٢٩/ ١٨٠٥).

آخر أنه سرق ماله من بيته ، وأتى على ذلك برجلٍ وامرأتين ، فهذه تضمنت حكمين : ضمان المال ، وقطع اليد .

فالحد لا يثبت إلا بشهادة رجلين ، والمال يثبت بشهادة رجل وامرأتين ، ففي هذه الحال يضمن السارق المال ولا تقطع يده، لوجود مقتضى أحدهما دون الآخر، وذلك لأن الحد لا يثبت إلا بشهادة الرجال دون النساء .

الفرق بين الملك والاختصاص :

الملك هو تملك الدراهم أو السيارات أو المزارع أو الأشياء ونحوها .

والاختصاص هو الشيء الذي لا يُملك ، ولكن صاحبه أخص به مثل كلب الصيد ، فهذا لا يُملك ، ولهذا لا يُباع ولا يُشترى ، فإذا استغنى عنه أعطاه غيره ، ولا يجوز بيعه ، ومثل السرجين النجس كروث الحمير فصاحبه أخص به ، وليس بمال ، ولهذا لا يُباع ولا يُشترى .

حكم تصرفات الغاصب :

الغصب هو الاستيلاء على حق غيره قهرًا بغير حق من عقارٍ ومنقولٍ ومالٍ .

وجميع تصرفات الغاصب من حيث الحكم التكليفي كلها حرام .

ومن حيث الحكم الوضعي، ومن حيث الصحة والنفوذ، تنقسم إلى قسمين:

الأول : ما له حكمٌ من صحة أو فساد يكون تصرف الغاصب فيه باطلًا وجوده كعدمه ، لأن ما بنى على الباطل ، فهو باطل فلو باع المغصوب مثلًا كسيارة أو وقفها وأجرها ، فكل ذلك باطل ؛ لأن الغاصب لا يملك المغصوب ، ولا يملك التصرف فيه ، وفعله محرم ، فإن أجازها المالك فهي صحيحة ، لأن المال له .

الثاني : ما ليس له حكم ، يكون تصرف الغاصب فيه نافذًا كما لو غصب ماءً فأزال به نجاسةً في ثوبه ، فإن الثوب يطهر ، ولكنه آثم .

حكم المعاملات بين الخلق :

المعاملات بين الخلق لا يُعذر فيها بالجهل ، أما العبادات فيُعذر فيها بالجهل ؛ لأنها معاملةٌ بين المخلوق وخالقه ، وحقوق الله ﷻ مبنيةٌ على المسامحة والرحمة بالخلق ، فمن كسر وأتلف مال غيره ضمنه صغيرًا كان أو كبيرًا ، متعمدًا أو مخطئًا ، ومن صلى بغير وضوءٍ جاهلًا فلا إثم عليه ، لكن عليه أن يتوضأ ، ويعيد الصلاة المفروضة .

حكم المعازف :

المعازف هي آلات العزف الموسيقية ، وتحرم جميع آلات العزف ، ويستثنى من ذلك استعمال الدف في المناسبات ، فالسنة جاءت بجوازه كاستعمال الدف في الأعراس ، واستعمال الدف في الأعياد ، واستعمال الدف عند قدوم الغائب الكبير الذي له إمرة ، كل هذا جاءت به السنة ، وكل ماعدا الدف من آلات الزمر والعزف والموسيقى فهو محرم ، وكل ماعدا الأحوال التي رُخص فيها بالدف فهي حرام : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر : ٧] .

وقال رسول الله ﷺ : « لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ والحريرَ، والخَمْرَ والمَعَازِفَ ولينزلَنَّ أقوامٌ إلى جنبِ عَلَمٍ، يروحُ عليهم بسارحةٍ لهم، يأتيهِم-يعني الفقيرَ- لحِاجةٍ فيقولوا : ارجِع إلينا غدًا، فيبيِّتُهمُ اللهُ، ويضَعُ العَلَمَ، ويمسخُ آخرينَ قِرَدةً وخنازيرَ إلى يومِ القيامَةِ ». أخرجه البخاري معلقًا [1].

فيجب على ولاة أمور المسلمين تكسير آلات العزف وإتلافها ، وعدم السماح ببيعها، لأنهم مسئولون عن الأمة ، وهم قادرون على إزالة المنكر ،

(١) أخرجه البخاري معلقاً برقم: (٥٥٩٠).

لئلا تشيع الفاحشة والمنكر في أمتهم، وإذا اتقوا الله ﷻ في الأمة اتقت الأمة ربها فيهم، ومن أذل الخلق في طاعة الله أعزه الله بهذه الطاعة .

وجميع المعاصي ضرر على العاصي ، وعلى الأمن ، وعلى الولاة ، وعلى الأمة، لأن النفوس إذا أبعدت عن الخالق لم ترحم المخلوق ، وهذه الأشياء تُبعد الخلق عن الخالق ، لأنها تلهي وتصد عن سبيل الله ، وعن ذكر الله ، وعن الصلاة، وهي أسلحة الشيطان التي يقتل بها من أطاعه ويجره إلى النار : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾ [المائدة:٩٠ - ٩١] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾ [النور: ٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر:٦].

حكم العمل للغير بلا عقد :

من عمل للغير عملًا بلا عقد فليس له شيء إلا في ثلاث حالات :

الأولى : إنقاذ مال المعصوم من الهلاك ، من حريق أو غرق ونحوهما .

فهذا يُعطى أجرة المثل ، تشجيعًا للناس على المبادرة لحفظ الأموال: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة:٢] .

الثانية : رد العبد الآبق من سيده .

الثالثة : إذا أعد الإنسان نفسه للعمل كخياط وحداد ونحوهما ، فإذا أعطوه ثوبًا من أجل أن يخيطه ، فله أجرة المثل .

ولكن من المروءة والإحسان أن تكافئ كل محسن إليك ، لأنه عمل بك معروفًا ، ولما فيه من تشجيع الناس على فعل الخير ، وأداء الأمانة ، وفعل ما يجلب المحبة ، وحفظ الأموال .

قال النبي ﷺ : « من صنع إليكم معروفًا فكافِئوه ، فإن لم تجدوا ما تُكافِئوه به ، فادعوا له » . أخرجه أحمد[1] .

حكم من وجد مالًا :

من وجد مالاً فله ثلاث حالات :

الأولى : أن يعلم أن صاحبه تركه رغبة عنه ، فهذا لواجده ، كما يوجد بعض الكراسي والأواني المرمية في الأسواق والصحاري ونحو ذلك مما استغنى عنه أهله .

الثانية : أن يكون مما لا تتبعه همة أوساط الناس كقلم ومال زهيد وعصا ونحوه ، فهذا من وجده فله أخذه إن لم يعلم صاحبه .

الثالثة : أن يكون مما تتبعه همة أوساط الناس ، فهذا يجب أن يُعرف سنة ، ولا يتركه ليأخذه غيره .

أما لقطة مكة فلا تحل إلا لمنشد ، فإن عجز عن الوصول لصاحبها سلمها للحاكم ، ولا يتملكها أبدًا ، فالفرق بين اللقطة واللقيط أن اللقطة هي ضياع الأموال ، واللقيط ضياع الآدميين ، وميراث اللقيط إن لم يكن له ورثة لواجده ، وديته كذلك .

---

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم(٥٧٠٣) ، وأبو داود برقم (٥١٠٩) .

٤ - الخزانة الرابعة

حد الأولياء :

الأشخاص الذين يتصرفون لغيرهم أربعة :

الوكيل .. والوصي .. والناظر .. والولي .

فالوكيل : يكون في حال الحياة كما لو وكَّله لشراء سيارة له .

والوصي : من أذن له في التصرف بعد موت الموصي كما لو قال : أوصيت فلانًا بتوزيع الثلث أو برعاية أولادي .

والناظر : هو الوكيل على الوقف كأن يقول : وقفت بيتي على الفقراء والناظر عليه فلان ، أو من اتصف بالعلم ونحوه .

والولي : من كان يتصرف بإذن من الشارع ، كولي اليتيم ، وولي النكاح ، فهذان ولاَّهما الله .

أما الوكيل والوصي والناظر، فهؤلاء يتصرفون بإذن المالك ، فيتعين الناظر على الوقف إما بالشخص كزيد مثلا أو بالوصف كالعالم أو القاضي أو الأمير .

حكم الهبة :

الهبة : هي التبرع بالمال حال الصحة ، أو مرض غير مخوف .

والعطية: هي التبرع بالمال في مرض الموت المخوف، فهي أخص من الهبة.

وخروج المال بالتبرع يكون هبة ، ويكون هدية ، ويكون عطية ، ويكون صدقة .

فما قصد الإنسان به نفع المعطي فهو هبة ، وما قصد به التودد والتأليف فهو هدية ، وما قصد به ثواب الآخرة لذاته فهو صدقة ، فلكل تبرع معنى ، وفيه

ثواب من الله ﷻ ، لكن الهبة والهدية والعطية لم يقصد فيها الثواب قصدًا أوليًا ، ولهذا تخص بشخص معين ، أما الصدقة فالثواب مقصود فيها قصدًا أوليًا ، ولهذا تستحب لأي فقير .

وتصح هبة المعلوم والمجهول ، فالمعلوم كأن يهبه هذا القلم ، والمجهول كأن يهبه حملًا في بطن ، أو ما في هذه الدار ، لأنه لا يترتب عليه شيء ، فإن وجده كثيرًا فهو غانم ، وإن كان قليلاً فلا ضرر عليه .

فالهبة عقد تبرع ، والإنسان فيها إما غانم أو سالم ، وليست من الميسر الدائر بين الغنم والغرم ، فتصح هبه المجهول سواء تعذر علمه أو لم يتعذر .

أصل التبرعات :

الغالب أن الهدية تكون من الأدنى إلى الأعلى ، لأن الأدنى يريد التودد إلى الأعلى ، ليستفيد منه ، أو ليشكره على إحسانه .

والهبة تكون مع المساوي ومع من دونه ، لأن الواهب يريد نفع الموهوب ، وكذلك العطية .

والصدقة تكون من الأعلى إلى الأدنى ، لأن الأعلى يريد التقرب إلى الله بالإحسان إلي الأدنى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة : ١٩٥] .

وعقود التبرعات كالوقف ، والهبة ، والهدية ، والعطية ، والصدقة ، أوسع من عقود المعارضات من وجه ، وأضيق من وجه .

فعقود المعاوضات كالبيع والإجارة تجوز حتى ممن عليه الدين ، أما التبرعات فلا تجوز ممن عليه دين لأن قضاء الدين واجب، والتبرعات سنة ، والواجب يقدم على السنة ، وعقود التبرعات تجوز في الأشياء المعلومة والمجهولة ، أما المعاوضات فلا تجوز إلا في الشيء المعلوم من عقار ومنقول .

حكم أخذ الوالد من مال ولده :

يجوز للأب أن يأخذ من مال ولده ، سواء كان ذكرًا أو أنثى ، لكن لا يجوز ذلك إلا بشروط :

أولاً : ألا يضر الولد .

ثانيًا : ألا يأخذ ما يحتاجه الولد .

ثالثًا : أن يكون الأب حرًا .

رابعًا : ألا يكون الولد أعلى منه في الدين ، فلا يأخذ الأب الكافر من مال ابنه المسلم ، ويجوز أن يأخذ الأب المسلم ، من مال ولده الكافر ؛ لقول النبي ﷺ : « أنتَ ومالُكَ لِأبيكَ » . أخرجه أحمد وابن ماجة [1].

فقه مقاصد النكاح :

ينبغي للمسلم إذا أراد الزواج أن يقصد بذلك امتثال أمر الله ورسوله في النكاح ، وتكثير نسل الأمة الإسلامية ، وتحصين فرج زوجته ، وغض بصره وبصر زوجته ، وإعفاف نفسه ، وقضاء شهوته ، فإن نوى ذلك فله بكل واحدة أجر من ربه ، لأن الأعمال بالنيات .

عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى » . متفق عليه[2] .

شروط جواز النظر إلى المخطوبة :

يشرع لمن أراد الزواج أن ينظر إلى مخطوبته ، فإن ذلك أدعى لأن يؤدم بينهما .

---

(١) صحيح / أخرجه ابن ماجة برقم: (٢٢٩١)، وأحمد برقم: (٦٩٠٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (١) ، ومسلم برقم: (١٥٥/ ١٩٠٧)، واللفظ له.

ويشترط لجواز النظر للمخطوبة ستة شروط :

الأول : أن يكون النظر بلا خلوة .

الثاني : أن يكون بلا شهوة .

الثالث : أن يغلب على ظنه الإجابة .

الرابع : أن ينظر إلى ما يظهر غالبًا منها كالوجه واليدين والقدمين .

الخامس : أن يكون عازمًا على الخطبة والنكاح .

السادس : ألا تظهر المرأة للخطيب متبرجة متطيبة ، لأن المقصود الاستعلام لا الاستمتاع : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣] .

المرأة المبانة :

المرأة المبانة : هي التي فارقها زوجها في الحياة فراقاً بائنًا ، لا يستطيع الرجوع إليها ، وهي إما أن تكون مطلقة آخر ثلاث تطليقات ، أو مطلقة على عوض وهو الخلع ، أو مفسوخة فسخًا لا طلاقًا ، كما لو وجد بها عيبًا ففسخ النكاح ، أو وجدت به عيبًا ففسخت النكاح .

حكم خطبة المعتدة :

خطبة المعتدة لها ثلاث حالات :

الأولى : تحرم الخطبة تصريحًا وتعريضًا ، وهي خطبة الرجعية من غير زوجها ، لأنها زوجة ، ومثلها المبانة بثلاثٍ من زوجها .

الثانية : تجوز تصريحًا وتعريضًا لزوج أبان زوجته بغير الثلاث بطلاق على عوض أو فسخ ، لأن العدة له ، ويجوز له أن يتزوجها بعقد ومهر جديدين .

الثالثة : يحرم التصريح ، دون التعريض ، في خطبة المبانة من غير الزوج ، والمعتدة من وفاة .

أقسام الذبح :

الذبح إزهاق الروح بإراقة دم الحيوان المأكول على وجه مخصوص .

والذبح يكون على وجوه أربعة :

الأول : أن يقصد بالذبح تعظيم المذبوح له ، والتذلل له ، والتقرب إليه ، فهذا عبادة لا يكون إلا لله تعالى وحده ، وصرفه لغير الله شرك كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .

الثاني : أن يقصد به إكرام الضيف ، أو وليمة عرس ونحو ذلك ، فهذا مأمور به شرعًا .

الثالث : أن يقصد به الاتجار أو التمتع بالأكل ونحو ذلك، فهذا مباح شرعًا.

الرابع : أن يقصد به العبث واللعب ، فهذا فعل محرم ، لما فيه من الاستهانة بنعم الله ، ولما فيه من إضاعة المال ، وتجاوز حدود الله : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [الطلاق: ١] .

حكم الاستغاثة :

الاستغاثة طلب الغوث والإنقاذ من الشدة والهلاك .

والاستغاثة أقسام :

الأول : الاستغاثة بالله ﷻ وحده ، وهذا من أفضل الأعمال وأكملها ، وهو دأب الرسل وإتباعهم من المؤمنين :﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[الأنفال:٩]

الثاني : الاستغاثة بالأموات أو الأحياء الغائبين القادرين على الإغاثة ، هذا شرك ، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًا في الكون ، فيجعل لهم حظًا من الربوبية فيدعوهم :﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوَنِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ

﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الزمر:٦٤-٦٦] .

قال الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

الثالث : الاستغاثة بالأحياء الحاضرين القادرين على الإغاثة فيما يقدرون عليه كالاستغاثة ممن وقع في بئر ماء أو من التهمه الحريق ، فهذا جائز .

قال الله تعالى عن موسى ﷺ :﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص:١٥-١٧] .

حكم الوليمة :

الحكمة من تقديم وليمة العرس إعلان النكاح وإظهاره حتى يتميز عن السفاح ، وإطعام الفقراء ، وصلة الأرحام والأقارب ، وإظهار الفرح والسرور والمودة بين أهل الزوجين ، وشكر النعمة ، وهي مشروعة في حق الزوج ، لأن النعمة في حقه أظهر وأكبر ، لأنه طالب الزواج .

كما قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف : « أولمْ ولو بشاةٍ ». متفق عليه[1].

أقسام الولائم :

الولائم تنقسم إلى أربعة أقسام :

١- فمنها ما هو مسنون .

٢- ومنها ما هو مباح .

---

(١) متفق عليه ، أخرجه البخاري برقم (٣٩٣٧) ، ومسلم برقم (١٤٢٧) .

٣- ومنها ما هو مكروه .

٤- ومنها ما هو محرم .

فمن الولائم المحرمة أن يجتمع الناس إلى أهل الميت للعزاء ، ويصنع أهل الميت الطعام للمجتمعين ، فهذه محرمة ، لأنها من النياحة ، ومنها الوليمة على العزف والغناء والرقص ، وكل ما فيه إسراف .

ومن الولائم المكروهة الوليمة الثانية للعرس ، لأن فيها نوعًا من الإسراف : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [الأعراف:٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧ ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧] .

ومن الولائم المباحة ما يفعله بعض الناس عند حدوث ما يسر كالوليمة للختان ، لأن الأصل الإباحة ، حتى يقوم دليل المنع .

ومن الولائم المسنونة

وليمة العرس ، وفيها سُنة قولية وفعلية ؛ القولية ، قول الرسول ﷺ لعبد الرحمن بن عوف : « أولمْ ولو بشاةٍ » . متفق عليه[1] .

والفعلية ، أنه ﷺ أولم على جميع نسائه .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٦٠٨٢)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٧٩/ ١٤٢٧).

حكم خروج المرأة من المنزل :

خروج الزوجة من المنزل له ثلاث حالات :

الأولى : أن يكون الخروج لا ضرر فيه على الزوج ، ولا ضرر عليها في خروجها ، فهذه ينبغي أن يأذن لها زوجها ، لأن منعها كبت لحريتها ، ولأنه قد يفسدها عليه .

الثانية : أن يكون في خروجها ضرر عليه ، أو ضرر عليها ، فقد ترى في الشارع والأسواق شابًا يعجبها فتتعلق به ، وقد تزور أحدًا من أقاربها فيفسدها عليه ، فهذه تمنع من الخروج ، درءًا لهذه المفسدة .

قال الله تعالى : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾[النساء:٣٤] .

الثالثة : أن لا يكون في خروجها خير ولا شر ، فهذه الأفضل أن يشير عليها ألا تخرج لقول الرسول ﷺ : « لا تمْنَعُوا إِماءَ اللهِ مساجِدَ اللهِ أو بيوت الله ، وبيوتهن خير لهن » . متفق عليه[1] .

وإن أصرت على الخروج فالأولى أن لا يمنعها ، فليعطيها شيئاً من الحرية لتزداد محبتها له ، وتطيب العشرة بينهما ، ولكل حال تصرف حكيم يناسبه :﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾[النساء:١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨﴾[البقرة:٢٢٨] .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٩٠٠) مسلم برقم: (١٣٦/ ٤٤٢)، واللفظ له.

إعلان النكاح :

إعلان النكاح يختلف في كل زمان ومكان ، بحسب أحوال الناس ، ومنه الضرب بالدف ، وأنوار الكهرباء على بيت الزوج بدون إسراف ، وأنوار الكهرباء على بيت الزوجة بدون إسراف ، وفي هذا الإعلان مصالح كبرى تظهر للزوجين وغيرهما ، وامتثال لأمر الرسول ﷺ : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٢] .

حكم إزالة الشعر :

إزالة الشعر لها ثلاث حالات :

مأمور به .. ومنهي عنه .. ومسكوت عنه .

فالمأمور به ، إزالة شعر العانة والشارب والإبط .

والمنهي عنه، حلق اللحية بالنسبة للرجال، والنمص بالنسبة للرجال والنساء .

والنمص هو إزالة شعر الوجه ، سواء كان الحاجبان أو غيرهما .

والمسكوت عنه ، قد عفا الله عنه كشعر ساقي المرأة والأولى أن لا يزال إلا إذا كان مشوهاً للمرأة ، لأن الله لم يخلقه إلا لحكمة : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

حكم الطلاق في النفاس :

النفاس كالحيض فيما يحل ويحرم ، ويجب ويسقط ، إلا الطلاق ، فيجوز أن يطلق الرجل زوجته في النفاس ، لأن النفاس يحسب من العدة ، بخلاف الحيض ، فالحائض لا تشرع في عدتها مباشرة ، أما النفاس فتشرع في العدة مباشرة .

حكم من قال لزوجته : أنت علي حرام :

إذا قال الزوج لزوجته أنت علي حرام فله ثلاث حالات :

الأولى : إن نوى به الطلاق فهو طلاق .

الثانية : إن نوى به الظهار فهو ظهار .

الثالثة : إن نوى به اليمين فهو يمين .

فإن نوى به اليمين ، فهو لم ينوِالتحريم ، لكن نوى الامتناع ، فهذه يمين يكفرها بكفارة يمين ، كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [التحريم: ٢] .

وإن نوى به الظهار ، فهو ظهار ، لأن معنى قوله : أنت علي كظهر أمي ، أنت حرام ، لا لأن أشد ما يكون عليه حرام ظهر أمه ، فعليه كفارة ظهار .

وإن نوى به الطلاق فهو طلاق ، لأنه صالح للفراق فتطلق واحدة ، فعلى هذا يحكم عليه بحسب نيته .

عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إنما الأعمالُ بالنياتِ ، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى » . متفق عليه[1] .

حكم الشك في الطلاق :

الأصل بقاء ما كان على ما كان ، واليقين لا يزول إلا بيقين ، فالأصل بقاء النكاح فلا يزول إلا بيقين الطلاق ، فمن شك بطلاق أو شرطه لم يلزمه ، وإن شك في عدده فطلقة واحدة ، فالأصل بقاء النكاح فلا يزول إلا بيقين.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) مسلم برقم: (١٥٥/ ١٩٠٧)، واللفظ له.

ومن أوقع الطلاق مع الشك ، فقد ارتكب محظورين :

الأول : التفريق بين الزوجين .

الثاني : إحلال هذه المرأة لغير الزوج ، وهي في عصمته ، وحرمانها من النفقة والميراث إذا مات ، وهذا كله محرم .

فالشك في الطلاق لا عبرة به ، لأن الأصل بقاء النكاح .

عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إنما الأعمالُ بالنياتِ ، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى » . متفق عليه[1] .

حكم تعليق الطلاق بالشرط :

تعليق الطلاق بالشرط ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون شرطًا محضًا ، فيقع به الطلاق .

مثاله : أن يقول لزوجته : إذا غربت الشمس فأنت طالق .

الثاني : أن يكون يمينًا محضًا ، فلا يقع به الطلاق ، لكن فيه كفارة يمين ، مثاله : أن يقول قاصدًا الامتناع لا الطلاق : إن أكلت هذا اللحم فأنت طالق.

الثالث : أن يكون محتملًا للشرط المحض واليمين المحض ، فهذا يُرجع فيه إلى نية المطلق .

مثاله : أن يقول لزوجته : إن خرجتِ من الدار فأنت طالق ، فإن قصد به الطلاق وقع ، لأنه شرط محض ، وإن أراد به منعها من الخروج بما يشبه القسم ، ولم يقصد الطلاق ، فلا يقع الطلاق وفيه كفارة يمين إن خرجت .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) مسلم برقم: (١٥٥/ ١٩٠٧)، واللفظ له.

وإذا علق الطلاق بشرط فله أن يسقطه قبل وقوعه ، لأنه حقه فله أن يسقطه ، عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال : « إنما الأعمالُ بالنياتِ ، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى » . متفق عليه[1] .

حكم الشرع في الإطعام :

الشرع من حيث التقدير في الإطعام الواجب ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : ما قدر فيه المدفوع ، والمدفوع إليه مثل فدية الأذى : ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾[البقرة:١٩٦] .

فهنا قدر المدفوع بنصف صاع ، والمدفوع إليه ستة مساكين .

الثاني : ما قدر فيه المدفوع فقط ، دون المدفوع إليه ، مثل صدقة الفطر ، فهي صاع من طعام من أرز أو بر ونحوهما، يجوز أن تعطى لواحد أو عشرة.

الثالث : ما قدر فيه المدفوع إليه ، دون المدفوع ، مثل كفارة اليمين ، كفارة الظهار ، كفارة الجماع في نهار رمضان .

أقسام الوطء :

وطء النساء على أربعة أوجه :

١- في النكاح .

٢- وفي الشبهة .

٣- وفي ملك اليمين .

٤- وفي الزنا .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) مسلم برقم: (١٥٥/ ١٩٠٧)، واللفظ له.

فالنكاح الشرعي تجب فيه العدة ، ونكاح الشبهة يجب فيه الاستبراء بحيضة لا العدة ، وملك اليمين يجب فيه الاستبراء لا العدة ، فلو جامع الرجل أمته فلا يجوز أن يبيعها أو يزوجها حتى يستبرئها بحيضة .

والزنا ، الزانية ليس عليها عدة ولا استبراء ، لكن إن حملت حرم على زوجها أن يجامعها حتى تضع الحمل ، لئلا يسقي ماءه زرع غيره ، وإن لم تكن متزوجة لم يصح العقد عليها حتى تضع الحمل .

٥- الخزانة الخامسة

مدة الحمل :

أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وغالبه تسعة أشهر ، ولا حد لأكثره ، فالله ﷻ يقول عن الإنسان : ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف:١٥] .

ويقول في آية أخرى : ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان:١٤] .

فإذا أخذنا عامين للفصال بقي ستة أشهر للحمل ، فهذا أقل مدة حمل ، فالله بين أقله وغالبه وهي تسعة أشهر ، وأكثره غير معلوم ، فقد يكون أربع سنين أو أكثر أو أقل ، وأقل زمن يتبين فيه خلق الإنسان واحد وثمانون يومًا وهو بدء المضغة المخلقة ، وغالب زمن يتبين فيه خلق الإنسان تسعون يومًا وتنفخ فيه الروح إذا تم له مائة وعشرون يومًا ، وهي أربعة أشهر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج:٥] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ أحدَكُم يُجمَعُ خلقُهُ في بطنِ أمِّهِ أربعينَ يومًا ثمَّ يَكونُ عَلقةً مثلَ ذلِكَ ، ثمَّ يَكونُ مضغةً مثلَ ذلِكَ ، ثمَّ يرسلُ الملَكُ فينفخُ فيهِ الرُّوحَ ويؤمرُ بأربعٍ ، كلِماتٍ ويقال له : اكتب رزقِهُ وأجلِهُ وعملِهُ وشقيٌّ أو سعيدٌ ، فوالَّذي لا إلَهَ غيرُهُ إنَّ أحدَكُم ليَعملُ بعملِ أَهْلِ الجنَّةِ حتَّى ما يَكونُ بينَهُ وبينَها إلَّا ذِراعٌ فيسبقُ عليهِ

الكتابُ فيعمل بعملِ أَهْلِ النَّارِ ، ويعملِ حتَّى ما يَكونَ بينَهُ وبينَها إلَّا ذراعٌ ثمَّ يسبِقُ عليهِ الكتابُ فيعمَل بعملِ أَهْلِ الجنَّةِ » . متفق عليه[1] .

حكم إلقاء الحمل :

للحمل في بطن الأم أربع حالات :

الأولى : أن يكون قبل أربعين يومًا حال النطفة، فهذا مكروه إلقاؤه أو محرم، ولا يباح إلا إن كانت الأم مريضة يخشى عليها ؛ لأنه معصوم .

الثانية : أن يكون بعد الأربعين يومًا حال كونه علقة ، وهنا يتحول الحمل من ماء إلى دم تعلق بجدار الرحم ، فهذا يحرم إلقاؤه ؛ لأنه في مرحلة ابتداء خلق الإنسان ، لكن يباح إلقاؤه عند الضرورة .

الثالثة : إذا كان الحمل مضغة مخلقة ، وهى فترة الأربعين الثالثة ، فهذا إلقاؤه محرم إلا إذا دعت الحاجة إليه والضرورة .

وفيما سبق ، إذا مات لا يغسل ولا يصلى عليه .

الرابعة : إذا نفخت فيه الروح ، فهذا إلقاؤه محرم ، ولو دعت إليه الضرورة ؛ لأن هذا الفعل قتل نفس بغير حق .

ومن نفخت فيه الروح له حالتان :

الأولى : أن يلقى في حال يعيش فيها كما لو حصل لأمه صعوبة في الوضع ، بشرط ألا يكون في ذلك خطر على حياته أو حياة أمه .

الثانية : أن يلقى قبل أوان نزوله كما لو بلغ خمسة شهور مثلًا ، هذا يحرم إلقاؤه ؛ لأن الغالب أنه لا يسلم ، لكن إن ماتت أمه وهو حي ، فيجب إخراجه ؛ لأن إنقاذ المعصوم من الهلكة واجب ، ولا يجوز إنزال من

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٣٢٠٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١/ ٢٦٤٣).

نفخت فيه الروح ، ولو كان خطرًا على أمه ، فإن مات هو وأمه ، فهذا حصل بفعل الله لا بفعلنا : ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس:١٧-٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾ [الطلاق: ١] .

حكم التبرع بالأعضاء :

لا يجوز لأحد أن يتصرف بشيء من بدنه إلا بإذن خالقه، فالآدمي كرمه الله ، وهو معصوم النفس، ولكن بعض من لا معرفة له جعلوه كالبهائم، يجوز إنزاله من بطن أمه إذا خشينا على أمه، كالحيوان يجوز إنزاله، لئلا تموت أمه.

وبينهما فرق ، فالحيوان مباح القتل ، لكن الإنسان معصوم الدم ، فاعلموا ذلك : ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [الممتحنة:١١] .

وقال الله تعالى : ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة:٩٦] .

وبعضهم جعلوا الآدمي كالسيارة ، فأباح نقل أعضاء الإنسان من شخص لشخص كما تنقل قطع الغيار من سيارة لسيارة ، وهذا إهدار لكرامة الآدمي السليم ، فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن يتبرع أحد بعضو من أعضائه لأن الإنسان ملك لله ، والتصرف في ملك الغير بدون إذنه محرم : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة:١٢٠] .

لكن من وجد من الناس كلية تباع مثلًا ، واحتاج إليها ، فهذه يجوز زرعها ؛ لأنها قطعت ، ولا يمكن أن تعود ، والإثم على من قطعها : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور:٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[النساء : ١١٥] .

أقسام الحقوق :

الحقوق الواجبة تنقسم إلى قسمين :

حقوق الله عز وجل .. وحقوق الخلق .

الأول : حقوق الخالق جل جلاله :

كالتوحيد والإيمان ، وعبادته وحده لا شريك له ، واجتناب الكفر والشرك والمعاصي .

وحقوق الله ﷻ ثلاثة أقسام هي :

الأول : ما هو خالص لله وحده كالتوحيد ، والإيمان بما يجب الإيمان به كالإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء: ١٣٦] .

الثاني : ما يتركب من حقوق الله ، وحقوق العباد ، كالزكاوات والصدقات ، والكفارات والنذور ، والهدايا والوصايا ، والأوقات والأضاحي ونحوها ، فهذه كلها قربة إلى الله من وجه ، ونفع للعباد من وجه آخر ، والغرض الأظهر منها نفع العباد ، وما وجب من ذلك أو ندب إليه ، فهو قربة لباذليه ،

ورزق لآخذيه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

الثالث : ما يتركب من حق الله ، وحق رسوله ﷺ ، وحق المكلف كالأذان والإقامة ، فحق الله التكبيرات والشهادة لله بالوحدانية ، وحق الرسول ﷺ الشهادة له بالرسالة ، وحق العباد ، الإعلام بدخول الوقت في الأذان ، والإعلام بقيام الصلاة في الإقامة .

وكذا الصلاة حق الله فيها كثير ؛ كالتكبير والتسبيح ، والركوع والسجود والتحيات وغيرها ، وحق الرسول ؛ الصلاة والسلام عليه ، والشهادة له بالرسالة .

وحق العبد ؛ الدعاء بالهداية ، والإعانة على العبادة ، ودعاء الاستفتاح ، والتسليم على نفسه : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ ﴾ [هود: ١١٤] .

ولهذا كانت الصلاة من أفضل الأعمال .

وكذا الجهاد في سبيل الله ، فحق الله فيه محو الكفر ، وإزالته من قلوب الكفار ، وكسر الأصنام والصلبان ، وحق المسلمين ، الذب عن أنفسهم وأموالهم ، وما يحصل لهم من الغنائم ، وحقه في نفسه دفعهم عنه وما يأخذه من الغنيمة : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

الثاني : حقوق الخلق على بعضهم :

وذلك بجلب المصالح لهم ، ودفع المفاسد عنهم ، **وهو ثلاثة أقسام** :

الأول : حقوق المكلف على نفسه :

كتقديم نفسه في الكساء والمسكن والنفقة ، وحقوقه في العلاج والنوم والأكل ونحو ذلك .

الثاني : حقوق بعض المكلفين على بعض :

فكل واحد له حقوق ، وعليه لغيره حقوق ، وضابطها تحصيل المصالح ، ودرء المفاسد لكل منهما ، ومن كل منهما: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ ﴾ [المائدة:٢]

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل:٩٠] .

ومن ذلك السلام ، ورد السلام ، وعيادة المريض ، وتشميت العاطس ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، وعدم التعاون على الإثم والعدوان ، وحقوق الأزواج والآباء والأولاد والجيران ونحو ذلك من ستر الزلات ، وتعليم الشريعة والقرآن .

وحقوق العباد قسمان :

١- حقوق في حياتهم كما تقدم .

٢- وحقوق بعد مماتهم من إكرامهم ، وغسلهم ، وتكفينهم ، وحملهم ، والصلاة عليهم ، ودفنهم ، وزيارتهم ، والاستغفار لهم .

الثالث : **حقوق البهائم والحيوان على الإنسان** :

بأن ينفق عليها ، ولا يحملها ما لا تطيق ، وأن يرفق بها ، ولا يجمع بينها وبين ما يؤذيها ، ويحسن ذبحها إذا ذبحها ولا يذبح أولادها أو غيرها بمرأى

منها : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾ [الأنفال:٢- ٤].

أقسام الأحكام الشرعية :

الأول : أحكام أجمع عليها الصحابة : فهذه يجب إتباعهم فيها .

الثاني : أحكام اختلف فيها الصحابة رضي الله عنهم : فنأخذ منها ما هو أقرب إلى الدليل الشرعي من قرآن أو سنة صحيحة .

الثالث : أحكام وقعت في زماننا ، ولم تقع في زمانهم ؛ فهذه نجتهد في معرفة حكمها عن طريق القياس على ما يشبهها في عهد الصحابة ، حسب القواعد الشرعية :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء:٥٩].

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥ ﴾ [الحديد: ٢٥] .

فقه المصالح والمفاسد :

إذا عظمت المصلحة أوجبها الله سبحانه في كل شريعة كالإيمان والتقوى والعدل وأمثالها .

وإذا عظمت المفسدة، حرمها الله في كل شريعة كالكفر والقتل والزنا والظلم والغصب وأمثالها .

فإن تفاوتت رتب المصالح والمفاسد، فقد يقدم الشرع بعض المصالح في بعض الشرائع على بعض ، ويخالف ذلك في بعض الشرائع ، وكذلك المفاسد .

فالقصاص في شريعة موسى واجب حقًا لله في حد الزنا والسرقة ، وهو في شريعتنا حق للعبد مقترنٌ بحقوق الرب ، وترجح فيه حق العبد على حق الرب في شرعنا ؛ وذلك نظرًا للجاني ، ولولي الدم .

وكذلك حرم الله النكاح بأكثر من امرأة في شرع عيسى ﷺ ؛ نظرًا للنساء ، حتى لا يتضررن بكثرة الضرائر والإماء ، وأباح الله سبحانه ذلك في شرع موسى ﷺ من غير حصر ، لمن قدر على القيام بحقوقه .

وأباح سبحانه في شرعنا الزيادة على واحدة ؛ نظرًا للرجال ، وحرم الزيادة على أربع ؛ نظرًا للنساء ، ورحمة بهن ، وجوز وطء الإماء من غير حصر ؛ نظرًا للرجال : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٣١ ﴾ [المعارج:٢٩-٣١] .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ٣ ﴾ [النساء:٣] .

التخفيفات في الشريعة الإسلامية :

الشرع كله يسر وسهولة وإحسان بقدر الاستطاعة، وتخفيفات الشرع أنواع :

الأول : تخفيف الإسقاط :

كإسقاط الجمعة والجماعة ، والحج والعمرة ، بأعذارها الشرعية المعلومة.

الثاني : تخفيف التنقيص :

كقصر الصلوات الخمس في السفر؛ بقصر الرباعية إلى ركعتين، وتنقيص ما عجز عنه المريض من أفعال الصلاة من قيام وركوع وسجود إلى القدر الميسور من ذلك كما قال الله ﷺ : « صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ».أخرجه البخاري [1].

الثالث : تخفيف التقديم :

كتقديم العصر إلى الظهر في الجمع في السفر والمطر والعذر المبيح ، وكذا تقديم العشاء إلى المغرب ، وتقديم الزكاة على حولها والكفارة على الحنث .

الرابع : تخفيف التأخير : كتأخير صلاة الظهر إلى العصر ، والمغرب إلى العشاء ، كما سبق في السفر ، وتأخير قضاء رمضان إلى ما بعده عند وجود العذر .

الخامس : تخفيف الأبدال : كإبدال الوضوء والغسل بالتيمم لعذر ، وإبدال القيام في الصلاة بالقعود ، والقعود بالإضجاع ، والإضجاع بالإيماء ، وإبدال العتق بالصوم ، وإبدال الصوم بالإطعام ، في حق من يشق عليه الصيام ، وإبدال بعض واجبات الحج والعمرة بالكفارات عند قيام الأعذار.

السادس : تخفيف الترخيص : كصلاة المتيمم مع الحدث ، وصلاة المستجمر مع فضلة النجو ، وشرب الخمر للغصة ، وأكل الميتة للمضطر

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠٦٦) .

والتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٨] .

فقه المشقة :

المشقة الموجبة للتخفيف نوعان :

الأول : مشقة لا تنفك العبادة عنها ، وهى أنواع :

كمشقة الوضوء والغسل في شدة البرد ، ومشقة إقامة الصلوات الخمس في شدة الحر والبرد ، ومشقة الصوم في شدة الحر ، وطول النهار ، ومشقة أعمال الحج ، ومشقة الجهاد ، وما فيه من أنواع المخاطرة ، ومشقة طلب العلم ، ومشقة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، ومشقة إقامة الحدود ، ورجم الزناة على الجاني وأهله ، فهذه المشقة كلها لا أثر لها في إسقاط العبادات والحدود ، ولا في تخفيفها ؛ لما في ذلك من فوات مصالح العبادات والطاعات في جميع الأوقات ، وفوات الأجور العظيمة بتركها .

الثاني : مشقة منفكة عن العبادة غالبًا ، **وهى أنواع** :

الأول : مشقة عظيمة فادحة كمشقة الخوف على النفوس أو الأطراف أو المنافع ، فهذه المشقة موجبة للتخفيف والترخيص ؛ لأن حفظ المهج والأطراف لحفظ مصالح الدارين ، أولى من تعريضها للفوات في عبادة أو عبادات .

ثانيًا : مشقة خفيفة :

كأدنى وجع في إصبع أو ضرس أو صداع في رأس ، فهذا لا يلتفت إليه ؛ لأن تحصيل مصلحة العبادة أولى من تركها ، لأجل هذه المشقة الخفيفة .

الثاني : مشقة واقعة بين المشقة العظيمة ، والمشقة الخفيفة :

فهذه ما دنا منها من المشقة العليا ، أوجب التخفيف ، وما دنا منها من المشقة الدنيا ، لم يوجب التخفيف كالحمى الخفيفة ، ووجع الضرس اليسير ، ولا يعفى عماعدا هذه الأعذار المذكورة : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن:١٦] .

مواطن حصول المشقة :

تكون المشاق في العبادات والمعاملات ، وهى أنواع ودرجات .

فالعبادات كالصلاة عند العذر والمرض ، ينتقل فيها المصلى من القيام إلى القعود إلى الإضجاع حسب العذر والمرض .

فالقيام أشهر الحالات ؛ لما فيه تعظيم الرب ، وما سواه للضرورة والعجز ، ومن رحمة الله أنه خفف وأعطى الأجر الكامل : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥] .

وأما الصوم فالأعذار فيه خفيفة كالسفر ، والمرض الذي يشق الصوم معه ، وما كان أشد منهما كالخوف على الأرواح والأطراف ، كان أولى بجواز الفطر .

وأما الحج ، فالأعذار فيه إباحة محذورات خفيفة ، كجواز لبس المخيط عند من يتأذى بالحر أو البرد في النسك ونحو ذلك : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء:-٢٨] .

كذلك التيمم أعذاره خفيفة من فقد الماء ، أو عجز عن استعماله ، أو تضرر باستعماله ، أو عند ارتفاع سعر الماء ، فلله الحمد والمنة : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] .

وأما المعاملات فكالغرر في البيوع ، وهو أقسام :

الأول : ما يعسر اجتنابه : كبيع الفستق والرمان والبطيخ في قشره ، فيعفو عنه ، فيباح بيعه مع الجهالة ، رفعًا للحرج .

ثانيًا : ما لا يعسر اجتنابه فلا يعفو عنه .

درجات المشقة :

المشاق درجات ثلاث :

١ - مشقة في أعلى مراتب الشدة .

٢ - ومشقة في أدناها .

٣ - ومشقة متوسطة بينهما .

وقد ربط الشرع التخفيف بالمشاق والأشق الشديد والأشد .

والمنة على الإنسان مؤلمة للقلب ، مفسدة للنفوس وهى ثلاثة أنواع :

منة شديدة .. ومنة خفيفة .. ومنة متوسطة .

ولا يحل الشرع المنة الشديدة إلا لمصلحة تربي عليها ، كمنة العتق على العتيق ، والمطعم على المُطعِم عند الضرورة ومنه الكاسي عند الضرورة على المكسو ، فالمنة الكبرى هي فقط لله ﷻ الذي خلق الخلق ، وأنعم عليهم بكل نعمه ؛ نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهداية والإسعاد : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات:١٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وأباح الله للعباد من المنة والأفضال ما يزيد في أجورهم ، ويدفع حاجات إخوانهم المحتاجين : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ

مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء:١١٤] .

الاعتصام بالكتاب والسنة :

يجب على كل مسلم ومسلمة الاعتصام بالكتاب والسنة ، وعدم الاعتماد على الرأي ، بل يرجع في كل أمر إلى الكتاب والسنة ، أو إلى أحدهما ، فإن لم يجد ، رجع إلى الإجماع الذي يستند إلى الكتاب والسنة ، فإن لم يجد الأمور الثلاثة ، رجع إلى أقوال الصحابة رضي الله عنهم ، فإن وجد قولًا لأحدهم في مسألة ، ولم يخالفه أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، ولا عُرف نص يخالفه ، واشتهر هذا القول في زمانهم ، أخذ به ، فإن لم يجد ذلك واحتاج إلى القياس ، استعمله بدون تكلف ، فإن لم تكن العلة الجامعة واضحة ، تمسك بالبراءة الأصلية: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران:-١٠٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر: ٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى:١٠] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إِنَّ اللهَّ لاَ يَنْزِعُ العِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا ، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ

العُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ » . متفق عليه[1] .

مقصود الله من خلقه :

مقصود الله ﷻ من خلقه هو عبادته وحده لا شريك له ، واجتناب عبادة ما سواه كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥] .

ومقصود الله ﷻ من خلقه ، تحصيل الصفات التي يحبها ، وعبادته بموجب تلك الصفات ، وعدم الالتفات لأحد سواه ، فلا نشغل أنفسنا بغيره ، فهو الصمد الذي تكفل بقضاء جميع حاجات الخلق .

وقد إجتهد النبي ﷺ ثلاثة وعشرين سنة على الصحابة رضي الله عنهم ، حتى جاءت فيهم الصفات التي يحبها كما قال سبحانه في صفاتهم : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأٓمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة:١١٢] .

ولما جاءت فيهم هذه الصفات ، جاء بهم ﷺ للحج ؛ لتظهر صفاتهم فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين ربهم ، فموسم الحج والعمرة وصلاة العيدين ، وصلاة الجمعة ، والصلوات الخمس جماعة ، ومناسبات الزواج والأفراح

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٧٣٠٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٣/ ٢٦٧٣).

وغيرها ، كلها أماكن ومناسبات لإظهار الصفات التي يحبها الله ﷻ ، فيحاسب الإنسان نفسه في هذه المجتمعات ؛ كم عندي صبر؟، كم عندي توكل؟، كم عندي يقين؟، كم عندي إكرام؟ وكم عندي علم وحلم وإيثار وعفو وإحسان ؟ وهكذا ، فلا تنفع الطاعات بدون إيمان وتقوى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧] .

والمرأة التي تصوم وتصلي ، وتؤذي جيرانها ، هي في النار كما أخبر النبي ﷺ بذلك ، فلابد من هاتين العلامتين ؛ تقوى الله ، وحسن الخلق ، وذلك يحتاج إلى مجاهدة مستمرة ، ولهذا أثنى الله ﷻ على رسوله بحسن الخلق بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .

وأمر بمكارم الأخلاق قوله : ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران:١٠٢] .

وقال النبي ﷺ : « اتَّقِ الله حيثما كنتَ ، وأتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحسَنَةَ تمْحُهَا ، وخالِقِ الناسَ بخلُق حسن ».أخرجه الترمذي وأحمد [1] .

---

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم: (١٩٨٧)، وأحمد برقم: (٢١٥٢٦).

٦ - الخزانة السادسة

حكم الغناء :

الغناء المحرم له صور ، يزينه الفاسق للناس بألبسة مختلفة ، ومن ذلك :

الأول : الغناء الفاسق المصحوب بالموسيقى ونحوها .

الثاني : الغناء الصادر من المرأة الأجنبية أو الشاب الأمرد ، لما في ذلك من الفتنة .

الثالث : الغناء المؤدي إلى فتنة وثوران الشهوة عند الرجال والنساء .

الرابعة : تلحين الشعر على أوزان الموسيقى لهوًا وطربًا .

الخامسة : الاشتغال بسماع القصائد الرقيقة ، وتلك تقلل الرغبة في سماع القرآن الكريم .

السادسة : الأناشيد المنسوبة للإسلام التي تؤدي بألحان مطربة ، تشبه الصوفية في غنائهم ، وتحاكي الفساق في طربهم ، وتشغل عن سماع القرآن والمواعظ ، فهذا كله حرام .

أما غناء الركب في الطريق بأشعارٍ نافعة ، وغناء الأم لتسكين طفلها ، والترنم بالأبيات عند القيام بالأعمال الشاقة ، فهذا كله جائز إذا كان سالمًا من الفحش والكذب .

أما آلات الموسيقى والمزامير والمعازف والملاهي ، فكلها حرام ، يحرم الضرب بها ، والاستماع إليها ، وآلة الدف الأصل فيها التحريم ، ويباح للنساء خاصة استعمالها في العيد والعرس وقدوم الغائب ونحو ذلك من أيام الفرح والسرور ، كما رخص النبي ﷺ للجواري أن يضربن بالدفوف في أيام العيد ، والدف مزمار الشيطان .

ولا يجوز للرجال الضرب به ، ومن ضرب به ، فهو متشبه بالنساء ، وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ، فقال ﷺ : « لَعَنَ اللهُ المُتَشَبِهِينَ مِنَ الرّجالِ بالنّسَاءِ ، وَالمُتشبِهاتِ مِن النّسَاءِ بالرّجَالْ » . أخرجه البخاري [1] .

فتحرم جميع الأغاني التي تحدث الفتنة والفساد ، فيحرم الغناء ، ويحرم الاستماع للأغاني ، ويحرم الاجتماع على الأغاني ، ويحرم بيع جميع أنواع الملاهي والموسيقى :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ ﴾ [لقمان:٦-٧] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « لَيَكُونَنَّ من أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَّ وَالحَرِيرَ وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ ، يَأْتِيهِمْ رَجُلُ الحَاجَةِ ، فَيَقُولُونَ : ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا ، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ ، وَيَضَعُ الْعَلَمَ ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . أخرجه البخاري معلقاً[2] .

من تجب طاعته :

تجب طاعة الله ، والرسول ، وأولي الأمر ، ولا طاعة لأحد من الخلق إلا لمن أذن الله بطاعته ، أو أمر بطاعته كالرسل والأنبياء ، والعلماء والأئمة ، والولاة والقضاة ، والآباء والأمهات ، والسادات والأزواج ، والمستأجرين

(١) أخرجه البخاري برقم:٥٨٨٥.

(٢) أخرجه البخاري معلق برقم (٥٥٩٠) .

على الأعمال والصناعات ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؛ لما فيها من المفسدة العظيمة في الدارين أو أحدهما :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[النساء:٥٩].

فمن أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة ، إلا أن يكره الإنسان على أمر يبيحه الإكراه ، فلا إثم على مطيعه ، بشرط ألا يضر غيره .

وقد تجب طاعة المكره ، لا لكونه آمرًا ، بل دفع لمفسدة ما يهدده به من قتل أو قطع أو جناية على عرض .

واختص الإله سبحانه بالطاعة المطلقة ، لاختصاصه بالنعم التي لا تعد ولا تحصى؛ نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهداية والإسعاد ، فما من مصالح الدنيا والدين إلا وهو منعم به، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾[النحل:٥٣] .

وما من ضرر وشر إلا وهو دافعه ، فله وحده الحكم ، وله الطاعة في كل حال وله العبادة وحده لا شريك له : ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾[يوسف:٤٠].

وتجب طاعة جميع الأنبياء والمرسلين والإيمان بهم؛ لأن الله ﷻ أرسلهم بأمر الناس بعبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب عبادة ما سواه، ورحمة الخلق، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء :١٠٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾[آل عمران : ١٣٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾ [النساء:٦٩-٧٠] .

فطاعة الله مطلقة ، وطاعة الرسول مطلقة ، وطاعة أولى الأمر من باطن طاعة الله ورسوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء : ٥٩] .

فقه تعظيم الحرمات :

أولاً : احترام المصاحف ، يكون بالعمل بموجبها ، ورفعها عن الأرض ، وإبعادها عن النجاسات والمستقذرات ، وحملها مفردة ، وذلك إجلالًا لرب العالمين الذي تكلم بها ، وتعظيمًا لكتابه العظيم أن يسوى بينه وبين كتب غيره : ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠ ﴾ [الأنبياء:١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ ﴾ [الحجر:٨٧].

وقال الله تعالى عن القرآن الكريم : ﴿ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ ﴾ [عبس:١٣-١٤] .

ثانياً : أما حرمة المساجد، فتكون بصيانتها عن النجاسات والأقذار ، والبيع والشراء، والقيل والقال، ورفع الأصوات، وإنشاد الضوال، وسؤال الناس، واتخاذها مجالس للحكام والقضاة ، والعلماء والوعاظ على الداوم : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾ [الجن:١٨] .

وحرمة المسجد الأقصى أكبر من حرمة غيره ، ومسجد المدينة أفضل منه ، والمسجد الحرام أفضل من المسجد النبوي لمِا اختص به من الفضائل والأحكام ، وإنما تثبت حرمة المساجد ، تمييزًا لبيوت الله عن بيوت الناس ، وإجلالًا وتعظيمًا لله ﷻ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾[البقرة:١٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾[النور:٣٦-٣٩] .

أفضل البقاع :

الكعبة بيت الله باختيار الله ، ومساجد الأرض بيوت الله باختيار خلق الله، وهذا وهذا والأرض كلها مسجدٌ للسجود لله ﷻ ؛ ولهذا كان بيت الله باختيار الله قبلةٌ لبيوت الله باختيار خلق الله .

فالذي يُصلي أمام الكعبة قبلته الكعبة ، والذي يُصلي خارج المسجد قبلته المسجد الحرام ، والذي يُصلي في جهات الدنيا قبلته جهة المسجد الحرام في مكة : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[البقرة:١٤٤] .

ومن عرف أن الأرض كلها مسجدٌ للسجود لله ، استحى من ربه ، وأطاعه ولم يعصه عليها ، واستحى من ربه أن يسكن في ملكه ، ويعصيه بنعمه .

والمساجد بيوت الله ﷻ ؛ ولهذا تشرف ببنائها الأنبياء والرسل والمؤمنون : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧] .

فلا يجوز للكفار تصميمها ولا بناؤها ولا صيانتها ولا نظافتها ؛ لأنهم أعداء الله ورسوله ودينه ، فلا يؤمَنون على عمارة المساجد ، بل يجب أن يقوم بذلك المسلمون فقط : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة: ١٨] .

والمسجد بيتٌ من بيوت الله ، وأعلاه وأسفله تابعٌ له ، فلا يجوز لأحدٍ سكن عليه ، سواءً كان الإمام أو المؤذن أو غيرهم .

وإن كان المسجد طارئًا على السكن كما لو اختار الناس شقة أو دورًا من بناء قائم ، ليكون مسجدًا ، جاز لهم ذلك ، وإبقاء المساكن لأهلها ؛ لسبق تملكها على المسجد .

والمساجد يجب أن تنزه عن النجاسات ، ويجب تطهيرها ، فيجب أن تكون دورات المياه والمراحيض خارج المسجد لا فوقه ولا تحته : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحج: ٢٦] .

والمساجد بيوت الله يصلي فيها المسلمون ، ويقرؤون كتاب ربهم ، ويتعلمون أمور دينهم ، ويحرم منع المسلمين من الانتفاع من مساجدهم في جميع الأوقات :﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾[البقرة:١١٤-١١٥] .

فقه الآيات :

الآيات في اللغة لها إطلاقان :

الأول والأشهر : بمعنى العلامة ومنه قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[البقرة:٢٤٨] .

أي علامة ملكه .

الثاني : بمعنى الجماعة ، يُقال : جاء القوم بآيتهم أي بجماعتهم .

وتُطلق الآية في القرآن الكريم إطلاقين :

الأول : تُطلق على الآية الكونية القدرية بمعنى العلامة ، وهي ما نصبه الله جل وعلا من الآيات الدالة على كمال وحدانيته وقدرته ، وأنه المعبود وحده لا شريك له، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الروم:٢٠] .

الثاني : وتُطلق الآية على الآية الشرعية كآيات القرآن العظيم، كما قال سبحانه : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾[القصص: ٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾[البقرة:٢٥٢] .

حكم طلب الآيات :

الكفار والمشركون عادةً يقترحون على الأنبياء الآيات الكونية ، والآيات الشرعية ، تعنًا وصدًا للناس عنهم ، وكفار مكة اقترحوا على النبي ﷺ أن يأتيهم بآياتٍ قرآنية تُتلى عليهم غير هذا القرآن كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ

هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[يونس:١٥-١٦].

وتارةً يطلب الكفار من النبي ﷺ الإتيان بآياتٍ كونيةٍ قدرية كما قال سبحانه عنهم : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾ ﴾[الإسراء:٩٠-٩٦] .

وقد بين الله ﷻ أنه إذا أنزل آيةً كونية ، ثم كفروا بعدها هلكوا ؛ ولهذا لم يُرسل الله بها محمدًا ﷺ ،كما قال سبحانه : ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[الإسراء:٥٩] .

وقد أعطى الله ﷻ جميع الأنبياء والرسل آياتٍ تدل على صدقهم ، وأنهم رسل الله ، وأعطى الله محمدًا ﷺ أعظم الآيات ، وهي القرآن العظيم، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧].

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[العنكبوت:٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[العنكبوت: ٤٧-٥٠] .

وقد تحدى الله العرب قاطبةً أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا ، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سورٍ من مثله فعجزوا ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورةٍ من مثله فعجزوا ، ثم بين الله أن الإنس والجن لا يأتون بمثله أبدًا ، ولو اجتمعوا، كما قال سبحانه : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء:٨٨] .

فالقرآن العظيم أعظم الآيات ، وقد تكفل الله بحفظه كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحجر:٩] .

وقد بين الله أن في هذا القرآن العظيم من البراهين الساطعة ، والأدلة القاطعة ، الدالة على وحدانية الله ، ووجوب عبادته ، فيجب إتباعه، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف : ٢٠٣-٢٠٤] .

ومن لم تهده هذه البصائر ، فلا آية تهديه البتة : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت:٥١] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٤] .

فالقرآن العظيم أعظم الآيات التي أُعطيها محمدٌ ﷺ ، فيه تبيان كل شيء، كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٥-١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩] .

فقه صلاح القلوب :

صلاح القلوب يتم بثلاثة أمور :

التخلية .. ثم التزكية .. ثم التحلية .

فنخلي القلوب من حب الدنيا ، والتعلق بغير الله ، وإتباع الهوى والشيطان والنفس ؛ لتكون صافية قابلة للتزكية بالإيمان ومكارم الأخلاق : ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾** ﴾ [الشمس:٧-١٠] .

ويتم ذلك بأن نعيش في بيئة الإيمان حيث لا نسمع ، ولا نرى ، ولا نعمل ، ولا نقول إلا ما يحبه الله ورسوله : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾** ﴾ [التوبة:١١٩] .

وكما استخدمنا أبصارنا وعقولنا وأسماعنا وأوقاتنا من أجل الدنيا ، كذلك نستخدمها فيما يحبه الله ورسوله من الأعمال الصالحة ؛ لتفرغ من حب الدنيا : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام : ١٦٢-١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠) ﴾[الأنعام:١٦٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) ﴾[الحج:٧٧] .

ثم تأتي التزكية والتربية ؛ لتطهير القلوب من الشرك ، والجوارح من المعاصي : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) ﴾[الأعلى:١٤-١٥] .

ثم تأتي التحلية فلا يمكن أن يتحلى الإنسان بالفضائل حتى يتخلى عن الرذئل، فنلزم بيئة الإيمان والعلم والهدى؛ ليدخل التوحيد، ويخرج الشرك، ويأتي العلم بدل الجهل، وتأتي الأخلاق الحسنة بدل الأخلاق السيئة: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢) ﴾ [الجمعة: ٢]

فيتلو عليهم آياته ، ليخرج من قلوبهم التعلق بغير الله، ويزكيهم يطهر قلوبهم من الأخلاق الرديئة، ويجملهم بالأخلاق الحسنة، ويتم ذلك بالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، ولزوم البيئة الإيمانية : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) ﴾ [ق:٦ -٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩] .

ويعلمهم الكتاب والحكمة هذه هي التحلية بالفضائل والعلم وحسن الخلق : ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [آل عمران:٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة:١٥١- ١٥٣] .

فإذا صلح القلب ، أثمر كثرة ذكر الله وتعظيمه ، ودوام شكره ، والصبر على طاعته ، والصبر على أقداره المؤلمة ، وكمال اليقين ، والتوكل عليه ، وخشيته ، والطمع في رحمته : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢- ٤].

فمن رزقه الله هذه الثلاث بث الله فيه روح الدعوة إلى الله ، وتعليم شرعه ، والإحسان إلى خلقه : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤] .

وذلك فضل الله وحده : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣ – ٧٤] .

ولكي يهتدي الإنسان لابد أن يلزم بيئة الإيمان كما قال سبحانه : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف:٢٨]

فلكي نستقيم نلزم بيئة الإيمان والتقوى ، ولكي نثبت على الهداية ننقطع عن مجالس الغفلة كما قال سبحانه : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء:١٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام:٦٨] .

ومن جاهد نفسه في سبيل الله هداه الله سُبل رضاه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٥-١٦] .

٧- الخزانة السابعة

فقه الآيات الكونية :

الله ﷻ أمرنا أن ننظر في الآيات الكونية ونتدبر الآيات القرآنية ؛ لنعرف الكبير الذي يجب أن نُكبره ، والعظيم الذي يجب أن نُعظمه ، والإله الذي يجب أن نعبده ، والرحمن الذي يجب أن نسترحمه ، والكريم الذي تكرم بكل خيرٍ ونعمة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .

فالنظر في الآيات الكونية ، والنظر في الآيات الشرعية ، يملأ القلب بالتوحيد والإيمان ، ويحرك الجوارح بالطاعات والعبادات ، ويحرك اللسان بالحمد والشكر ، والدعاء والدعوة ، والذكر والتكبير، كما قال سبحانه : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾[الروم:٢٠-٢٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم:٤٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الروم:٤٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان:١٠-١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج:٥-٧]

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد:١٢-١٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد:١٦] .

فالنظر في الآيات الكونية ، وما خلق الله في السموات والأرض ، يُثمر الإيمان ، والتوحيد والإخلاص ، وعبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٤ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾ [النحل:٣-١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل:٤٨-٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل:٧١-٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [النحل:٧٧-٧٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [النبأ:١-١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء:٨٨] .

وغير ذلك من الآيات الكونية والآيات الشرعية التي أمر الله ﷻ بالنظر إليها ، والتفكر فيها ، والتدبر بها : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

والرب العظيم الذي هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله ، وهذه آياته ومخلوقاته ، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢ – ١٠٣] .

فقه آيات الله في مخلوقاته :

الله جل جلاله هو الخلاق العليم الذي خلق كل شيءٍ في ملكه العظيم ، خلق العرش والكرسي ، وخلق السموات والأرض ، وخلق الإنس والجن ، وخلق الملائكة والروح ، وخلق البحار والجبال : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

ومن مخلوقاته سبحانه البعوضة ، فهي أنثىً صغيرةً في حجمها ، عظيمةً في خلقها ، لها مائة عينٍ في رأسها ، ولها ثمانيةٌ وأربعون سنًا في فمها ، ولها ثلاثة قلوبٌ في جوفها ، ولها ست سكاكين في خرطومها ، ولها ثلاثة أجنحة ، ولها جهازٌ للشم يشم عرق الإنسان من مسافة ستين ميلًا : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان:١١] .

وتحت الأرض فرنٌ كبيرٌ جدًا من النار ، يحمي باطن الأرض بطبقاتها السبع ، والأرض السابعة العليا فراشٌ سمكه سبعين كيلو متر تقريبًا .

فلا إله إلا الله ، ما أعظم خلقه ، نسبة الدهن في لحم الخنزير خمسون بالمائة ، وفي الضأن سبعة عشر بالمائة ، وفي البقر خمسة بالمائة ، وفي الإبل أربعة بالمائة : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩] .

وثبت طبيًا أن أشد أمراض السرطان يصيب الأجزاء العارية من أجساد النساء ؛ بسبب لبس الأزياء القصيرة التي تعرض أجساد النساء لأشعة الشمس فترةً طويلة على مر السنة ، وهذا المرض أشد أنواع السرطان خطورة ، وهو نتيجة تعرض أجساد الرجال والنساء والأطفال لأشعة الشمس بلا ساتر .

فعلى النساء أن تتعبد لله بلبس الثياب التي أذنت بها الشريعة ، لباس العفة والاحتشام ، فهي خير وقايةً لها في دينها ودنياها : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأعراف:٢٦] .

والإنسان في بطن أمه يخرج إلى الدنيا صارخًا لا ضاحكًا ، مع أنه خرج من الظلمات إلى النور ، ومن بحر السوائل إلى الهواء الطلق ، ومن ضيق الأرحام إلى رحابة الكون ، والسبب أن الشيطان يمسه فيصرخ .

وكل إنسانٍ يُولد صارخًا إلا مريم وابنها كما قال النبي ﷺ : « كُلّ بَنِي آدَم يَمَسّهُ الشَّيْطَان يَوْم وَلَدَتْهُ أُمّه ، إِلَّا مَرْيَم وَابْنهَا » . أخرجه البخاري[1] .

وعجب الذنب في الإنسان هو عظم العجز أخر فقرة من العمود الفقري أسفل الظهر ، فيه خريطة الإنسان كاملة ، فإذا فني الإنسان بعد الموت بقي عجب الذنب ، وإذا أراد الله بعثه أنزل من السماء ماءً فنبت هذا العجب كما ينبت النبات ، ثم تأتي الروح وتدخل في هذا البدن بأمر الله ﷻ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنون:١٥-١٦] .

وجميع الأشياء تتمدد بالحرارة ، وتنكمش بالبرودة ، أما الماء فهو على عكس ذلك ، فهو يتمدد بالبرودة عندما يتجمد ، ويصبح أخف وزنًا ، وهذا هو السبب أن الجليد يطفو فوق البحار والأنهار : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

ومع كل إنسان ملكان يسجلان أعماله ، ويحفظانه مما لم يُقَدر عليه ، فإذا جاء القدر خليا بينه وبين القدر : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار:١٠-١٢] .

فلا إله إلا الله ، ما أعظم جهل الخلق بربهم؟: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦-٨].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٣١).

فتفقه في الدين .

وأعلم أن من جمع ست خصال أسعده الله في الدنيا والآخرة :

من عرف الله فأطاعه .. ومن عرف الشيطان فعصاه .. ومن عرف الحق فاتبعه .. ومن عرف الباطل فاتقاه .. ومن عرف الدنيا فرفضها .. ومن عرف الآخرة فطلبها : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد: ٢٠- ٢١] .

واعلم يا عبد الله أن من أذنب ذنبًا فستره الله عليه في الدنيا ، فهو أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة ، ومن أذنب ذنبًا فعوقب في الدنيا ، فالله أعدل من أن يُثني عقوبته على عبده في الآخرة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

والناس في الدنيا عرضةً للسهام ، ورهائن الموت ، ووعاء الأسقام ، ونُهبة الأيام : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧] .

وأعلم أنه ليس حُسن الجوار كف الأذى ، ولكن الصبر على الأذى .

فليس حق الجار ألا تؤذيه فقط ، بل أن تصبر على آذاه : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ

حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٤ – ٣٦] .

واعلم يا عبد الله أن الدنيا حلالها حساب ، وحرامها عذاب ، فدع الحلال لطول الحساب ، ودع الحرام لطول العذاب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾﴾ [فاطر: ٥ – ٧] .

أقسام آيات الله :

آيات الله ﷻ ثلاثة أنواع :

الأولى : آياتٌ كونية تدل على عظمة الله وقدرته تهدي إلى الإيمان بالله عز وجل : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس:١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦ – ٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية:١٧-٢١] .

الثانية : آياتٌ أيد الله بها رسله كآية فلق البحر لموسى ، وآية عيسى بإحياء الموتى، وآية الناقة لقوم صالح وغيرها مما يدل على صدق الأنبياء والرسل: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ

﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء:٦١- ٦٨] .

وقال الله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ [الإسراء: ٥٩] .

الثالثة : آيات الأحكام في القرآن : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة:١٥- ١٧] .

والكفار كذبوا بجميع تلك الآيات .

والكفار منهم من آمن بالآيات الكونية دون الشرعية مثل كفار قريش مُقرون بأن الله خالق السموات والأرض ، وأنه المحيي المميت ، وأنه الذي يُدبر الأمر ، ولكنهم كافرون بالآيات الشرعية : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس:٣١-٣٢].

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾[لقمان :٢٥-٢٦] .

ومنهم من كفر بالآيات الكونية والشرعية كفرعون الذي قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[النازعات:٢٤] .

وكَذب موسى ، وكفر بما جاء به من الآيات الشرعية ، وقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[القصص:٣٨] .

أما المؤمنون فقد آمنوا بالآيات الكونية ، والآيات الشرعية ، فهؤلاء هم الناجون : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[الأنفال:٢- ٤].

وقال الله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[البقرة:٢٨٥] .

آيات الله ﷻ تنقسم إلى قسمين :

الأول : آياتٌ شرعية ، وهي ما جاءت به الرسل من الشرائع : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المائدة: ٤٨] .

الثاني : آياتٌ كونية ، وهي الكائنات التي خلقها الله كالسموات والأرض ، والشمس والقمر ، والجماد والنبات والحيوان وغيرها .

وكون ما جاءت به الرسل آية أنه لا يمكن لأحدٍ من البشر أن يأتي بمثلها .

وكون جميع المخلوقات آية أنه لا يمكن لأحدٍ من البشر أن يخلق مثلها ، قال الله تعالى :﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس:١٠١] .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[البقرة:٩٩] .

ومن آيات موسى ﷺ العصا ، وفيها آياتٌ عظيمة :

منها أنه يُلقيها فتكون حيةٌ تسعى كما قال سبحانه : ﴿ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾[طه:٢٠] .

ثم يأخذها موسى فتعود عصا : ﴿ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[طه:٢١] .

ومنها أنه ضرب بها البحر فانفلق فكان كل فلقٍ كالطود العظيم : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء:٦١-٦٣] .

ومنها أنه يضرب بها الحجر فينفجر عيونًا عذبة كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[البقرة:٦٠] .

وحين ضرب موسى ﷺ الحجر بعصاه كان فيه خمس معجزات :

١- خروج الماء من الحجر .

٢- وانفجاره اثنتا عشرة عينًا .

٣-وخروج ماء خاص لكل سبطٍ من بني إسرائيل .
٤- وانقطاع الماء عند الاستغناء عنه .
٥- وخروج الماء الكثير من حجرٍ صغير .
ومنها أن موسى ألقاها على حبالٍ وعصي سحرة فرعون ، فإذا هي تلقف ما يؤفكون وتبلعه : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٧] .

أصل الدين :

أصل الدين معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده .

فمن عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله تفانى في طاعته ، وأحبه وعظمه وكبره : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩] .

والله سبحانه هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وكل ما سواه ناقص ، والناقص لا يكمله إلا الكامل ، وكل ما سوى الله مخلوق ومحتاجٌ إلى من يُوجده ، ولا يمكن أن يُوجد محتاجٌ بلا محتاجٍ إليه ؛ لهذا الله ﷻ هو المحبوب لذاته ولجلاله وجماله : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢] .

والتفكر في خلق السموات والأرض ، هو العبادة الأولى التي تدلك على الله ﷻ ، فتوحده ، وتكبره ، وتحبه ، وتحمده ، وتشكره ، وترجوه ، وتخافه : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤] .

فكل خبرٍ في كتاب الله ﷻ يجب علينا أن نصدقه ، وكل آيةٍ في كتاب الله فيها أمرٌ يجب علينا أن نمتثله ، وكل آيةٍ فيها نهي يجب علينا أن ننتهي عنه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥] .

وإذا قرأت آية فيها وصف الجنة ، فهي تقتضي أن تسعى إلى الجنة بالإيمان والأعمال الصالحة ، وإذا قرأت آيةً فيها وصفٌ للنار فهي تقتضي أن تفر من النار بفعل الطاعات ، واجتناب المعاصي : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

وإذا قرأت قصةً لمن سبق يجب أن تعتبر بها ، فهذه الآيات نؤديها بكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ إذا عرفت من أمر بها : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢] .

وإذا عرفتم ذلك أحببتم الله وكبرتموه وعظمتموه وعبدتموه .

والله سبحانه له آياتٌ ثلاث :

١ - آياتٌ كونية هي خلقه ، وهي جميع المخلوقات التي خلقها الله .

٢ - وآياتٌ تكوينية هي أفعاله الحاضرة التي نراها كل يوم .

٣- وآياتٌ شرعية هي كلامه المشتمل على أخباره وأوامره ونواهيه .
وطريق معرفته هو هذه الآيات الثلاث .
وقد قيل : الكون قرآنٌ صامت ، و القرآن كونٌ ناطق ، والنبي ﷺ قرآنٌ يمشي ، فكان ﷺ خلقه القرآن ، أثنى عليه ربه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] .
وكل عبادة ليس فيها محبة الله ، وتعظيم الله ، والذل لله ، فليست عبادةٌ مقبولة ، وليست هي العبادة المطلوبة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[محمد: ١٩] .
فما عَبد الله من أطاعه ولم يحبه ، وما عَبد الله من أحبه ولم يطعه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[آل عمران:٣١] .
فالعبادة المطلوبة اختيارية ، ممزوجةٌ بمحبةٍ قلبية ، مفضيةٌ إلى سعادةٍ أبدية ، وهذه العبادة شاملة لحياة الإنسان كلها من فراش الزوجية إلى موت الإنسان : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] .
فأنت عبد لله داخل المسجد ، وخارج المسجد .
والعبادات الخمس أركان الإسلام التي يقوم عليها ، والإسلام فوق تلك الأركان الخمسة كما قال النبي ﷺ : « بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَالحَجِّ » . متفقٌ عليه[1] .

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم: (٨)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١/ ١٦).

والقرآن كله آياتٌ مكونة من كلمات وحروف في كل سورة .

والآيات الكونية في القرآن لها معنيان :

الأول : الفعل أو الخلق البالغ نهاية الإتقان والحكمة ، والجلال والجمال والكمال : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾[يونس: ٦] .

الثاني : الفعل الخارق للعادة التي تنخرم به السُنن المعتادة ، أي المعجزة الخارقة للنظام والسُنن الكونية ، كآية النار لإبراهيم ﷺ ، وفلق البحر لموسى ﷺ ، والطعام والولد لمريم عليها السلام .

والقرآن هو مجموع كل ما يكون بالإرادة الإلهية من المخلوقات والأشياء في الزمان والمكان ، من سماءٍ وأرض ، وليلٍ ونهار ، ونورٍ وظلام ، وحياة وموت ، وكافة المخلوقات والحركات ، والأقوال والأعمال والأحداث وغيرها مما يوجه الإنسان إلى عظمة ربه : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[يس:٨٢-٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر:٦٢ -٦٣] .

٨- الخزانة الثامنة

فقه الآيات الكونية والشرعية :

النظر والتدبر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية ، يزيد الإيمان في القلب.

والآيات الكونية هي : كل ما يراه الإنسان ، وتقع عليه حواسه في هذا الكون العظيم من خلقٍ وإيجاد ، وتدبيرٍ وتصريف ، وتحريكٍ وتسكين وغير ذلك مما يدل على كمال قدرة الله في خلق السماء والأرض ، والجماد والنبات ، والحيوان والإنسان ، وغيرها من المخلوقات التي لا يحصيها ولا يعلمها إلا الله وحده لا شريك له : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس:١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤] .

وأول الواجبات معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد:١٩] .

ووسيلة ذلك النظر في مفعولاته : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦ -٨] .

والنظر في آياته الشرعية : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢].

والواجب الثاني : أن تعرف الناس بالرب الذي تعبد : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

والله ﷻ بيده الملك وهو على كل شيءٍ قدير .

ونِعم الله لا تؤخذ بذاتها ، ولكن تؤخذ بتوجيهات القادر عليها .

فالأصل في الماء أنه سبب الحياة ، والأصل في النار أنها سبب الهلاك .

فالماء الذي خلق الله منه كل شيء وأحياه كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنبياء:٣٠] .

إذا أراد سبحانه أن يجعله هلاكًا ودمارًا جعله طوفانًا يُغرق الأرض ومن عليها ، كالذي حدث في عهد نوح كما قال سبحانه عن نوح ﷺ : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾[القمر:١٠ - ١٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾[الحاقة:١١-١٢] .

فأغرق الله بهذا الماء جميع الكافرين ، ونجى به المؤمنين من قوم نوح : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[الملك: ١] .

فالطوفان الذي حدث في عهد نوح ﷺ عام ، والطوفان الذي حدث في عهد موسى خاص بالذين كفروا بموسى ﷺ ، بلغ إلى نهاية رقبة الإنسان ، وغمر بيوت آل فرعون ، ومزارعهم ، وسلمت منه بيوت بني إسرائيل كما قال سبحانه : ﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ

﴿ ١٣٢ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣ ﴾[الأعراف:١٣٢ - ١٣٣] .

والنار طبعها الإحراق ولكن الله جعلها بردًا وسلامًا على خليله إبراهيم ﷺ كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ ﴾ [الأنبياء:٦٩] .

وآيات موسى ﷺ تسع هي :

١- العصا التي تحولت إلى ثعبان .
٢- واليد التي خرجت بيضاء .
٣- والسنين .
٤- ونقص الثمرات .
٥- والطوفان .
٦- الجراد .
٧- القُمل .
٨- والضفادع .
٩- والدم .

كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورًا ١٠١ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ١٠٣ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤ ﴾[الإسراء: ١٠١- ١٠٤].

وقال الله ﷻ عن فرعون وجنوده وقوته : ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣ ﴾ [الأعراف: ١٣٣] .

وفي طلب فرعون وقومه من موسى كشف العذاب ثلاثة اعترافات كما قال سبحانه : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤ فَلَمَّا

كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٣٤-١٣٧].

ففي طلب آل فرعون من موسى كشف العذاب عنهم ثلاثة اعترافات :

الأول : اعترافٌ ببطلان ربوبية فرعون .

الثاني : اعترافٌ بأن موسى ﷺ رسولٌ من الله مقبول الدعاء .

الثالث : اعترافٌ أنه لا يمكن أن يرفع عنهم هذا العذاب إلا الله وحده لا شريك له .

اللهم فقهنا في الدين ، واجعلنا هداة مهتدين ، يا رب العالمين .

فقه خوارق العادة :

خوارق العادة أربعة أقسام :

الأول : آيةٌ للنبي ، وهي : أمرٌ خارقٌ للعادة يظهره الله على يد النبي تأييدًا له ، وتصديقًا له ، مثل إحياء عيسى للأموات ، وانفلاق القمر لمحمد ﷺ ونحو ذلك من الآيات التي أيد الله بها رسله .

الثاني : كرامةٌ للولي ، والولي هو : من جمع بين الإيمان والتقوى ، وهي أمرٌ خارقٌ للعادة يُظهره الله على يدِ متبع الرسل ، إما تكريمًا له ، أو نصرةً للحق ، كما حصل لمريم تهز جذع النخلة فتسقط عليها الرطب كما قال سبحانه : ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم:٢٥] .

وما حصل لها من الحمل والولادة على خلاف العادة ، وهذا كله من آيات الله ﷻ كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنبياء : ٩١] .

الثالث : ما يظهره الله على يد المشعوذين ، الذين يستخدمون الجن والشياطين فتنةً لهم ، أو فتنةً بهم ، فيوجد من الناس من يجري على يديه أمورٌ خارقة للعادة وليس بنبي ولا ولي ، فهي من الشياطين : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ [البقرة:١٠٢] .

الرابع : ما يكون خارقًا للعادة يُظهره الله على يد الكاذب تكذيبًا له ، وإهانةً له ، كما حصل من مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة ، حين مج ريقه في البئر ، ليكثر ماؤها ، فجف ماؤها إهانةً له ، وإظهارًا لكذبه .

فهذه أربعة أشياء كلها خارقةٌ للعادة .

آيةٌ للنبي ، وكرامةٌ للولي ، وشعوذةٌ للمشعوذ ، وإهانةٌ للكذاب .

وهي تختلف بحسب من أظهرها الله على يديه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٥] .

ومن آيات موسى العصا التي جعلها الله ﷻ له آية ، فقد أمر الله موسى أن يُلقي عصاه ثلاث مرات في مناسباتٍ مختلفة .

الإلقاء الأول : إلقاء التدريب ، وذلك حينما أعلم الله موسى في طور سيناء أنه اصطفاه رسولًا كما قال سبحانه : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا

نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [طه:٩-٢٤] .

وسر ذلك أن موسى ﷺ إذا جاء إلى فرعون ، وألقى العصا أمام فرعون ، فإنه سيكون متأكدًا من أمرين :

الأول : أن العصا ستنقلب فورًا حية بمجرد إلقائها .

الثاني : أن هذه الحية لن تضره ولا تؤذيه حتى لا يخاف أمام فرعون وملئه .

الإلقاء الثاني : إلقاء الإعلام بالرسالة ، حين جاء موسى إلى فرعون ؛ ليبلغه أنه رسول رب العالمين كما قال سبحانه عن فرعون أنه قال : ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الشعراء:٢٩-٣٥] .

الإلقاء الثالث : إلقاء التحدي للسحرة ، وقد وصف الله العصا أنها انقلبت مرة إلى ثعبانٌ مبين ، ومرةً إلى حيةٍ تسعى ، ومرةً كأنها جان .

وكل إلقاءٍ له حكمة ، وهناك فرقٌ بين التناقض والتكامل ، فالثعبان والحية والجان كلها أوجه تُثير الرعب والخوف في نفس الإنسان .

فالثعبان في عظمته وطوله وحركته مخيف ، والحية في شكلها المخيف ، والجان في سرعته المخيفة .

فتمثلت العصا في كل مرة بشكلٍ يُرعب من يراها ، ولقد خاف موسى وقت التدريب ؛ لأنه تأكد أن العصا صارت حية ، ثم طمأنه ربه بأنه لا يخاف إلا منه بقوله سبحانه : ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡۖ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠﴾ [النمل: ١٠].

وهذا هو الذي جعل السحرة يسجدون ؛ لأنهم تيقنوا أن العصا انقلبت حيةً حقيقة كما قال سبحانه : ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٢ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٤٣ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٤٤ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ٤٥ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٤٨﴾ [الشعراء:٣٨-٤٨] .

ولما لم يستجب فرعون لدعوة موسى ﷺ وأراد الله إهلاكه أوحى الله إلى موسى بقوله : ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٥٢ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ٦٠ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ

ٱلْأَخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء:٥٢-٦٨] .

فقه آيات الله الكبرى :

جميع ما في العالم العلوي ، والعالم السفلي ، آياتٌ عظيمةٌ دالةٌ على وحدانية الله ، وكمال قدرته وعلمه وعظمة جلاله وجماله : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يونس: ١٠١].

وقال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق:١٢].

فخلق العرش آية ، وخلق الكرسي ، وخلق السماء آية ، وخلق الملائكة آية ، وخلق الشمس آية ، وخلق القمر آية ، وخلق النجوم آية ، ونزول الغيث آية .

وخلق الأرض آية ، وخلق الجبال آية ، وخلق البحار آية ، وخلق الإنسان آية ، وخلق الجن آية ، وخلق النبات آية ، وخلق الحيوانات آية : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ ﴾[آل عمران:١٩٠ -١٩٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف:٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت:٣٧].

فسبحان ربنا الخلاق العليم الذي كل أفعاله آياتٌ يُذكِر الله بها عباده؛ ليؤمنوا به ، ويوحدوه، ويعبدوه وحده لا شريك له، ويجتنبوا عبادة ما سواه .

خلق سبحانه الكبير والصغير ، وخلق العالي والسافل ، وخلق الذكر والأنثى ، وخلق النبات والحيوان ، وخلق الملائكة والجن والإنس ، وخلق الثابت والمتحرك ، وخلق الرطب واليابس : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[الزمر:٦٢ -٦٣] .

ومن هذه صفاته فتجب عبادته : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾[يونس: ٣] .

فسبحان من خلق الكبير والصغير .

الكبير كالعرش والكرسي ، والسموات والأرض ، والجبال والبحار ونحوه مما خلقه الله ﷻ .

والصغير كالبعوضة والهباءة والنملة والذرة ونحو ذلك .

وأصغر ما في هذا الكون ، وأضعف ما فيه ، هو الهباءة التي خلقها الله ﷻ ، وهي تظهر لنا عندما يدخل النور من فرجة في غرفةٍ مظلمة .

فهذه الهباءات لكل هباءة حيزٌ تشغله في الفضاء العظيم ، ولها فيه حركةٌ وسكون ، ولها لون وشكل ، ولها طبعٌ وطعم ، فلا إله إلا الله ، أظهر قدرته في خلق العظيم كالعرش والسموات والأرض ، وفي خلق الصغير كالذرة والهباءة .

وإذا كانت هذه الغرفة مملوءةٌ بملايين الهباءات ، فكم هباءة في البيت ؟ ! وكم هباءة في القرية ؟ ! وكم هباءة في المدينة ؟ ! وكم هباءة خلقها الله ﷻ في الدولة الواحدة ؟ ! وكم هباءة في القارة الواحدة ؟ ! وكم هباءة في القارات كلها ؟ ! وكم هباءة بين السموات والأرض ؟ ! .

وجميع هذه الهباءات مخلوقٌ من خلق الله ، يدل على عظمته ، وجميع ما في الكون خلقه الله ؛ ليشهد بوحدانيته ، ويسبح بحمده ، ويخضع لمشيئته ، ويسرع إلى إرادته : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٣-٤٤] .

فسبحان من تسبح له جميع مخلوقاته : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة: ١] .

وسبحان من خضعت له جميع مخلوقاته : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج:١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النور:٤١-٤٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النور:٤٤-٤٦] .

أقسام الخوارق :

الخوارق ثلاثة أقسام :

١- قسمٌ آياتٌ للأنبياء .

٢- وقسمٌ كراماتٌ للأولياء .

٣- وقسمٌ إهاناتٌ من الشياطين ، يجريها الله على خلاف العادة على أيدي الشياطين فتنةً ؛ لأن الله ﷻ يبلو بالخير والشر كما قال سبحانه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٣٥] .

ومن تحصل له هذه الخوارق ، إما أن يكون نبيًا أو رسولًا ، أو وليًا للرحمن ، أو وليًا للشيطان .

والكرامات علامتها أن يجريها الله ﷻ على يدِ رجلٍ صالح من أولياء الله ، كرامةً له كما قال سبحانه عن مريم : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ [مريم:٢٥] .

وقول الله ﷻ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران:٣٧] .

أما الأحوال الشيطانية والسحر ، فتجري على يدِ طواغيت وأولياء الشيطان الذين يَدَّعون أنهم أولياء لله ، ويلعبون بعقول العامة والسفهاء ، فيتقربون للشياطين بالكفر والشرك ، ثم يستخدمونهم لأغراضهم الخاصة ، ويضرون بهم الناس ، وقد يخذلهم الله بها ، كما غار ماء البئر الذي مج فيه مسيلمة الكذاب ، إهانةً له .

فمن جرى على يديه خلاف العادة ، فإن كان مؤمنًا تقيًا صالحًا ، فهي من كرامات الأولياء .

وإن كان فاجرًا ، فهي أحوالٌ شيطانية من الشياطين ، أو ساحر يسحر أعين الناس ، كما حصل من سحرة فرعون حين ألقوا حبالهم وعصيهم .

فالآيات لتأييد الرسل ، والكرامات تكريمًا للأولياء وتثبيتًا لهم ، وتصديقًا لما هم عليه من الحق ، والخوارق الشيطانية إهانةٌ لأولياء الشيطان ، وفتنةً للناس ، وفتنةً بهم ، كأن يطير الإنسان في الهواء ، يحمله الشيطان بسبب طاعته له التي هي عبادته له : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يس:٦٠-٦٢] .

٩- الخزانة التاسعة

صفات أولياء الرحمن :

الله سبحانه كريم خلق الإنسان في أحسن تقويم ، واشترى المؤمنين من البشر ، واشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، حتى لا تشغلهم عنه ، وأمرهم ببذلها في سبيل مرضاته ، وعوضهم عن ذلك الجنة كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾[التوبة:١١١] .

والله سبحانه عليٌ غنيٌ كريم ، لا يشتري إلا السلع التي لها صفاتٌ عالية ، فوصف الله هذه السلعة التي اشتراها بقوله جل جلاله : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[التوبة:١١٢] .

فهذه أعظم صفات أولياء الرحمن وهي عشر صفات :

الأولى : التائبون الراجعون من غير الله إلى الله ، ومما تحبه النفس إلى ما يحبه الرب .

الثانية : العابدون الخاضعون لعظمة جلال الرب تعظيمًا له ، وحبًا له ، وذلاً له .

الثالثة : الحامدون بإظهار الكمالات العلمية والعملية ، حمدًا لربهم على نِعمه التي لا تُعد ولا تُحصى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

الرابعة : السائحون الذين هاجروا بقلوبهم وجوارحهم إلى ربهم ، الصائمون عن المألوفات حين عاينوا جلال الله وجماله : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى

لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

الخامسة : الراكعون الخاضعون لربهم تعظيمًا له ، وحبًا له ، وطاعةً له .

السادسة : الساجدون الذين سجدوا بقلوبهم وجوارحهم لربهم العلي الأعلى ، لمِا يرون من عظمة جلاله وجماله ، ونعمه وإحسانه : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر:٩].

السابعة : الآمرون بالمعروف الذين يعرفون الحق ، ويُعرفون الخلق بالحق ، ويأمرونهم بعبادته وطاعته ، والإيمان به .

الثامنة : والناهون عن المنكر ، الذين ينهون الناس عما يُغضب ربهم ، وما يُفسد حياتهم من الكفر والشرك والبدع والمعاصي .

التاسعة : والحافظون لحدود الله ، الذين حفظوا حدود الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، في أنفسهم وعلى غيرهم بقلوبهم وجوارحهم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠] .

العاشرة : وبشر المؤمنين الذين آمنوا بالله واستقاموا على شرعه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] .

فقه خلق السماوات والأرض :

خلق الله ﷻ السماوات والأرض في ستة أيام ، أولها الأحد وأخرها الجمعة ، خلق الله فيه آدم في أخر ساعةٍ منه بعد العصر .

فخلق سبحانه الأرض في يومين ، ثم خلق فيها الجبال والأقوات والأرزاق في يومين ، ثم خلق السماوات السبع في يومين ، فهذه ستة أيام ، ويوم السبت ليس منها .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [فصلت:٩-١٢].

فلا إله إلا الله ، ما أعظم قدرته ، وما أعظم خلقه ، وما أعظم خزائنه .

والله جل جلاله خلق سبع سموات ، ومن الأرض مثلهن .

وقد ذكر الله ﷻ السماوات السبع في القرآن سبع مرات في سبع آيات هي :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

وقوله ﷻ : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [المؤمنون:٨٦-٨٧]

وقوله ﷻ : ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [فصلت: ١٢].

وقوله ﷻ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢] .

وقوله ﷻ : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الملك:١-٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح:١٥ -١٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ ﴾ [النبأ: ١٢] .

وذكر سبع سماوات ، في سبع آيات أمرٌ مُعجز ، وهي سبع سماوات متطابقة تُغلف العليا منها السفلى ، وقد مر الرسول ﷺ حين عُرج به إلى السماء بها كلها ، واستُأذن له جبريل في الدخول فيها ، ففتح له .

وما نشاهده في الكون جزءٌ محدودٌ من السماء الدنيا ، والله ﷻ أخبرنا عن سبع سماوات ، وسبع أراضين ، وكشف لنا عن سماءٍ واحدة ، وأرضٍ واحدة نراهما بالحس والبصر ، وست سماوات ، وست أراضين ، نصدق بهما بالخبر .

وتبديل السماوات والأرض يوم القيامة يكون على وجهين :

الأول : تكون الذات باقية ، وتُبدل الصفات .

الثاني : أن تُفنى الذات الأولى ، وتخُلق ذاتٌ أخرى .

والله على كل شيءٍ قدير ، قادرٌ على هذا ، وهذا : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[إبراهيم: ٤٧-٤٨]

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

ومن هذه صفاته ، وهذا خلقه ، هو الرب الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم:٦٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[هود:١٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾[الحديد: ٩]

عظمة خلق السماوات والأرض :

الله ﷻ هو الملك الحق ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الكبرى ، والمثل الأعلى : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥] .

خلق كل شيءٍ فقدره تقديرًا ، من صغيرٍ وكبيرٍ ، وعالٍ وسافل ، ورطبٍ ويابس : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الزمر:٦٢ -٦٣] .

والسماء هي : كل ما علا وارتفع ، كالسماوات السبع ، والأفلاك العظيمة ، والمجرات الكبيرة ، والكواكب المنتشرة ، والنجوم والشمس والقمر وغيرها مما بين السماء والأرض ، وتدبر ذلك من أعظم العبادات : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق : ٦ – ٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١] .

والسماوات والأرض مخلوقاتٌ عظيمة .

فخلق السماء آية ، وما في السماوات من مخلوقات كالملائكة والشمس والقمر والنجوم كل ذلك آياتٌ عظيمة : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت:٣٧].

خلق السماء آية ، وخلق ما فيها آياتٌ عظيمة ، وارتفاع السماء آية ، وبقاؤها آية ، وأنوارها آية ، وإمساكها آية ، والسماوات والأرض مشحونةٌ بالأنوار العقلية ، والأنوار الحسية : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح:١٥- ٢٠] .

وخلق الأرض آية ، وخلق ما فيها آية ، وخلق الجبال آية ، وخلق البحار آية ، وخلق النبات بأنواعه آياتٌ مختلفة ، وخلق الإنسان آية ، وخلق

الحيوان آية : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾[يونس:١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾ [آل عمران:١٩٠ -١٩١] .

والسماوات والأرض دلائل وبراهين على كمال قدرة الله ، وعلى عظمة أسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق:١٢] .

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله ، وكبرتموه ، وعظمتموه ، وأحببتموه ، وحمدتموه وشكرتموه : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾[محمد : ١٩] .

فالسماوات والأرض مخلوقاتٌ عظيمة ، مشحونةٌ بمخلوقاتٍ عظيمة ، مملوءةٌ بالأنوار العقلية ، والأنوار الحسية .

أما الأنوار الحسية فما نشاهده في السماوات من الكواكب والنجوم ، والشمس والقمر ، وما نشاهده في الأرض من الأشعة المنبسطة على سطوح الأجسام ، حتى ظهرت بها الأشياء والألوان المختلفة .

وأما الأنوار العقلية ، فالعالم العلوي مشحونٌ بها ، وهي جواهر الملائكة ، فالملائكة خُلقت من نور ، والسماوات مملوءةٌ بالملائكة التي تُسبح بحمد ربها ، وتنفذ أوامره : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾[الأنبياء: ٢٠] .

فهم لا يعصون الله ما أمرهم : ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النحل: ٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠] .

والعالم السفلي مشحونًا بها وهي : القوى الجمادية ، والنباتية ، والحيوانية ، والإنسانية .

فكم في الأرض من الآيات التي تدل على وجود الله ﷻ ، وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدل على أنه واحدٌ : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠] .

والله جل جلاله نور السماوات والأرض ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبوحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

فسبحان الجميل النور في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور:٣٥] .

وخلق الله ﷻ الشمس كتلةً من اللهب ، والشمس تمد الكون بالنور والحرارة ، وهي تجري في الكون لا تقف أبدًا كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ

مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس:٣٨-٤٠] .

فالشمس للتوقيت اليومي ؛ لتبين النهار من الليل .

والقمر للتوقيت الشهري ، يبدو هلالًا ، ثم يتزايد حتى يبلغ كماله في منتصف الشهر ، ثم ينقص قليلًا قليلًا .

والشمس حرارتها ونورها وجريانها وارتفاعها بمقدار ، فلو ارتفعت قليلًا لتجمد كل شيء ، ولو نزلت قليلًا لاحترق وتبخر كل شيءٍ في الأرض : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾[لقمان: ١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر:٤٩-٥٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

[يس:٨١-٨٣] .

فقه عظمة خلق السماء :

خلق الله جل جلاله السماء العظيمة ، وأمسكها بقدرته كما قال سبحانه : ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾[الحج:٦٥] .

وخلق سبحانه السماوات السبع ، وجعل بعضها فوق بعض كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا

لَكُمْ بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المؤمنون:١٧-١٩] .

وقد أمرنا الله ﷻ بالنظر إلى عظمة خلق السماوات ؛ لنعلم عظمة من خلقها ، ونعلم عظمة قدرته وقوته وعلمه وحكمته ، واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس : ١٠١] .

وأرشدنا سبحانه إلى النظر والتفكر في آياته العظمى في خلق السموات والأرض ، فقال سبحانه : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [نوح:١٣ -٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٦ -٨] .

ومن قدر على خلق السماوات العظيمة ، فهو قادرٌ على خلق ما دونها من الإنسان ، والحيوان ، والجماد وغيرهم كما قال سبحانه : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر:٥٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨١- ٨٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾[النازعات : ٢٧-٣٣] .

وخلق السماوات والأرض يدل على عظمة خالقهما ، فهو سبحانه الخالق الذي خلق السماوات ، وهو الذي يمسكها أن تزول ، أو تقع على الأرض ، فتهلك من فيها كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر:٤١] .

ومن هذه عظمته ، وهذا خلقه ، وهذه قدرته ، وهذا ملكه العظيم ، فيجب الإيمان به ، وعبادته وحده لا شريك له : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[الأنعام:١٠٢-١٠٣] .

فالسماء من أعظم مخلوقات الله التي نراها ، فسبحان من خلقها ، وسبحان من أمسكها ، وسبحان من حفظها : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٥٥] .

١٠- الخزانة العاشرة

فضائل السماء :

للسماء فضائل عظيمة من وجوه :

الأول : أن الله تعالى زين السماء الدنيا بسبعة أشياء :

زينها بالمصابيح كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾[الملك:٥] .

وزينها بالقمر كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾[نوح:١٦] .

وزينها بالشمس كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾[نوح:١٦] .

وبالعرش كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[المؤمنون:٨٦-٨٧] .

وبالكرسي كما قال سبحانه : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة:٢٥٥] .

وباللوح كما قال سبحان : ﴿ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[البروج: ٢٢]

وبالقلم كما قال سبحان :﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾[القلم:١] .

فهذه سبعة أشياء عظيمة ، ثلاثةٌ منها ظاهرة ، وأربعةٌ خفية .

الثاني : أن الله تعالى سمى السماوات بأسماءٍ تدل على عظمة شأنها ، فسماها سماءً ، وسقفًا محفوظًا ، وسبعًا طباقًا ، وسبعًا شدادًا ، ثم ذكر عاقبة أمرها فقال : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[الأنبياء:١٠٤] .

مما يدل على أن خلقها لحكمةٍ بالغة .

الثالث : أن الله سبحانه جعل السماء قبلة الدعاء ، فالأيدي تُرفع إليها ، والوجوه تتوجه نحوها ، وهي محل النور ، والصفاء ، والطهارة، والإحكام، والطاعة التامة : ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء:١٩- ٢٠] .

الرابع : أن السماوات والأرض على صفتين :

فالسماوات مؤثرة غير متأثرة .. والأرض متأثرة غير مؤثرة .

والمؤثر أشرف من القابل ؛ ولهذا قَدم الله ذكر السماوات على الأرض في القرآن ، ووردت بلفظ الجمع دون الأرض في أكثر الآيات .

الخامس : أن الله زين السماء الدنيا بهذا اللون الأزرق ، وهو أحسن الألوان ، وأشدها موافقةً للبصر ، وتقويةً له ، فلونها أحسن الألوان هو المستنير ، وشكلها أحسن الأشكال ، وهو المستدير : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ [ق:٦] .

فسبحان من بنى السماء ، وأمسكها بقدرته، وأظهر بها كمال علمه وحكمته.

فمن تأمل في هذا الكون العظيم وجده كالبيت العظيم المعد فيه كل ما يحتاج إليه .

فالسماء المرفوعة كالسقف ، والأرض الممدودة كالبساط ، والشمس والقمر والنجوم كالمصابيح ، والإنسان كمالك هذا البيت المتصرف فيه ، وأنواع النباتات مهيأةٌ لمنافعه ، وضروب الحيوانات مصرفةٌ في مصالحه ، وأنواع المياه لسقيه وخدمته ، وأنواع الرياح لسروره وعافيته : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ

يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [لقمان:٢٠-٢٥] .

فقه عظمة خلق الأرض :

خلق الله ﷻ الأرض وجعلها قرارًا ، وفراشًا ، ومهادًا ، وذلولاً .

وكون الأرض فراشًا مشروط بشروط :

الأول : أن تكون ساكنة مستقرة ، بلا علاقةٌ من فوقها ، ولا دعامةٍ من تحتها ، بل أمسكها الله بقدرته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر:٤١] .

الثاني : أنها لم تكن في غاية الصلابة كالحجر الذي يؤلم من نام عليه ، أو مشى عليه ، ولم تكن من الذهب الذي تتعذر الزراعة معه عليها ، ولا البناء عليها، لتعذر حفرها، ولم تكن في غاية اللين كالماء الذي تغوص فيه الرجل.

الثالث : أنها لم تكن في غاية اللطافة والشفافية ، فإن الشفاف لا يستقر عليه النور ، ولا يتسخن من الشمس ، فكان يبرد جدًا .

الرابع : أن تكون بارزةً من الماء ؛ لئلا يغمرها الماء .

واليابسة تُشكل من الأرض أقل من الثلث ، وأما الماء فيُشكل ثلاثة أرباع الأرض تقريبًا ، وذلك لمصالح ومنافع عظيمة .

منافع الأرض :

أولًا : في الأرض منافع عظيمة ، لا يحصيها إلا الذي خلقها ، ومن ذلك الأشياء المتولدة فيها كالمعادن والنبات والحيوان : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا** ﴾[البقرة: ٢٩] .

ثانيًا : اختلاف بقاع الأرض ، فمنها أرضٌ رخوة ، وصلبة ، ورملة ، وسبخة ، وطيبة .

ثالثًا : اختلاف ألوانها فأبيضٌ وأسود ، وأحمر ورمادي ، وأخضر وبني ، واختلاف ألوان ما عليها من المخلوقات من الناس والدواب والأنعام ، والزروع والأشجار والثمار : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾[لقمان: ١١] .

رابعًا : انصداعها بالنبات كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ ﴾[الطارق: ١١ – ١٢]

وقال الله ﷻ في منافع الأرض : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[فاطر:٢٧-٣٠] .

خامسًا : كون الأرض خزينة للماء المُنزل من السماء كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[المؤمنون:١٨] .

سادسًا : الأنهار والعيون التي فيها كما قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ ﴾ [الرعد:٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل:١٥-١٨]

سابعًا : ما في الأرض من المعادن والفلزات وغيرها من النباتات كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحجر: ١٩] .

ثامنًا : ما في الأرض من أنواع الحب والنوى الذي ينبت فيها كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنعام:٩٥-٩٦] .

تاسعًا : أن الله ﷻ طبع الأرض على الكرم كما قال سبحانه : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة:٢٦١] .

عاشرًا : حياة الأرض بعد موتها بالماء الذي ينزله الله عليها : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [السجدة:٢٧] .

الحادي عشر : ما عليها من أنواع الدواب المختلفة الألوان والصور والخلق كما قال سبحانه : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن

تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾[لقمان:١٠] .

الثاني عشر : ما في الأرض من أنواع النبات المختلف الألوان والأنواع والمنافع كما قال سبحانه : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق:٦ -٨] .

وقال ﷻ : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾[الحج:٥] .

الثالث عشر : ما في الأرض من أنواع اللباس من القطن والصوف والوبر وغيرها : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾[النحل: ٨١] .

الرابع عشر : أن الله جعل الأرض ساترة للإنسان بعد موته كما قال سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾[المرسلات :٢٥-٢٦] .

الخامس عشر : كثرة ما يوجد على الجبال والأرض من الأشجار التي تصلح للبناء والسقوف والحطب : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾[الرعد : ٣] .

فضائل الأرض :

خلق الله ﷻ الأرض ، وملأها بكل ما يحتاجه الإنسان والحيوان ، وأسكن فيها آدم وذريته الذين خلقهم الله منها ، فهي أمهم التي فيها جميع حوائجهم : ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ

نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [لقمان:٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [عبس:٢٤-٣٢] .

فالأرض مائدةٌ عظيمةٌ مفتوحةٌ لآدم ﷺ وذريته، فيها أنواع الأشجار والثمار، والحبوب والمعادن ، واللباس والمياه وغيرها : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥] .

فهذه النعم العظيمة جعلها الله للإنسان في الأرض ، مع أن الدنيا سجن المؤمن ، فكيف الحال في الجنة ؟ : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٤]

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧٢] .

وقال النبي ﷺ : « الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ » .أخرجه مسلم[1] .

فالأرض هي أم الإنسان الكبرى ، وهي أشفق من الأم الآدمية ؛ لأن الأرض تطعمك من ألوان الطعام ، وتُسقيك من أنواع الشراب ، والأم إنما تُسقيك لونًا واحدًا ، وهو الحليب : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٧-٨] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم:١/ ٢٩٥٦.

وإكرامًا لهذا الإنسان سيُعيده الله إليها إذا مات ، ثم يخرجه منها إلى دار القرار ، في الجنة إن كان مؤمنًا ، وفى النار إن كان كافرًا : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه:٥٥] .

والله سبحانه لما خلق السماء والأرض ، جعل بينهما ما يُشبه عقد نكاح ، بإنزال الماء من السماء على الأرض ؛ ليخرج به من بطن الأرض أنواع المواليد من الزروع والحبوب ، والأشجار والثمار والنباتات التي جعلها الله رزقًا لبني آدم : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج : ٥ – ٧] .

والله جل جلاله هو الخلاق العليم ، وهو القادر على خلق هذه الثمار بدون وسائط ولا تعب الخلق ، ولكن الله يُريد بذلك تنبيه الناس أنهم إذا تحملوا المشاق في الحرث والغرس والبناء من أجل تحصيل المصالح الدنيوية ، فلا أن يتحملوا أقل المشاق لطلب المنافع الأخروية التي هي أعظم وأولى كما قال سبحانه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٤-١٥] .

والله جل جلاله قادرٌ على خلق الشفاء من دون الدواء ، لكنه أجرى العادة بتوقيفه عليه ، رحمةً بالإنسان ، وتنبيهٌ له ؛ لأنه إذا تحمل مرارة الدواء دفعًا

لضرر المرض ، وطلب الشفاء ، فلا أن يتحمل مشاق التكاليف بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، دفعًا لضرر العقاب أولى .

فسبحان الحكيم العليم في خلقه وأمره ، وتدبيره وتصريفه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾[يونس:٣-٤] .

لهذا أول واجبٍ على الإنسان أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، حتى يتوجه إليه ، ولا يلتفت لأحدٍ سواه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[الذاريات: ٥٠-٥١] .

والواجب الثاني ، أن يعمل بما علمه من هذا العلم العظيم ، ويعبد ربه وحده لا شريك له ، ويدعو الناس إلى الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة:٢١-٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[الحج:٧٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم: ٥٢].

ماذا خلق الله بين السماء والأرض ؟ .

خلق الله بين السماء والأرض آياتٌ عظيمة ، ومخلوقاتٌ عجيبة، وهي الشمس والقمر ، والنجوم والسُحب والرياح وغيرها مما لا يعلمه ولا يحصيه إلا الله .

فالشمس آيةٌ من آيات الله العظيمة ، ومخلوقاته العجيبة ، فبطلوع الشمس وغروبها يصلح أمر العالم ، فإذا طلعت تحرك الناس في معايشهم ، ونضجت ثمار أشجارهم ، وإذا غربت هدأ الكون ، واستراح الناس من التعب والعمل ، ولو لم تغرب لكان الحرص على المعاش يحمل الناس على المداومة على العمل ، فقد أثنى الله على نفسه بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾ [النبأ : ١٠-١١] .

ولولا الغروب لحميت الأرض بدوام شروق الشمس ، واحترق كل ما عليها من إنسانٍ أو حيوانٍ أو نبات، فمن رحمة الله بعباده أن جعلها تطلع في وقت، وتغيب في وقت ؛ ليحصل العمل ، ويحصل الهدوء بعد العمل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾[يونس:٥-٦] .

وارتفاع الشمس وانخفاضها آيةٌ من آيات الله العظيمة ، جعله الله سببًا لإقامة الفصول الأربعة ، التي تتم بها مصالح النبات ، والإنسان ، والحيوان ، وهي:

الشتاء ، والربيع ، والصيف ، والخريف .

أما حركة الشمس فبها ينشر الله النور والحرارة في العالم ، ولو كانت واقفةٌ في مكانٍ واحد أبدًا ، لاشتد الحر في ذلك الموضع ، واشتد البرد في سائر المواضع ، فاحترق من في الموضع الأول ، وتجمد من في الموضع الثاني ، ولكن الحكيم العليم الرحيم بعباده جعلها تجري من جهةٍ إلى جهة ، فلا يبقى موضعٌ مكشوف إلا أخذ حظه من الإنارة والحرارة : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس : ٣٧ – ٤٠] .

وأما منافع ميلها في حركتها عن خط الاستواء ؛ فلأجل أن تحصل منافعها للمخلوقات في كل بقعة من الأرض .

فسبحان الخلاق العليم الحكيم في خلقه وتدبيره : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦] .

وأما القمر فقد جعله الله للتوقيت الشهري ، كما أن الشمس للتوقيت اليومي ، والقمر آية الليل ، والشمس آية النهار : ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء:١٢-١٤] .

وجعل سبحانه في طلوع القمر مصالح ، وفي غروبه مصالح .

ففي طلوعه نفعٌ لمن ضل الطريق ، ونفعٌ لبعض الحيوانات والحشرات التي تطلب رزقها ليلًا لا نهارًا .

وفي غروبه نفعٌ لمن هرب من عدو ، وراحةٌ للإنسان والحيوان من التعب والكدِ في النهار : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت:٣٧].

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾[يونس:٥-٦] .

فسبحان من خلق هذا القمر الجميل ، وصوره ونوره ، وعلى البروج دوره ، فإذا شاء نوره ، وإذا شاء كوره .

حكمة خلق النجوم والكواكب ، والرياح والسحب :

النجوم التي خلقها الله ﷻ خلقها لثلاث :

علاماتٍ يُهتدى بها .. ورجومًا للشياطين .. وزينةً للسماء .

قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[النحل:٣]

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾[الملك:٥] .

والنجوم ثلاثة أقسام :

غاربةٌ لا تطلع ، كالكواكب الجنوبية .. وطالعةٌ لا تغرب كالكواكب الشمالية .. ومنها ما يغرب تارة ، ويطلع أخرى .

ومنها ثوابت ، ومنها سيارات ، ومنها بيضاء ، ومنها حمراء ، ومنها كبير ، ومنها صغير : ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[النحل:٣]

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق كل شيءٍ فقدره تقديرًا : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[القمر:٤٩-٥٠] .

وأما الرياح والسُحب فهي من المخلوقات العظيمة التي سخرها الله ﷻ لنفع عباده : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾[فاطر: ٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأعراف:٥٧-٥٨] .

فقه رحمة الرب جل جلاله :

الله جل جلاله له الأسماء الحسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[طه : ٨] .

هو الرحمن الرحيم الذي هو أرحم بخلقه من الأم الشفيقة على ولدها : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[البقرة:١٦٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾[الحشر:٢٢] .

وأنزل الله برحمته إلى أهل الأرض ما يرحمهم به أعظم رحمة ، وهما : الماء ، والوحي .

فأنزل الله الماء من السماء ؛ ليحيي به الأرض بعد موتها ، ويُنبت به النباتات والزروع والثمار ، ويُسقي به الإنسان والحيوان : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٩ – ١١]

وقال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡيِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الفرقان:٤٧-٥٠] .

وأنزل الله سبحانه الوحي وهو القرآن على قلوب البشر : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان:١] .

أنزله لتحيا به قلوب البشر ، وتُثمر أحسن الثمرات من الإيمان بالله والتقوى والخشية ، وطاعة الله ورسوله : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٢] .

والقرآن الكريم هدىٌ ونور ، أكرم الله به هذه الأمة : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة:١٥-١٦] .

فإذا أصاب ماء السماء أرضًا طيبة أثر فيها ، فأنبتت الزروع والحبوب والأشجار والثمار ، وصارت ترفل في حُلل زينتها وأزهارها وثمارها وخيراتها : ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج: ٥] .

وإذا نزل ذلك الماء على أرضًا سبخة خبيثة لا تقبل النبات ؛ كلما ازداد نزول الغيث عليها ، ازدادت خبثًا ، فلا تمسك ماءً عذبًا يُشرب منه ، ولا تُنبت مرعىً يُرتع فيه ، ولا ثمارًا ولا زروعًا تؤكل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[الأعراف:٥٧-٥٨] .

فقلب المؤمن بالقرآن يثمر كل خير كالأرض الطيبة تُثمر بالماء من كل زوجٍ بهيج : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[الحج:٥] .

وقلب الكافر كالأرض السبخة ، القرآن لا يزيده إلا كفرًا ، كالأرض السبخة لا يزيدها الماء إلا بللًا وملوحة : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾[التغابن:٨] .

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[النساء:١٣٦] .

والقلوب إذا عرفت ربها بأسمائه وصفاته وأفعاله ، وعرفت عظمة ملكه وسلطانه ، وعرفت عظيم نِعمه وإحسانه ، وعرفت دينه وشرعه ، وعظمة وعده ووعيده ، آمنت به ، وكبرته وعظمته ، وحمدته ، وشكرته ، وأحبته

وخشعت له : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون:١-٢] .

وقال الله تعالى :﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨ ﴾[فاطر: ٢٨] .

والخشوع هو الخضوع لمن ترى أنه فوقك بلا منازع ، والناس متفاوتون في المواهب ، وقد يستكبر الإنسان رجلًا كان أو امرأة بما عنده من علمٍ أو قوةٍ ، أو مالٍ أو جمال وغيرها من المواهب التي وهبها الله له : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾[العلق:٦-٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾[الانفطار:٦ -٨] .

ومن رحمة الله ﷻ أن جعل الله للمؤمنين بيئةً في الدنيا ، لتدريبهم على الخشوع لكبرياء الله ﷻ ، وأعطى بعض الناس أشياء تميزهم عن غيرهم ؛ ليخضع هذا لهذا ، فيخضع العبد لسيده ، ويتطامن الجاهل للعالم ، والفقير للغني ، ويذل الضعيف للقوي ، والصغير للكبير .

كل واحد من هؤلاء يخضع لمن فوقه ، حتى يحصل حاجته تربية له ؛ لكي لا يستكبر على من له إليه حاجة ، ولو اعتز واستكبر على من له إليه حاجة فسدت الدنيا : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٣٢ ﴾[الزخرف:٣٢] .

فإذا تطامن كبرياء الإنسان إلى من يرى فيه حاجة لا يجدها في نفسه ، حصلت له الفائدة التي يطلبها ، فهذا بين البشر .

وإذا خضع الإنسان لمن يملك تلك المواهب العظيمة ، وتصاغر له ، ليستفيد منه ، فيجب أن يخضع للملك الحق العزيز الجبار ، الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العُلى ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، الملك الحق الذي أعطاه هذه المواهب .

فمن أراد أن يخشع قلبه لربه ، فليستحضر عظمة ربه ، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله ، وجميل إحسانه وإنعامه ، ويعلم أن بيده وحده كل شيء ، فيخضع له ، ويتذلل له ؛ ليستفيد مما عنده : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢- ٤].

وقال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون:١-١١] .

فسبح اسم ربك العلى ، وسبح باسم ربك العظيم ، وكبره وعظمه ، وألجأ إلى واهب النعم ، ليعطيك من فضله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد: ٩]

وقال الله تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٩] .

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران:٧٣ -٧٤] .

فاستقم كما أُمرت ، وتقرب إلى ربك بما يحبه ويرضاه، تفوز يوم القيامة بجنته ورضوانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[فاطر:٢٩-٣٠] .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، يا حي ياقيوم .

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الجزء الخامس ٥

٢٧-خزائن القرآن الكريم: ٧

القسم الأول: ويشتمل على: ٧

١.الخزانة الأولى..... ٨

٢.الخزانة الثانية..... ١٥

٣.الخزانة الثالثة..... ٢٣

٤.الخزانة الرابعة..... ٣٧

٥.الخزانة الخامسة..... ٤٦

٦.الخزانة السادسة..... ٥٥

٧.الخزانة السابعة..... ٦٨

٨.الخزانة الثامنة ٧٦

٩.الخزانة التاسعة..... ٨٥

١٠. الخزانة العاشرة ٩٤

القسم الثاني: ويشتمل على: ١٠٧

١.الخزانة الأولى..... ١٠٨

٢.الخزانة الثانية..... ١٣٢

٣.الخزانة الثالثة..... ١٤٦

٤.الخزانة الرابعة..... ١٥٣

٥.الخزانة الخامسة..... ١٦٢

٦.الخزانة السادسة..... ١٧٥

٧.الخزانة السابعة..... ١٨٦

٨.الخزانة الثامنة ٢٠٠

٩.الخزانة التاسعة..... ٢١٠

١٠. الخزانة العاشرة ٢٢٠

٢٨-خزائن السيرة النبوية: ٢٣٥

القسم الأول: ويشتمل على: ٢٣٥

١.الخزانة الأولى..... ٢٣٦

٢.الخزانة الثانية..... ٢٥٠

٣.الخزانة الثالثة..... ٢٦٧

٤.الخزانة الرابعة..... ٢٨٠
٥.الخزانة الخامسة..... ٢٩٥
٦.الخزانة السادسة..... ٣٠٧
٧.الخزانة السابعة..... ٣٢١
٨.الخزانة الثامنة ٣٣٨
٩.الخزانة التاسعة..... ٣٥١
١٠.الخزانة العاشرة..... ٣٦٨
القسم الثاني: ويشتمل على: ٣٧٧
١.الخزانة الأولى..... ٣٧٨
٢.الخزانة الثانية..... ٣٨٨
٣.الخزانة الثالثة..... ٤٠٠
٤.الخزانة الرابعة..... ٤٠٨
٥.الخزانة الخامسة..... ٤١٧
٦.الخزانة السادسة..... ٤٣٤
٧.الخزانة السابعة..... ٤٤٦
٨.الخزانة الثامنة ٤٥٦

٩.الخزانة التاسعة..... ٤٦٦
١٠. الخزانة العاشرة..... ٤٧٢
٢٩-خزائن الأعمال الصالحة:..... ٤٧٩
القسم الأول: ويشتمل على:..... ٤٧٩
١.الخزانة الأولى..... ٤٨٠
٢.الخزانة الثانية..... ٤٩٣
٣.الخزانة الثالثة..... ٥٠٢
٤.الخزانة الرابعة..... ٥١٠
٥.الخزانة الخامسة..... ٥١٩
٦.الخزانة السادسة..... ٥٢٦
٧.الخزانة السابعة..... ٥٣٣
٨.الخزانة الثامنة..... ٥٤١
٩.الخزانة التاسعة..... ٥٥٠
١٠. الخزانة العاشرة..... ٥٥٨
القسم الثاني: ويشتمل على:..... ٥٧١
١.الخزانة الأولى..... ٥٧٢

٢.الخزانة الثانية..... ٥٧٩
٣.الخزانة الثالثة..... ٥٨٦
٤.الخزانة الرابعة..... ٥٩١
٥.الخزانة الخامسة..... ٥٩٩
٦.الخزانة السادسة..... ٦٠٥
٧.الخزانة السابعة..... ٦١٢
٨.الخزانة الثامنة ٦١٩
٩.الخزانة التاسعة..... ٦٢٤
١٠. الخزانة العاشرة ٦٣٠
٣٠-خزائن الأحكام العامة:..... ٦٤١
القسم الأول: ويشتمل على: ٦٤١
١.الخزانة الأولى..... ٦٤٢
٢.الخزانة الثانية..... ٦٥٣
٣.الخزانة الثالثة..... ٦٦١
٤.الخزانة الرابعة..... ٦٨٣
٥.الخزانة الخامسة..... ٧٢٢

٦.الخزانة السادسة..... ٧٣٩
٧.الخزانة السابعة..... ٧٥٠
٨.الخزانة الثامنة ٧٥٩
٩.الخزانة التاسعة..... ٧٦٧
١٠. الخزانة العاشرة ٧٧٦
القسم الثاني: ويشتمل على: ٧٨٧
١.الخزانة الأولى..... ٧٨٨
٢.الخزانة الثانية..... ٧٩٩
٣.الخزانة الثالثة..... ٨١٢
٤.الخزانة الرابعة..... ٨٢١
٥.الخزانة الخامسة..... ٨٣٠
٦.الخزانة السادسة..... ٨٣٩
٧.الخزانة السابعة..... ٨٥٠
٨.الخزانة الثامنة ٨٥٩
٩.الخزانة التاسعة..... ٨٦٦
١٠. الخزانة العاشرة ٨٧٦

القسم الثالث: ويشتمل على: ٨٨٧

١.الخزانة الأولى..... ٨٨٨

٢.الخزانة الثانية..... ٨٩٧

٣.الخزانة الثالثة..... ٩٠٧

٤.الخزانة الرابعة..... ٩١٥

٥.الخزانة الخامسة..... ٩٢٨

٦.الخزانة السادسة..... ٩٤٣

٧.الخزانة السابعة..... ٩٥٦

٨.الخزانة الثامنة ٩٧٢

٩.الخزانة التاسعة..... ٩٨٤

١٠. الخزانة العاشرة ٩٩٥

فهرس الموضوعات ١٠١٣